تاريخ
مصر في عصر البطالمة

الجزء الأول

تأليف

دكتور ابراهيم نصحي

الطبعة الرابعة

مزيدة ومنقحة

ملتزم الطبع والنشر
مكتبة الأنجلو المصرية
١٦٥ شارع محمد فريد

القاهرة

١٩٧٦

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

الطبعة الاولى

يعز على كل منا ألا تسعفه المكتبة العربية كلما أراد أن يدرس بل يتصفح تاريخ بلاده العزيزة ، فاذا كان يلم بلغة أوربية وجد فيضا مما كتبه الغربيون ، غير أن كثيرا مما كتبوه مشوب بوجهة نظرهم الخاصة . واذا كان لا يعرف الا العربية ، وهذه هي حال الغالبية العظمى منا ، اضطر فى حسرة الى أن يقنع بالقشور التى لا تشفى غليل المشوقين الى التعمق فى تاريخ بلادنا العامر بالكنوز الدفينة . وهذا نقص معيب يؤخذ دليلا على تأخر البحث العلمى عندنا ، بل هذا وصمة فى جبين قوميتنا ، اذ معناه أننا لا نعنى كما ينبغى بتعرف ماضينا ، وهو عيب فاضح ، لأن الأمة التى تريد أن تتبوأ مكانا جديرا بالاحترام يجب أن تصل بين حاضرها وماضيها لتحكم اعداد بناء مستقبلها .

وما أتعس حال طلابنا اليوم ! فهم مكلفون بدراسة مختلف فروع التاريخ ، ولا يفتأ الأساتذة يثيرون فيهم روح البحث والاطلاع ، لكنهم يعجزون عن اشباع شغفهم بل حتى عن متابعة دراستهم متابعة صحيحة ، لأن أغلب مصادر هذه الدراسة مكتوبة بلغات أجنبية متعددة . وأكثر الطلاب لا يلمون الا بلغة أجنبية واحدة أو بلغتين الماما لا يسمح لهم بالتوسع فى البحث والاطلاع ، فتضطرهم هذه الحال الى أن يحرصوا بالغ الحرص على تدوين واستظهار كل ما يلقيه عليهم أساتذتهم ولو لم يفهموه ! ومن ثم فان المستوى العلمى ظل متواضعا بين الغالبية العظمى من الطلاب .

لقد حفزنى هذا كله على كتابة هذه الفصول عن تاريخ عصر البطالمة ، الذى قطعت مدة غير قصيرة فى دراسته وفى تدريسه لطلاب الليسانس

بقسم التاريخ بجامعة فؤد الأول ، عسى أن أسد ولو مؤقتا ثغرة فى تاريخ فترة طويلة من تاريخ مصر ، لا أعلم أن أحدا قد سبقنى الى الكتابة عنها باللغة العربية . هذا فضلا عن أنه لم يتناولها أحد على الاطلاق بمثل هذه الدراسة المفصلة الشاملة منذ وضع الأستاذ بوشيه – لكلرك كتابه الجليل عنها فى بداية هذا القرن . ولما كانت دراسة هذا العصر تعتمد اعتمادا كبيرا على الوثائق البردية والنقودش والآثار ، وكانت الحفائر تجود علينا من حين لآخر بقدر كبير من هذه المصادر الأساسية ، فقد غدا جانب كبير من كتاب الأستاذ بوشيه – لكلرك ، على جلال قدره ، غير صالح للاعتماد عليه . ومع ذلك فانه لا يمكن بعد الاستغناء عن هذا الكتاب كلية ، لما يتضمنه من التفاصيل الدقيقة والبحوث العميقة والآراء السديدة .

ولا يسعنى الا أن أشيد فى هذا المقام بالأبحاث الجليلة التى قامت بها طائفة من العلماء فى مختلف نواحى تاريخ مصر فى عصر البطالمة ، واعتمدت عليها كثيرا فى دراستى . واذا كان المجال يضيق عن حصر أسماء هؤلاء العلماء الأفاضل جميعا ، فلا أقل من أن نذكر هنا أبرزهم ، مثل ڤيلكن وأوتو ؛ وماها فى وجرنفل وهنت وسمايلى وادجار ، ورستوفتزف ، وجوجيه ، وبرتشيا ووسترمان وولز وبريو .

وقد قصدت أيضا أن أخفف العبء عن الذين يدرسون هذا العصر الذى لم تكتب وثائقه بالهيروغليفية والديموتيقية فحسب ، بل كتب أغلبها باللغة الاغريقية . وقد تناول الكتابة عن هذا العصر أو عن بعض نواحيه الكتاب القدماء بالاغريقية واللاتينية ، والباحثون الحديثون بالانجليزية والفرنسية والألمانية والايطالية والروسية الخ .. وقد رجعت فى دراستى الى المصادر الأصلية المكتوبة بالاغريقية واللاتينية وكذلك الى كل ما أمكننى الوصول اليه من أبحاث المحدثين وهو يمثل الغالبية العظمى من هذه الأبحاث . ولما كنت لا ألم باللغة الايطالية ، فقد اعتمدت على مساعدة مترجمين ممتازين فى الاطلاع على ما يعنينى من البحوث الايطالية . ولحسن الحظ أن أعظم الباحثين الروس فى هذا الموضوع ، وهو الأستاذ روستوفتزف ، قد نشر أغلب بحوثه بالألمانية وبالانجليزية فلم يفتنى شىء منها .

وجملة القول أننى عنيت بالالمام بكل أو على الأصح بجل ما يتناول تاريخ هذا العصر ، فقد رجعت الى أغلب المصادر الأصلية وأكثر المراجع الحديثة وناقشت آراء القدامى والمحدثين ، فقبلت بعضها ودعمتها فى كثير من الأحيان بحجج أخرى ، وفندت البعض الآخر بما بسطته من الآراء فى ذلك الصدد .

ولما كان هدف هذا الكتاب دراسة تاريخ مصر فى عصر البطالمة ، وليس دراسة تاريخ البطالمة ملوك مصر ، فاننى لم أعن بدراسة تفاصيل حروب البطالمة وفتوحاتهم قدر عنايتى بدراسة أثر هذه الحروب والفتوحات فى مصر فى ذلك العصر ، ولا قدر عنايتى بدراسة مختلف نواحى الحياة فى مصر عندئذ . ولذلك أوجزت الكلام عن سياسة البطالمة الخارجية وهو موضوع طويل من الممكن أن يستغرق أضعاف ما خصصته له من الصفحات عدة مرات ، على حين أننى لم أتوخ مثل هذا الايجاز فى دراسة السياسة الدينية والسياسة الاقتصادية ونظام الادارة والنظام المالى والاقتصادى والقضائى والحياة الاجتماعية والآداب والعلوم والفنون . ولم أتأثر فى معالجة كل ناحية من هذه النواحى الا بكثرة أو قلة ما لدينا عنها من المصادر والمراجع ، وبالرغبة فى تجنب التفاصيل التى تشغل حيزا كبيرا من الورق نحن فى أشد الحاجة اليه ، دون أن يكون لذلك أثر بعيد المدى فى تفسير الموضوعات الخاصة بها . وفضلا عن ذلك فان الطالب قد يضل وسط التفاصيل الكثيرة فى هذه الموضوعات المتشعبة ، التى توخينا التبسط فى عرضها بقدر ما تسمح طبيعة الموضوعات نفسها وقواعد البحث العلمى الحديث . ولأزمة الورق نصيب كبير كذلك فى الاقلال من الخرائط والصور الى أقصى حد . ويلاحظ أننى اتبعت فى اختصار أسماء المصادر والمراجع الطريقة التى اتبعتها وشرحتها مجموعة مجلدات كمبردج فى التاريخ القديم .

ومن أجل ما تكشف عنه دراسة هذا العصر هو قوة الحيوية الكامنة فى الأمة المصرية ، وشدة استمساكها بتقاليدها ، واعتزازها بكرامتها ، وكفاية أبنائها على أن يبزوا من سلطوا عليهم اذا ماسنحت لهم الفرصة ، ثم

قدرة هذه الأمة على الصبر على المكاره والخطوب ، وانتفاضها دفعة واحدة ضد غاصبيها ، حتى لتزلزل الأرض تحت أقدامهم وترغمهم على النزول على صلفهم وجبروتهم . لكنه لا تلبث أن تنفث السياسة والخلافات والأطماع الشخصية سمومها بين بنيها ، فتخبو شعلة وطنيتهم ، وتتصدع وحدتهم ، وتنهار حركتهم . ومع ذلك فقد كانت مصر مقبرة طغاتها الظالمين ، وستكون دائما باذن الله مقبرة كل من تحدثه نفسه باغتصابها أو باذلال شعبها الوفى الأمين .

وقد يحزننا أو قد يروح عنا ما نراه فى معرض سياسة البطالمة الخارجية من أن الاتجار « بالحرية » فى سوق السياسة الدولية ليس بدعة حديثة . فقد سبق خلفاء الاسكندر الأكبر قادة العصر الحديث الى هذه التجارة الرابحة ، وان كانت تجارة شائنة . ألم يتبارك أنتيجونوس ودمتريوس وبطلميوس على حرية الدول التى اغتصبها « أعداء الحرية » ، وتطرد حاميات الخصوم وتوضع حامياتهم مكانها « تأمينا للحرية » من أعدائها الظالمين ؟!

وبعد فان هذه الفصول ثمرة دراسة جدية بدأت عام ١٩٣٢ ، حينما عكفت على دراسة عصر البطالمة فى الخارج ثم على تدريس هذا العصر لطلاب جامعة فؤاد الأول منذ عام ١٩٣٤ ، والتوافر على اعداد هذا الكتاب منذ عام ١٩٤١ . ومع ذلك فانى لا أقول بأن هذا الكتاب قد بلغ حد الكمال أو قاربه ؛ الا أنه اذا قدر له أن يحقق بعض ما هدفت اليه ، وأثار باحثينا الى نقد آرائه وتغذية المكتبة العربية بما هو خير منه ، فان ذلك يكون خير الجزاء لكل الجهد المضنى الذى أنفقته فى اعداد هذا البحث بل هذه النواة المتواضعة لما هو أتم وأوفى اذا امتد بنا الأجل وترفقت الأيام ، والله ولى التوفيق .

يناير سنة ١٩٤٦ .

مقدمة الطبعة الثانية

ما كاد يجف مداد الطبعة الأولى حتى شرعت فى تنقيح الكتاب ، لكنه لم يكن مقدرا للطبعة الثانية أن تظهر الا بعد هذه الفترة الطويلة بسبب كثرة المشاغل فضلا عن المشقة التى يعانيها باحثونا فى الوصول الى المصادر والمراجع فهى موزعة بين مختلف المكتبات ، وفى الحصول على الأبحاث الحديثة فهى تستغرق وقتا غير قصير لتصل الينا من مواطنها المتعددة .

واذا كان الكتاب قد احتفظ بهيكله الأصلى ، فان الاطلاع على أكثر ما نشر منذ ظهور الطبعة الأولى قد اقتضى ادخال تعديلات كثيرة على تلك الطبعة . وازاء زيادة عدد الصفحات رأيت أنه قد ييسر على القارىء تصفح الكتاب والرجوع اليه وضع عناوين ثانوية لأهم الموضوعات واصدار الطبعة الجديدة فى أربعة أجزاء تصدر تباعا ان شاء الله بمجرد الانتهاء من مراجعة كل منها ، والله ولى التوفيق .

مارس سنة ١٩٦٠ .

مقدمة الطبعة الثالثة

كان طبيعيا أن يترتب على متابعة الاطلاع على ما ينشر عن موضوعات هذا الكتاب ، وكذلك على أمعان التفكير فيما يعرض له من المشاكل ، ادخال اضافات وتعديلات جديدة على الطبعة الثانية ، أملا فى أن يساعد ذلك كله على استجلاء تاريخ عصر البطالمة بقدر ما تسعفنا المصادر القديمة والمراجع الحديثة ، والله ولى التوفيق .

يونية سنة ١٩٦٦ — ابراهيم نصحى

مقدمة الطبعة الرابعة

كان من جراء اطلاعي على كل ما أمكنني التوصل اليه سواء مما نشر بعد صدور الطبعة الثالثة أم قبلها ولكنه لم يكن عنـدئذ فى متناولى ، وكذلك من جراء متابعة تدريس عصر البطالمة ، وما اقتضاه ذلك كله من متابعـة التفكير فى مشاكل ذلك العصر ومن تمحيص الآراء — آرائى وآراء غيرى — التى أبديت فى هذه المشاكل ، ادخال اضافات وتعديلات غير قليلة على الطبعة الثالثة .

وفضلا عن ذلك فان الطبعة الرابعة تمتاز على الطبعتين الثانية والثالثة بأن الجزء الرابع سيتضمن « كشافا » للأجزاء كلها . وباسمى وباسم كل من سيجنون ثمرة هذا الكشاف ، أقدم أصدق الشكر الى الزميل الأستاذ الدكتور سيد الناصرى على عرضه الكريم باعداد هذا الكشاف .

سدد الله خطانا جميعا ، وهو ولى التوفيق .

ابراهيم نصحى

أكتوبر ١٩٧٥

فهرس الجزء الأول

صفحة

الفصل الثالث

صفحة

الباب الثالث

الباب الأول

مصر والفتح المقدونى

تمهيد

حالة مصر منذ الأسرة السادسة والعشرين حتى الفتح المقدونى .

لما كان أول عهد مصر باستقرار الاغريق فيها يرجع الى ما قبل الفتح المقدونى بعدة قرون ، وكان الاغريق قد لعبوا دورا هاما فى تاريخ مصر منذ العصر الصاوى ، فانه لكى نفهم بجلاء تاريخ مصر فى عصر البطالمة ، يجدر بنا أن نستعرض فى ايجاز حالة مصر منذ العصر الصاوى .

ملوك نباتا يردون على الوادى وحدته :

عندما سيطرت أسرة ليبية على مصر فى منتصف القرن العاشر قبل الميلاد ، انقسمت البلاد الى امارات محلية ،ورفض كهنة آمون ، سادة طيبة ، الخضوع لسلطان الليبيين يبدو أن الكثيرين منهم آثروا الهجرة جنوبا الى بلاد كوش ، وكانت تعتبر ملكا لآمون . وهناك عند الشلال الرابع فى المدينة التجارية الكبيرة « نباتا » أقام كبير الكهنة القادمين من طيبة ملكا جديدا وجعل من نفسه وارثا شرعيا لعرش فرعون . ولم يكد الملك الشاب بعنخى يستوى على عرش نباتا حتى صح عزمه على أن ينقذ شمال وادى النيل من أيدى الغاصبين وعلى أن يرد على الوادى وحدته ، وفى عام ٧٤٠ كللت مجهوداته بالنجاح .

أشور تفتح مصر :

وعندما استولت أشور على مصر فى عام ٦٧١ ولم يستطع طهراقا ، خامس ملوك نباتا ، صد الغزو الأجنبى عن شمال مملكته ، انسحب جنوبا

تاركا الدلتا تحت رحمة الأشوريين . وما كاد أشور حادون (Esarhaddon) يعود الى نينوى ، حتى استعاد طهراقا سيطرته على الدلتا . وعندما ارتقى أشور بانيبال العرش أعاد فتح مصر فى عام ٦٦٧ ثم أقام نخاو ، أميرسايس ، حاكما على الدلتا وأحاطه برجال أشوريين وبذلك حال دون نجاح طهراقا فى استعادة الدلتا . وعندما أفلح تنوت أمون (Tanutamon) خليفة طهراقا ، فى غزو الدلتا ونصب نفسه فى منف فرعونا على مصر بأجمعها ، استشاط أشور بانيبال غضبا وغزا مصر ثانيــة فى عام ٦٦٣ وطارد تنوت أمون فى الوجه القبلى ، ثم ترك مصر تحت امرة أبسمتيك . ومع ذلك يبدو أن تنوت أمون احتفظ بنفوذه فى طيبة حتى عام ٦٦١ ، وهو العام الذى حمل فيه أبسمتيك ألقاب الفراعنة بعد أن بسط سلطانه على مصر كلها ، وأصبح ملكها دون منازع من البحر الى أسوان .

تأسيس الأسرة السادسة والعشرين :

وهكذا أسس أبسمتيك (٦٦٣ ــ ٦٠٩) الأسرة السادسة والعشرين وجعل سايس (صا الحجر بالقرب من كفر الزيات) حاضرتها ، ولم يلبث أن حرر مملكته من كل تبعية لأشور . وبيان ذلك أنه ازاء انهماك أشــور حينذاك فى حربها مع علام (Elam) لم يعبأ أشور بانيبال بما كان جاريا فى مصر ما دام أبسمتيك يدفع له الجزية ، ويحتمل أنه استمر يفعــل ذلك بانتظام حتى حوالى عام ٦٥١ عندما سحبت الحامية الأشورية من الدلتا بسبب مقتضيات حرب علام ونشوب ثورة فى بابل ، ومن ثم توقف أبسمتيك عن دفع الجزية لأشور . وبعد حروب علام المضنية ، كان أبسمتيك بفضل جنوده المرتزقة فى مركز أقوى من أن تتهدده أشور .

استقرار الاغريق فى مصر :

وقد كان فى مصر اذ ذاك عدد كبير من الاغريق ، فانه منــذ حوالى ٧٢٥ ق.م. أخذ تجار ميلتوس (Miletos = ملطية) يترددون كثيرا على مصاب نهر النيل وبخاصة المصب الغربى ، عنــد قانوب (أبو قير) ، اما لسهولة الوصول اليه من بحــر ايجة ، واما لبعده عن حــركة نشــاط

الفينيقيين • وقد ترتب على ازدياد تدفق التجارة الاغريقية أن فرع النيل القانوبى أخذ يزداد فى الأهمية على فرعه البلوزى ، وكانت تجارة مصر مع فينيقيا قد أكسبته أهمية كبيرة فى عهد الأسرتين العشرين والثانية والعشرين ، أى فى عهد الرعامسة (حوالى ١١٩٨ ــ ١٠٩٠) وملوك بوباسطس (حوالى ٩٤٥ ــ ٧٢٥) •

تأسيس نقراطيس :

وعلى مقربة من سايس ، أسس تجار ميلتوس محلة لهم ، أطلق عليها اسم « قلعة أهل ميلتوس » • ويحدثنا استرابون بأن تجار ميلتوس أقاموا محلتهم فى عصر أبسمتيك ، أى حوالى عام ٦٥٠ ق٠م٠ ولكنه من المحتمل أنها أقيمت حوالى عام ٧٠٠ أو قبل ذلك ، ولعل أن ما حدث فى عصر أبسمتيك هو أن القلعة ازداد اتساعها ، وأصبحت تعرف باسم نقراطيس (Naucratis = كوم جعيف بمحافظة البحيرة) • وبفضل الثروة التى عادت على مصر من تجارة الاغريق تمكن أبسمتيك من استخدام عدد كبير من الجنود الاغريق والأناضوليين ساعدوه على توطيد مركزه فى مصر ، وبذلك تخلص من منافسيه ومن تهديدملوك نباتا ومن سيطرة الأشوريين•

عطف ملوك العصر الصاوى على الاغريق :

وعندما استتب الأمر لأبسمتيك كافأ جنوده المرتزقة بأن اتخذ منهم وحدهم حرسه الخاص مما أساء الى الجنود المصريين ، فلم يكن من الحامية التى وضعها الملك عند أسوان للدفاع عن الحدود الجنوبية الا أنها هاجرت الى بلاد النوبة ، فقد عز عليها أن يختص الملك جنوده الاغريق بتكوين حرسه الخاص •

وقد أقام أبسمتيك لهؤلاء الجنود معسكرين ، أحدهما فى ماريا (Marea) بالقرب من قانوب ، والآخر فى دفنه (Daphnae = تل دفنه عند برزخ السويس) ليكونا بمثابة حصنين يصدان هجمات كل من تحدثه نفسه بالاعتداء على مصر ، وأباح أبسمتيك للاغريق أن ينشئوا مؤسسات

فى سايس ونقراطيس وقانوب • وقد هدأت الحال فى مصر بفضل الحزم الذى أبداه أبسمتيك ، وسرعان ما أصبحت علاقته مع أشور علاقة الند للند ، لكنه لما كان هذا الملك مدينا بمركزه فى مصر لأشور ، فانه لم ينس ذلك وبقى حليفا أمينا لأشور حتى توفى فى عام ٦٠٩ ، وخلفه ابنه نخاو الثانى الذى حاول دون جدوى مساعدة أشور على بابل • ومن ثم وقف جهوده على الأعمال السلمية فى مصر ، فاهتم بشق قناة تربط النيل بالبحر الأحمر ،وأوفد بعثة لترتاد سواحل افريقيا ، ووجه عناية خاصة الى تجارة مصر ، فأثرت البلاد ، وازدهرت فيها فنون السلم ، وظهر فى كل فروع الفن طراز جديد يمتاز باحياء طراز الدولة القديمة •

وعندما توفى نخاو الثانى فى عام ٥٩٣ ، خلفه ابنه أبسمتيك الثانى الذى حكم حتى عام ٥٨٨ • ولعل أهم ما يعنينا فى هذا المقام من أمر أبسمتيك الثانى هو أنه اقتفى أثر أبيه وجده فى اتباع سياسة مشربةبروح العطف نحو الاغريق • ولا جدال فى أن عطف ملوك مصر فى العصر الصاوى على الاغريق يرجع الى ما كانوا مدينين به من ثروتهم لتجارة الاغريق ، وكذلك الى ما كانوا يستشعرونه من الحاجة الملحة الى معونة الاغريق العسكرية ، وذلك من ناحية للذود عن حياض مصر ضد الممالك الفتية القوية فى آسيا ، ومن ناحية أخرى لدفع ما يتهدد العرش من الأخطار الداخلية •

ازدياد العطف على الاغريق يلهب شعور المصريين :

بيد أن ازدياد ذلك العطف أثار شعور المصريين بالتدريج ، حتى دفعهم الى الثورة على أبريس (Apries) (٥٨٨ — ٥٦٦) وكان شابا متهورا ، خاضعا لجنوده الاغريق الى حد بعيد • وقد أزكى حقد المصريين عليه فشل الحملة التى أرسلها لمساعدة الليبيين ضد اغريق قورينى ، فاندلع لهيب ثورة قومية معادية للاجانب، حمل لواءها قائد مصرى يدعى أماسيس (Amasis) ولم تنته هذه الثورة فى عام ٥٦٩ الا باعلانه شريكا لأبريس فى الملك ، لكن أبريس قتل بعد ذلك بثلاث سنوات وخلفه أماسيس وحده على العرش •

ارتقى أماسيس العرش بوصفه عدو الاغريق ، لكنه كان أفطن من أن يحتفظ بهـذه الصفة وكذلك من أن يصبح صديقا حميما للاغـريق وبخاصة أول الأمر ، فنهج فى سياسته طريقا وسطا . ولكى يرضى شعور الشعب ألغى معسكر دفنه ونقل جند هذا المعسكر الى منف ، حيث اتخذ منهم حرسا خاصا بحجة وضعهم تحت رقابته ، وأمر بأن ينزل فى نقراطيس جميع الاغريق المدنيين المقيمين فى مصر . وبالتدريج ازداد عطفه على الاغريق وضوحا . ونستدل على ذلك من صـداقته لبولوقراتس (Polycrates) طاغية ساموس وقرويسوس (Croesos) ملك لوديا ، ومن هداياه الثمينـة للمعابد الاغريقية ، ومن اتخاذه زوجة له سيدة اغريقية قورينية لعلها كانت أميرة من أسرة باتوس ملوك قورينى .

وفى عهد أماسيس ساد الأمن والسلام فى البلاد ، فازدادت ثروة مصر نتيجة لرواج تجارتها شمالا وشرقا وجنوبا كما ازداد عـدد سـكانها ، وأنشئت عدة معابد كبيرة ، وازدهرت العلوم والفنون حتى بلغت شأوا بعيدا . وفى هذه الأثناء كان قورش يشيد صرح دولة فتية هى دولة الفرس التى أصبحت قوة يخشى بأسها بعد استيلاء قورش على ميديا فى عام ٥٥٠ ، مما أفزع قرويسوس ملك لوديا وحدا به الى محاولة درء هـذا الخطر بتكوين حلف من ثلاث دول كبرى وهى لوديا وبابل ومصر . فما كان من قورش الا أنه بادر الى غزو لوديا ولم يواف عام ٥٤٦ حتى كان قد استولى عليها ، وشفع ذلك بالاستيلاء على كل الشواطىء الجنوبية لآسيا الصغرى . وفى عام ٥٣٩ استولى على بابل ، وبعد ذلك بقليل دخلت سوريا وفلسطين حظيرة الامبراطورية الفارسية . وأما مصر فانها كانت لا تزال مستمتعة باستقلالها عند وفاة أماسيس فى عام ٥٢٦ .

الفرس يفتحون مصر :

وفى عصر أبسمتيك الثالث غزا قمبيز مصر ، وتوج نفسه ملكا عليها فى مايو عام ٥٢٥ ، واتخذ لقب فرعون ليكسب نفسه مركزا شرعيا فى نظر المصريين ، لكنه لم يلبث أن أثار عواطفهم بانتهاكه حرمة الديانة المصرية .

وفى عام ٥٢٢ خلفه دارا على العرش ، فأظهر بعد نظر وكياسة جديرين بملك عظيم وزار مصر حوالى عام ٥١٨ حيث توج عليها فرعونا . ولعل أهم بقايا عصره فى مصر معبد هيبس فى الواحة الخارجية . ويضاف الى ذلك أنه أتم قناة نخاو وكانت تصل النيل بالبحر الأحمر ، مخترقة وادى الطميلات . واتبع دارا سياسة التسامح ليمحو أثر الآثام التى أساء بها سلفه الى المصريين .

الثورة المصرية الأولى على الفرس :

ومع ذلك فانه ما كاد المصريون يعرفون أن دارا قد توفى حتى هبوا ثائرين ونصبوا خباش ملكا عليهم فى عام ٤٨٥ . وقد ساعد الأثينيون المصريين فى ثورتهم لأن الفرس كانوا عدوا مشتركا للفريقين ، ولا يزالون يشكلون خطرا داهما على الاغريق كافة برغم فشلهم فى غزو أثينا قبل هذه الثورة بخمس سنوات . وفى عام ٤٨٤ أتى أجزركسيس (Xerxes) ابن دارا الى مصر وأخمد الثورة وقضى على خباش ، وفرض غرامة كبيرة على معبد بوتو (Buto) فى الدلتا ، لأنه كان قد نادى بالثورة ، وجعل حالة مصر أسوأ مما كانت عليه من قبل ، وضيق الخناق على المصريين فوضع فرسا حتى فى الوظائف غير الكبيرة . واذا كان يرجح أنه قد كان بين جباة الضرائب الذين عجت بهم البلاد عندئذ كثيرون من المصريين ، فلا شك فى أنه كان بينهم أيضا كثيرون من السوريين والبابليين والفرس ، وكان كل همهم ملء خزانة الملك الأكبر . غير أن مصر ،وقد أثرت ثراء كبيرا فى العهد الصاوى ، بقيت غنية كذلك على الأقل فى بداية العهد الفارسى برغم كل ما عانته من الغزو والمذابح والاضطهاد . وتشير الوثائق الكثيرة التى وجدت فى مصر من عصر دارا الى رفاهية البلاد ورخائها ، لكننا لا نجد لهذه الوثائق نظائر بعد ثورة خباش والنير الذى وضعه أجزركسيس على رقاب المصريين . وكثيرا ما نجد فى الوثائق الأرامية التى ترجع الى النصف الثانى من القرن الخامس أسماء يهودية أو سورية أو بابلية ، مما يشير الى أن عددا كبيرا من صغار التجار الشرقيين قد تبعوا الفرس وجباتهم الى مصر . ولا شك فى أنه قد ترتب

على الحروب الطويلة التى خاضها الفرس فى بداية القرن الخامس مع أثينا وحلفائها أن انقطعت تقريبا تجارة مصر مع بلاد الاغريق مما عاد بضرر بليغ على نقراطيس ، لكنه لا سبيل الى الشك فى أنه كانت لمصر تجارة واسعة برا وبحرا مع بلاد العرب وسوريا وفينيقيا وأيونيا ، الى جانب تجارتها المنكمشة مع بلاد الاغريق . وكان يقوم بنقل كل هذه التجارة بحارة أو رجال قوافل من الأجانب . وفى هذا الوقت استقرت القبائل العربية النبطية فى مدينة البتراء ، حيث سيطروا على طريقين تجاريين أحدهما من خليج العقبة الى فلسطين والآخر من مصر الى بابل عبر جرها (Gerrha)

الثورة المصرية الثانية :

وفى عام ٤٦٥ توفى أجزركسيس ، فكان ذلك ايذانا ببدء ثورة جديدة فى مصر للتخلص من النير الفارسى . وقد حمل لواء هذه الثورة أحد أمراء أسرة أبسمتيك وكان يدعى ايناروس (Inaros) ، فطرد جباة الضرائب الفرس وأخيمنس (Achaemenes) نائب الملك ، ولكن الحامية الفارسية انسحبت الى منف فحالت دون انضمام وادى النيل الى الدلتا . وعندما تحرج مركز ايناروس ، لعجزه عن الحصول على مساعدة الوجه القبلى وعودة أخيمنس على رأس جيش جديد ، وفدت على مصر نجدة اغريقية . وبيان ذلك أن أسطولا أثينيا مكونا من مائتى مركب كان يقوم بأعمال حربية بالقرب من شواطىء قبرص وعندما علم القواد الأثينيون بثورة ايناروس بادروا بمد المعونة له ، فقد كان هذا الأسطول على أتم استعداد لمساعدة أى عدو للفرس . وبفضل هذه المساعدة انتصر المصريون على العدو المشترك .

ولم يغادر الأثينيون مصر بعد ذلك بل بقوا سادة البلاد فحاول ارتاجزركسيس (Artaxerxes) دون جدوى اغراء اسبرطة بغزو أتيقا لكى يضطر الأثينيون الى الخروج من مصر . وأخيرا أرسل الملك الأكبر جيشا قويا الى مصر هزم المصريين وحلفاءهم وطرد الاغريق من منف وحاصرهم فى جزيرة بروسوبيس (Prosopis) عاما ونصف عام ،

حتى أخضعهم (٤٥٦) ، وقضى على ايناروس • وهكذا أخضع الفرس مصر ثانية ، فيما عدا اميرتايوس (Amyrtaeos) « ملك الأدغـال » الذى عجز الفرس عن القضاء عليه بسبب اتساع الأدغال ، ولأن أهـل الأدغال كانوا أكثر المصريين مقـدرة على الحرب • وحدث أن أرسل الأثينيون خمسين مركبا لنجدة قواتهم فى مصر ، فدخلت هـذه المراكب فرع النيل المنديسى (نسـبة الى منـدس Mendes = تل الربع قرب السنبلاوين بمحافظة الدقهلية) دون علم بما كان قد حدث ، فهوجمت برا وبحرا ولم ينج منها سوى عدد قليل •

هرودوتوس يزور مصر :

وفى عصر ارتاجزركسيس الأول زار هرودوتوس مصر • ويرجح أن هذه الزيارة تمت بين عام ٤٤٨ ، عندما عقدت أثينا الصلح مع الفرس ، وعام ٤٤٥ ، عندما كان فى أثينا قبل ذهابه الى ثوريى (Thurii) التى اشترك فى تأسيسها عـام ٤٤٣ • وكانت مصر تنعم اذ ذاك بالهـدوء ، لكنه كان هدوء منهوك القوى المستسلم ، ذلك أنه بوفاة الزعيم الأثينى قيمون (Cimon) وعقـد صلح قالياس (Callias) فى عـام ٤٤٨ انتهت المحاولات الأثينية لتحطيم قوة الفرس وشد أزر مصر ، فنعم الفـرس بفترة من الراحة أطالت أمدها الحروب البلوبونيزية بين أثينا واسبرطة (٤٣١ — ٤٠٤) •

ويحدثنا هرودوتوس بأن البلاد كانت فى رخـاء ، لأن التجـارة والصناعة كانتا رائجتين ، برغم الضرائب الثقيلة المفروضة عليهما وكان معدلها يزداد غالبا دون وجه حق • ولا جدال فى أن المصريين أثبتوا مرارا مقدرة غير عادية على النهوض بعد أى خطب نزل بهم ، بيد أنه ازاء الثورتين العارمتين اللتين قاموا بهما ضد الفرس فى خـلال ربع قرن ، وما واكب هاتين الثـورتين من قتـال وتخريب وما أعقبهما من مذابح واضطهاد ، وازاء ما سنراه من الجهود التى اضطر البطالمة الأوائل الى بذلها — بسبب ما ترتب على ذلك كله — للنهـوض بمرافـق مصـر الاقتصادية ، وازاء ما يرويه هرودوتوس نفسه عن الضرائب الثقيـلة ،

يساورنا الشك فيما يحدثنا به هذا المؤرخ عن رخاء مصر حين زارها فى أعقاب الثورة الثانية • ويبدو مما يرويه هرودوتوس أن أبواب البلاد كانت مفتوحة أمام السائحين الأجانب ، وأنه كان فى وسعهم زيارة المعابد وكل معالم البلاد دون صعوبة أو التعرض لأى خطر من الأهالى • ولا يحدثنا هرودوتوس عن مشاهدته أى آثار للتخريب فى الوجه القبلى ، مما يبعث على الظن بأن الكفاح بين الفرس والمصريين كان مقصورا على الدلتا وما يجاور منف •

ويبدو من رواية هرودوتوس أن مظاهر الحياة لم تختلف عما كانت عليه قبل ذلك بألفى عام وتشبه عن قرب فى بعض النواحى ما هى عليه الى اليوم ، فان وصف هرودوتوس لحفل دينى فى بوباسطس يكاد أن يكون وصفا لاحدى الحفلات الدينية التى تقام اليوم عند الاحتفال بمولد أحد « الأولياء » • وكان يوجد اذ ذاك كما يوجد اليوم السائحون والأدلاء ، فقد كان هرودوتوس سائحا وكثيرا ما كان ضحية لأحد الأدلاء الأدعياء • ومع ذلك فان هرودوتوس حصل على معلومات تاريخية قيمة ، يبين أن مصدرها كان أحيانا من حادثهم من الكهنة ، لكنه يبدو أنه لم يلق الكثيرين من هؤلاء الكهنة • ولم يعتمد هرودوتوس على ما سمعه وحده بل اعتمد أيضا على ما رآه بنفسه ، ثم فسر ما توافر لديه من المعلومات حسبما تراءى له • ويعتقد بعض المؤرخين أن معلومات هرودوتوس عن مصر ، على ما بها من أخطاء ، ليست عديمة القيمة الى الحد الذى يعتقده بعض آخر • وفى الواقع بالرغم من كل ما بهذه المعلومات من أخطاء تاريخية ، فانها تعطينا صورة حية لتاريخ مصر فى القرن الخامس قبل الميلاد •

اغريق نابهون يزورون مصر :

ولم يكن هرودوتوس الاغريقى النابه الوحيد الذى زار مصر قبل الفتح المقدونى ، فان العلاقات القوية التى نشأت منذ العصر الصاوى

بين مصر وبلاد الاغريق شجعت وفود الكثيرين من الاغريق على مصر ، اما لمجرد الزيارة والاستطلاع واما لتلقى العلوم ، فيقـال ان الفيلسوف الاغريقى طالس Thales زار مصر ، ويرجح أنه أخذ عنها فكرته القائلة بأن الماء أحد العناصر الطبيعية الثلاثة ، كما أنه تعـلم فى مصر أصـول الهندسة والحساب . واذا كان هناك شك فى أن فيثاغورس وفرقودس (Pherecydes) وهراقليتوس Heraclitos وأناكساجوراس (Anaxagoras) زار اومصر ، فلا شك فى أن أفلاطون زارها وتزود منها بالمعلومات كما تزود دموقريتوس (Democritos) . ويرجح أن الفـكرة الاغريقيـة عن الروح البشرية القائلة بأنها عبارة عن انسان له رأس طائر قد أخـذت عن مصر ، لكنه يظن أن الاغريق لم يأخذوا شيئا آخر عن مصر اذ ذاك الى أن جاء عصر البطالمة .

ولم يدم صلح « الثلاثين عاما » الذى عقد بين أثينا واسـبرطة فى عام ٤٤٥ نصف تلك المدة ، فقد اندلع لهيب الحـرب البلوبونيزية فى عام ٤٣١ ، لكن السلام كان سائدا بين الفرس وبين أثينا واسبرطة ، فلم يبال المصريون أكانت أثينا واسبرطة فى حرب أم فى صلح ما دامت هاتان الدولتان صديقتين للفـرس . ووسـط الحـرب البلوبونيزية تـوفى ارتاجزركسيس فى عام ٤٢٤ ، لكن مصر ظلت هادئة حتى نهـاية القرن الخامس .

وجدير بالذكر هنا وثيقة أرامية من أواخر هذا القرن عثر عليها فى جزيرة الفنتين بأسوان ، وهى عبارة عن شكوى كهنة الجالية اليهودية فى الفنتين من القائد الفارسى فى أسوان لأنه سمح لكهنة الاله خنـوم المصريين بتدمير المعبد اليهودى هناك ونهبه . وقد يرجع وجود هـذه الجالية اليهودية الى أواخر القرن السابع أو أوائل القرن السادس ، عندما وفد كثيرون من اليهود على مصر ، على نحو ما رأينا وسنرى فيما بعد .

الثورة المصرية الثالثة :

وعندما انتهت الحرب البلوبونيزية فى عام ٤٠٤ بهزيمة أثينـا ، آلت زعامة بلاد الاغريق الى اسبرطة ، وهى التى وجـدت نفسها بعد بضـع

سنين مشتبكة فى صراع مع الفرس ، فكان ذلك مواتيا لمصر ، وكانت قد ثارت على الفرس فى عـام ٤٠٤ ، عقب وفاة دارا الثانى . وقد قاد هذه الثورة الجديدة أميرتايوس الثانى الذى حكم مصر ست سنوات لكن حكمه كان مزعزعا ، الى أن اشتبكت اسبرطة مع الفرس ، ولم يساعده على الاحتفاظ بملكه فى خلال الشطر الأول من حكمه الا اشـتغـال ارتاجزركسيس الثانى بخيانة أخيه قورش (Cyrus) . وعقب انتصـار الملك الأكبر على أخيه فى عام ٤٠١ ، اشتبكت اسبرطة مع الفرس ، الا أن ملك مصر لم يلبث أن حاول اكتساب عطف الملك الأكبر المنتصر ، فأثار بذلك عواطف المصريين وكانت معـادية للفـرس ، مما دفعهم الى خلع أميرتايوس فى عام ٣٩٨ والمناداة بنفريتس (Nepherites) مكانه ملكا على مصر وفى عام ٣٩٦ جمع الملك الأكبر أسطولا كبيرا فى فينيقيا ، يرجح أنه كان يراد به اعادة فتح مصر . لكن اسبرطة وقد خشيت أن يستخدم هـذا الأسطول للقضاء على سيادتها البحرية ، عرضت فى ذلك العام عقد معاهدة مع مصر ، التى أصبحت مستقلة تمام الاستقلال ، فرحبت مصر بذلك لتضمن معونة الاغريق اذا هاجمها الفرس .

وقد خلف نفريتس ثلاثة ملوك ، يعنينا منهم أمر ثالثهم وكان يدعى هاقورى (Hakori) ، ففى عصره تحالفت مصر مع أفاجوراس Evagoras ملك قبرص عام ٣٨٩ ، لكن هذه المحالفة حملت الفرس على الاصغاء الى عروض اسبرطة لعقد الصلح ، فقد أعيا اسبرطة نضالها فى آسيا وتاقت الى السلم . وفى عام ٣٨٨ انضمت أثينا الى محالفة مصر وقبرص ، الا أنه فى عام ٣٨٦ عقد صلح أنتالقيداس (Antalcidas) بين الفرس واسبرطة ثم أثينا وحلفائها . ولم تعن اسبرطة وأثينا بأن يشمل هذا الصلح مصر ، وهى التى سعيتا من قبل الى التحالف معها .

وكان فى استطاعة ارتاجزركسيس اذ ذاك أن يهاجم أفاجوراس أو هاقورى أو كليهما اذا شاء ، لكنه فضل أن يوجه هجومه الأول الى مصر بين عامى ٣٨٥ و ٣٨٣ ، غير أنه باء بالاخفاق . وقد أفلح أفاجوراس بمعاونة هاقورى وأثينا فى مناوءة الفرس حتى هزم فى البحر وحوصر

فى جزيرته فعقد صلحا مع الفرس فى عام ٣٨٠ • وبعد ذلك بفترة قصيرة راح ضحية مؤامرة وخلفه ابنه نيقوقلس (Nicocles)

وفى عام ٣٧٨ توفى هاقورى وخلفه نفريتس الثانى مدة أربعة شهور ثم ارتقى العرش نقتانبو الأول (Nectanebo) • وقد حالت ظروف أرتاجزركسيس دون مهاجمة مصر قبل عام ٣٦٤ ، عندما وجه اليهاحملة قوية يشد أزرها عدد كبير من المرتزقة الاغريق ، الا أن التوفيق لم يحالف هذه الحملة •

وعندما توفى نقتانبو الأول فى عام ٣٦١ خلفه على عرش مصر ابنه تزدهور (Zedhor = تاخوس Tachos) الذى انتهز فرصة انقسام الامبراطورية الفارسية بعضها على بعض فأعد حملة لغزو سوريا • وقد استعان تزدهور بملك اسبرطة العجوز أجسيلاوس (Agesilaos) لتدريب جيشه ، وبأمير البحر الأثينى خابرياس (Chabrias) لاعداد أسطوله ، وانتزع جانبا كبيرا من دخل المعابد ليدفع أجر جنوده ، مما أغضب المصريين • وعندما وصل الجيش الى فينيقيا دب الخلاف بين الملك الاسبرطى وتزدهور ، وكان المصريون قد ثاروا عليه فى مصر ، فلم يتردد أجسيلاوس فى عزل تزدهور واقامة أحد أقاربه مكانه وكان يدعى نقتانبو الثانى • وقد فر تزدهور الى الفرس ، وقرر الملك الجديد العدول عن الحملة والعودة الى مصر لدعم مركزه هناك • وعندما استتب الأمر للملك الجديد بعد حرب حامية ، غادر مصر أجسيلاوس وخابرياس ، فقرر نقتانبو استئجار غيرهما لقيادة قواته ، ففى ذلك الوقت كان لا يستطيع أى ملك عاقل الاشتراك فى حرب دون استئجار الاغريق لمعاونته • ذلك أن مرتزقة الاغريق هم الذين كانوا يضطلعون بأكبر العبء فى جيوش كافة القوى المصطرعة •

وفى عام ٣٥٨ ارتقى العرش الفارسى ارتاجزركسيس الثالث (أوخوس Ochos) ، وما كاد يوطد مركزه فى امبراطوريته حتى قرر أن يعيد مصر الى حظيرة الامبراطورية الفارسية ، لكن الحملة الفارسية التى وجهت الى مصر فى عام ٣٥٧ أو ٣٥٦ أخفقت ، فنعم نقتانبو الثانى

بالهدوء بضع سنين • وجدير بالذكر أن نقتانبو الأول والثانى انتهـزا سنين السلم لرعاية الفنون ، فان النهضة التى يمتاز بها النصف الثـانى من فترة الاستقلال ، وتثير اهتمامنا باعتبارها المقدمة والحافز للمنتجات الفنية الرائعة فى عصر البطالمة الأوائل ، لابد من أنها ترجـع الى رعـاية هذين الملكين والى الايحاء الذى بثه فى الفنون استعادة الاستقلال وبلوغ البلاد درجة كبيرة من القوة •

الفرس يستردون مصر :

ولمـا لم يكن فى وسع أوخوس أن يحتمل رؤية مصر مستقلة ، ذلك البلد الغنى الذى يدر الخير العميم على صاحبه ، وكانت فى نظره ملك أجداده وتبعا لذلك ملكه أيضا ، فانه أخذ يعد جيشه اعدادا حسنا ويترقب الفرصة المناسبة لغزو مصر • وقد واتته فرصته عندما ثارت فينيقيا وقبرص على الفرس بزعامة ملك صيدا ، الذى وعده نقتانبو بالمساعدة وأرسل اليه فى عام ٣٤٣ قوة من الجنود الاغريق يقـودها اغريقى من رودس يدعى منتـور (Mentor) لكن هذا القائد عندما علم باقتراب أوخوس وجيشه دخل مع الفرس فى مفاوضات بعلم ملك صيدا • ومع ذلك حاصر الملك الفارسى صيدا ، وعندما فتحت له أبوابها قتل ملكها وقبل منتور ورجاله فى خدمته • وفى عام ٣٤٣ زحف أوخوس على مصر يشد أزره عدد كبير من الجنود الاغريق ، وأفلح فى اقتحام تحصينات الدلتا واستولى على منف ، ففر نقتانبو الى بلاد النوبة • وتحدثنا المصادر القديمة بأن أوخوس احتفل بانتصاره باهانة المصريين اهانة فاقت أعمال قمبيز ، فانه أسكن حمارا فى معبد فتاح وذبح العجل أبيس وقدمه فى مأدبة الاحتفال• وقد استمر حكم الفرس فى مصر الى أن فتحها الاسكندر فى عام ٣٣٢ •

طبقات السكان وصفاتهم :

واذا استعرضنا تاريخ مصر فى خلال الثمانية القرون التى أعقبت عصر الملوك الكهنة ، فاننا نجد أن معظم سكان البلاد كانوا يتألفون من قوم مزارعين محافظين أشد المحافظة ، لم تتغير عاداتهم وطباعهم منذ آلاف السنين • وقد آل عرش مصر فى هذه الفترة الى ملوك من أصل ليبى

وملوك نباتا والأشوريين والفرس ، وأعطى الليبيون والنوبيون أهل مصر ارستقراطية وأسر مالكة ، لكن هؤلاء الغرباء اندمجوا فى أهالى البلاد فى الجوهر ، ولم يحتفظوا الا بمظاهر أصلهم الأجنبى مثل الاسم وما أشبه ذلك . ومن بين كل حكام مصر الأجانب كانت الأسر الليبية أطولها بقاء فانها بدأت تسيطر على مصر فى عهد الأسرة الحادية والعشرين ، وبعد ذلك بسبعة قرون كان أمراء سايس لا يزالون يحملون اسم أبسمتيك ، وهو الذى يبدو أنه كان ليبيا . وكان أغلب طبقة المحاربين المصريين فى خلال هذه الفترة من أصل ليبى ، ولم يقض على العنصر الليبى الا ظهور الجنود المرتزقة الاغريق والفتح الفارسى . ويبدو المزيج الليبى فى الطبقة العليا قبل كل شىء بالاضافة الى الاسرة المالكة ، أما المزيج السامى والأناضولى والنوبى فيبدو غالبا فى المدن . أما عنصر أهل الريف ، وكان يتألف من غالبية أهل البلاد ، فقد بقى بوجه عام مصريا خالصا وكذلك بعيدا عن الشوائب ، لأن الانحلال لم يحل الا بأهل المدن والطبقات الحاكمة فى العواصم .

وقد مر بنا أن الأمة المصرية ، برغم ما بلغته اذ ذاك من الثروة والأناقة والرقى الفنى ، كانت ضعيفة منحلة ، الا أن الانصاف يقتضينا أن نذكر أن عنصر أهل الريف فى الأمة لم يكن ضعيفا ، وانما كان عنصرا وديعا يحب السلام فيما عدا المنازعات المحلية بين القرى ، حيث كان استعمال « النبوت » شائعا . وعندما كانت تلك العصى الغليظة فى قبضة فرعون حازم أو حاكم أجنبى قوى ، فان أهل الريف كانوا يخضعون له . ولم يقدر على قيادة الفلاح خارج مصر ، وابعاده عن أرضه التى يعشقها سوى فرعون شديد ، أو حافز قوى . وأما اذا كانت فى البلاد حكومة ضعيفة أو اذا حلت بها الفاقة ، فانه كانت كالغاب المكسور لا تستطيع دفع فاتح شديد المراس الا بالوسائل السياسية . ولا نسمع فى هذه الفترة شيئا جديدا عن طبقة المزارعين ، وفى الواقع يبدو أن أحوال هذه الطبقة لم يطرأ عليها أى تغير يذكر على مر العصور . وأما طبقة المحاربين التى عرفنا أن أغلبها كانوا منحدرين من أصل ليبى على حين أن أقليتها كانت

من المصريين الخالصين ، فانها كانت طبقة ممتازة داخلها الغرور وانحطت كفايتها الى حد أن الجنود المرتزقة الاغريق أصبحوا عماد الجيوش المصرية منذ بداية العصر الصاوى ، وهو ما تأباه كل دولة تحترم نفسها وتعتز بكرامتها • وأما طبقة الكهنة فانها كانت أيضا طبقة ممتازة ، ابتليت بأحقاد متبادلة بين المعابد المختلفة تمخضت عن تقطيع أوصالها •

وبالرغم مما أصاب الأمة المصرية من الانحلال السياسى ، فانها أثبتت قوة الحيوية الكامنة فيها بمقدرتها العجيبة على النهوض سريعا من آثار الحروب المتكررة • وقد أظهر المصريون استمساكا قويا بتقاليدهم ، وأنه ليمكن القول بأن نظام الادارة التقليدى احتفظ به دائما مع التعديلات الضرورية ، بأن النظام المعقد الذى نعرفه من أيام البطالمة والرومان كان معروفا قبل ذلك وانما بشكل أقل تعقيدا •

وحتى الأسرة الثانية والعشرين كانت كل الوثائق تكتب بالهيراتيقية ، أما منذ عهد ملوك نباتا فقد بدأ استعمال الديموتيقية • ولم يأت عهد الأسرة السادسة والعشرين حتى كانت الديموتيقية تستعمل فى كتابة كافة الوثائق فيما عدا الدينية منها ، فقد كانت تكتب الهيراتيقية • ومع ذلك فانه قبل عهد البطالمة لم يوجد الا قدر طفيف من الآداب بالديموتيقية •

وقد كان المصريون شديدى التمسك بدياناتهم ، وهى تمتاز فى هذه الفترة بازدياد أهمية السحر وبنهضة دينية اصطبغت ، كبقية نهضة هذا العصر ، يميل الى القديم ، مما أدى الى احياء « كتاب الموتى » و « نصوص الأهرام » • وقد أصبحت الديانة تصطبغ بصبغة جنازية تبعا للاهمية التى اكتسبها أوزيريس على حساب آمون ، فقد أخذ هذا الاله ينحدر تدريجا من مكانته السامية ، وان كان لا يزال يعتبر فى العصر الصاوى « ملك الآلهة » • ويحتمل أن تخريب طيبة فى عام ٦٦٣ وضع نهاية لعظمة هذا الاله الدينية ، فقد خلفه أوزيريس منذ ذلك الوقت فى مخيلة الناس بمثابة الاله الذى يقدسه الجميع ، ولم يعد العامة يرون فى آمون أكثر من أوزيريس أو أمنوفيس •

الفصل الأول

١ ــ الفتح المقدونى

فيليب الثانى يوحد الاغريق ويقرر محاربة الفرس :

لم تكن بلاد الاغريق دولة تنتظمها رابطة الوحدة السياسية ، وانما كانت تنقسم الى عدد كبير من الدويلات تحرص كل منها أشد الحرص على استقلالها وحريتها وتفرق بينها المنازعات والأحقاد • واذا كانت هذه الدويلات قد بلغت شأوا بعيدا فى القرن الخامس قبل الميلاد ، فانها أخذت تضعف وتشيع الفوضى بين أرجائها فى خلال القرن الرابع ، فى حين أن مقدونيا على حدودها الشمالية كانت جادة فى توحيد كلمتها واعلاء شأنها • وعندما ارتقى فيليب الثانى عرش مقدونيا ، رأى أن ينتهز حالة بلاد الاغريق فيوحدها بزعامة مقدونيا سياسيا وحربيا ويقوم الاغريق فى حرب قومية ضد أعدائهم القدماء الفرس ، وكانوا يسيطرون على اغريق آسيا الصغرى ويهددون سلامة بلاد الاغريق ، فيصيب فيليب بذلك هدفين: وأحدهما هو خضوع بلاد الاغريق له وتأييدها اياه لأنه سيصبح قائد حرب الانتقام من الفرس ، والآخر هو القضاء على الخطر الفارسى • وقد أدرك الاغريق أغراض فيليب وانقسموا ازاءها قسمين غير متعادلين ، يؤيدها أقلهم ويعارضها أغلبهم وكانوا يرون أن المسألة هى حرية الاغريق ، وهذه كانوا لا يفرقونها عن استقلال المدن ، وأنه يتهدد حريتهم العزيزة عليهم خطران كانت مقدونيا أقربهما وبلاد الفرس أبعدهما فكان يجب القضاء على الخطر المباشر بأى ثمن • ولذلك تآلفت أثينا وبويوتيا لدفع هذا الخطر الداهم ، ولكن فيليب أنزل بالاغريق فى عام ٣٣٨ هزيمة ساحقة فى موقعة خايرونيا (Chaeronea) وألف من أغلب الدول الاغريقية عصبة جعل مقرها مدينة قورنثة • ولم تلبث هذه العصبة أن قررت محاربة الفرس بقيادة مقدونيا •

الاسكندر الأكبر ينفذ مشروع أبيه :

وقد لقى فيليب حتفه فى عام ٣٣٦ قبـل تحقيق أمنيته ، لكن ابنـه الاسكندر الأكبر — وقد ورث عنه جيشه وتكليف عصبة قورنثة اياه قيادة الاغريق فى حرب شاملة ضد الفرس انتقاما لمـا ارتكبوه فى بلاد الاغريق منذ قرن ونصف قرن (١) — لم يكد الأمر يستتب له حتى أقـدم على محاربة الفرس ، برغم ما كان يكتنف ذلك من صعاب أهمها أن الفرس كانوا يعتمدون على موارد امبراطورية لا تنضب ، ويتمتعون بسيادة البحار . وذلك فى حين أن موارد الاسكنـدر كانت ضئيلة نسبيا ، وأنه كـان لا يستطيع الاعتماد على قوى الاغريق البرية أو البحرية ، فقد عز عليهم ضياع حريتهم وخضوعهم لمقدونيا ، ومن ثم فانه كان طبيعيا ألا يتفانوا فى تأييد مشروعاتها . بيد أن مقدونيا استعاضت عن ذلك بما كانت تمتاز به من أنها أمة فتية قوية تتألف من جنود أشداء ، وتتسلح بأحـدث الأسـلحة والمعدات ، ويقودها ملك شاب يجمع بين المقدرة والجرأة ، ويشد أزره عدد من القواد المجربين .

الاسكندر الأكبر يستولى على قواعد الأسطول الفارسى :

وبعد انتصار الاسكندر فى موقعة جرانيقوس على القوات الفارسية التى تصدت له بمجرد بلوغه آسيا الصغرى ، رأى أن الوسيلة المثـلى للقضاء على سيادة الفرس البحرية هى الاستيلاء برا على قواعد الأسطول الفارسى الواحدة بعد الأخرى . ولذلك يبين أنه قرر ألا يستولى على شواطىء آسيا الصغرى وسوريا وفينيقيا فحسب بل أيضا على مصر وكذلك على قورينائة (برقة) ، فيضمن على هذا النحو سلامة مؤخرته ويترك الأسطول الفارسى بلا مأوى يلجأ اليه لاصلاح أى عطب يصيب المراكب ، أو بلد محالف يستمد منه المؤنة والمدد (٢) . وقد كان فـتح مصر ضروريا للاسكندر لأنه كان من ناحية بمثابة استكمال لفتح فينيقيا ،

(1) Arrian., I, 1, 2 ; II, 14, 4.

(2) Bevan, Hist. Eg. under Ptol. Dyn. p. 1 ; Rostovtzeff, Anc. World I, p. 332 ; Wilcken, Alex., p. 79; Bell, Eg. from Alex. to Arab Conq., 1948, p. 28.

ومن ناحية أخرى بمثابة ضمان لوضع بلاد الاغريق تحت رحمة الاسكندر ، لأن استيلاءه على مصر بعد الدردنيل كان يضع فى قبضته أكبر مصدرين تعتمد عليهما بلاد الاغريق فى استيراد ما تحتاج اليه من القمح (١) . وفضلا عن ذلك فان هذا الفتح كان يضع فى قبضتـــه موارد مصر الغنية (٢) ، فيسهل عليه أن يتابع محاربة الفرس . ولعل عدم اطمئنان الاسكندر الى مصر لم يكن مبعثه خضوعها للفرس بقدر ما كان الخوف من أن تتخذها العناصر المعادية للاسكندر مأوى لها ، أو الخوف من قيام ثورة وطنية فيها تقودها الارستقراطية المصرية — وكان لايزال لها شأن كبير فى الدلتا — ويتحالف معها الاغريق ، فقد كان فى وسع مثل هذا الحلف اخضاع قبرص وفينيقيا (٣) ، أو على الأقل تهديد سلامتها .

حقا ان استيلاء الاسكندر على فينيقيا قد أزال من طريقه الخطـــر الرئيسى الذى كان يتهدده ، لأن سفن فينيقيا وقبرص — وكانت أفضـــل جزء فى الأسطول الفارسى — انضمت عندئذ الى الاسكندر ، غير أن آجيس ملك أسبرطة كان لا يزال يعمل مجدا فى اثارة الحـــرب ضـــد الاسكندر (٤) . والى جانب ذلك كله كان يوجد اعتبار سياسى له خطره ، فقد كان الاسكندر على وشك تكوين امبراطورية اغريقية أسيوية ، وكان لا يمكن تصور قيام هذه الامبراطورية دون أن يكون بحر ايجة بمثابة قطب الرحى فيها . وكان يتعذر السيطرة على هذا البحر بل على شرق البحر الأبيض المتوسط دون السيطرة أولا على مصر .

الاسكندر الأكبر يفتح مصر :

وازاء ذلك كله فان الاسكندر عندما دحر دارا الثالث ملك الفرس فى موقعة أسوس (Issos) فى خريف عام ٣٣٣ لم يتابع انتصاراته باقتفاء أثر الملك الأكبر الذى فر هاربا الى بابل ، وانما آثر أن يفتح أولا فينيقيا ومصر وقورينائية (برقة) . وما كاد يستولى على صور وغزة حتى يمم

---

(1) Jouguet, Hist. Nat. Eg. III, p. 4.
(2) Cam. Anc. Hist. VI, p. 155.
(3) Cf. Jouguet, Trois Etudes, p. 26 fn 4.
(4) Wilcken, Alex., pp. 108-112.
(5) Cf. Ehrenberg, Alex. u. Aegypten, Beibeft Alten Orient, 7, pp. 30-35.

وجهه شطر مصر فبلغ بلوزيون (Pelousion) فى نوفمبر عام ٣٣٣ (١) وقد طوقته هالة من جلال انتصاراته الحديثة •

ومما يستحق الذكر أنه عندما كان الاسكندر فى صور وأتاه من دارا كتاب يعرض عليه فيه محالفته وكل امبراطوريته غربى الفرات ، قال له بارمنيو قائده العجوز « لو كنت أنا الاسكندر لقبلت هذا العرض » ، فرد عليه الاسكندر بعبارته المشهورة « وأنا لو كنت بارمنيو لقبلته أيضا » (٢) • وفى هذا دلالة على مدى اتساع الأهداف التى كان الاسكندر يتوخاها من وراء حملته ضد الفرس •

ولم يجد مازاقس (Mazakes) — الوالى الفارسى الذى كان يحكم مصر اذ ذاك — مفرا من التسليم (٣) ، لأنه أدرك أن المقاومة كانت غير مجدية ولا سيما أن المصريين لم يخفوا عواطفهم نحو الاسكندر ، بسبب المصائب التى جلبها عليهم الفرس والمساعدات التى لقيها المصريون من الاغريق كلما حاولوا التخلص من ربقة الملك الأكبر (٤) ، على نحو مامربنا آنفا • فقد كانت تدور فى مخيلة المصريين ذكرى آثام قمبيز وقسوة أوخوس وكفاحهم المستمر بمساعدة الاغريق ليستخلصوا استقلالهم من براثن الفرس • وقد ظن المصريون أن الاسكندر قدم اليهم لينقذهم من بلائهم ، كما قدم الاغريق مرارا من قبل ، اذ كان المصريون والاغريق حلفاء طبيعيين على عدوهم المشترك : الفرس • ولم يفطن المصريون حينذاك الى أن الاغريق لم يأتوا هذه المرة حلفاء ، وانما ليفرضوا سيادتهم عليهم ويقيموا مكان الحكم الفارسى حكما أشد بأسا وأطول بقاء • بيد أن الاسكندر والبطالمة من بعده حرصوا على اظهار اجلالهم واحترامهم للديانة المصرية واتخذوا منها وسيلة لدعم مركزهم والسيطرة على المصريين وموارد البلاد (٥)•

وقد استطاعت مصر دائما عقب الغزوات الخارجية السابقة أن تقيم ثانية فى كل مرة أسرة ملكية جديدة من أهل البلاد ، تحتفظ بالتقاليد

(1) C. A. H. VI, p. 376.
(2) Arrian., II, 25, 2.
(3) Arrian., III, 1, 1-2.
(4) Wilcken, p. 113 ; Radet, Alex. Le Grand, p. 108.
(٥) راجع الفصل الخامس بوجه خاص •

القومية القديمة فى نظم الحكم والحضارة واللغة ، ولكنه منذ هذه اللحظة لم يرتق عرش مصر ثانية فرعون مصرى ، اذ أنه منذ قدوم الاسكندر خضعت مصر ما يقرب من عشرة قرون لحكام أجانب من المقدونيين ثم من الرومان • وبعد ذلك أصبحت مصر جزءا من العالم الاسلامى ، ففقدت طابعها القديم واكتسبت طابعا آخر تميزه لغة جديدة ونظام اجتماعى جديد وديانة جديدة (١) •

الاسكندر الأكبر فى منف :

ولم يتوقع المصريون شيئا من هذا كله عندما رحبوا بالاسكندر بوصفه حليفا طبيعيا جاء لانقاذهم من العدو المشترك • وقد وصل الاسكندر الى بلوزيون على رأس جيش يتألف من نحو ٤٠٫٠٠٠ مقاتل ، يحرس جناحهم الأيمن أسطول الاسكندر الذى سار بحذاء الشاطىء حتى هذا الميناء ، ثم دخل فرع النيل وتقدم حتى منف • وأما الاسكندر فانه ترك حامية فى بلوزيون ، وتقدم عبر الصحراء الى هليوبوليس ومنها الى منف • ولما كان من بين الأسباب التى أحفظت قلوب المصريين على الفرس أنهم انتهكوا حرمة الديانة المصرية ، فقد كان أول هم الاسكندر عندما حط رحاله فى منف هو أن يظهر احترامه للديانة المصرية ، ولذلك قدم القرابين فى معبد الاله فتاح للآلهة الوطنية والعجل المقدس أبيس(٢) بل يذكر مصدر قديم أن الاسكندر رسم نفسه فرعونا فى معبد فتاح طبقا للطقوس الدينية المصرية (٣) • واذا كان الاسكندر قد أظهر احترامه للآلهة المصرية فانه لم ينس أنه كان القائد الأعلى لعصبة قورنثة وأنه يوم خرج من بلاد الاغريق قاصدا فتح الشرق قد أعلن نفسه رافع لواء الحضارة الاغريقية وحامى حمى الاغريق • ولكى يثبت ذلك للاغريق

---

(1) Bevan, p. 2.

(2) Arrian., III, 1, 4 ; Ehrenberg, Alexander und Aegypten, p. 17 ; Jouguet, Macedonian Imperialism and the Hellenization of the East, p. 28 Mallet, Les Rapports des Grecs avec l'Eg. de la Conquête de Cambyse à celle d'Alexandre III, pp. 167-9.

(٣) راجع الفصل الخامس (البطالمة ونصب انفسهم فراعنة) وكذلك : Pseudo-Callisthenes, I, 34, 2

المستوطنين فى منف ونقراطيس ، فانه ، كما قدم القرابين للآلهة المصرية ، أقام فى منف حفلا اغريقيا رياضيا وموسيقيا (١) اشترك فيه بعض الموسيقيين والممثلين الذين ذاع صيتهم فى العالم الاغريقى . ولا يمكننا أن نتحقق كيف اتفق وجود هؤلاء الفنانين فى مصر فى هذه اللحظة . ويذهب بعض المؤرخين الى حد القول بأن هؤلاء الفنانين دعوا من قبل لاقامة هذا الحفل ، ويتخذون من وجودهم دليلا على أن الاسكندر كان قد اتفق مع مازاقس على التسليم منذ مدة طويلة قبل الغزو ، بينما يرى بعض آخر أن هؤلاء الفنانين الاغريق ذهبوا الى مصر كى يحيوا موسما تمثيليا فى نقراطيس بين أصدقائهم الاغريق ويكونوا قريبين اذا ما احتاج اليهم الاسكندر (٢) .

تأسيس الاسكندرية :

بعد أن فرغ الاسكندر من مهامه فى منف ، ركب فرع النيل القانوبى تحف به شارات الملك ، وهناك على شاطىء البحر الأبيض المتوسط بعيدا عن مصب هذا الفرع ، ومن ثم فى منأى عن الرواسب الطمبية التى يلقى بها النيل على الدوام فى البحر المتوسط ، وفوق الشقة الضيقة التى تفصل بحيرة مريوط عن البحر ، وعند القرية المصرية القديمة راقوتيس ، وضع أساس أول مدينة (٣) نعرف عن يقين أنه أنشأها فى خلال حملته (٤) . وقد كان فى ضمير الدهر أن هذه المدينة ستصبح أعظم المدن التى حملت اسم الاسكندر بل أعظم عواصم العالم الاغريقى فى هذا العصر (٥) .

وبعد أن وضع الاسكندر أساس مدينته الجديدة وفد عليه من بحر ايجه قائداه أمفوتروس (Amphoteros) وهجلوخوس (Hegelochos) بعد القضاء على آخر مقاومة للفرس فى الجزر ، وفرار فارناباتزوس (Pharnabazos) وتحرير لسبسوس وتندوس وخيوس وقوس ، والقاء

(1) Arrian., III, 1, 4 ; Ehrenberg, op. cit. p. 4, Jouguet, Mac. Imp., p. 20 ; Nat. Eg., p. 2 ; Bell, pp. 29-30.
(2) Bevan, p. 4.

(٣) لا يأخذ اكثر الباحثين بما جاء فى ديودوروس (XVII, 52, 1,) وقورتيوس (IV, 8 1,) ويوستينوس (XI, 11, 3,) من ان الاسكندر أسس الاسكندرية فى طريق العودة من واحة سيوة .

(4) Arrian., III, 1, 5.
(5) Hogarth, Alex. in Eg., J.E.A. II, 1915, p. 56; Breccia, Alex. ad Aeg., Eng. ed., pp. 24 ff ; Groningen, Raccolta in onore di Lumbroso, Milan, 1925, pp. 200-11.

القبض على الطغاة الذين كان فارناباتزوس قد أقامهم ، وكذلك على حكام الأقلية فى خيوس وكانوا قد خانوا الأمانة وأعانوا ممنون على مدينتهم . وقد قضى الاسكندر بسجن هؤلاء الحكام فى الفنتين ، أما الطغاة فانه قضى باعادة كل منهم الى بلده لتفصل فى أمره . وعهد الى أمفوتروس بحماية قريت ضد آجيس والضرب على أيدى القراصنة الذين كانوا قد مدوا يد المساعدة لفارناباتزوس ، لكن هذا لم يتحقق على الاطلاق لأن الحرب ضد اسبرطة حولت أسطول أمفوتروس نحو بلاد الاغريق (١) .

الاسكندر الأكبر يزور معبد الوحى فى سيوة :

وبعد ذلك أخذ الاسكندر جزءا من جيشه ونفرا من صحبه واتجه غربا فى محاذاة الشاطىء حتى وصل الى بارايتونيون (Paraetonion مرسى مطروح) ، ثم ضرب فى بطن الصحراء وحج الى معبد آمون فى واحة سيوة (٢) . وهنا يجب أن نتساءل لماذا حج الاسكندر الى ذلك المعبد النائى . لما كانت مقتضيات الحرب تفرض على الاسكندر المبادرة قدر الطاقة الى ملاقاة دارا ، الذى كان الفاتح المقدونى واقفا دون شك على استعداداته الضخمة ، فاننا نعتقد أن الاسكندر لم يخاطر بالقيام بتلك الزيارة التى أبعدته ستة أسابيع عن قاعدته المصرية الا لدوافع قوية . وفى الواقع يبين لنا أن الاسكندر أراد أن يحقق ثلاث غايات من وراء هذه الزيارة (٣) : أولا اثبات صلة نسبة بالآلهة (٤) ، فنحن نعتقد أن الاسكندر توج نفسه فرعونا فى منف وغدا على هـذا النحو الها فى نظر المصريين ، لكنه بقى عليه أن يثبت لهم بل للعالم أجمع أنه لم يكن الها فحسب بل ابن اله أيضا .

وقد كان فى وسعه اثبات ذلك فى معبد طيبة التالد دون تجشم صعاب الذهاب الى معبد سيوة لو أن أغراضه كانت محلية ، أى مقصورة على تقديس سلطانه فى نظر المصريين وحدهم ، لكن الأمر لم يكن كذلك فقد

---

(1) Arrian., Anab. III, 2, 3-7 ; Tarn, Alex. The Great, 1948, p. 43.
(2) Jouguet, Mac. Imp., p. 29 ; C.A.H. VI, p. 377.
(3) Cf. Jouguet, Trois Etudes, pp. 18-21.
(4) Noshy, Annales Fac. Lettres II, 1953, pp. 75--98.

كان الاسكندر على وشك أن يبنى امبراطورية واسعة مترامية الأطراف تضم بين جوانبها عناصر من الشرق ومن الغرب ، وكان يرى أن بسط نفوذه فى أرجائها يقتضى اظهار نفسه للملأ أجمع أنه ملك اله .

ومع أن فيلكن وتارن يسلمان برسامة الاسكندر فرعونا فى منف ، الا أنهما ينكران أنه ذهب الى سيوة لاثبات أصله الالهى ويقولان بأن فكرة مولده الالهى نبتت من أن كبير كهنة آمون عندما رحب به ناداه بلقب « ابن آمون » (١) .

وهذا رأى عجيب لا نستطيع أن نقره ، اذ كيف يتأتى أن يكون ذلك الأثر نتيجة لهذه المناداة ، ولا يكون نتيجة لرسامته فرعونا فى منف وما صحب ذلك من اغداق الألقاب الفرعونية عليه بما فيها لقب « ابن آمون » ؟

ولعل الأدنى الى الصحة أن تكون هذه الفكرة قد نبتت أول ما نبتت نتيجة لمزاعم أولومبياس بأنها لم تنجب الاسكندر من فيليب وانما من اله ، ثم عندما رسم فرعونا فى منف تأصلت هذه الفكرة فى نفسه واعتنق مذهب الملكية الالهية ، ولا سيما أن أستاذه أرسطو كان قد لقنه منذ أمد طويل ضرورة تأليه الرجل الذى يسمو على كل مواطنيه فى الخلق والكفاية (٢).

ولما كانت تقوم صلات قديمة وثيقة بين معبد آمون فى سيوة وبين الذين يقيمون بالقرب منه أو على بعد عنه — فى قورينائة وقرطجنة وفى آسيا وفى المدن الأوروبية الاغريقية ولا سيما أثينا واسبرطة — وكان هذا المعبد يتمتع منذ عدة قرون بشهرة عالمية تضارع ما كان لمعبد زيوس فى دودونا ومعبد أبولو فى دلفى ، فقد رأى الاسكندر أن معبد سيوة ، برغم أنه كان لا يدانى حتى من بعد معبد طيبة فى الأهمية بالنسبة للمصريين،كان خير مكان لاثبات صلة نسبة بالآلهة أمام الرأى العام الدولى ولا أدل على شهر هذا المعبد من أن قرويسوس ملك لوديا استشار اله هذا المعبد فى القرن السادس قبل الميلاد ، مثل ما استشار أعظم

---

(1) Tarn, II, pp. 347 ff.
(2) Arist., Polit. III, 13, 1284 a, 3.

آلهة الاغريق(١)، ومن أن بيندارس (Pindaros) أهدى معلقة لآمون سيوة، ومن أن الاغريق أمثال أهل أليس (Elis) واسبرطة وأثينا كانوا يوفدون الرسل لاستلهام آمون الوحى، ومن أن يوريبيدس يتحدث عن « مقر آمون غير الممطر »، كما لو كان مكانا مألوفا للاغريق يهرعون اليه كلما كانوا فى حاجة الى نصيحة الهية (٢)، ومن أن الأثينيين أتموا فى عام ٣٣٣ تشييد معبد للاله آمون فى أثينا، وأطلقوا على مركبهم المقدس اسم سالامينيا أمونياس (Salaminia Ammonias) (٣)، ومن أن أرسطوفانيس قد شاد فى راوية « الطيور » بمعبد آمون فى واحة سيوة (٤)، ومن أن أفلاطون قد ذكر فى كتابه عن القوانين وحى آمون جنبا الى جنب وحيى دلفى ودودونا (٥).

وكانت الغاية الثانية التى تغياها الاسكندر من وراء حجه الى معبد آمون سيوة هى الحصول أمام الرأى العام الدولى على تأييد الاله آمون لمشروعاته التى كانت ترمى الى بسط سيادته على العالم (٦). وأما الغاية الثالثة فكانت اشباع ميوله للمخاطرة ورغبتـه فى أن يقتفى أثر بطلى الأساطير الاغريقية برسيوس (Perseos) وهرقل اللذين شـاع الاعتقاد قديما أن الاسكندر ينحدر من سلالتهما. فقد ورد فى الأساطير أن هذين البطلين تزودا بمشورة آمون سيوة قبل أن يقدما على جلائل أعمالهما (٧) ويجب ألا يغرب عن البال أن ما نعتبره اليوم قصصا وأساطير كان فى نظر اغريق القرن الرابع قبل الميلاد تاريخا صحيحا (٨).

ولماذا ذهب الاسكندر الى سيوة عن طريق باراتونيون مع أن الطريق الطبيعية من وادى النيل الى سيوة كانت عبر وادى النطرون ؟

---

(1) Herod. I, 46.

(2) Meyer, Alex. der Grosse, pp. 302--4 ; Radet, Revue des Etudes Anciennes, 1925, pp. 201-2 ; 1926, pp. 213-40 ; Mallet, op. cit., pp. 170-1 ; Jouguet, Nat, Eg., p. 4., Bevan, pp. 8-9 ; C.A.H. VI, p. 377 ; Ehrenberg, pp. 30 ff.

(3) C.A.H. VI, pp. 377, 442.

(4) Arisoph., Orinthes, V, 618-9, 716.

(5) Plato, de Leg., I, Book, V, 738.

(6) Plut., Alex., 27, 4.

(7) Strabo, XVII, 43 ; Arrian., III 1, 2.

(8) Jouguet, Trois Etudes, p. 19.

ولا يمكن تفسير ذلك بأن الاسكندر قبل ذهابه مباشرة الى سيوة لم يكن فى الوادى نفسه وانما كان عند الأطارف الشمالية الغربية للدلتا من أجل تأسيس مدينته الجديدة ، ومن ثم كان أيسر عليه عندئذ أن يأخذ طريق بارايتونيون ، اذ أن القرائن توحى بأن تأسيس الاسكندرية جاء عفو الخاطر ودون تدبير سابق • وانما يمكن تفسير ذلك بما نعرفه من أن طريق بارايتونيون كانت الطريق الطبيعية التى يسلكها الاغريق فى ذهابهم الى سيوة ، لكننا نعرف كذلك أنها كانت أيضا الطريق الطبيعيةالى قورينايئة وأن الاسكندر كان يرغب فى الاستيلاء على كل شرق البحر الأبيض المتوسط كى يترك أسطول أعدائه معلقا فى الهواء ، ولا سيما أن قورينايئة كانت اقليما هاما يهدد سلامة حدود مصر الغربيــة اذا وقع فى قبضة يد قوية • ولا داعى لأن نذهب بعيدا فى التدليل على أهميةقورينايئة لمصر ، متى أدركنا ما وقع على حدود مصر الغربية من أحـداث الحرب العالمية الثانية • فهل كان الاسكندر يعتزم اخضاع قورينايئة أم أنه لم يعبأ بتركها مفتوحة أمام أعدائه ؟ أى هل يمكن أن يكون قد غفل عما وضعه البطالمة نصب أعينهم ؟ ازاء هذه الاعتبارات ، وازاء ما تذكره بعض المصادر القديمة من أنه عندما وفد الاسكندر على بارايتونيون وجد فى انتظاره سفراء قورينايئة الذين أهدوا اليه بضع مئات من الخيول الممتازة دليلا على خضوع بلادهم له (١) ، نرجح أن الاسكندر كان ينشد السيطرة على قورينايئة وأنه قد تعمد الذهاب الى سيوة عن طريق بارايتونيون ليتخـذ الطريق التى ألف الاغريق أن يسلكوها عند حجهم الى معبد آمون ، وليقوم بمظاهرة عسكرية تلقى أنباؤها الرعب فى قورينايئة فتبـادر الى اعلان خضوعها له اذ أنه لم يكن فى وسعها مقاومته ، وبالفعل قابله سفراؤها فى بارايتونيون وقدموا له فروض الطاعة •

ومن بارايتونيون توغل الاسكندر فى قلب الصحراء ، وقطع المسافة حتى واحة سيوة فى اثنى عشر يوما ، تحدثنا كل المصادر القديمة بأنها كانت حافلة بالأخطار والغرائب ، فتروى كيف أنه حين نفدت مؤنة الماء

(1) Cf. Diod. XVII, 49, 2; Q. Curt. IV, 7, 9; Bevan, pp. 9-10 ; Wilcken, p. 123.

وكاد الاسكندر وصحبه يهلكون عطشا تلبد الجو فجأة بالسحب وأمطرت السماء على غير عادتها فى هذا الاقليم ، مما اعتبر دليلا على عطف الآلهة(١)

وقد ازداد الاعتقاد فى هذا العطف عندما ضل الأدلاء طريقهم وهداهم الى قصدهم ، وفقا لاحدى الروايات ، ثعبانان كانا يزحفان أمامهم ، أو وفقا لرواية أخرى ، غرابان كانا يطيران مسافات قصيرة فى مقدمتهم (٢). واذا كان القدماء قد اعتبروا هذه الظواهر من المعجزات ، فان المحدثين لا يجدون مشقة فى تفسيرها ، اذ أن هطول الأمطار هناك نادر الا أنه غير خارق للعادة . أما عن الثعابين أو الغربان ، فان وجودها فى الصحراء أمر غير بعيد الاحتمال ، وطبيعى أن اقتراب الاسكندر وصحبه منها وسط الصحراء أزعجها فأخذت تفر أمامهم . ويحدثنا سائح زار سيوة فى عام ١٨٤٧ ، وكان قد ضل الطريق حينا ، بأنه « بينما كنا فى هذه الحالة القلقة أبصرنا غرابين يحلقان فى الهواء برهة من الزمن ثم اتجها صوب الجنوب الغربى ، ولو أننا كنا فى عصر الخرافات لاعتبرنا ذلك اشارة كافية وتبعنا هذين الدليلين الطيبين ، اللذين يحتمل أنهما من سلالة الطيور التى تحدثنا القصص بأنها فى مناسبة مشابهة ، وعلى قرب شديد جدا من المكان الذى وصلنا اليه ، أنقذت الاسكندر من الضلال فى الصحراء . ولو أننا تبعنا الغرابين لما أخطأنا الطريق لكننا لم نخضع لايحاء مخيلاتنا وانتظرنا عودة الدليل » (٣) .

ويحدثنا ديودوروس (٤) ، نقلا عن قلايتارخوس ، بأن سكان واحة آمون كانوا يعيشون فى قرى وبأنه فى وسط الواحة كان يقوم مكان مرتفع تحصنه ثلاثة أسوار ، وكان داخل السور الأول يقوم قصر الحكام القدماء وداخل الثانى بيوت النساء والاطفال وغيرهم من أقارب الحراس

---

(1) Diod. XVII, 49, 4-5 ; Strab. XVII, 1, 43 ; Q. Curt. IV, 7, 12-14 ; Plut., Alex. XXVII, 1 ; Arrian., III, 3, 3-4.

(2) Arrian., III, 3, 6; Strab XVII, 1, 43 (غربان) Curt. IV, 7, 15; Plut., Alex. XXVII, 3 (عدة غربان) Arrian. III, 3, 5 (ثعبانان) Radet, Notes, pp. 227-8 ; Jouguet, Trois Etudes, p. 21 ; Lesquier, L'Armée rom. d'Eg. d'Auguste à Dioclet, p. 413 n. 2 ; Pietschmann, in Pauly — Wissowa, Real — Encylopaedie, 1894 etc., Vol. 1, pp. 1853 ff.

(3) Bayle St. John, Adventures in the Libyan Desert, p. 69.

(4) XVII, 50, 3, 4.

وكذلك هيكل الاله والنبع المقدس الذى كانت تطهر فيه قربان الاله • وأما داخل السور الثالث فكانت توجد ثكنات الجنود ومنازل الحرس الخاص للملك • وعلى مسافة يسيرة من هذه القلعة كان يوجد فى ظلال أكمة من الأشجار معبد للاله آمون • وبالقرب من هذا المعبد يوجد نبع يسمى « نبع الشمس » (١) • واليوم يعرف المعبد الأول بمعبد أغورمى ، وهى احدى القريتين الرئيسيتين فى واحة سيوة ، والثانى بمعبد أم عبيدة • وقد كان الرأى السائد حتى منتصف القرن التاسع عشر هو أن معبد أم عبيدة كان معبد الوحى المشهور ، لكنه منذ زار هاميلتون معبد«أغورمى» فى عام ١٨٥٣ اتجه الرأى الى اعتبار هذا الهيكل معبد الوحى (٢) •

وتدل بقايا هذا المعبد على أن بناءه قد أعيد فى عهد الحكم الفارسى ، وأنه كان يتألف من فناءين وصالة تقوم وراءها ، على المحور نفسه ، قاعة قدس الأقداس والى جانبها الأيسر قاعة مربعة الشكل تقريبا والى جانبها الأيمن وخلفها دهليز ضيق • ولما كان قد وجد فى الواجهة الخلفية للجدار الشرقى لقدس الأقداس المطلة على الدهليز ثلاث فتحات على ارتفاع ٦٦ سم من الأرضية وكذلك تجويفان قرب السقف ، وكانت هناك صلة وثيقة بين هذا الجزء من المعبد وبين الوحى ، فقد استخلص من ذلك أن الكلمات التى كانت تسمع فى البهو ويتصور الناس أنها صادرة عن آمون كان مصدرها فى الواقع كاهنا يختفى فى الدهليز (٣) •

وقدس الأقداس حجرة متوسطة الحجم كان يقوم فى وسطها مركب آمون المقدس فوق مكعب من الخشب أو الحجر • ويقال ان المركب نفسه كان مصوغا من الذهب ، ومعنى هذا أنه كان مصنوعا من خشب مغطى بطلاء من الذهب • ونستطيع أن نكون فكرة عن هذا المركب المقدس من زخرفة جدران معابد الأقصر والكرنك التى تصور مراكب آمون طيبة ، ونستخلص منها أن مركب آمون المقدس كان ذا جدران

(1) Cf. Arrian. III, 4, 1-5.

(2) J. Hamilton, Wanderings in North Africa, London, 1856, pp. 282 ff; G. Rohlfs, Von Tripolis nach Alexandrien, 102 ff; Steindorff, Durch Die Libysche Wueste, pp. 118, 122 ; Z.A.S. 69, pp. 2, 3 ; Fakhry, Siwa Oasis, Its History and Antiquities, 1944, pp. 83--5.

(3) Fakhry, Siwa Oasis, p. 88 ; Noshy, Annales Faculté des Lettres II, 1953, p. 81, fn. 1.

رقيقة مرتفعة ، يزينه رءوس كباش ويقوم بملاحته جماعة من الآلهة ويحمل بين جوانبه القرابين وقاعة مقدسة يستقر فيها تمثال الاله (١) . ويحدثنا قورتيوس (٢) بأن تمثـال آمون سـيوة كان كتلة مخروطيـة الشكل (Omphalos) تتكون من الزمرد (٣) وغيره من الأحجار الكريمة .

وعندما عثر رايزنر (Reisner) فى نباتا داخل المعبد الكبير لآمون على كتلة من الحجر الجيرى مخروطية الشكل ، بادر جريفيث (Griffith) الى بيان وجه الشبه بين هذا الأثر وتمثال آمون سيوة على نحو ما يصفه قورتيوس وكذلك تمثال (Omphalos) معبد الوحى فى دلفى ، واستخلص من ذلك أنه لابد من أن أثر نباتا يتصل بوحى نوبى هنـاك ، وأن فكرة صنع تماثيل للآلهة على هذا النحو مأخوذة من دلفى (٤) . وقد اعتنق هذا الرأى وينرايت (Wainwright) الذى وجد شبها بين هذا الأثر وبين تمثال آمون سيوة وتماثيل مصرية مماثلة(٥). وأول الأمر أيد شتايندروف (Steindorf) فكرة جريفيث واستخلص من قرب الشبه بين أثرى سيوة ونباتا وجود صلة قوية بين وحى آمون سيوة ووحى آمون الذى قيـل بوجوده فى نباتا (٦) .

غير أن شتايندورف لم يلبث أن ناهض هذا الرأى عندما رأى بنفسه أثر نباتا وتبين له أنه فى شكل خلية نحل فى واجهتها نافذة (٠,٢٤×٠,٢٠ مترا) وفى قاعدتها الداخلية تجويف (حوالى ٠,٠٨٥×٠,١٣ مـترا) يسمح بوضع تمثال صغير . وقد خرج من ذلك بنتيجة تتلخص فى أن أثر نباتا ليس تمثالا للاله آمون وانما هيكل صغير صنع على شـكل كوخ

---

(1) Bevan, pp. 11-12.

(2) Q. Curtius, IV, 7, 23.

(٣) يلوح ان هذا الزمرد لم يكن الزمرد الذى نعرفه وانما هو احد انواع الاحجار العديدة التى كان المصريون يطلقون اسم مافكات (Mafkat) وبوجه خاص الفلسبار (feldspar) الاخضر وهو جـزء الزمـرد الذى كان شائع الاستعمال فى العصر الصاوى ، اذ ان الزمرد لم يعرف الا فى العصر الاغريقى .

(4) J. E. A. III, 221.

(5) Annales, XXVIII, 184.

(6) Z. A. S., 69, 23.

افريقى كان يوضع داخله تمثال الاله ، وفى أن ذلك كان أيضا شأن تمثال آمون سيوة (١) .

ويعتقد ماسبرو أن تمثال آمون سيوة ، كغيره من التماثيل التى يصدر عنها الوحى ، كان مصنوعا بحيث يمكن تحريك رأسه أو ذراعيه أو يديه عندما يجذب الكاهن المختص حبلا معينا (٢) .

وقد اقتفى راديه (Radet) أثر ماسبرو فى هذا الرأى (٣) ، لكنه لم يلبث أن عدل عنه ونادى بالرأى الآخر (٤) .

فأى الرأيين اذن أصح ، أو بعبارة أخرى هل كان الشكل الذى صور فيه آمون سيوة تمثالا كتماثيل غيره من الآلهة أم أنه كان كتلة مخروطية الشكل ؟ ازاء وصف قورتيوس الذى لم ينقضه ما ورد فى غيره من المصادر القديمة ، وازاء ذلك الأثر الذى عثر عليه فى نباتا وأشباهه التى وجدت فى الكرنك (٥) ومدامود (٦) ومدينة هابو (٧) ومنف (٨) وأسيوط (٩) نشارك غالبية الباحثين المحدثين فى ترجيح الرأى الثانى (١٠) .

ومهما يختلف المؤرخون حول شكل صورة الاله ، فانها وفقا لرواية ديودوروس (١١) وقورتيوس (١٢) كانت توضع فى مركب آمون المقدس . وعند اجابة الوحى عما يوجه اليه من الأسئلة كان يحمل المركب وداخله صورة الاله ثمانون كاهنا يدورون فى أرجاء المعبد ومن ورائهم الكاهنات يرتلن الأناشيد .

وعلى ضوء راوية هذين المؤرخين يفسر فريق من المحدثين ما أورده

---

(1) J. E. A., XXIV, 147-150.
(2) Maspéro, Annuaire de l'Ecole pratique des Hautes Etudes, 1897, p. 9 ; Etudes de Mythologie et d'Arch. égyp., Vol. VI, 1912, p. 271.
(3) Radet, Alex. le Grand, p. 120.
(4) Mélanges Bidez, Annuaire Inst. Phil. et Hist. Orien., II, p. 784.
(5) Daressy, Annales, IX, 1908, pp. 64-9.
(6) Fouiles de I F. A. O., II, 1ère partie, Medamoud, pp. 48-53, pl, VI.
(7) Daressy, op. cit., p. 1, 11.
(3) Daressy, Annales III, pp. 139-140.
(9) Wainwright, loc. cit.
(10) Cf. Jouguet, Trois Etudes, p. 22 fn. 1.
(11) XVII, 50.
(12) IV, 7, 24.

استرابون ، (١) نقلا عن قاليستنيس بأن حركات المركب المقدس فى هذا المهرجان كانت تعبر عن رد الوحى على ما وجه اليه من أسئلة ، وبأن الكاهن الأكبر كان يقوم بتفسير هذه الحركات باشارات وايماءات تقليدية يفهم الناس المراد منها . لكن رواية قاليستنيس تحتمل تفسيرا آخر مؤداه أن الوحى كان يصدر مباشرة عن الكاهن الأكبر بما يأتيه من اشارات وايماءات . ومعنى ذلك أن الكاهن الأكبر كان يقوم بدور الاله ، وأن اجابة الوحى لم تقتض اقامة مهرجان يحمل فيه المركب المقدس وصورة الاله .

ولما كنا نجد فى بعض وثائق طيبة التى ترجع الى العصر الفرعونى (٢) أن الوحى كان يصدر عن تمثال الاله ، وكان التجويف الموجود قرب السقف بالجدار الخلفى للهيكل فى معبد خنسو ينم عن أنه كان يصدر عن الكاهن مباشرة (٣) ، وكنا نعرف أنه كانت توجد فى الواجهة الخلفية للجدار الشرقى لقدس الأقداس فى معبد سيوة ثلاث فتحات قرب الأرضية وتجويفان قرب السقف فهل من المحتمل أنه فى بعض الأحيان أو ربما على الأصح فى بعض المناسبات الخاصة كان يقام المهرجان ويصدر الوحى وفقا للتفسير الأول ، وفى البعض الآخر كان الوحى يصدر وفقا للتفسير الثانى؟ هذا جائز .

ولما كان الاسكندر قد رسم فرعونا فى منف وكان قد أصبح تبعا لذلك « ابن آمون رع » مثل من سبقه من الفراعنة ، فان كبير الكهنة الذى رحب بمقدمه عند وصول ركبه الى المعبد خاطبه بلقب «ابن آمون» (٤) — وهو اللقب الذى كان يحمله سائر الفراعنة منذ عهد بعيد — ودعاه وحده لدخول قدس الأقداس ، حيث سأل الوحى عما يريد الوقوف عليه وتلقى الاجابة عن أسئلته (٥) . أما رفاقه فانه لم يسمح لهم الا بدخول

(1) XVII, 1, 43.

(2) Vallois, L'oracle Libyen et Alex., Rev. Et., Gr., XLIV, 1931, pp. 133-4 ; Radet, Mélanges Bidez II, pp. 781-4 ; Jouguet, Trois Etudes, p. 23 fn. I.

(3) Fakhry, Siwa Oasis, p. 43.

(4) Curtius, IV, 7, 25 ; Plut., Alex., XXVII, 6 ; Diod, XVII, 51 ; 1.

(٥) بسبب كثرة تردد الاغريق على المعبد يرجح أن كبير الكهنة كان يعرف الاغريقية والا لاضطر الاسكندر الى ان يصحب معه داخل قدس الأقداس مترجما ولذاع بعد وقت ما دار هناك وهو ما لم يحدث ، راجع: Tarn, Vol. 2, p. 348.

فناء المعبد فقط وذلك بعد تغيير ملابسهم ، وهناك ألقوا بأسئلتهم وأجيبوا عنها (١) • وازاء ذلك يبدو أنه لم يقم مهرجـان للاجـابة عن أسـئلة الاسكندر ، غير أنه لا يستبعد أن يكون قد أقيم مهرجان للاجابة عن أسئلة رفاقه •

وقد كان فرعون قبل زيارة أى معبد يغتسل ويتطهر ويتطيب ويرتدى ثيابه الرسمية وخاصة تاج الوجهين • واذا كان من المرجح أن الاسكندر قد فعل ذلك فى منف ، فانه عندما زار معبد آمون فى سيوة احتفظ بملابسه العادية ، مما ينهض دليلا على أنه قد قام بهذه الزيارة بوصفه قبل كل شىء ملك مقدونيا والقائد الأعلى للاغريق ، وكذلك على أن الأهداف المحليـة كانت تأتى عنده فى المرتبة الثانية بعد أهدافه الدولية (٢) •

وعندما خرج الاسكندر من قدس الأقداس وعاد الى صحبه فى الفناء وسأله أصدقائه عما حدث لم يجب الا بقوله أنه سـمع ما تمنى (٣) • ولعله قد فعل ذلك لأمر فى نفسه أو لأن الكاهن الأكبر أفهمه أن التقاليد المصرية تقضى بذلك لأن الاله قد خاطب ابنـه • وعلى كل حـال فان الاسكندر كتم السر ، اذ أنه كتب بعد ذلك بقليل الى أمه أولومبياس بأنه قد أبلغ توجيهات سرية سيفضى بها اليها وحدها عند عودته الى مقدونيا (٤) ، غير أنه توفى قبل ذلك وحمل سره معه الى القبر (٥) • واذا كنا لن نعرف عن يقين الأسئلة التى وجهها الاسكندر الى الوحى والاجابات التى فاز بها فانه لا يصعب استنتاجها ، ولا سيما فى ضوء اجابة الاسكندر على تساؤل أصدقائه فهى توحى بأن كل تصرفات الاسكندر التالية كانت بموافقـة الاله الأكبر •

وبالرغم من أن الاسكندر قد كتم ما دار بينـه وبين الوحى ، فان قلايتارخوس (Cleitarchus) لم يلبث بعد انقضاء بعض الوقت أن كتب يقول ان الاسكندر سأل الوحى عما اذا كان قتلة أبيه قد عوقبوا وأن الوحى نهاه عن هذا التساؤل الفاحش لأن أباه اله ولا يمكن أن يمسـه

(1) Strab., XVII, 1, 43 ; Bavan, pp. 12-13 ; Jouguet, Trois Etudes, pp. 24-5.
(2) Radet., Alex., p. 121.
(3) Arrian., III, 4, 5.
(4) Plut., Alex., XXVII, 5.
(5) Wilcken, Alex., pp. 125-6; Bell., p. 30.

سوء . وعندئذ سأله الاسكندر عما اذا كان كل قتلة فيليب قد عوقبوا فرد الوحى بالايجاب . وبعد ذلك تساءل الاسكندر عما اذا كان سيصبح سيد العالم وكان الرد بالايجاب (١) .

واذا كان الشك يرقى الى تصوير ما حدث بين الاسكندر والوحى على هذا النحو الدقيق لأن الاسكندر احتفظ بذلك سرا لم يبح به لأحد فاننا لا نرى سبيلا الى الشك فى أن الوحى اعتبر الاسكندر ابن الاله الأكبر آمون ، لأن الاسكندر كان فرعونا ولأن كل فرعون منذ حوالى عام ٢٠٠٠ ق.م. كان يعتبر رسميا ابن الاله آمون رع (٢) . ولا سبيل الى الشك أيضا فى أن الوحى منح الاسكندر السيطرة على العالم بأسره، لأنه كان جزءا من طقوس الاله آمون أن يسأل الكاهن الاله — باسم فرعون — السيطرة على العالم فيمنحه الاله هذه السيطرة (٣) . ومن ثم يبين أن زيارة الاسكندر لمعبد الوحى فى سيوة قد تمخضت على الأقل عن الاعتراف بأصله الالهى وبحقه فى السيطرة على العالم أجمع . ويقال انه فى عام ٣٣١ جاء منف رسل من ميلتوس لينشروا فى الناس ما أعلنه وحى برانخيداى من أن الاسكندر قد ولد من أب سماوى ، ومن أنه سيسيطر على العالم أجمع ، وهو ما أكده أيضا وحى ارتريا فى أيونيا (٤) . وان دل هذا على شىء فانه يدل على أنه كانت تتملك الاسكندر عندئذ رغبة قوية فى الاعتراف بأصله الالهى وبحقه فى السيطرة على العالم ، وعلى أن أمر هذه الرغبة لم يكن خافيا على المطلعين على بواطن الأمور مثل مصادر الوحى ، وكان يهمها عادة مسايرة رغبات ذوى النفوذ . وهذا يؤيد ما نراه من أن الاسكندر ذهب الى معبد الوحى فى سيوة لتحقيق هذه الرغبة أمام الرأى العام الدولى .

---

(1) Cf. Diod. XVII, 51, 2-3 ; Curt. IV, 7, 27 ; Just. XI, 11, 9 ; Plut. Alex. XXVII, 3-4 ; Jouguet, Mac. Imp., p. 30 ; Bevan, p. 13.

(2) Tarn, in J.H.S., XLI, 1921, p. 2 ; Alex. The Great, Vol. 2, p. 350 ; Baven, p. 12 ; C.A.H. VI, p. 378.

(3) C.A.H. VI, p. 378.

(4) Strab., XVII, 1, 43.

ومنذ ذلك الوقت حرص الاسكندر على لقب ابن آمون (١) وقضى بأن تزين صورته على النقود التى سكها بقرنى كبش آمون المقدس (٢)• وقد أصبحت ذكرى الاسكندر مرتبطة بهذه الصورة الى حد أنه ورد فى روايات العرب باسـم « الاسـكندر ذى القرنين » (٣) • ولم يصبح الاسكندر الها مصريا فحسب ، بل ان المدن الاغريقيـة ـ التى كانت تتألف منها عصبة قورنثة ـ رفعته الى مصاف الآلهـة فى عام ٣٢٤ (٤) • ونحن نميل الى الرأى القائل بأن هذا التأليه كان بايعاز من الاسكندر نفسه لكى يتمكن من التمتع بنفوذ واسع فى هذه المدن (٥)، اذ أنه لا يعقل أن تكون هذه المدن قد أقدمت من تلقاء نفسها على تأليه الاسكندر (٦) مع أنها كانت ناقمة عليه لحرمانها حريتها • وجدير بالملاحظة أنه اذا كان الاسكندر قد عبد فى مصر على اعتبار أنه ابن آمون ، وفى بلاد الاغريق على اعتبار أنه ابن زيوس ، فان الفرس لم يعبدوه ، كما أن الاسكندر لم يدع أنه الاله الوحيد أو الاله الأكبر ، بل ليس هناك أى دليل على أنه كانت توجد للاسكندر عبادة رسمية عامة فى أنحاء الامبراطورية (٧)• وعندما برح الاسكندر واحة سيوة لم يسلك الطريق التى جاء منها وانما فيما يبدو طريق القارة (Gara) والمغرة (Moghara) عبر صـحراء النطرون (٨) عائدا الى منف ، حيث أقام حفلا اغريقيا ثانيا اجلالا لزيوس، واستقبل البعثات من الدول الاغريقية والامدادات من مقدونيا • ويقال ان أرسطو كان قد أوصى الاسكندر بدراسة أسباب فيضان النيل ، ومن ثم فانه فى أثناء اقامته فى مصر أوفد بعثة علمية الى أعالى النيل لهـذا

(1) Wilcken, p. 127.

(٢) راجع نقود الاسكندر والبطالمة فى الفصل الحادى عشر •

(3) Jouguet, Nat. Eg., p. 5 ; J.E.A. II, 1915, p. 38.

(4) Hypereides con. Damos., Frag. VII, cols. 31, 32 (Loeb ed.) ; Deinarchus con. Demos., 94 (Loeb ed.) ; Arrian., VII, 23, 2 ; Robinson, in Amer. Hist. Rev. LXII, no. 2, 1957, pp. 340-3.

(5) Tarn, Alex. The Great, I, p. 140 ; II, p. 370 ; Wilcken, p. 218 ; Cf. Fraser, Ptol. Alex., I, p. 213.

(6) Robinson, op. cit., p. 253.

(7) C.A.H., VI, p. 433.

(8) Cf. Arrian. III, 4, 5 ; Bevan, p. 14 ; Jouguet, Nat. Eg., p. 3.

الغرض . لكنه يبدو أنه لا أساس من الصحة لهذه القصة لأن أرسطو كان قد عرف هذه الأسباب قبل ذلك (١) .

نظم الاسكندر :

وقبل أن يبرح الاسكندر مصر ، قام بتنظيم البلاد تنظيما دقيقا . ولما كان المصريون قد رحبوا به باعتبـاره محرر بلادهم ، وكان الكهنة المصريون قد أولوه تأييدهم فمنحوه لقب ابن آمون والسيطرة على العالم ، فان الاسكندر لم ير داعيا لاتخاذ تدابير خاصة لتأمين سلطانه ضد المصريين فى نظام الادارة الذى وضعه لهم ، بل كان كل همه منحصرا فى منع كل أولئك الذين عهد اليهم بمقاليد الحكم من الشطط فى حكمهم ، أو من الفتنة ضده .

وتبعا لذلك فان الاسكندر منح مصر استقلالا داخليا ، ووضع وادى النيل تحت امرة حاكمين يدعى أحدهما بتيسيس (Petisis) وكان مصريا ويدعى الآخر دولو آسبيس (Doloaspis) (٢) وهو اسـم يبـدو أنه أناضولى ، أو فارسى (٣) ، لكن الأول لم يلبث أن اعتزل منصبه فانفرد الأخير بالحكم . ووضعت الأقاليم المتاخمة للدلتا تحت اشراف رجلين من الاغريق ، فقد نصب أبولونيوس (Apollonios) بن خارينوس (Charinos) حاكما على منطقة ليبيا ، وقليومنيس (Cleomenes) النقراطيسى حـاكما على المنطقة العربية المجاورة لهروؤنوبوليس (Heroonpolis) . وكلف قليومنيس بأن يفرض على بتيسيس ودولو آسبيس أن يرعيا فى حكمهما التقاليد المصرية القديمة ، وبأن يحصل منهما الضرائب ، بعد قيامهما بجمعها ، فقد كانت الادارة المالية بأجمعها فى قبضة قليومنيس . وترك الاسكندر مصر فى حماية جيش وأسطول (٤) سنعود الى الكلام عنهما فيما بعد . ويبين

---

(1) Tarn, pp. 44-5.

(٢) يطلق اريانوس عليهما لقب (Nomarch) (Anab. III. 5, 2) ، لكنه لم يكن مصيبا فى اطلاق هذا اللقب على شخص تمتد سلطته على الوجه البحرى او الوجه القبلى ، راجع :
Berve, Alexanderriech, I, p. 259, A. 3 ; Hohiwein, Musée Belge, XXVIII, 1924, pp. 125, ff. ; Cf. Bengtson, Die Strategie, Muench. Beitr., III, 36, 1952, p. 7. fn. 1.

(3) Jouguet, Nat. Eg., p. 5 ; C.A.H. VI, p. 155.

(4) Arrian. III, 5, 3--6 ; Curt. IV, 8, 4--5.

أن الاسكندر كان قد عهد الى قليومنيس أيضا فى السهر على انشاء الاسكندرية (١) •

وتمتاز هذه النظم التى وضعها الاسكندر لمصر بظاهرتين : واحداهما هى تقسيم السلطة بين عدد من الأفراد لتفادى خطر استبداد فرد واحد بها مما كان يتعارض مع صوالح الامبراطورية ولا سيما فى بلد مثل مصر ، اذ أن مركزها الطبيعى كان يجعلها من المناعة والقوة الى حد يسهل معه على شخص قوى أن يحميها من الغارات الخارجية • واذا كانت كل السلطة قد آلت حتى فى حياة الاسكندر نفسه الى شخص واحد هو قليومنس ، فان ذلك لم يكن فى الحسبان ، ولم يكن المسئول عنه النظم التى وضعها الاسكندر بل ضعف الحكام الاخرين ومهارة قليومنيس نفسه • والظاهرة الأخرى هى روح العطف التى أبداها الاسكندر نحو المصريين ، فانه فعل ما لم يفعله البطالمة فيما بعد حتى أواخر أيام دولتهم ، اذ أن الاسكندر اختار من بين المصريين حاكمى الوجه البحرى والوجه القبلى ، أو على الأقل أحد هذين الحاكمين اذ يظن أن الحاكم الآخر ، أو على الأقل اسمه ، أناضولى أو فارسى • واذا كان هذا النظام يتمشى مع الطريقة التى اتبعها الاسكندر فى حكم الولايات الأخرى ، فهل عندما استبدل فى نهاية حياته ، فى أغلب الحالات ، مقدونيين أو اغريق بالشرقيين لأن هؤلاء خانوه أو غدروا به ، فعل ذلك أيضا فى مصر ؟ هذا جائز (٢) فكتاب الاقتصاد المنحول على أرسطو (٣) يقرن اسم قليومنيس بلقب ساتراب أى وال ، والخطبة المنحولة على دموسثنيس (٤) تصف قليومنس بأنه حاكم مصر ، وباوسانياس (٥) يقول صراحة ان الاسكندر عين قليومنيس واليا على مصر • غير أن مصدرنا الرئيسى ، وهو أريانوس ، وكذلك كوينتوس قورتيوس (٦) لا يذكران شيئا من

---

(1) Cf. Justin. XIII, 4, 11; Ps. — Arist., Oecon., 2, 33.

(2) Cf. Van Groningen, Mnemos, 53, 1925, pp. 113 ff. ; Tarn., Alex, II, 1948, p. 303, fn. 1.

(3) Ps. — Arist, Oecon., 2, 33.

(4) Dem. in Dionysodornm, LVI, 6.

(5) Paus. I, 6, 3.

(6) Arr., III. 5 ; Curt. IV, 8, 4.

ذلك . هذا الى أنه لو صح أن الاسكندر كان قد عين قليومنيس واليا على مصر ، لاحترم خلفاؤه ارادته ولما عينوا بطلميوس مكان قليومنيس على نحو ما سنرى . أم يجب أن نعزو التغيير الذى طرأ على نظام الحكم فى مصر الى مهارة قليومنس ، الذى قبض على مصدر كل السلطان فيها بفضل اشرافه على ادارتها المالية ؟ ان الشيء الثابت هو أنه عندما فاض روح الاسكندر لم تكن مصر سوى ولاية يهيمن عليها قليومنيس (١) ، وهو الذى أصبح يدعى فيما بعد قليومنيس الاسكندى وذلك فيما يبدو بسبب مشاركته فى انشاء الاسكندرية (٢) .

قليومنيس النقراطيسى :

ويبدو أنه قد صاحب ازدياد سلطة قليومنيس ازدياد كراهية النـاس له ، فقد اتهم باتخاذ تدابير أدت الى رفع أسعار القمح فى العالم الاغريقى (٣) ، وبالالتجاء الى شتى الوسائل لابتزاز الأموال . ويستدل على ذلك مما ورد فى كتاب الاقتصاد المنحول على أرسطو (٤) وجاء فيه أنه «عندما نزل بالأقاليم المجاورة قحط شـديد (٥) لم تتأثر به مصر الى حـد كبير ، منع قليومنيس الاسكندرى والى مصر تصدير القمح.وعندما شكا الحكام من أنهم لا يستطيعون دفع جزيتهم (الضرائب) بسبب هذا الحظر ، أباح التصدير ، لكنه فرض سعرا عاليا على القمح حتى أن كمية صغيرةصدرت الى الخارج بيعت بمبلغ كبير وبذلك تخلص من معاذير الحكام . هذا الى أنه عندما ركب النيل ومر بالمديرية التى يعبد فيها التمسـاح وافترس تمساح أحد عبيده ، جمع الكهنة وأخبرهم بأنه يجب أن يثأر من هـذا الاعتداء الأثيم وأمر بصيد التماسيح . وقد جمع الكهنة كل ما يستطيعون من الذهب وأعطوه للوالى ابتغاء رضاه حتى لا يدنس الههم . وفضـلا عن ذلك فانه عندما أمره الاسكندر بانشاء مدينـة بالقـرب من فاروس (مدينة الاسكندرية) وبنقل سوق تجارة قانوب اليها ، ذهب الى قانوب

(1) Jouguet, Nat. Eg., p. 5.
(2) Ps. — Arist., loc. cit : Cleomenes Alexandreus ; Fraser, I, p. 4.
(3) Dem. op. cit., 7 ff.
(4) Ps. — Arist., Oecon., 2, 33 ; Cf. Arrian., VII, 28, 6.
(٥) الاشارة هنا الى المجاعة التى حلت بجميع أنحاء بلاد الاغريق فى عام ٣٣١ ودامت حتى عام ٣٢٤ ق. م. على الاقل ، راجع Rostovtzeff, Soc. and Ec., p. 95 .

وأخبر كل قساوستها وأثريائها بأنه أتى ليخرجهم منها ، فجمعوا مبلغا كبيرا من المال وأعطوه اياه لكى يحتفظوا بسوقهم . فرحل عنهم ، لكنه بعد قليل ، عندما أعد كل شىء لبدء بناء المدينة الجديدة ، أتى اليهم ثانية وطلب منهم مبلغا من المال أكبر من الأول ، معلنا أن هذا المبلغ يعادل الفرق بين وجود السوق هناك وبين وجوده فى الاسكندرية . وعندما قالوا انهم لا يستطيعون دفعه نقلهم جميعا الى المدينة الجديدة .. وحدث أنه عندما كان سعر القمح (أى سعر المديمنوس (Medimnos ما يزيد قليلا على كيلتين) عشر دراخمات ، دعا الزراع وسألهم عن السعر الذى يريدون أن يبيعوا به القمح له ، فأجابوه بأنهم يبيعونه له بسعر أقل مما يبيعون به للتجار . وعندئذ طلب اليهم أن يبيعوه له بالسعر نفسه الذى يبيعون به للآخرين ، لكنه حدد سعر القمح (للتصدير) بمبلغ قدره ٣٢ دراخمة وباع بهذا السعر (١) . وحدث مرة أخرى أن جمع القساوسة وأخبرهم بأن نفقات الديانة فى البلاد باهظة ، ولذلك يجب اغلاق بعض المعابد وطرد عدد من القساوسة ، فأعطاه القساوسة مالا من جيوبهم الخاصة ومن دخل المعابد لأنهم ظنوا أنه كان ينوى حقا انقاص عددهم ، ولأن كلا منهم كان يريد الاحتفاظ بمعبده وبمنصبه الكهنوتى » .

وازاء اجماع المصادر القديمة على ادانة قليومنيس يبدو أنه كان جديرا بسمعته السيئة . واذا كان قيامه باحتكار تصدير القمح لم يضر بالمزارعين المصريين ، فانه دون شك قد ألحق بالتجار المصريين ضررا بليغا ، لأنه هو الذى كان يشترى القمح من المزارعين مباشرة . ومن المسلم به فى كل حالات الاحتكار ، قديما وحديثا فى كل بلاد العالم ، أن المحتكر لا يدخر وسعا فى الحصول على كل ما يمكن أن تصل اليه يده من السلعة المحتكرة . فما بالنا وقليومنيس كان صاحب الأمر والنهى فى مصر حين احتكر تجارة القمح ، وكانت قد استبدت به رغبة جامحة فى جمع المال الى حد أنها زينت له الابتزاز ، وكان كلما زادت كمية مشترواته من

---

(١) يؤكد ذلك ما جاء فى الخطبة المنحولة على دموسثنس ضد ديونسودوروس ، وكان احد سماسرة قليومنيس ، من أن قليومنيس الحق اذى كبيرا بأثينا وباقى العالم الاغريقى عن طريق احتكار شراء القمح وبيعه بالسعر الذى يراه (Dem. op. cit., 7 ff.) .

القمح زادت كمية صادراته ومن ثم زاد مقدار ربحه • وازاء ذلك لا نستبعد أن قليومنيس لم يدخر وسعا فى شراء معظم المحصول ، ولا أن النتيجة المنطقية كانت نقص المعروض فى الأسواق المحلية وتبعا لذلك ارتفاع ثمنه ، أى الاضرار بمجموع الشعب المصرى • ولا ريب فى أن السعر المرتفع الذى كان قليومنيس يبيع به القمح للدول الاغريقية يعتبر نوعا من الابتزاز السافر وقرينة على سلوكه لا نستبعد معها الوسائل الأخرى التى نجأ اليها لابتزاز الأموال من المعابد وغير ذلك (١) • ولا أدل على طغيانه فى ابتزاز الأموال مما يقال من أنه جمع ٨٠٠٠ تالنت فى وقت كانت لا تزيد فيه ثروة أغنى رجل فى بلاد الاغريق على ١٦٠ تالنت ، بل ان هاربالوس (Harpalos) الذى كانت كنوز الاسكندر فى متناول يده لم يفلح فى سرقة أكثر من ٥٠٠٠ تالنت • ويبدو معقولا أن الاسكندر وهو فى أواسط آسيا وفى غمرة مشاغله لم يصل الى علمه أو يدرك تماما ما كان قليومنيس يقترفه • أما القصة القائلة بأنه عفا عن قليومنيس وسمح له بأن يعمل ما يروق له (٢) ، فهى غير مقبولة وذلك لسببين وأحدهما هو أن هذه القصة مستمدة من وثيقة مزيفة ، والآخر هو أنه قبل ذلك مباشرة كان الاسكندر قد قضى باعدام رجل من الارستقراطية المقدونية يدعى قلياندروس لنفس ما اتهم به قليومنيس (٣) •

وعندما فرغ الاسكندر من مهامه فى مصر برحها فى ربيع عام ٣٣١ قاصدا بابل ليلقى الجيش الفارسى ثانية ، بعد أن أعاد تنظيمه وتولى قيادته

---

(١) يدافع الدكتور مصطفى العبادى (مجلة كلية الآداب ، جامعة الاسكندرية المجلد ١٧ عام ١٩٦٣ ص ٦٥ — ٨٥) عن قليومنيس بأنه لم يستهدف مصلحته الخاصة وبأنه أورث البطالمة خزانة غنية وتجارة خارجية منظمة . ولا جدال فى أن بطلميوس الاول أفاد من الاموال التى جمعها قليومنيس ، لكن ذلك لم يكن هدفه ولا فى حسبانه على الاطلاق . وازاء مسلكه المعيب فى جمع الاموال يصعب تبرأته من العمل لصالحه الشخصى • ويعترف الدكتور العبادى بأن هدف بحثه ليس اصدار أحكام اخلاقية على قليومنيس وانما تقييم عمله اقتصاديا . وعندنا أن المال ليس كل شىء ولاسيما اذا كانت وسائل جمعه معيبة ولم يفد الشعب منه ، وأن سياسة قليومنيس كانت سياسة خرقاء تغاضت عن القيم الأخلاقية التى لا يجوز ان يتغاضى عنها حاكم ، واغضبت الشعب واساءت الى علاقات مصر الخارجية .

(2) Arrian., Anab. VII, 3, 6—8.

(3) Tarn, Alex. The Great, pp. 129—30.

الملك الأكبر . وفى موقعة جاوجميلا (Gaugamela) أوتى الاسكندر فى العام نفسه نصرا حاسما ، تابع بعده الاستيلاء على ولاية بعد أخرى من ولايات الامبراطورية الفارسية . وعند مشارف الهند ، أبى الجيش التقدم الى ما وراء ذلك فاضطر الى العودة الى بابل . وفى ليلة ١٠/١١ من يونية عام ٣٢٣ قضى الاسكندر نحبه فى بابل (١) ، قبل أن يتم الثالثة والثلاثين من عمره . ويرى بعض المؤرخين أنه كان سعيدا فى وفاته اذ ذاك ، لأنه توفى فى أوج مجده قبل أن يواجه العبء الحقيقى ، فقد أوتى من الانتصارات ما لم يسعد به سوى القليل ، لكنه بقى عليه وضع النظم التى تصلح لحكم ذلك العالم الذى فتحه (٢) .

٢ — مميزات العصر الهلينيسى

وبموت الاسكندر يبدأ فى العالم الاغريقى العصر الذى اتفق المؤرخون على تسميته بالعصر الهلينيسى (٣) . ولما كان تاريخ مصر منذ الفتح المقدونى قد أصبح يتصل اتصالا وثيقا بالعالم الاغريقى ، فان عهد البطالمة ينتمى الى العصر الهلينيسى . وينتهى هذا العصر بموقعة أكتيوم فى عام ٣١ ق.م. وهى التى بسط الرومان بعدها سلطانهم على مصر ، وكانت آخر مملكة هلينيسية لا تزال مستقلة ، ولو اسما .

ولما كانت معالم هذا العصر قد بدأت قبل وفاة الاسكندر واستمرت فى البقاء الى ما بعد أغسطس ، فانه يتبين لنا أن هذين التاريخين ليسا سوى اصطلاح اتفق عليه المؤرخون ، لكن هذين التاريخين ينمان عن حقيقتين : واحداهما هى أن أعمال الاسكندر تكشفت عن نتائج غيرت وجه العالم فلم يعد شىء على حالته السابقة . والحقيقة الأخرى هى أنه بعد خضوع العالم الهلينيسى لروما وتدهوره مع تدهو الامبراطورية الرومانية ابان حروب روما الأهلية ، أعيد بناؤه ثانية مع الامبراطورية الرومانية على قواعد جديدة ، ومن ثم بدأت الحضارة الاغريقية — الرومانية .

---

(1) Samuel, A. E., Ptolemaic Chronology, pp. 46 ff.; Hamilton, J. R., Plutarch: Alexander: A Commentary, p. 210.

(2) C. A. H. VI, p. 423.

(3) Tarn, Hellenistic Civilisation, 2nd ed. 1930, p. 1.

ويختلف العلماء فى تعريف العصر الهلينيسى ، فيرى بعضهم أنه عصر حضارة جديدة تتكون من عناصر اغريقية وشرقية ، ويرى بعضهم أنه عصر انتشار الحضارة الاغريقية بين الشرقيين ، ويرى بعضهم أنه لا يتعدى استمرار الحضارة الهلينية القديمة على أسسها السالفة . وفى رأينا أنه مزيج من ذلك كله ، لأن كلا من هذه الآراء يحتوى على قدر من الحقيقة، ففى هذا العصر استمرت الحضارة الهلينية القديمة على أسسها السالفة فى جوهرها ، لكنه داخلتها بعض العناصر الشرقية ، ولم تنتشر هذه الحضارة فى ربوع الشرق فحسب بل ان مراكزها الرئيسية لم تعد فى بلاد الاغريق القديمة ، وانما فى عواصم الممالك الجديدة التى أنشأها خلفاء الاسكندر الأكبر على أنقاض الامبراطورية المقدونية . فلا عجب أن وصفت الحضارة الهلينيسية بأنها حضارة ملكية ، والحضارة الهلينية الكلاسيكية بأنها حضارة المدن الحرة (١) .

مميزات العصر الحضارية :

ويمثل هذا العصر من بعض النواحى مرحلتين من مراحل الحضارة ، أثمرت فى أولاهما العلوم والفلسفة والآداب وغيرها من مظاهر النشاط الفكرى ، فى ظل عالم اغريقى ــ مقدونى مستقل . وأما فى المرحلة الثانية فقد نضب معين الانتاج العقلى وقام الشرق فى وجه الغرب ، وحين كانت هذه الثورة تهدد العالم الاغريقى ــ المقدونى انقضت روما على هذا العالم واستولت عليه وآلت اليها زعامة الحضارة الاغريقية (٢) . ويمكن أن نعزو ضعف النشاط العقلى فى المرحلة الثانية الى عاملين : وأحدهما هو نقص عدد الاغريق الصميمين بانتظام بعد حوالى عام ٢٠٠ ق.م. والآخر هو مجهودات روما فى تحطيم الروح المعنوى بين الاغريق .

ويمثل العصر الهلينيسى من نواح كثيرة وحدة واحدة ، ذلك أنه بالرغم

(1) Aymard et Auboyer, l'Orient et la Grece Antique, 1955, p. 390.
(2) Tarn, p. 2.

من أن الدول الاغريقية تمسكت من الوجهة العملية بمبدأ الانفصالية والاستقلال ، فانه من الوجهة النظرية خلفت فكرة العالمية هذا المبدأ ، ومن ثم نشأت فكرة وجود عالم واحد (oikoumene)(١) يعتبر ملكا مشتركا للبشر المتحضرين ، ومن أجله وجدت لغة مشتركة (koine) ساعدت على التقرب بين عناصر هذا العالم ، فقد أخذ المتعلمون فى كل مكان يستعملون لهجة أتيقا ، التى نشأت منها تدريجيا اللغة الاغريقية الهلينيسية ، تلك اللغة التى كتبت بها التوراة الجديدة • واذا كانت اللهجات المحلية بقيت مدة طويلة فى بعض الأنحاء ، فانه لم يأت القرن الأول حتى كانت « اللغة المشتركة » مستعملة فى كل مكان (٢) •

انتشار التعليم :

ويمتاز العصر الهلينيسى بانتشار التعليم وتقدمه ، ولا أدل على ذلك من أن المواطن (gymnasiarch) الذى كان يناط به الاشراف على التعليم فى الدولة الاغريقية أصبح أهم حكامها • وانتشرت المدارس الأولية للبنين والبنات فى أكثر الدول الاغريقية تحضرا ، بل كان الأولاد والبنات يتعلمون معا فى بعض المدن مثل تيوس (Teos) وخيوس (Chios) (٣) ، كما كان ذلك من قبل فى أسبرطة • ويبدو أن تعليم البنات كان يقف عند انتهائهن من هذه المدارس ، أما الأولاد فانهم كانوا ينتظمون بعد ذلك فى سلك الجومنازيوم (gymnasium) ويتلقون فيه عادة فى التاسعة عشرة والعشرين من عمرهم تعليم الشبان (Ephebeia) (٤) ، وكان الهدف الأول لهذا التعليم تدريبهم عسكريا ، لكنه كان يشمل أيضا تثقيفهم • وكان التدريب العسكرى فى بعض المدن اجباريا ، لكنه لم يلبث أن أصبح بوجه

---

(1) Kaerst, Die Antike Idee der Oikumene, 1903.
(2) Tarn, p. 80.
(3) Athen., 566 E. ; Ditt. O. G. I. S. 578.
(4) Cf. Bernot, Recherches sur l'éphébie attique, 1920.

عام اختياريا • وقد أوجدت اللغة المشتركة والتعليم حضارة مشتركة فى العالم الاغريقى ، انتشرت فى كنفها الآداب والفلسفة ، وعمت فى ظلها حرية الفكر والقول ، وزالت الكراهية العنصرية ، اللهم الا اذا استثنينا المصريين واليهود (١) •

روح الاخاء :

وقد ساعدت فكرة العالمية وانتشار التعليم واستخدام لغة مشتركة على تقدم روح الاخاء والانسانية فى الوقت الذى استعرت فيه نار الحروب والمنازعات بين الاغريق ، اذ أن الدول الاغريقية أخذت تلجأ منذ القرن الثالث أكثر من أى وقت مضى الى فض ما قد ينشب بينها من الخلافات على الحدود بالتحكيم بدلا من الحرب • بل استطاع الاغريق فى خلال الجزء الأكبر من القرن الثالث أن يخففوا من ويلات الحرب ، اذ أن العرف (٢) كان فيما مضى يبيح للمنتصر أن يقتل رجال المدن التى يستولى عليها ، وأن يبيع نساءها وأطفالها ، لكن الاسكندر الأكبر استبدل بذلك بيع جميع السكان (٣) ، ثم قضى خلفاء الاسكندر على هذه العادة الشائنة (٤) • وقبل عودة الحرب ثانية الى فظاعتها الأولى منذ أواخر القرن الثالث ، نستشف دليلا على استيقاظ العواطف الانسانية فى الحركة التى بدأت فى النصف الثانى من ذلك القرن ، وتكشفت عن اعتراف الدول الاغريقية بأن بعض المدن أو الأماكن « مقدسة » كالمعابد ، أى لا يجوز أن يعتدى عليها الأفراد أو الدول (٥) •

مركز المرأة :

ولقد تأثر مركز المرأة فى العصر الهلينيسى بالدور الذى لعبته الأميرات المقدونيات العظيمات فى الفترة التالية لوفاة الاسكندر ، اذ أن شأن تلك الأميرات لم يكن أقل من شأن الرجال العظام من حيث الاضطلاع بأدوار هامة فى الحياة العامة ، فقد كن يستقبلن البعثات السياسية ، ويبنين المعابد ويؤسسن المدن ، ويستأجرن الجنود المرتزقة ، ويقدن الجيوش ، ويدافعن

---

(1) Tarn. p. 3.
(2) Philippson, International Law and Custom of Ancient Greece and Rome, II. p. 251.
(3) Polyb., II, 58, 10.
(4) Polyb., XVIII. 3, 4—9.
(5) Tarn, pp. 76 ff.

عن القلاع ، ويضطلعن بالوصاية على الملك أو يشتركن فيه • فلا عجب اذن أنه كان لسيدة جميلة قادرة مثقفة ، مثل أرسينوى فيلادلفوس ، أثر أى أثر حتى على رجال عصرها • ومن القصور المقدونية امتدت الحرية النسبية الى النساء العاديات،فاستطاعت من شاءت منهن أن تتحرر الى حد كبير من ربقة التقاليد القديمة ، فكان فى الامكان اذ ذاك أن تحصل النســاء على كل ما يردن من التعليم ، فظهرت بينهن فى القــرن الثالث الفيلسوفة والشاعرة والفنانة • ووجدت أندية خاصة للنساء فى أثينــا والاسكندرية (١) ، لكنه لا شك فى أن هذه الحرية لم تكن الا من نصيب الأقلية من نساء هذا العصر (٢) •

الأندية :

وربما كان ظهور أندية السيدات صدى للاتجاه الذى نشط فى العالم الاغريقى منذ حوالى عام ٣٠٠ نحو تكوين جمعيات صغيرة كانت قبــل كل شيء اجتماعية ودينية تقوم حول عبادة اله معين (٣) • وأخذت تظهر أيضا فى أثينا وقوس جمعيات عرفت بحرف أصحابها ، لكن نقابات أصحاب الحرف لم تعرف فى العصر الهلينيسى الا فى مصر (٤) • وقد كانت هــذه الأندية أو الجمعيات تتخذ من نظم الدول أساسا لنظمها ، فكان لها من الحكام مثل ما كان للمدن ، وكانت تصدر قرارات مثل المدن ، لكنه لم تكن للأندية عادة أغراض سياسية •

سخاء الاغنياء وقلة الأجور :

ولعله من أبرز مظاهر هــذا العصر الزاخر بالمقتضيات ذلك البون الشاسع بين سخاء الأغنياء وقلة الأجور ، فقد كان الأغنياء على أتم الأهبة للتبرع بأموالهم فى خدمة الدولة بقدر ما كانوا غير مستعدين لدفع أجور مناسبة ، فكثيرا ما لبى الأغنياء نداء دولهم فأعاروها مبالغ كبيرة دون أرباح ، أو تبرعوا لها بهذه المبالغ ، أو أخذوا على عاتقهم انشاء معبــد أو جسر أو سفينة حربية أو اقامة حفل عام أو تمثال • وعلى الرغم من هــذا الروح النبيل ، فان الناس فى هــذا العصر لم يعرفوا الاخاء كما

(1) J. E. A., IV, p. 253.
(2) Tarn, pp. 89 ff.
(3) Tarn, pp. 86 ff.
(4) San Nicolo, Aegyptisches Vereinswesen, pp. 66 ff.

نعرفه اليوم ، أو بعبارة أخرى مساعدة الأغنياء للفقراء بطريقة منتظمة . مثل انشاء جمعيات خيرية أو مستشفيات أو ما أشبه ذلك (١) .

اضطرابات اجتماعية :

وقد كان هذا العصر حتى أوائل القرن الأول عصر رخاء بوجه عام للطبقات العليا ، ونستدل على ذلك من رواج التجارة (٢) ، وانتشار الأندية واقامة الحفلات (٣) ، والترف فى المأكل والملبس (٤) ، والعناية بتخطيط المدن وبناء المنازل وأثاثها (٥) . وقد أدى تدهور قيمة النقد حوالى عام ٣٠٠ الى ارتفاع الأسعار ، لكنه لم يقابل ذلك ارتفاع مماثل فى أجـور العمال بل أحيانا هبوطها ، فاتسع الفارق بين الأغنياء والفقراء مما أدى الى اضطرابات اجتماعية ، ساعد على اشتعال لهيبها مذاهب الرواقيين التى كانت تنادى بالمساواة والاخاء (٦) .

وجوه الشبه والخلاف بين العصرين الهلينيسى والحديث :

ويبدو لأول وهلة أن وجه الشبه بين العصر الهلينيسى والعصرالحديث قريب جدا ، فقد كانت توجد الكثرة نفسها من الدول الكبيرة والصغيرة التى تسودها حضارة رفيعة مشتركة ، ونشأت فيها أفكار الانســانية والاخاء وتحرير المرأة ، وانتشر فيها التعليم انتشارا أخرج أفواجا من أنصاف المتعلمين ، ونشأت فيها متاعب قاسية من جراء الأسعار والأجور نشطت روح الحزبية وأدت الى الأفكار الاشتراكية والشيوعية . ومع أنه كانت توجد ظواهر كثيرة تشبه ظواهر حديثة فان التشابه ليس تاما بين العصرين . ولعل مرد ذلك الى اختلاف جوهرى أساسه أن العـالم القديم لم يعرف الآلات وكان يعج بالعبيد وهم الذين اعتمد عليهم النشاط الاقتصادى الى حد كبير (٧) .

عصر البطالمة شطران :

ويمكننا دون تردد أن نقسم عصر البطالمة الى شطرين : الأول منذ البداية حتى معركة رفح عام ٢١٧ ق.م. والثانى من هذا التاريخ حتى سقوط دولة البطالمة . وسنشهد فى الشطر الأول تشييد دولة البطالمـة

(1) Tarn, pp. 99 ff.
(2) Tarn, pp. 209 ff.
(3) Tarn, p. 104.
(4) Tarn, p. 234.
(5) Tarn, pp. 274 ff.
(6) Tarn, pp. 110—12.
(7) Tarn, pp. 3 ff.

وأمبراطوريتهم البحرية ، وقدوم الاغريق الى مصر وتغلغلهم فى أنحائها واغتصابهم مواردها واحتلالهم أرفع المناصب فيها ، حين كان المصريون يرزحون تحت أعباء أثقلت كاهلهم ، لكن شعورهم بضعفهم تركهم يئنون من جراحهم صابرين على ما رمتهم به الأقدار حتى يحين يوم الخلاص ٠ وأما فى الشطر الثانى فسنشهد كيف انبعث الروح القومى نتيجة لموقعة رفح ، تلك المعركة التى تعتبر درة فى تاريخ الجيوش المصرية ، فقد كانت الفرق المصرية دعامة النصر على جيوش ملك سوريا الاغريقية ٠ وقد أزكى ذلك الفوز روح الوطنية الكامن فى الصدور وأعاد الى المصريين الثقة بأنفسهم ، وأرغم البطالمة على النزول عن صلفهم وجبروتهم والنظر بعين جديدة الى هذا الشعب الذى انتزع أبناؤه نصرا عز على القوات الاغريقية ، ومن ثم أخذ البطالمة يتبعون سياسة جديدة فى حكم المصريين كما سنرى بالتفصيل ٠

٣ — مؤتمر بابل

مشكلة ولاية العرش :

لما كانت المناداة بالملك ، وفقا للتقاليد المقدونية ، من حقوق الجيش ، فان قواد الاسكندر عقدوا مؤتمرا فى بابل غداة موته هناك فى يونيو عام ٣٢٣ ليبحثوا مشكلة حكم الامبراطورية المقدونية ، تلك المشكلة التى أفضت الى ما يعرف « بحروب الخلفاء » ، وكانت حروبا شعواء دامت حوالى الأربعين عاما ٠ ذلك أن المنية فاجأت الاسكندر دون أن يترك وصية (١) ، أو يرشح خلفا له ، أو ينظم طريقة الحكم فى تلك الامبراطورية المترامية الأطراف ٠ ولا يمكن أن نقبل ما عزاه المغرضون الى الاسكندر من أنه أوصى بالعرش الى « أجدر الناس به » (٢) ، لأن ذلك كان يفضى الى نضال عنيف ٠ ومن العسير أن نتخذ دليلا على اختياره برديقاس

(١) أن الوثيقة التى ورد نصها فى «أسطورة الاسكندر»
(Ps. — Callisthenes, III, 33.)
ووصفت بأنها وصية الاسكندر تعتبر مزيفة ، ويبين أنه قد زيفها حوالى عام ٣٢٠ ق٠م٠ رجل رودسى كان فى خدمة الحزب المناوىء لأنتيباتروس. انظر:
Cary, Greek World from 323—146, B. C., 1951, p. 1 fn. 1.

(2) Curtius, X, 5, 5 ; 6, 16 ; Justin., XII, 15, 6—8 ; Diod., XVII, 117, 3 ; XVIII, 1, 4.
(قورتيوس ويوستينوس يفسران هذه العبارة فى صالح برديقاس)

(Perdiccas) خلفا له أنه كان قد سلمه خاتم الملك وهو على فراش الموت (١) .

وقد زاد مشكلة وراثة العرش تعقيدا أن الاسكندر توفى دون أن يترك وريثا ليخلفه ، وان كان قد ترك زوجه الفارسية روكسانا (Roxana) — ابنة النبيل الباقتريانى أوكسوارتس (٢) (Oxyartes) — حاملا فى شهرها السادس (٣) ، الا أنها كانت سيدة شرقية وكان الكثيرون ينكرون على جنينها حق التربع على عرش الامبراطورية المقدونية (٤) . وكان يوجد فى بابل نفسها أخ للاسكندر يدعى أرهيدايوس (Arhidaeos) ، وكان شابا غبيا مصابا بالصرع ، ولم يكن ابنا شرعيا للملك فيليب ، فان أمه لم تكن سوى حظية فيليب ، لكنه فى نظر الجيش وخاصة فى نظر الجنود البسطاء كان يمتاز على غيره بأن أمه كانت سيدة من تساليا ولم تكن سيدة شرقية (٥) .

ويرجح أن قواد الاسكندر ، برغم المطامع الشخصية التى كانت تجيش فى نفوسهم ، قد حرصوا جميعا فى مؤتمر بابل على الاحتفاظ بوحدة الامبراطورية المقدونية ، لأنهم كانوا قبل كل شىء مقدونيين يخشون أن يدكوا دعائم ذلك الصرح الهائل الذى شيدته مقدونيا ، أو أن يستثيروا عواطف الجنود الذين بقوا على ولائهم للبيت المالك ، أو أن يظفر أكثرهم نفوذا بين الجنود بنصيب الأسد .

واذا كان قواد الاسكندر قد اتفقوا يومئذ على الاحتفاظ بكيان

---

(1) Curtius, X, 4, 4 ; 4—5 ; Cf. Arr., VII, 24, 4—25, 6.

(٢) اقيم أوكسوارتس واليا على باروباميساداى (Paropamisadae) بمقتضى قرارات مؤتمر بابل (Diod., XVIII, 3; Arrian., and Dexippos a p. Photius; Just., XIII, 4 ; Curt., X, 10).
وكذلك قرارات مؤتمر تريبا راديسوس (Arrian., 34 ; Diod., XVIII, 30)

(3) Curtius, X, 6, 9 ; C. A. H., VI, p. 461.
اما يوستينوس فيقول انها كانت حاملا فى شهرها الثامن (XIII, 2, 5)

(٤) ليس هناك ما يبرر الادعاء بأن الاسكندر كان قد انجب من الاميرة الفارسية بارسينى Barsine ابنا يدعى هرقل ، راجع Tarn, J.H.S. 1921, pp. 18, ff وكانت بارسينى ابنة دارا الثالث ثانى زوجة فارسية تزوجها الاسكندر وقد قتلتها روكسانا عقب وفاة الاسكندر .

(5) Bouché-Leclercq. I, p. 8.

الامبراطورية ، فان آراءهم تباينت فى الطريقة التى تتبع فى حكمها ، اذ أنه حين كان بعضهم يريد اقامة سلطة مركزية قوية مدفوعا الى ذلك اما بدافع الاخلاص للاسرة المالكة واما بدافع الأمل فى الاشتراك فى السلطة المركزية ، كان البعض الآخر يفضل ألا يرى فى مقر الامبراطورية سلطة موحدة مستقرة ، معللا النفس بالحصول على احدى ولايات الامبراطورية والاستقلال بادارتها • وقد اقترح برديقاس (Perdiccas)، وكان أكثر القواد نفوذا ، ارجاء البت فى ولاية العرش حتى تلد روكسانا ، لكن ملياجروس (Meleagros) اقترح اختيار أرهيدايوس • وأما بطلميوس فانه اتخذ موقف الرجل المقدونى الذى يأبى أن يحكمه رجل معتوه من نسل غير شرعى مثل أرهيدايوس ، أو سليل سيدة شرقية مثل ابن روكسانا ، لأنه كان يرى أن المقدونيين لم يقهروا الفرس لكى يخضعوا لسلالتهم ، ولذلك اقترح أن يبقى عرش الاسكندر شاغرا وأن يعهد بادارة الامبراطورية الى قواد الجيش • ولا جدال فى أن هذا الاقتراح يخفى وراءه تعطشا شديدا للسلطة ورغبة قوية فى الاستقلال بحكم احدى ولايات الامبراطورية ، بل يحمل فى طياته بذور تفتيت الامبراطورية وانحلالها • وبعد مناقشة هذه الآراء استقر رأى القواد على قبول اقتراح برديقاس • وحظى هذا الاقتراح بتأييد الفرسان ، وكانوا يتألفون من شباب النبلاء ، لكن المشاة ، وكانوا يعتبرون أنفسهم ممثلى الأمة المقدونية وتبعا لذلك أصحاب الحق فى المناداة بالملك الجديد ، ثاروا على هذا الاقتراح وقرروا المناداة بارهيدايوس ملكا ، فعهد الى ملياجروس بتهدئة ثائرتهم بيد أن العداوة التى كان ملياجروس يضمرها لبرديقاس دفعته الى الانضمام الى المشاة والهاب عواطفهم ، فاضطر برديقاس والفرسان الى الخروج من بابل ومحاصرة المشاة فى المدينة • وكادت أن تشب نيران الحرب بين الفريقين ، غير أن لباقة بطلميوس ومهارة يومنيس (Eumenes) سكرتير الاسكندر ، تمكنتا من حسم النزاع والوصول الى حل وسط ، يقضى بأن يرتقى ارهيدايوس العرش تحت اسم فيليب ، والاعتراف بحق جنين روكسانا ، اذا كان ذكرا ، فى مشاركة فيليب الملك بمثابة شريك تحت الوصاية (1) •

(1) Cf. Curtius, X, 6, 5—10, 1 ; Justin., XIII, 4, 3 ; App., Syr., 52 ; Bouché-Leclercq, I, p. 9 ; Jouguet, Mac. Imp., p. 120 ; Nat. Eg., p. 6.

توزيع ولايات الامبراطورية :

وبهذا الحل أمكن الاحتفاظ بوحدة الامبراطورية ، لكنها لم تكن الا وحدة فى الشكل فقط ، اذ أنها تقسمت فى الفعل بين قواد الاسكندر الذين قرر مؤتمر بابل تقسيم ولايات الامبراطورية بينهم ، ليحكموها بصفة كونهم ولاة من قبل الأسرة المالكة المقدونية . فقد قرر المؤتمر أن يعهد الى بطلميوس بن لاجوس (Lagos) بمصر ، والى لاومدون (Laomedon) بسوريا ، والى منانـدروس (Menandros) بلـوديا ، والى ليوناتوس (Leonnatos) بفروجيا على شـاطىء الدردنيل ، والى لوسـيماخوس (Lysimachos) بتراقيا، والى فيلوتاس (Philotas) بقيليقيا ، والى أساندروس (Asandros) بقاريا ، والى بايثون (Peithon) بميـديا الـكبرى ، والى قوينوس (Coenos) بسوسيانا ، والى أرخون (Archon) ببـابل ، والى أرقسيلاوس (Arcesilaos) ببـلاد ما بين النهـرين ، واحتفظ أرتوباتس (Artopates) بميديا الصغرى ، ومنح أنتيجونوس (Antigonos) الجـانب الأكبر من آسيا الصغرى ، أى فروجيا الكبرى وبامفوليا ولوقاونيا ولوقيا، وأعطى يومنيس (Eumenes) بافلاجونيا وقابادوقيا وكانتا لم تخضعا بعد . أما بلاد الاغريق فقد تقرر أن تبقى جمهورياتها خاضعة لمقدونيا وموحدة فى عصبة قورنثة تحت سيطرة انتيباتروس (Antipators) (١) .

مشكلة الوصاية :

واذا كانت مشكلة ولاية العرش قد حلت على نحو ما رأينا ، فقـد بقيت مشكلة الوصايا على الملكين أو بعبارة أخرى مشكلة السلطة العليا ذلك أنه تقرر فى بابل أن يكون برديقاس خيليارخيس (Chiliarches) ومعنى ذلك أن يكون القـائد العـام للجيش ، والمهيمن على شـئون الامبراطورية ، وأن يساعده فى ذلك ملياجروس . وتقرر أيضا أن يكون قراتروس (Crateros) — وكان فى أثناء تلك الأحـداث فى طريقه الى مقدونيا لاعادة ١٠٫٠٠٠ من قدماء المحاربين — بروستاتيس (prostates) الملك (٢) ، ومعنى ذلك أن يكون وصيا على الملك المعتوه وكذلك على

(1) Cf. Diod. XVIII, 3 ; Curitus, X, 10, 1—6 ; Just., XIII, 4, 9—25 ; Dexippus (F.G.H. 100, 8) ; Arr. (F.G.H. 156, 1, 5—8) ; Pauly — Wissowa, R.E.s. v. Satrapeia ; Beloch, Gr. Gesch., 2nd ed. Vol. III, 236—48 ; Jouguet, Mac. Imp., p. 121 ; Nat. Eg., pp. 6--7.

(2) Dexippus (F. G. H., 100, 8, 4); Arr. (F. G. H., 156, 1, 1--3); Justin., XIII, 4, 5; Cf. Diod., XIII, 2, 4.

طفل روكسانا عندما يولد ، وحامى شخصيهما ، وحامل أختام الدولة ، أى أن يكون بمثابة رئيس الوزراء • وهكذا بقى أن يتقرر لمن تكون السيطرة والكلمة النافذة ، البرديقاس أم لقراتروس • وقد حلت هذه المشكلة أحداث الحرب اللامية (Lamian War) أو الحرب الهلينية ، كما سميت عندئذ ، وهى الحرب التى وقعت فى بلاد الاغريق عندما تجاوبت هناك أصداء خبر وفاة الاسكندر وهب الاغريق لاستعادة حريتهم من مقدونيا • وقد تحرج مركز القائد العجوز أنتيباتروس (Antipatros) فى بلاد الاغريق الى حد أن قراتروس — وكان اذ ذاك فى قيليقيا فى طريقه الى مقدونيا — اضطر الى التضحية بأطماعه الشخصية ، اذ أنه بدلا من أن يعود الى بابل ليضع الملكين تحت سلطته ويتولى الوصاية عليهما ، لبى نداء الواجب فكون جيشا فى آسيا الصغرى وذهب لنجدة القائد المقدونى فى بلاد الاغريق ، تاركا مسألة الوصاية فى كفة القدر ، أو على الأصح بين يدى برديقاس الذى سرعان ما وضع تحت سيطرته الملك المعتوه وكذلك الملك الطفل الذى أنجبته روكسانا ونادى به الجيش ملكا • بيد أنه لما كانت الأوامر تصدر والنقود تسك باسم فيليب وحده ، فان الناس كانوا لا يدرون أكان يتربع على العرش ملكان أم ملك واحد • ولم يكن معنى السيطرة التى اغتصبها برديقاس لنفسه أن تنيباتروس وقراتروس اعترفا بأنه قد أصبح رئيسهما ويحق له اصدار الأوامر لهما (١) •

تضارب الأطماع :

وسرعان ما أوضح برديقاس لجميع القواد أنه ينتظر منهم اطاعة الأوامر التى يصدرها باسم التاج ، لكن أكثرهم بأسا وقوة أخذوا يستعدون لمقاومة هذه الأوامر • وقد كان متوقعا عقب وفاة الاسكندر أن أغلب أولئك القواد الذين اجتمعوا فى بابل وبذلوا جهدا كبيرا فى الوصول الى حل لمشكلة ولاية العرش وتنظيم حكم الامبراطورية لن يذهبوا لتولى حكم ولاياتهم دون أن تراودهم أطماع شخصية ، وأن تضارب هذه الأطماع سيفضى ان عاجلا أو آجلا الى صراع عنيف •

وحقا لقد كافح بعض القواد للاحتفاظ بوحدة الامبراطورية اما بدافع

(1) C.A.H. VI, pp. 460—1 ; Laqueur, **Hermes**, LIV. 1919, pp. 295 ff ; Rostovtzeff, Social and Economic History of the Hellenistic World, pp. 3—5.

الولاء للأسرة المالكة مثل انتيباتروس وقراتروس ، واما بدافع المصلحة الشخصية مثل برديقاس وليوناتوس وأنتيجونوس . لكن أكثر القواد لم يبرحوا بابل الا وفى عزم كل منهم الاستقلال بحكم ولايته وعدم السماح بأن يكون لغيره سلطة أكبر من سلطته ، ومع ذلك يبين أن فكرة تفكيك عرى الامبراطورية لم تختمر فى الرءوس الا بالتدريج .

ويجب ألا يفوتنا أن كبار قواد الاسكندر الذين اقتسموا ادارة امبراطوريته كانوا ينتمون الى أعرق الأسر النبيلة فى مقدونيا ويعتزون أشد الاعتزاز بأصلهم العريق وانتصاراتهم الباهرة ، ولذلك فان بعضهم كان يعتبر نفسه جديرا بأن يخلف الاسكندر ، بل ان أقلهم اعتزازا بنفسه كان لا يمكن أن يسمح بأن يعامل غير معاملة الند للند . واذا كان الاسكندر بفضل أصله وعبقريته قد أفلح فى كبح جماح أطماع قواده وتسخير نشاطهم فى القيام بمجهود مشترك ، فان ضعف خليفتيه أتاح الفرصة كاملة لتحقيق أطماعهم المكبوتة . وسرعان ما أفضت المنافسة المسلحة بينهم الى ذلك الصراع الذى بدأ فى عام ٣٢١ واحتدم مدة تزيد على الأربعين عاما وتمخض عنه فصم عرى الامبراطورية المقدونيـة وقيام ثلاث ممالك على أنقاضها . وقد ساعد على بلوغ هذه النتيجة أن الامبراطورية كانت تتألف من أجزاء غير متجانسة لم يكن يربط بعضها ببعض الا قيام سلطة مركزية موحدة . وبمجرد انقسام هذه السلطة على نفسها ساعد على تقطيع أوصال الامبراطورية تضارب الصوالح واختلاف العادات والحضارة (١) .

ولم يكن مقيضا للممالك التى أسسها خلفاء الاسـكندر أن تعمر طويلا ، ولا سيما أنه فى حالة اثنتين منها ، وهما سوريا ومصر ، لم يعن هؤلاء الخلفاء باقامة دولة قومية وانما باقامة حكم أسرى . وقد ساعد على الصراع بين القواد أنه كان تحت امرة كل منهم قدر متفاوت من الجنود المقدونيين . وبطبيعة الحال كان أكثر هؤلاء الجنود عددا وخبرة أولئك الذين كان برديقاس يحتكم فيهم بوصفه القائد العام للجيش ، ولذلك فانه يعزى الى هذه الحقيقة أكثر مما يعزى الى توليه الوصاية أو الى وجود الملكين فى كنفه تمتعه بأكبر قدر من السلطان فى الامبراطورية (٢) .

(1) Jouguet, Macedonian Imp., pp. 126—8.
(2) Rostovtzeff ; Soc. and Ec., p. 6.

ومنذ البداية أخذت تتكون بين خلفاء الاسكندر أحزاب مختلفة . ذلك أن انتيباتروس كان صديق أنتيجونوس وعدو أولومبياس (Olympias) أم الاسكندر ، وكانت تمتاز بقدرتها على اثارة المتاعب وتربطها صداقة وثيقة بيومنيس أثارت عليه عداء أنتيباتروس . ولما كان برديقاس قد تقرب الى أولومبياس واتخذ من يومنيس صديقا له ورفيقا ، فان ذلك أوغل صدر أنتيباتروس ضد برديقاس ، ولا سيما أن رأيه لم يؤخذ فى الترتيبات التى تمت فى بابل . وفضلا عن ذلك فان اغتصاب برديقاس الوصاية على الملكين قرب بين أنتيباتروس وقراتروس وجعل اصطدامهما معه أمرا محتوما . ومن ناحية أخرى أغضب برديقاس تقرب عدوه أنتيجونوس الى القائد العجوز أنتيباتروس . والى جانب أولومبياس كانت لسيدتين أخريين شأن كبير فى أحداث ذلك الوقت ، واحداهما هى كليوبترة شقيقة الاسكندر الأكبر وأرملة الاسكندر ملك أبيروس (Epiros) اذ أنها أثارت الأطماع والفتن بما منت به الكثيرين من الاقتران بها دون أن تحقق آمال واحد منهم . وأما السيدة الأخرى فانها أديا (Adeia) وهى التى عرفت فيما بعد باسم يوروديقى (Eurydike) ، كانت خطيبة فيليب أرهيدايوس . وبما أنها كانت ابنة أمونتاس (Amyntas) ابن برديقاس الثالث ملك مقدونيا ، وقونانى (Cynane) وكانت ابنة غير شرعية لفيليب الثانى ، فانه كانت لها حقوق شخصية فى العرش المقدونى وتكره أسرة الاسكندر (1) .

(1) C. A. H. VI, 463—4 ; Jouguet, Mac. Imp., pp. 129—30.

الباب الثانى

سياسة البطالمة الخارجية

الفصل الثانى

سياسة البطالمة الخارجية من عام ٣٢٣ حتى عام ٢١٧ ق٠م

ان فهم سياسة البطالمة الداخلية على وجهها الصحيح يقتضى البدء بدراسة سياستهم الخارجية ، وذلك لأن النظم التى وضعها البطالمة لحكم مصر تأثرت الى حد بعيد بالدور الذى أرادوا أن يلعبوه فى العالم • ولما كنا نفتقر الى أدلة مباشرة على سياسة البطالمة الخارجية ، فاننا سنحاول استخلاص هذه السياسة من دراسة الحقائق التاريخية • ويجب أن نشير الى أن الغموض الذى يكتنف هذه الحقائق قد أدى الى اختلاف العلماء فى تفسيرها •

فيرى كورنمان (Kornemann) أن البطالمة الأوائل كانوا يطمحون الى بسط سلطانهم على جميع العالم المأهول ، أى أنهم كانوا كالاسكندر الأكبر يطمحون الى تكوين امبراطورية عالمية (١) •

ويرى ڤيلكن (Wilcken) أن البطالمة كانوا يرمون من وراء حكم مصر الى امتصاص كل ما يمكن امتصاصه من ثروة البلاد ، لكى يكونوا بفضل هذه الثروة وبفضل جيش وأسطول قويين فى مركز يسمح لهم بلعب الدور الأول فى سياسة البحر الأبيض المتوسط الدولية ، أى أن البطالمة لم يروا فى مصر سوى المصدر الأول لثروتهم ، أما كل أغراض سياستهم فانها كانت موجهة الى أهداف خارج مصر كلية (٢) • ومعنى

(1) Kornemann, in Klio, XVI, 1916, p. 229.
(2) Wilcken, Grundzuege u. Chrestomathie, Vol. I, 1, p. 4; Schmoellers Jahrb., 1921, p. 61.

ذلك أن ڤيلكن يرى أن سياسة البطالمة الخارجية كانت سياسة استعمارية هجومية ترمى الى استخدام موارد مصر فى تكوين امبراطورية فى البحر الأبيض المتوسط .

ويرى روستوڤتزف (Rostovtzeff) أن هدف البطالمة الأساسى كان انشاء دولة غنية قوية فى مصر ، بحيث تستطيع الذود عن استقلالها وسلامتها من الاعتداءات الخارجية ، وأن ضمان هذا الاستقلال وهذه السلامة كان يقتضى السيطرة على الطرق البحرية المؤدية الى مصر . ولما كان الفوز بهذه السيطرة يستلزم أسطولا قويا ، وكانت موارد مصر الطبيعية قاصرة عن الوفاء بالاحتياجات الضرورية لتشييد مثل هذا الأسطول وصيانته ، فانه كان يتعين الحصول على الأخشاب والمعادن اللازمة من الخارج . وقد كانت الطريقة المثلى لضمان الحصول على هذه الضروريات هى الاستيلاء على بعض الأقاليم الغنية بالأخشاب والمعادن . وهذا يفسر سبب حرص البطالمة على ضم سوريا وقبرص ، وكذلك بعض الأقاليم فى آسيا الصغرى ، وبخاصة لوقيا (Lycia) (١) . وبطبيعة الحال كان الاستيلاء على هذه الأقاليم يتطلب جيشا قويا .

ولما كانت قوة مصر تتوقف على ثروتها بسبب ما تتكلفه الجيوش والأساطيل من نفقات طائلة ، وكانت ثروة مصر تعتمد على انتظام تجارتها الخارجية واتساع نطاقها ، فانه يتبين بجلاء أنه لم يكن فى السيطرة على الطرق البحرية ضمان استقلال مصر السياسى فحسب بل كذلك ضمان استقلالها الاقتصادى . ومعنى ذلك أن روستوفتزف يرى أن سياسة البطالمة الأوائل كانت سياسة استعمارية ، الا أنها كانت دفاعية اقتصادية بحتا ترمى الى تكوين امبراطورية لضمان سلامة مصر وثروتها . وقبل أن نبدى رأينا فى سياسة البطالمة الأوائل الخارجية ، سنستعرض فى ايجاز يسير ما قام به أولئك البطالمة ونستخلص من ذلك سياستهم الخارجية .

١ — بطلميوس الأول (سوتر Soter = المنقذ)

ويجدر بنا أن نلقى نظرة عاجلة على مؤسس أسرة البطالمة ، لنتعرف على أصله وشيء من صفاته وخصاله قبل أن نتناول دراسة سياسته والدور

(1) Rostovtzeff, in J. E. A. 1920, p. 172.

الهام الذى لعبه فى تاريخ العالم الهلينيسى .

اصله ونشاته :

ويخيم على أصل بطلميوس (Ptolemaios) ظلام كثيف أفسح المجال لنسج كثير من القصص حوله (١) ، لكننا نعرف على الأقل أن أبويه يدعيان لاجوس (Lagos) وأرسينوى (Arsinoe) وأخاه يدعى منلاوس (Menelaos) ، وأنه تربى فى قصر فيليب الثانى مع فتيان القصر (Basilikoi Paides) مما يؤيد أنه كان سليل احد الأسر النبيلة ، ويفسر ما نشأ بينه وبين الاسكندر من صداقة يرى بعض المؤرخين أن متملقى ملك مصر قد بالغوا فى الاشادة بها . وعلى كل حال فان بطلميوس ظاهر الاسكندر فى النزاع الذى نشب بينه وبين أبيه ، واذا كان ذلك قد أثار عليه نقمة فيليب الثانى فانه أكسبه عرفان الاسكندر وتقديره فجعله من المقربين اليه . وقد كان بطلميوس يكبر الاسكندر فى السن بأكثر من عشر سنوات ، اذ كان يبلغ حوالى الثالثة والثلاثين عندما بدأت حرب الاسكندر الأكبر ضد الفرس ، وحوالى الرابعة والأربعين عندما أقيم واليا على مصر (٤) .

صفاته :

ونرى فى تصاوير بطلميوس على نقوده رأسا ذات جبهة عريضة عالية ،

---

(١) اذا كان لا يمكن قبول النسب الرفيع الذى انتحل للبطالمة ، عندما غدوا ملوكا عظاما حتى يكون لهم أصل عريق يوائم المجد الذى وصلوا اليه بجعلهم ينحدرون من ناحية الجد عن هرقل بن زيوس ومن ناحية الجدة عن ديونوسوس بن زيوس — راجع نقش ادوليس :
CIG. 5127; Strack no. 39; Michel 1239; Theophil., ad. Autocl. II, e. 94; FHG III, pp. 164-5; Diod. VII, 15.
فانه يصعب كذلك قبول ما يزعمه يوستينوس (XII, 4, 10) من ان بطلميوس كان من ابناء عامة الشعب لكن نبوغه هو الذى جعل الاسكندر يرفعه من مصاف أدنياء الجنود . ولا يمكن ايضا قبول ما يرويه بلوتارخ (De Cohib. ira 9 ; De nobilit. 19) من ان بطلميوس اراد احراج احد الفقهاء بسؤاله عمن كان والد بلوبس (Pelops) — وكانت مسألة معروفة بغموضها الشديد — فرد الفقيه : « سأجيبك على الفور اذا قلت لى اولا من كان والد لاجوس » . وليس هناك أساس للزعم بأن بطلميوس كان ينتمى الى أسرة الاسكندر ، انظر :
Tarn, J.H.S., 1933, p. 57

(2) Strabo., XVII, 1, 18.

(3) Liv., XLV, 6, 7.

(4) Bouché-Leclercq, I, pp. 1-3; Jouguet, Nat. Eg., pp. 8-9; Bevan, pp. 20-21.

وحاجبين بارزين ، وعينين غائرتين ، وأنف أشم ، وشفتين حازمتين ، وذقن قوى ، وهى كلها ملامح تنم عن النشاط والقوة ، وتشف عن أصل عريق وروح حربى ، وتتمثل فيها عظمة طبيعية خالية من التكلف (١) .

وقد سبر بطلميوس غور الحروب فى ميادين شتى ، اذ أنه من المحتمل جدا أن عرفته ساحات بلاد الاغريق وضفاف الطونة فى أثناء الحملات التى قام بها الاسكندر فى أوربا لوضع الأمور فى نصابها قبل أن يهاجم الفرس . لكننا لا نسمع عن بطلميوس الا فى عام ٣٣١ عند الاستيلاء على الممر الفارسى المنيع ، الذى يعرف باسم « الأبواب الفارسية » حيث كان يقود قوة تتألف من ٣٠٠٠ محارب ، وهى قوة هامة فى جيش قوامه ٣٠,٠٠٠ رجل تقريبا . وفى خريف عام ٣٣٠ رقى الى هيئة السبعة ، التى كانت تحيط بالاسكندر وتؤلف حرسه الخاص ومجلسه الأعلى . ومنذ ذلك الوقت عهد اليه بمهام خطيرة ، أظهر فى مضمارها حزما نادرا ، وفى أزماتها هدوءا غير عادى ، وفى مواقفها شجاعة جديرة بالاسكندر نفسه (٢) .

ويبدو لنا أنه قد كان لبطلميوس دائما مكانة سامية فى نفوس الجنود، فقد كانوا يبادلونه الحب والاحترام ، ويحسون فيه ما أحسوه فى أنفسهم من التمسك الشديد بالتقاليد المقدونية وراء العادات الجديدة التى طغت على الاسكندر وبعض رفاقه فى أثناء الفتوحات الاسيوية . حقا لقد كان بطلميوس وفيا ومطيعا لمليكه الى أقصى حدود الوفاء والطاعة ، لكنه لم يذعن على الاطلاق الى الدافع الذى استهوى الاسكندر نحو الشرقيين . واذا كان بطلميوس قد صدع للأمر الملكى وتزوج ازتاقاما (٣) (Artacama) ابنة الوالى الفارسى ارتاباتزوس (Artabazus) عندما تزوج الاسكندر نفسه فى ربيع ٣٢٤ من بارسينى ابنة دارا الثالث ، وأمر ثمانين من رفاقه باتخاذ زوجات فارسيات ، وأقام حفلا عاما لكل المقدونيين والاغريق الذين كانوا قد اتخذوا زوجات شرقيات وقدم لهم هدايا

---

(1) Jouguet, Nat. Eg., pp. 7-8.

(2) Cf. Arrian. I, 2, 7, 8; III, 18, 9; 27, 5; 29-30; IV, 16, 1; 21, 4; 23-25; 29-30; Bouché-Leclercq, I, pp. 3-6; Jouguet, op. cit., pp. 9-10.

(٣) وذلك وفقا لرواية اريانوس (VII, 4,6) التى يقبلها الباحثون المحدثون ويعتبرونها تصحيحا لرواية بلوتارخ (Plut., Eumen., 1) حيث ورد ان اسم هذه السيدة اباما .

مناسبة ، وكان عددهم يبلغ ١٠,٠٠٠ وفقا لرواية أريانوس و ٩٠٠٠ وفقا لرواية بلوتارخ (١) — فلا شك فى أن بطلميوس لم يستبق زوجه الشرقية بعد وفاة الاسكندر . وقد كان اسراف الاسكندر فى القصف واللهو غريبا عن طباع بطلميوس ، الذى حاول دون جدوى تفادى وقوع حادث محزن ليلة شرب الاسكندر حتى ثمل هو وبعض الرفاق ثم نشب خلاف بينه وبين صديقه الحميم قلايتوس (Cleitos) . وقد أفلح بطلميوس أول الأمر فى اخراج قلايتوس من القاعة لكن هذا التعس ، وقد تملكه الغضب ولعبت الخمر بلبه ، عاد اليها ثانية يتحدى الاسكندر ، فطعنه الاسكندر طعنة نجلاء (٢) .

ويبدو لنا جانب آخر من صفات بطلميوس فى مذكراته ، ويحتمل أنه كتبها فى شيخوخته . وتتجاوب أصداء هذه المذكرات فيما كتبه أريانوس (Arrianos) فى القرن الثانى للمسيح . ويحدثنا هذا المؤرخ بأنه اختار بطلميوس مرجعا له كما اختار اريستوبولوس (Aristobulos) أيضا ، لأن كليهما رافق الاسكندر ، ولأن بطلميوس بوصفه ملكا كان يشينه الكذب أكثر مما يشين أى رجل آخر (٣) . ويبدو لنا أن بطلميوس كان فيما كتبه رجلا عسكريا قبل كل شيء ، شغله الشاغل هو عرض تفاصيل مستفيضة للأعمال الحربية والمعارك ، وشرح الدور الذى لعبه الضباط والجنود . ويمتاز بطلميوس فيما كتبه بميله الى الملاحظات الواقعية ، وبرغبته فى القضاء على القصص وفى ايفاء كل ذى حق حقه وفى اظهار الاسكندر كما كان فى ثوبه الحقيقى . واذا كان كتاب أريانوس أبعد من أن يعطينا صورة شاملة عن بطلميوس ، فان أعمال هذا العاهل تتكشف عن عبقرية سياسية ذات دهاء وصبر وحزم . ويشيد أريانوس برقته ، لكنه يجب ألا نستخلص من ذلك أنه كان يعجز عن أن يأمر باتخاذ اجراءات قاسية بل دموية .

ولما كانت تلذ لبطلميوس صحبة العلماء والأدباء ، وكان قد فطن الى أنه بقدر ما كانت القوة ضرورية للذود عن حياض دولته كانت رعاية

(1) Arrian., VII, 4-8; Plut., Alex., 70, 2.
(2) Arrian., IV, 8, 9; Jouguet, op. cit., p. 9; C.A.H. VI, pp. 417, 424.
(3) Arrian., I, Prooimion.

العلم والفن أنجع وسيلة تكسبه وسلالته المجد والخلود ، فانه أخذ يدعو الى الاسكندرية الكثيرين من شعراء الاغـريق وأدبائهم وفلاسـفتهم وفنانيهم . وكان فى طليعة ضيوفه دمتريوس الفليرى (١) ، ويحتمل أنه هو الذى أوحى الى بطلميوس بانشاء دار العلم والمكتبة (٢) .

وكانت تلذ له أيضا مخالطة النساء ، فقد كانت له حظيـات كثيرات لعل أشهرهن كانت سيدة أثينية تدعى تاييس (Thais) (٣) . وحوالى عام ٣٢٢ عقد بطلميوس مصاهرة سياسية مع القائد الكبير أنتيباتروس بزواجه من يوروديقى (Eurydike) ، ابنة هـذا القـائد ، وأنجبت هذه السيدة لبطلميوس ابنتين وابنين على الأقل ، ويرجح أن أكبر هذين الابنين هو الذى لقب فيما بعد باسم قراونوس (Keraunos = الصاعقة) . وحوالى عام ٣١٦ تزوج بطلميوس للمرة الثالثـة وانما بدافع الحب من برنيقى (Berenike)) ، وكانت سيدة مقدونية أتت الى مصر فى حاشية يوروديقى وسبق لها أن تزوجت وأنجبت من زوجها الأول ثلاثة أولاد . وقـد أنجبت برنيقى من بطلميوس طفلين ، هما أرسينوى وبطلميوس ، الذى أصبح فيما بعد بطلميوس الثانى . ويحتمل أن فيلوترا (Philotera) كانت أيضا ابنة برنيقى من بطلميوس الأول . ولم تكن لبطلميوس الأول ، قبل زواجه الثالث ، زوجات شرعيات فى مصر عدا يوروديقى . ولا تحدثنا

---

(١) كان دمتريوس كاتبا وسياسيا أثينيا ، اقامه قاساندروس حاكما على اثينا فى عام ٣١٧ ، وظل فى منصبه الى ان استولى على اثينا دمتريوس محاصر المدن (٣٠٧)، ففر الى بويوتيا ومنها الى مصر حيث اكرمه بطلميوس الأول .

(2) Jouguet, Nat. Eg., pp. 8-11; Bevan, pp. 20-2; Tarn, p. 236; C.A.H. VII, p. 251; Sarton, Hist. of Science, Hellenistic Science and Culture, 1959, p. 32.

(٣) تواتر قديما (Athen., XII, 576 de) ان بطلميوس تزوج من هذه السيدة وانجب منها ابنا واحدا على الأقل يدعى ليونتيسقوس وابنة تدعى ايرينى وتزوجت يونوستوس ملك سولى بجزيرة قبرص .

(٤) يعتبر البعض برنيقى اختا غير شقيقة لبطلميوس الأول ، راجع :
Oxford Class. Ditc. 1950, Berenice (1) ; Berve, Alexanderreich, auf Prosp. Grundlag, Muenchen, 1916, Vol. 2, S. V., Berenike, p.. 105
لكن البعض الآخر يتشكك بحق فى صحة ذلك ويرد اختراع هذه الصـلة الى الرغبة فى اثبات ان مؤسس اسرة البطالمة هو مبتدع عادة زواج الاخوة من أخواتهم فى أسرة البطالمة ، تلك العادة التى نعرف عن يقين ان بطلميوس الثانى كان اول من ابتدعها ثم اقتفى اثره الكثيرون من سلالته (راجع بوشيه — لكلرك ج ١ ، ص ٤) .

المصادر القديمة هل طلق بطلميوس يوروديقى قبل زواجه من برنيقى ، أم أنه استبقاها بعد هذا الزواج ، على أننا نعرف أنه باستثناء بطلميوس الثامن يورجتيس الثانى ، لم يكن لأحد من خلفائه أكثر من زوجة شرعية واحدة فى وقت واحد ، وفقا للعادة المتبعة بين الاغريق • بيد أن تعدد الزوجات كان شائعا فيما يبدو بين ملوك مقدونيا قبل عصر الاسكندر ، بل انه كان لاثنين من ملوكها فى العصر الهيلنيسى ، وهما دمتريوس الأول وبوروس (Pyrrhos) أكثر من زوجة واحدة فى وقت واحد • فهل احترم بطلميوس العرف السائد بين الاغريق أم أن نعرته المقدونية دفعته الى مسايرة ملوك مقدونيا ؟ هذا ما لا نستطيع الفصل فيه على ضوء ما لدينا من المعلومات • والشواهد التى يستخلص منها أن بطلميوس الأول عندما حط رحاله فى مصر تزوج سيدة مصرية من سلالة نقتانبو لا تبرر مثل هذا الزعم • ولو صح ذلك لكان معناه أن بطلميوس اقتفى أثر فراعنة مصر القدماء الذين أسسوا أسرا جديدة بالزواج من سيدة وطنية يتصل أصلها بملوك البلاد الأصليين ، وذلك ليصبغ حكمه بصبغة شرعية فى نظر المصريين ، لكن الراجح أنه لم يفعل ذلك بل أنه لم تكن له حظية مصرية ، فقد سلف القول أن تاييس كانت أثينية ولم تكن مصرية (١) •

مصر محط آمال بطلميوس :

ولا يخالج أحدا الشك فى أن مصر كانت محط آمال بطلميوس بن لاجوس ، حتى أنه ليحتمل أنه قد كانت هناك اتفاقية بينه وبين برديقاس تقضى بأن يستخدم هذا نفوذه لتولية بطلميوس على مصر لقاء اعتراف الأخير بمركز الأول (٢) • ولذلك ضحى برديقاس بقليومنيس النقراطيسى بالرغم من أنه كان صديقه الوفى ، واضطر قليومنيس الى أن يقنع بالمكان الثانى فى مصر بوصفه مساعدا (hyparchos) (٣) لبطلميوس • ويمكننا أن نلمس اهتمام بطلميوس بمصر فيما ضمنه مذكراته من التفاصيل الدقيقة عن حملة الاسكندر على مصر وعن رحلته الى واحة آمون • ولعل شغف بطلميوس بمصر يرجع الى ثاقب فكره وحسن تقديره للموقف ،

(1) Bouché-Lecl. I, pp. 26—7. Bevan, pp. 52—3. Cf. Cary, p. 2 50.
(2) Tarn, J.H.S. XLI, 1921, p. 5.
(3) Arrian, Success Alex. 1, 5; Justin. XIII, 4, 11.

فقد تنبأ بالحروب المقبلة بين قواد الاسكندر ، تلك الحروب التى كانت لابد من أن تتهدد سلامة ولايات الامبراطورية القريبة من ميادينها ، فى حين أن مصر لم تكن بعيدة عن هذه الميادين فحسب وبذلك تأمن شرها ، بل بعيدة كذلك عن بابل ومقدونيا ، وهما الاقليمان اللذان كانا يمكن أن يصبح أحدهما مقرا للامبراطورية المقدونية ، وبذلك يضمن بطلميوس استقلاله بولايته • واذا أضفنا الى ذلك غنى مصر بماضيها التالد وثروتها الحاضرة ، فاننا نعرف لماذا أدرك بطلميوس بفطنته وبعد نظره أن بلاد الفراعنة كانت خير جزء فى الامبراطورية المقدونية يصلح لأن يشيد فيه صرح مملكة يحمل صولجانها أحفاده على تعاقب الأجيال •

ان ذلك كله يلقى ضوءا واضحا جليا على صفات مؤسس أسرة البطالمة ، لكننا مع الأسف لا نعرف عن بطلميوس مقدار ما نعرفه عن باقى قواد الاسكندر ، وهذه خسارة فادحة تعتور معرفة هذه الفترة التى تمخضت عن حوادث جسام ، ففيها كان للشخصيات القوية أثر أى أثر فى تكييف مجرى التاريخ •

اعدام قليومنيس :

ولا شك فى أن تعيين قليومنيس النقراطيسي مساعداً لبطلميوس فى مصر لم يشبع أطماعه ، فقد كان صاحب الأمر والنهي فى مصر منذ أواخر أيام الاسكندر ، ولذلك كان طبيعيا ألا يقنع بمنصبه وأن يتوقع الجميع اصطدامه مع بطلميوس • ومن ناحية أخرى لم يطمئن بطلميوس الى وجود هذا المساعد الخطير الى جانبه ، ولا سيما أنه كان صديقا لبرديقاس (١) • ولعل بطلميوس قد أحس أن برديقاس أراد بتعيين قليومنيس على هذا النحو أن يكون رقيبا عليه • ولما كانت أعز أمانى بطلميوس أن يحقق استقلاله ، فان أول ما أقدم عليه عندما وفد على مصر فى أواخر عام ٣٢٣ ق٠م٠ (فى شهر أكتوبر أو نوفمبر) هو التخلص من قليومنيس عميل برديقاس • ذلك أن بطلميوس أصغى منشرحا الى شكاوى المصريين من سوء تصرفات قليومنيس وأمر باعدامه ، وصادر أمواله التى ابتزها من البلاد • وقد أنفق بطلميوس هذه الأموال فى ابتياع خدمات عدد من الجنود المرتزقة • وسرعان ما التف حوله ضباط أكفاء مخلصون ، لأن

(1) Paus., I, 6, 8.

وداعته اجتذبت حوله عددا كبيرا من الأصدقاء (١) • وعندما قوى بطلميوس نفسه على هذا النحو كان فى وسعه أن يرقب الحوادث ليتحين الفرص المناسبة لتحقيق سياسته •

فتح قورينايئة :

وقد خدمت بطلميوس الظروف التى يبدو أنها كثيرا ما تخدم الذين يبتسم لهم الحظ • ذلك أنه لم يشترك فى الحرب اللامية (٣٢٣ — ٣٢٢) التى تركت فى نفوس الاغريق آلاما مريرة ، ومن ثم فان هزيمة الاغريق فى هذه الحرب وقسوة انتيباتروس دفعتا عددا كبيرا من الاغريق الى الهجرة الى مصر ليعيشوا فى كنف بطلميوس « الوديع » ، الذى وضعت الظروف على هذا النحو فى قبضته قوات كبيرة كان فى أشد الحاجة اليها (٢) • ومن ناحية أخرى واتت بطلميوس فرصة فريدة فى أواخر عام ٣٢٣ عندما اندلع لهيب الثورة فى قوريني (Cyrene)، وكانت هذه المدينة وجاراتها برقة (المرج) وطوخيرة (طوكرة) ويوسبريدس (٣) (بنغازى) ، أى المدن الاغريقية فى قورينايئة (Cyrenaica) ، قد أصبح شأنها منذ سقوط أسرة باتوس حوالى عام ٤٤٠ شأن مدن بلاد الاغريق فريسة للتطاحن الحزبى ، ونهبا للصراع بين بعضها بعضا • وفى صدر الثلث الأخير من القرن الرابع جذبت هذه الاضطرابات الى قورينايئة الكثيرين ممن يبحثون وراء المخاطر مثل ثيبرون (Thibron) الاسبرطى الذى نجح فى اخضاع قوريني والفوز بمحالفة المدن الأخرى • وحين بدا له أن الأمور كانت سائرة على نحو ما يشتهى تغير الموقف فجأة نتيجة لخلافه مع قائده الكريتى مناسيقلس (Mnasicles) • ذلك أن هذا الكريتى المغامر شجع قورينى على الخروج على ثيبرون الذى لم يلبث أن تحرج مركزه تحرجا شديدا الى أن استحضر من بلاد الاغريق امدادات من المرتزقة ، فحاصر

---

(1) Diod, XVII, 14, 1.

(2) Bouché-Leclercq, I, pp. 15-16.

(٣) فى رأينا انه بعد استيلاء بطلميوس الأول على قورينايئة أصبح عدد مدنها خمسا وهى : قورينى (شحات) ، أبولونيا (مرسى سوسة) ، بطولميس (التى خلفت مدينة برقة بعد ان كانت ميناءها وتعرف اليوم باسم طولميثة) ، ارسينوى (أصلا طوخيرة ووردت فى معجم ياقوت باسم دوشيره واليوم طوكره) وبرنيقى (وهى التى خلفت يوسبريدس واسمها اليوم بنغازى) • انظر ابراهيم نصحى : انشاء قورينى وشقيقاتها •

قورينى حصارا شـــديدا • وعنـــدما ساءت الحالة فى المدينة بسبب قلة الطعام ثار العامة وطردوا الأغنياء منها ، فلجأ بعض الأغنياء المنفيين الى ثيبرون ، ولجأ البعض الآخر الى مصر يستنجدون ببطلميوس ، وبادر والى مصر بارسال رفيقه أوفلاس (Ophellas) الأولونثى على رأس قوة برية وبحرية الى قورينائة •

وازاء هذا الخطر تآلف ثيبرون ومناسيقليس ، لكن أوفلاس هزمهما وألقى القبض على ثيبرون وصلبه ، واستولى على كل مدن قورينائة • وعندئذ جاء بطلميوس بنفسه الى قورينائة فى أواخر عام ٣٢٢ وأقـــام أوفلاس حاكما عليها (١) • وتوجد اليوم فى متحف شحات (قديما قورينى) لوحة من الرخام كشفت عنها حفائر البعثة الايطالية بين أطلال قورينى • وقد نقشت على هذه اللوحة نصوص دستور يتألف من خمس عشرة مادة (٢) • ولسوء الحظ أن معالم الجزء الأخير من هذا الدستور غير واضحة ، وأسوأ من ذلك ضياع ديباجة الدستور مما أفضى الى اختلاف الباحثين فى الرأى حول مسألتين رئيسيتين ، واحدهما هى : من كان الملك البطلمى الذى أصدر أو أقر هذا الدستور • والمسألة الثانية هى : هل كان هذا الدستور لمدينة قورينى فقط أم أنه كان دستورا لقورينائة كلها (٣) • وستأتى مناقشة هاتين المسألتين عند عرض هذا الدســـتور ومناقشته فى سياق الحديث عن نظم الحكم فى المدن الاغريقية فى ممتلكات البطالمة الخارجية • وحسبنا الآن القول بأن القرائن توحى بأن بطلميوس الأول هو الذى أصدر هذا الدستور لمدينة قورينى حين كان لا يزال واليا ، أى قبل أن يتخذ لقب ملك فى عام ٣٠٥ •

وقد كان لاستيلاء حاكم مقدونى على قورينائة بمدنها الاغريقية التى تمتعت بالحكم الجمهورى زهاء قرن من الزمان وكانت من بينها جمهورية ذائعة الصيت مثل قورينى، أثر بعيد المدى فى العالم الاغريقى • ومع ذلك يبدو أنه لم يكن فيما أقدم عليه بطلميوس أى اعتداء على قرارات مؤتمر بابل ، فقد كان اسناد حكم مصر اليه يتضمن حكم ليبيا (أو بعبارة أدق

(1) Diod., XVIII, 19-21 ; Bouché-Lecl. I, pp. 16-17.
(2) S.E.G., IX, 1.
(3) Cf. Cary, J.H.S., 1928, pp. 222 ff., ; A.H.M. Jones, The cities of the Eastern Roman Emp., p. 357; Jouguet Mac. Imp., p., p. 345, fn. 1.

قورينائية) وكذلك الأقاليم الشرقية المتاخمة بوصفها جميعا حدود مصر الطبيعية (١) . وكل ما فعله بطلميوس هو أنه أظهر بجلاء لا لبس فيه عزمه على المحافظة على حقوقه كاملة ودعم حدود ولايته الطبيعية . وقد أنجبت قورينى لمصر البطلمية بعض مشاهير الرجال ، مثل قاليماخوس (Callimachos) الشاعر واراتوسثنيس (Eratoshenes) الجغرافى، وعددا غير قليل من الجنود (٢) .

برديقاس يثير مخاوف الولاة :

وليس من شك فى أن اتساع نفوذ بطلميوس لم يرض برديقاس ، اذ أن ذلك كان شاهدا قويا على أن بطلميوس لا ينوى أن يسلس له القياد ، بل يعتزم أن يختط لنفسه سياسة مستقلة . ولم تكن القطيعة محتومة بين برديقاس وبطلميوس فحسب ، لأن الأطماع الجامحة التى كانت تجيش فى صدر برديقاس أثارت حفيظة الكثيرين ضده ، وتمخضت عنها الحوادث الجسام التى أفضت الى تفكك عرى الامبراطورية المقدونية . وفى الواقع لم يكن يتيسر الاحتفاظ بوحدة تلك الامبراطورية المترامية الأطراف الا بنفوذ ملك قوى ، وأما فى ذلك الوقت فانه لم يمثل الملكية الا شخص مجرح ضعيف العقل وطفل رضيع أنجبته سيدة شرقية . ولذلك كان برديقاس هو صاحب الكلمة العليا فى الامبراطورية ، لكنه كان عليه أن يدخل فى حسابه أطماع أولومبياس أم الاسكندر وكليوباترة أخته وآديا خطيبة فيليب أرهيدايوس ، وكذلك غيرة كبار القواد وميولهم الاستقلالية . وقد كان أكثر منافسى برديقاس خطرا أنتيباتروس وقراتروس ، اللذان لم يعترفا بالمركز الذى اغتصبه لنفسه ، وكذلك ليوناتوس الذى كان يطمع فى عرش مقدونيا ، ولا سيما أن كليوبترة كانت تمنيه بالزواج منها ، لكن الحرب اللامية خلصت برديقاس مؤقتا من هذه التهديدات لأنها شلت حركة انتيباتروس وقراتروس وأودت بحياة ليوناتوس . وقد استغل برديقاس فرصة حرية العمل التى أتاحتها له الحرب اللامية ليتم فتح آسيا الصغرى ، اذ أنه أخضع أرمينيا وبيسيديا واساوريا وقابادوقيا (٣) .

---

(1) Jouguet, Mac. Imp., p. 126.

(2) Bevan, p. 22.

(3) Jouguet, Nat. Eg., pp. 11-12.

حقا ان برديقاس أحرز انتصارات باهرة ، الا أن عصيان بعض الولاة كان واضحا للعيان ، فانه عندما أسند هذه المهمة الى ليوناتوس وأنتيجونوس آثر الأول الذهاب لنجدة أنتيباتروس ورفض الثانى تنفيذ ما صدر اليه من أوامر •

تكوين حلف ضد برديقاس :

وقد قوت انتصارات برديقاس مركزه الى حد أن جيشه أقامه وصيا على الملكين ، أو بعبارة أصح اعترف الجيش بالمركز الذى ادعاه برديقاس لنفسه منذ مؤتمر بابل • وكان من شأن ذلك اثارة قلق أنتيباتروس ، مما حدا ببرديقاس الى تهدئة روعه بالزواج من ابنته نيقايا (Nicaea) فى صيف عام ٣٢٢ • ولا جدال فى أن هذه المصاهرة أقضت مضاجع أولومبياس بما أضفته على مركز خصمها أنتيباتروس من القوة فصممت على حرمانه ذلك بأن عرضت على برديقاس الزواج من ابنتها كليوبترة • وبعد شىء من التردد طلق برديقاس نيقايا وأخذ يتودد الى كليوبترة للفوز بيدها ، لكنه لم يفز الا باغضاب أنتيباتروس وتغذية الشائعة القائلة بأنه يتطلع الى اغتصاب العرش (١) • واذا كان من العسير تبرأة برديقاس من هذه الأطماع ، فانه من العسير كذلك أن نتصور امكان مجازفته بمخاطرة اغتصاب العرش عندئذ لأنها كانت ستثير عليه حتما كل الجيوش المقدونية ، فقد كانت لا تزال تظهر أشد الولاء لأسرة الاسكندر — وسنرى الآن دليلا قويا على ذلك — ولأنه لم يكن هناك داع يبرر التعجل فى الاقدام على هذه الخطوة ، اذ أن وصيا على العرش يقوم على رأس الجيش كان ملكا فى كل شىء ما عدا اللقب •

وبعد ذلك بقليل برحت قينانى مقدونيا لتزوج ابنتها آديا من فيليب ، وقد عجز برديقاس عن منعهما بالقوة من الوصول الى آسيا الا أنه دبر مقتل قينانى ، لكن الجيش أرغمه على الموافقة على زواج فيليب من آديا التى اتخذت منذ ذلك الوقت اسم يوروديقى • ومع أنها كانت فى الرابعة عشرة من عمرها ، الا أنها كانت مصممة على ألا تدع أحدا يغتصب حقوق التاج • وعلى الرغم من هذا الفشل الذى منى به برديقاس ، أو

---

(1) Cary, Greek World, p. 12.

لعل هذا الفشل حدا به الى أن يثبت للولاة أنه صاحب الأمر والنهى فى الامبراطورية ، فأعدم ملياجروس وطلب الى أنتيجونوس أن يقدم تفسيرا شافيا عن عدم اطاعة أوامره عندما طلب اليه المساهمة فى فتح قابادوقيا . لكن أنتيجونوس بدلا من ذلك فر هاربا الى أنتيباتروس وقراتروس ينشد مساعدتهما ، واتهم برديقاس بقتل قينانى وبالتطلع الى العرش وبعزمه على طرد أنتيباتروس من مقدونيا (١) . ولما كان أنتيباتروس قد نصب نفسه نصيرا للملكين ، وكان قراتروس يشعر بأن برديقاس قد سلبه منصبه ، فانهما أخذا يستعدان لمهاجمة برديقاس فى آسيا وطلبا الى بطلميوس الانضمام اليهما (٢) . وتوكيدا للتحالف بين أنتيباتروس وقراتروس وبطلميوس زوج أنتيباتروس لحليفه الأول ابنته فيلا (Phila) وللثانى ابنته يوروديقى ، وفى مقابل وقوف لوسيماخوس على الحياد أعطاه يد ابنته نيقايا (٣) .

وقد كان بطلميوس يتتبع من منف سير هذه الحوادث التى لم تكن لتحزنه ولا لتدهشه ، فانه يوم اختار مصر ولاية له كان يتوقع أن الانقسامات سوف تدب بين أفراد الأسرة المالكة ، وأن أطماع الولاة سوف تؤدى الى حروب شعواء ، وأن وحدة الامبراطورية لن تعنى فى الغالب الا أولئك الذين يأملون فى الافادة من ورائها . وقد أبدى بطلميوس شعورا صادقا بالمستقبل ، عندما أفلح فى الفوز بأكثر الولايات بعدا عن مقر الامبراطورية وعن ميادين هذه الحروب . وكان بطلميوس مرتاحا كل الارتياح لتفكيك عرى الامبراطورية ، بل انه أسهم فى ذلك مساهمة فعالة . فقد قام بدور رئيسى فى مؤتمر بابل الذى تقررت فيه تلك السياسة التى كانت لابد من أن تفضى الى فصم عرى الامبراطورية كنتيجة طبيعية لتقسيم الملك بين جنين روكسانا وفيليب أرهيدايوس وتقسيم السلطة المركزية بين برديقاس وقراتروس . وبعد ذلك المؤتمر ولى وجهه شطر مصر وهو موطد العزم على أن يستقل تدريجا بولايته فى خلال انحلال الامبراطورية وهو ما لم يكن منه مفر . وقد كانت هذه

---

(1) Cf. Diod., XVIII, 14.
(2) C.A.H. VI, pp. 466-8.
(3) Cary, p. 13.

الأمنية هى الخطوة الأولى التى لا تقبل تغييرا ولا تبديلا فى سياسته ، ولذلك فانه لم يتوان فى محـالفة أنتيباتروس وقراتروس وأنتيجونوس للقضاء على برديقاس ، وقـد أصبحت تتمثل فيه سـلطة الامبراطورية ووحدتها •

نقل رفات الاسكندر الى مصر :

وقد انتهز بطلميوس فرصة انهماك برديقاس فى مشاغله بآسيا ليخطو احدى الخطوات التى رأى فيها دعامة قوية لتوطيد مركزه وهى الفـوز برفات الاسكندر • ولا يبعد أن الاسكندر كان يريد أن يدفن فى سيوة على مقربة من أبيه آمون ، لكنه يبين أن مؤتمر بابل قرر دفنه فى ايجى (Aegae) (١) حيث كانت توجد مقبرة الملوك المقدونيين ، لأن دفن الاسكندر فى مقدونيا كان يحقق رغبات الجيش المقدونى (٢) ويتمشى مع أطماع برديقاس ، وكان يرنو ببصره الى الفوز بالعرش (٣) •

وعلى كل حال فان الحقيقة الثابتة هى أن مؤتمر بابل عهد الى ضابط مقدونى يدعى أرهيدايوس (٤) باعداد عربة فاخرة (٥) وجنازة لم يسبق لها مثيل لتشييع جثمان الفاتح المقدونى العظيم • وقد أدرك بطلميوس المجد الذى يعود على ولايته من دفن الاسـكندر فيهـا كما فطن الى نوايا برديقاس ، ولذلك فانه لم يدع الفرصة تفلت منه ، فروج بين الناس أن الاسكندر أوصى بدفنه فى واحة سيوة ، واتفق سرا مع أرهيدايوس على تحقيق أمنيته • ويمكن تقدير قيمة فوز بطلميوس برفات الاسكندر متى عرفنا أن يومنيس كان يرى فى احتفاظه بخوان الفاتح الكبير دعامة قوية لدعم مركزه (٦) • ولا شك فى أن وجود جثمان الاسكندر فى عاصمة

(1) Paus. I, 6, 3; Arrian., F. Gr. H. 156, 9, 25; Strabo, XVII, 1, 8; Cf. Diod. XVIII, 3, 5.
(يفهم من رواية ديودوروس انه تقرر فى بابل دفن الاسكندر فى سيوة وهذا غير مقبول ويبدو أن هذه الرواية وليدة الدعاية التى روجها بطلميوس تمهيدا او تبريرا لاستيلائه على الجثمان) •

(2) C.A.H. VI, p. 467.

(3) Jouguet, Mac. Imp., p. 130.

(4) Ditenberger, O.G.I.S., I, p. 12; Justin., XIII, 4, 6.

(٥) عن وصف العربة راجع :
Diod. XVII, 26-8; Kurt F. Mueller, Der Leichenwagen Alex. d. Grossen, Leipzig, 1905.

(6) Bell, p. 33.

مصر كان يضفى على هذه العاصمة أهمية خاصة تكاد تجعل منها عاصمة للعالم . وتحدثنا المصادر القديمة بأنه فى أواخر عام ٣٢٢ نقل جثمان الاسكندر من بابل الى دمشق ، وهناك استقبله بطلميوس على رأس حامية قوية ونقله الى مصر ، حيث دفنه أولا فى منف ثم نقله بعد بضع سنين الى الاسكندرية (١) .

ونحن نعتقد أن دفن الاسكندر فى منف لم يكن الا اجراء مؤقتا ، وان كنا لا نعتقد أن الدافع الى ذلك كان الانتظار حتى يتم تشييد المقبرة اللائقة بالاسكندر ، اذ أنه لو صح ذلك ولم يوجد أى سبب آخر لدفن الاسكندر من أول الأمر فى مقبرة مؤقتة فى الاسكندرية . ويظهر لنا أن الدافع الى دفن الاسكندر فى منف أولا ثم نقله الى الاسكندرية بعد ذلك هو أن منف كانت عندئذ عاصمة بطلميوس ، لكنها كانت عاصمة مؤقتة ، لأن الاسكندرية كانت دون شك أوفق عاصمة للعهد الجديد ، غير أن بطلميوس كان يرى عندئذ أنه من الحكمة ارجاء اتخاذ هذه الخطوة الى أن يؤمن مركزه فى ولايته . وما كاد بطلميوس يطمئن الى ذلك حتى نقل عاصمته وكذلك جثمان الاسكندر الى تلك المدينة الاغريقية . وفى سياق الحديث عن انشاء هذه المدينة ونظمها (٢) سنناقش التاريخ الذى نقل فيه بطلميوس عاصمته اليها . ومن الجلى أن اعدام قليومنيس ودفن الاسكندر فى مصر يدلان على رغبة بطلميوس فى الاستقلال بحكم مصر ويتمشيان مع ما ظهر من خلفه وسلوكه منذ اجتماع مؤتمر بابل .

الحرب بين برديقاس والحلفاء :

ولقد أغضب بطلميوس برديقاس قبل ذلك مرتين عندما أعدم قليومنيس وضم قورينائية ، لكنه لم يتحد برديقاس على النحو الذى تحداه به الآن ، فلم يكن أمام برديقاس الا أن يعتزل منصبه أو يقبل هذا

(١) راجع قورتيوس (X, 10, 20) . ويحدثنا باوسانياس بأن بطلميوس الأول دفن الجثمان فى منف (I, 6, 3) وبأن بطلميوس الثانى نقله فيما بعد الى الاسكندرية (I, 7, 1) . ويروى ديودوروس (XVIII, 23) واسترابون (XVII, 8) أن بطلميوس الأول نقل الجثمان الى مصر ودفنه فى الاسكندرية دون الاشارة الى سابق دفنه فى منف وهو ما تؤكده بقايا تقويم باروس (Marmor Parium), Athen. Mitt., XXI, 1897, p. 187.

(٢) انظر الجزء الثانى — الفصل العاشر .

التحدى • ولما كان لبطلميوس حلفاء يستعدون لمنازلة برديقاس ، فقد واجه الأخير حربا عنيفة فى جبهتين ، بدأت فى ربيع عام ٣٢١ ، وكانت بداية الصراع العنيف الذى دام أربعين عاما ، واشتبكت فيـه كافة قوى الامبراطورية • وقد كان أغلب الفرسان الذين خاضوا غمـار الحرب فى آسيا من الأسيويين ، وأما المشاة المرتزقة فقد كانوا من مختلف الجنسيات الآسيوية والأوروبية وبخاصة من الاغريق ، وكانوا ينتقلون بسهولة غريبة من جانب الى آخر ، لكن كل قائد كان يحاول الاحتفاظ تحت امرته بقوة أساسية من المشاة المقدونيين • ولما كان هذا الصراع كريها للفرق المقدونية، فانهم كثيرا ما كانوا يهجرون الجانب الخاسر الى الجانب الآخر أملا فى وضع حد للقتال •

وقد كان يشد أزر برديقاس ، الذى قضى شتاء عام ٣٢٢ فى الاستعداد للحرب ، شقيقه القتاس (Alcetas) ويومنيس والى قابادوقيا وأولومبياس أم الاسكندر وكليوبترة أخته • وقد عقد برديقاس محالفة مع الايتولين أعداء أنتيباتروس ، وعزل فيلوتاس والى قيليقيا ــ وكان صديق قراتروس ــ كما عزل أرخون والى بابل لأنه لم يكن راضيا عنه (١) •

وقد كانت خطة برديقاس تنطوى على أن يهاجم بنفسه بطلميوس ، اذ أنه كان أقوى خصومه وأشد أعداء وحدة الامبراطورية مراسا • ولذلك أعد العدة لمهاجمة مصر ، بينما وقف موقف الدفاع من أنتيباتروس ووكل أمر ذلك الى يومنيس (٢) ، وأرسل جانبا من أسطوله الى قبرص ، حيث قدم أنتيجونوس على رأس جانب من أسطول أنتيباتروس لينضم الى أمراء بعض مدن هذه الجزيرة وكانوا حلفاء بطلميوس • وعنـدما عبر أنتيباتروس وقراتروس الهلسبونت (الدردنيل) كان قد تجمـع لدى يومنيس قوة كبيرة ، قوامها ٢٠,٠٠٠ راجل من مختلف الجنسيات و ٥٠٠٠ فارس من قابادوقيا • وقد صمم أنتيباتروس على أن يقسم قواته فريقين ، فيزحف جنوبا على رأس ١٠,٠٠٠ جندى لمساعدة بطلميوس ، ويترك مع قراتروس ٢٠,٠٠٠ راجل و ٢٨٠٠ فارس للقضاء على يومنيس • لكن

(١) اقام برديقاس : فيلوكسينوس مكان فيلوتاس ، ودوقيموس مكان ارخون •

(2) Diod., XVIII, 25, 6.

فرسان الأخير انتصروا فى أول اشتباك بين الفريقين وخر قراتروس صريعا ، فدخل يومنيس فى مفاوضة مع مشاة خصمه وحصل على استسلامهم ، لكنهم هربوا فى أثناء الليل وانضموا الى أنتيباتروس (١) • ولم يعد على على يومنيس من انتصاره الا شهرة واسعة وصدور قرار باعدامه ، وذلك نتيجة لما حدث فى الميدان الآخر •

وفى تلك الأثناء كان برديقاس ، وفى صحبته الملكان وبقية أسطوله بقيادة أتالوس (Attalos) ، قد غزا مصر ، حيث كان بطلميوس مستعدا للقائه • وقد أخفق برديقاس فى المحاولتين اللتين قام بهما للاستيلاء على بلوزيون ، وفى عبور النيل عند قلعة جنوبى ذلك تدعى حائط الجمل ، وكذلك فى مكان جنوبى بوباسطس ، حيث فقد فى هذه المحاولة الأخيرة الفاشلة أكثر من ألفى رجل وكل ما تبقى له من سيطرة على رجاله ، فقد كان صلفا متكبرا يكرهه ضباطه وجنوده • ولذلك فانهم عندما أحسوا بأنه لم تعد له فرصة للنصر ثاروا عليه وقتلوه فى معسكره ، وكان على رأس الثوار بايثون وسلوقس (Seleucos) • وفى اليوم التالى عرض رجال أنتيباتروس على بطلميوس منصب الوصاية ، لكنه كان أفطن من أن يقبل ذلك المنصب الخطر أو يتطلع اليه ، ولذلك نصح باختيار بايثون من الجانب الآخر وأرهيدايوس من جانبه ، للاضطلاع بهذا المنصب مؤقتا الى أن يجتمعوا بأنتيباتروس • وفى اليوم التالى وصلت أنباء انتصار يومنيس التى لو أنها وصلت قبل ذلك بيومين لأنقذت حياة برديقاس • وأما عندئذ فانه لم تكن لها نتيجة الا أن الجيش قرر اعدام يومنيس والقتاس • وازاء تطور الحوادث على هذا النحو انسحب أتالوس بالأسطول الى صور (٢) •

مؤتمر تريباراديسوس :

وبعد ذلك قاد الوصيان الجيش والملكين الى مكان فى سوريا على نهر العاصى يدعى تريباراديسوس (Triparadeisos) يظن أنه بالقرب من ريبله (Ribleh) حيث اجتمع القواد لاعادة تقسيم ولايات الامبراطورية • لكن

(1) Diod., XVIII, 29-32.
(2) Diod., XVIII, 33-37.

الأمور لم تسر فى رفق وهوادة نتيجة لتدابير يوروديقى ، وكانت تهدف الى الغاء الوصاية ووضع السلطة الفعلية فى قبضة زوجها المعتوه ، أو بعبارة أصح فى قبضتها • غير أنها لم تفلح فى محاولاتها ومرت العاصفة بسلام وتقرر اختيار أنتيباتروس وصيا عاما على الامبراطورية (epimeletes autocrator) وهكذا انتقل مركز الامبراطورية من آسيا الى مقدونيا ، حيث ذهب أنتيباتروس وفى صحبته الملكان • وقد تقرر كذلك الاعتراف بمركز بطلميوس فى مصر وتعيين ولاة جدد مكان أصدقاء برديقاس ، وتناولت هذه التغييرات عددا كبيرا من ولايات آسيا الصغرى والولايات الشرقية (١)• وقد كان من أهم قرارات هذا المؤتمر التى كانت لها نتائج بعيدة المدى تعيين سلوقس واليا على بابل ، والاحتفاظ لأنتيجونوس بولايته أو بولاياته فى آسيا ، مع تعينه الى جانب ذلك قائدا عاما للجيش الملكى فى آسيا وتكليفه باخضاع يومنيس • ولما كان قد تقرر أيضا نقل كنوز سوسا الى قلعة قويندا (Cyinda) فى قيليقيا ، فانها وضعت على هذا النحو تحت اشراف القائد العام ، وبذلك توافرت له الوسائل ليبنى لنفسه مركزا ممتازا ، بل ليبعث من جديد مشروعات برديقاس (٢) • ولكى يدعم أنتيباتروس صلته بأنتيجونوس زوج ابنته فيلا ، أرملة قراتروس ، الى دمتريوس بن أنتيجونوس •

وعلى كل حال فان وصاية أنتيباتروس لم تدم الا عامين امتازا فى بلاد الاغريق بهزيمة الايتوليين واستعادة تساليا ، وفى آسيا الصغرى بافلاح أنتيجونوس فى القضاء على جيش القتاس وفى أسر أتالوس وفى هزيمة يومنيس فهرب الى نورا (Nora) ، وكانت قلعة منيعة فى قابادوقيا تدعى « وكر النسر » (٣) •

بطلميوس يعمل على دعم استقلاله وتوسيع نطاق ممتلكاته :

وفى هذه الأثناء ، أخذ بطلميوس يعمل على دعم استقلاله الفعلى وتوسيع نطاق ممتلكات ولايته ، التى أصبح يعتبرها منذ انتصاره على

---

(1) Diod., XVIII, 38-39 ; Arrian., ap. Phot. 71.

(2) Bouché-Leclercq I, pp. 21, ff; Cary, pp. 15-16; C. A. H. VI, pp. 467-70; Jouguet, Mac. Imp., pp. 130-33; Rostovzeff, Soc.and Ec., p. 6.

(3) Diod., XVIII, 30, 40-42, 44-58, 69 ; Jouguet, Mac. Imp., p. 133 ; Rostovtzeff, Soc. and Ec., p. 7.

برديقاس غنيمة حرب اكتسبها بحد السيف (dorikteton) (١) ، أى أنه أخذ يعتبرها ملكا خاصا له . ولقد حاول بطلميوس منذ أن أصبح والى مصر عقد أواصر الصداقة مع الجزر الكبرى فى شرق البحر الأبيض المتوسط ولا سيما مع قبرص التى رأينا أن أمراء بعض مدنها كانوا يحالفونه فى أثناء الحرب ضد برديقاس ، والآن جدد محالفته مع حكام سلاميس (Salamis)وسولى وبافوس وأماثوس .

وليس من العسير أن نفسر نشاط بطلميوس فى البحر الأبيض المتوسط لأن مصر أخذت منذ عهد بعيد تتجه باطراد نحو بحر ايجة الذى أضحى تدريجا مركز العالم ، الا أنه قبل عهد الاسكندر الأكبر كانت سياسة فراعنة مصر موجهة قبل كل شيء نحو آسيا وأعالى النيل . وقد كان طبيعيا أن يكافح البطالمة الأوائل أيضا منافسيهم فى آسيا وأن يوطدوا حدودهم الجنوبية ، لكنهم وجهوا جل اهتمامهم الى الفوز بسيادة بحر ايجة حيث ازدهرت الحضارة الهلينية وبلغت ذروة مجدها ، وكانت المدن الاغريقية مصدر جل المبتكرات الخصبية فى حلبة الأفكار والفنون والصناعات ، فى حين أن الحضارات الشرقية القديمة بدت بالمقارنة وكأنها مخلفات عتيقةمن تراث الماضى . فلاعجب أنه فىهذا العصرأصبحت حضارة الناس فى كل الأقاليم المطلة على البحر المتوسط تقاس بمقدار حظهم من الحضارة الاغريقية . وفى القرن الثالث قبل الميلاد كانت بلادالاغريق آهلة بالسكان وتفيض حيوية دافقة ونشاطا جارفا ، وتقطع أوصال هذه البلاد المشاحنات الحزبية العنيفة . ولكى يصلح القواد المقدونيون ، الذين اقتسموا فيما بينهم حكم الشرق ، من شأن دولهم الجديدة كانوا فى حاجة ملحة الى نشاط الاغريق . وكان البطالمة شأنهم شأن غيرهم من ملوك العصر الهلينيسى فى أشد الحاجة الى معونة الاغريق . وقد وصلت الاسكندرية كل أنحاء مصر بالبحر الأبيض المتوسط ، ذلك أنه عن طريق هذا الميناء الجديد ، الذى لم يكن عندئذ لاتساعه نظير ، كان وادى النيل يستقبل من عالم بحر ايجة الأفكار والرجال ورءوس الأموال ، ويبادله منتجات أرضه ومصانعه وكذلك المنتجات التى كانت تصل اليه من أواسط

(1) Diod., XVIII, 39, 43 ; C.A.H. VI, p. 472.

أفريقيا والشرق الأقصى (١) • وجملة القول أن بطلميوس ، منذ أن عين واليا على مصر ، أخذ يعمل حثيثا للفوز بسيادة بحر ايجة •

الاستيلاء على جوف سوريا :

وفى عام ٣١٩ — ٣١٨ (٢) استولى بطلميوس على فينيقيا و « جوف سوريا » (Coele Syria) ، وكان « جوف سوريا » اقليما يشمل فلسطين وجنوب سوريا ويحده شمالا جبل هرمون (جبل الشيخ) وشرقا نهر الأردن وغربا البحر الأبيض المتوسط • غير أنه لما كانت سوريا البطلمية تشمل « جوف سوريا » وفينيقيا ، فاننا سنقتفى أثر أغلب المؤرخين فى التوسع فى استعمال اصطلاح « جوف سوريا » بحيث يشمل كل سوريا البطلمية (٣) • وقد حاول بطليموس أول الأمر أن يشترى جوف سوريا من واليه لاومدون(٤) (Laomedon) ، ولما لم يوفق فى ذلك استولى على هذا الاقليم عنوة (٥) منتهزا فرصة ضعف السلطة المركزية فى الامبراطورية عقب وفاة أنتيباتروس •

وفى خلال هذه الحملة استولى بطلميوس بنفسه بغتة على بيت المقدس ، ويقال أن هذا حدث يوم سبت لأن الديانة اليهودية تحظر على أتباعها حمل السلاح فى هذا اليوم (٦) • وكان تحقيق وحدة مصر وسوريا تقليدا مصريا قديما ، فانه منذ عصر الأسرة الثامنة عشرة كان كل الفراعنة الأقوياء لا يتوانون عن تحقيق هذه الوحدة لدرأ خطر دول آسيا المعادية لهم ، هذا الى أنهم كانوا يجدون هناك ما يفتقر اليه وادى النيل من المعادن والأخشاب اللازمة لبناء السفن • ولا شك فى أن هذه المواد كانت ضرورية لسيادة البطالمة البحرية التى أخذت فى الظهور •

---

(1) Jouguet, Nat. Eg., pp. 15-16.
(2) Marmor Parium, C.I.G., no. 2374; Bevan, p. 24; Cary, p. 17.
(3) Cary, p. 82, fn. 2.
(4) Appian., Syr. 52.
(5) Diod., XVIII, 43 ; Appian., Syr. 52.
(6) Agatharch. ap. Josephus C. Apion., I, 209-212 ; Ant. Jud., XII, 3-6; F.H.G. III, 196.

لكن بوشيه لكرك يعتقد ان استيلاء بطلميوس على بيت المقدس كان فى عام ٣١٢ (حـ ١ ص ٣٣ حاشية رقم ٥) •

وصاية بولوبرخون :

وعندما أشرف أنتيباتروس على الموت ، أوصى الجيش باختيار بولوبرخون (Polyperchon) وصيا على الملكين وقائدا أعلى للجيش وتعيين قاساندروس ، ابن أنتيباتروس ، مساعدا له [١] . وقد كان الوصى الجديد محاربا قديما فى جيش الاسكندر ، لكنه برغم أصله العريق لم يشغل قبل ذلك أى منصب من المناصب الرفيعة ، الا أنه فى عهد وصاية أنتيباتروس هزم الايتوليين وأعاد تساليا الى حظيرة الامبراطورية [٢] . وقد كان محبوبا من الجنود لما اتصف به من البساطة ، وكذلك المرح أحيانا ، فى حين أن قاساندروس (Cassandros) كان متعاليا متغطرسا ، ولذلك لم يعتقد أبوه فى صلاحيته للوصاية . ولا شك فى أن أنتيباتروس ، باختياره للوصاية رجلا كان يدرك تماما أنه أقل مقدرة من سائر الولاة العظام الآخرين ، لم يرم الا الى اختيار شخص أمين له أخلاق قويمة يمكن الاعتماد على وفائه للملكين وتأييدهما تأييدا صادقا . وقد كان نجاح بولوبرخون فى مهمته يتوقف قبل كل شىء على وفاء الجيش له . ولعل أنتيباتروس كان يعتقد أن الجيش سيخلص للوصى الجديد ، لكن الأحداث لم تؤيد ذلك الاعتقاد ، اذ أنه فى وقت طغت فيه الأطماع الشخصية على كل شىء لم يعد يحرك الجيش ولاؤه للبيت المالك ، فلا عجب أن أصبح الجيش ، الذى كان لا يزال أقوى عامل فى سياسة ذلك الوقت ، مستعدا لخدمة أى قائد يثق فيه . وقد أضعف مركز بولوبرخون أن الولاة لم يعترفوا به فقد كانوا يرنون الى تحقيق أطماعهم الخاصة ، وأن قاساندروس الذى كان يطمع فى ذلك المنصب ناصبه العداء ، ولذلك واجهت الامبراطورية أزمة جديدة خطيرة [٣] .

وقد وجد الولاة الطموحون فرصتهم فى المنافسة بين بولوبرخون وقاساندروس ، اذ أن الأخير عندما أخذ يتطلع الى حلفاء له أفلح فى عقد محالفة بينه وبين أعظم الولاة فقد كان بعضهم ، مثل أنتيجونوس ، غير مستعد للاعتراف بأية سلطة مركزية لا يتولاها هو نفسه ، وكان البعض

(1) Diod., XVIII, 48.
(2) C.A.H. VI, p. 472.
(3) Diod., XVIII, 49 ; Rostovtzeff, Soc. and Ec., pp. 7-8.

الآخر ، مثل بطلميوس ، تدفعه شدة حرصه على الاستقلال بولايته الى مناهضة السلطة المركزية فى الامبراطورية ، وكانت تتمثل عندئذ فى بولوبرخون بوصفه وصيا على الملكين . وتبعا لذلك لم يلق قاساندروس صعوبة فى التحالف مع بطليموس وأنتيجونوس ، وكانا قد انتهزا فرصة وفاة أنتيباتروس فضم أولهما جوف سوريا ، واستولى الآخر على فروجيا الواقعة على ضفاف الدردنيل ، وكذلك على لوديا ثم أخذ يبنى لنفسه أسطولا . وبعد ذلك أفلح أنتيجونوس فى ضم لوسيماخوس والى تراقيا الى المحالفة (١) ، وكان يناصرها كذلك فيليب ويوريديقى (٢) .

أما بولوبرخون فانه أراد أن يستغل كراهية أولومبياس لقاساندروس ومكانتها بين الجنود بوصفها أم الاسكندر — وكانت قد لجأت الى أبيروس منذ أن عين أنتيباتروس وصيا — ولذلك استدعاها الى مقدونيا بحجة رعاية طفل روكسانا (٣) . وصمم كذلك على كسب كل بلاد الاغريق الى جانبه ، فأصدر باسم الملكين قرارا بالغاء نظم الحكم الأوليجاركية التى كان أنتيباتروس قد أقامها ، وبأن تسترد المدن الاغريقية الدساتير التى كانت قائمة فيها أيام فيليب الثانى والاسكندر الأكبر ، وبأن يعود المنفيون الى بلادهم (٤) . وبفضل هذا القرار نال بولوبرخون تأييد الأحزاب الديمقراطية وأنزل ضربة قاصمة بالأوليجاركيين ونصيرهم قاساندروس ، وفى الوقت نفسه استمال بولوبرخون الى جانبه يومنيس ، وعينه قائدا عاما فى آسيا وأمده بالمال والجنود (٥) .

مصرع فيليب أرهيدايوس ويوريديقى وأولومبياس :

وهكذا اشتعلت نار الحرب من جديد فى بلاد الاغريق وفى آسيا . وأما فى بلاد الاغريق فان الصراع كان بين قاساندروس وبولوبرخون ، ولم ينته بانتصار الأول فى عام ٣١٦ (٦) الا بعد وقوع ثورات عنيفة وحوادث دامية كان من أبرزها وقوع أثينا فى قبضة قاساندروس الذى أعاد اليها نظام الحكم القديم وأقام عليها دمتريوس الفليرى حاكما بأمره (٧) .

(1) Diod., XVIII, 49-52 ; Jouguet, Mac. Imp., pp. 136-7, 143.
(2) Jouguet, Nat. Eg., p. 17.
(3) Diod., XVIII, 57, 2. (4) Diod., XVIII, 55-6.
(5) Diod., XVIII, 57 ; Cf. Plut., Eumenes, 13, 1-2 ; C.A.H. VI, p. 473 ; Bouché-Leclercq, I, pp. 37-8; Cary, pp. 17-18.
(6) Jouguet, Nat. Eg., p. 17 ; Tarn, p. 7.
(7) Diod., XVIII, 74.,

والقضاء على فيليب آرهيدايوس ويوروديقى وأولومبياس . ذلك أن بولوبرخون — ازاء ضياع أثينا من قبضته وهزيمة أسطوله — فر مع ما تبقى له من قوات الى أبيروس وفى صحبته الاسكندر الرابع وأمه . وهناك كانت أولومبياس ترقب الموقف لتتحين الفرصة المناسبة لغـزو مقدونيا . وقد انتهزت انهماك قاساندروس فى البلوبونيز وقامت بغزو مقدونيا بقوة جمعتها فى أبيروس لتشد أزر قوات بولوبرخون . ولم تكد تدخل مقدونيا حتى أودت بحياة فيليب ويوروديقى وأعملت السيف فى رقاب أنصار قاساندروس (حوالى شهر أكتوبر عام ٣١٧) (١) ، لكنها لم تلبث أن تجرعت الكأس المريرة نفسها عندما وقعت فى ربيع عام ٣١٦ فى قبضةقاساندروس (٢) ، الذى خف الى مقدونيا وسيطر عليها ، وتزوج ثسالونيقى (Thessalonice) ابنة فيليب الثانى ، وأسس على موقع مدينة بوتيدايا (Potidaea) عاصمة جديدة دعاها قاساندريا (Cassandreia) مما يوحى بأنه اعتبرالاسكندر الرابع مخلوعا رسميا.وقدكان قاساندروس يريد قتل الصبى حتى يخلو له الطريق لارتقاء العرش ، لكنه لما كان قد أودى منذ قليل بحياة أولومبياس فانه آثر الاكتفاء عندئذ بتحديد اقامته هو وأمه روكسانا ، ووضعهما تحت حراسة شديدة . وبعدذلك أقامجنازة ملكية لفيليب ويوروديقى فى ايجى (٣) ، ومعنى ذلك أنه ادعى أنه خليفة ملوك مقدونيا القوميين . ولما كان قاساندروس قد أحرز مقدونيا وسيطر على كل بلاد الاغريق تقريبا ، فانه لم يبق فى حـوزة بولوبرخـون الا قورنثة .

مصرع يومنيس ، حذر بطلميوس :

وأما فى آسيا فان الصراع (٣١٨ — ٣١٦) كان عنيفا بين أنتيجونوس ويومنيس ، الذى أتى بالمعجزات فى هذا الصراع لكنه هلك فيه ، وكان تأثير خيانة أعوانه فى هلاكه أشد فتكا من ضربات خصمه العنيد ، الذى أصبح نتيجة لانتصاره سيد كل ولايات الامبراطورية فى آسيا . وقد قام بطلميوس بدور غامض فى هذا الصراع ، فانه فى بداية الأمر ركب

(1) Diod., XIX, 11 ; Bouché-Leclercq., I, p. 40 ; Cary, pp. 19-20 ; **Skeat,** Reigns of the Ptolemies, pp. 27-8.
(2) Diod., XIX, 35, 36, 49-51.
(3) Diod., XIX, 52 ; C.A.H. VI, pp. 481-2.

البحر قرب شاطىءقيليقيا ، لكنه لم يفلح فى منع يومنيس من تكوين جيش هناك . بل بادر الى اخلاء سوريا عندما توغل فيها يومنيس (عام ٣١٨) بسبب حاجته الى الموانى الفينيقية لينشىء فيها أسطولا يعبر به البحر وينضم الى قوات بولوبرخون فى أوروبا ، لكنه لم يلبث أن عدل عن هذه الفكرة وصمم على البقاء فى آسيا للقضاء على أنتيجونوس (١) . وربما كان سبب ذلك هو النصر الباهر الذى أحرزه أنتيجونوس فى خريف عام ٣١٨ عند مدخل البسفور على أسطول بولوبرخون ، وكان قد أرسله لمنع اتصال لوسيماخوس بانتيجونوس (٢) . وعقب هذا النصر خف أنتيجونوس الى فينيقيا فانسحب منها يومنيس صوب داخل آسيا ، حيث تابع النضال الى أن لقى حتفه فى ربيع ٣١٦ (٣) . ونتيجة لانتصار أنتيجونوس على أسطول بولوبرخون ثم على قوات يومنيس آلت اليه سيادة بحر ايجة وكل ولايات آسيا . وعندما انسحب يومنيس من فينيقيا عاد بطلميوس الى سوريا ، لكننا لا نسمع بعد ذلك شيئا آخر عن بطلميوس فى خلال هذه الحرب (٤). ونحن لا نعرف بالضبط كل الظروف التى أحاطت ببطلميوس ، لأن معلوماتنا عن هذه الفترة وبخاصة عن تاريخ مصر الداخلى قليلة جدا ، ومع ذلك لا نعتقد أن تعليل موقفه أمر عسير . ذلك أننا نشك فى أن بطلميوس انضم الى قاساندروس بقصد توليته مكان بولوبرخون ، كما نشك فى أن بطلميوس كان ينوى من بادىء الأمر أن يمد يد المساعدة الى حلفائه ، اذ يخيل الينا أن بطلميوس انضم الى تلك المحالفة وأوهم حلفاءه بمساعدتهم لغرض واحد يتفق مع السياسية التى رسمها لنفسه منذ أول الأمر . وهذا الغرض هو تشجيعهم على خوض غمار حرب يفنى فيها المتحاربون بعضهم بعضا ، بينما يحتفظ هو بقواه ، حتى اذا ما كتب النصر لأحد الفريقين ، وحاول استغلال نفوذه على نحو ما فعل برديقاس من قبل ، كان فى استطاعة بطلميوس أن يذود عن حياض استقلاله ، وأن يقوم بتنفيذ أغراضه .

---

(1) Diod., XVIII, 63, 6 ; 73, 2-4.

(2) Diod., XVII, 72, 2-8.

(3) Diod., XIX, 12-34, 37-44.

(4) Bouché-Lecl., I, pp. 39-40; Jouguet, Mac. Imp., pp. 142 ff. ; Nat. Eg., pp. 17-18; C.A.H. VI, pp. 476 ff.; Tarn, p. 7; Cary, pp. 22-5.

اطماع انتيجونوس :

ولم تمر تلك العاصفة الا لتهب بعدها ريح صرصر عاتية ، لم تخمد الا بعد أن عصفت بوحدة الامبراطورية وقضت عليها قضاء مبرما . ذلك أنه بوفاة فيليب أرهيدايوس وأولومبياس وسجن الاسكندر الرابع لم يعد لأسرة الاسكندر الأكبر أى كيان فعلى ، وكان ذلك خير حافز لتحقيق أطماع خلفاء الاسكندر . وسرعان ما أحس الجميع بأن أنتيجونوس «الأعور» (monophthalmos) ، وقد ازدهى فخارا بما أحرزه من انتصارات باهرة ، كان يتطلع الى لم شعث الامبراطورية فى قبضته والتربع فوق عرشها ، ولذلك فان شخصيته سيطرت على تاريخ الفترة التى امتدت من عام ٣١٦ حتى وفاته فى عام ٣٠١ . وليس معنى ذلك أنه لم يواجهه الا نكرات ، فقد أظهر قاساندروس ولوسيماخوس وبطلميوس وسلوقس من المواهب والنشاط ما لا يقل عما أبداه أنتيجونوس ، الا أن أطماعهم كانت محدودة اذا قيست بأطماعه ، اذ يبدو أنهم لم يهدفوا الا الى الفوز بنصيب من الامبراطورية التى أسهموا فى تفكيك أواصرها . وأما أنتيجونوس فانه كان يرمى الى حكم الامبراطورية كلها ، وتبعا لذلك أثارت مشروعاته الولاة الآخرين فتكاتفوا للقضاء عليه هو وابنه الجسور دمتريوس « محاصر المدن » (Poliorcetes) ، وكان فى طليعة قواد عصره.

المحالفة الأولى ضد انتيجونوس :

وفى صيف عام ٣١٦ فر الى مصر سلوقس والى بابل ، فى رفقة قوة صغيرة تتألف من خمسين فارسا . وحمل سلوقس معه أنباء مزعجة ، مجملها أن قائد عام آسيا أخذ يقوم بدور الملك فيها ، وذلك أنه أعدم بايثون والى ميديا (١) وأنتيجنيس (Antigenes) قائد فرقة « الدروع الفضية (٢) » ، وعزل بيوقستاس (Peucestas) والى فارس ، واجترأ على أن يطلب من سلوقس بيانا عن دخل ولايته ، فاحتدم الخلاف بينهما . لكن سلوقس — وقد اتعظ من مصير بايثون — آثر الفرار الى مصر حيث أحسن بطلميوس وفادته ، ولم يلبث سلوقس أن أنفذ الرسل ليستحث

---

(1) Diod., XIX, 46, 1-4.
(2) Diod., XIX, 44, 1.

قاساندروس ولوسيماخوس لمناصبة أنتيجونوس العداء (١) • وازاء هذا الخطر الداهم ، تحالف بطلميوس وقاساندروس ولوسيماخوس مع سلوقس (٢) • وفى أوائل عام ٣١٥ أرسل الحلفاء الى أنتيجونوس يخيرونه بين الحرب والاستجابة الى جميع مطالبهم ، وكانت : الاعتراف لبطلميوس بسوريا جميعا وللوسيماخوس بفروجيا على الدردنيل ولقاساندروس بقابادوقيا ولوقيا ولسلوقس ببابل ، وتوزيع أموال الامبراطورية التى استولى عليها بعد انتصاره على يومنيس • وقد رفض أنتيجونوس مطالب الحلفاء (٣) لأنه لو قبلها لحيل بينه وبين داخل آسيا والبحر الأسود على السواء ، وقصرت ممتلكاته على جزء من آسيا الصغرى لا يشمل الا قدرا ضئيلا الى جانب ولايته أو بعبارة أدق ولاياته الأصلية : فروجيا الكبرى وبامفوليا ولوقاونيا ولوقيا • وتدل الطريقة التى أدار بها دفة الحرب على أن مواهبة كانت تكاد تعادل مطامعه • ولما كان يرغب فى احياء الامبراطورية والتربع على عرشها ، فان الاستيلاء على مقدونيا كان هدفه طوال هذه الحرب ، لكنه ، وقد سد لوسيماخوس الطريق أمامه ووقف بطلميوس يهدد مؤخرته ، عجز عن غزو مقدونيا •

وقد اعتمد أنتيجونوس فى هذا الصراع على الأساليب السياسية قدر اعتماده على القوة ، ذلك أنه قبل أن يمتشق الحسام أنفذ الرسل لكسب الحلفاء واثارة المتاعب لخصومه • وقد استمال أنتيجونوس الى جانبه جزيرة رودس وبعض أمراء قبرص وبولوبرخون وابنه الاسكندر (٤) وكال لقاساندروس لطمة سياسية لم يستطيع محو أثرها سريعا ، وذلك باصدار تصريح عدد فيه جرائمه ضد أسرة الاسكندر وسياسته ، فانه اتهمه أولا بقتل أولومبياس وسجن روكسانا وابنها واغتصاب الوصاية التى لم تكن من حقه ، وثانيا بخروجه على سياسة الاسكندر لأنه بموجب هذه السياسة كان يجب أن تتمتع المدن الاغريقية بحريتها واستقلالها وألا تخضع لأية حامية أجنبية (٥) • وهذا التصريح يذكرنا بالقرار الذى

(1) Diod., XIX, 55-56.
(2) App., Syr., 53; Justin., 15.
(3) Diod., XIX, 57, 1-2.
(4) Diod., XIX, 57, 59, 60, 61.
(5) Diod., XIX, 61, 1-3.

كان بولوبرخون قد استخدمه من قبل ضد قاساندروس عندما اشتعل لهيب الحرب بينهما • وهكذا أفلح أنتيجونوس فى أن يكسب الى جانبه كل بلاد الاغريق تقريبا والوريا وكذلك أبيروس ، وكان قاساندروس قد أخضعها وثارت عليه • وأفلح أنتيجونوس كذلك فى بذر بذور الاضطراب فى ولاية لوسيماخوس ، حيث أثار عليه المدن الاغريقية الواقعة على الشاطىء وكذلك الأهالى الوطنيين الذين يعيشون فى الداخل •

بطلميوس يفقد جوف سوريا وسيادته البحرية :

ومنذ البداية صمم أنتيجونوس على أن يتولى بنفسه القضاء على بطلميوس ، ولذلك غزا سوريا فى ربيع عام ٣١٥ • ولما كان أقوى من أن يقاوم ، فان بطلميوس حصن صور وانسحب مع كل السفن الحربية الفينيقية الى مصر ، فاحتل خصمه سوريا وفينيقيا وحاصر صور ، لكنها لم تقع فى قبضته الا بعد خمسة عشر شهرا • وفى تلك الأثناء عكف على بناء أسطول وعقد محالفة مع رودس وضم أسطولها الى أسطوله ، فأضحى تحت امرته فى خريف عام ٣١٤ أسطول كبير استخدمه فى السيطرة على جزر القوقلاد (Cyclades) وألف منها عصبة جعل مركزها ديلوس بعد أن تخلصت من ربقة أثينا الطويلة الأمد • وازاء كل هذه التدابير آلت الى أنتيجونوس السيادة البحرية فى شرق البحر الأبيض المتوسط ، فكان ذلك ضربة قاضية على سيادة مصر البحرية (١) • وعندما سقطت صور أخيرا فى قبضة أنتيجونوس ، ترك ابنه دمتريوس فى غزة ليراقب بطلميوس وانسحب الى عاصمته لقضاء شتاء عام ٣١٤ فيها مصمما على أن يقف فى عام ٣١٣ موقف الدفاع فى غزة ، ويبدأ هجومه الحقيقى على مقدونيا •

موقعة غزة عام ٣١٢ :

وقد حاول بطلميوس أن يقضى على أثر تصريح أنتيجونوس بتصريح مماثل أعلن فيه بدوره أن الاغريق يجب أن يكونوا أحرارا (٢) لكنه لم يكن لذلك أثر ، اذ أنه لم يكن فى وسع أحد اعتبار هذا التصريح جديا ، لصدوره عن وال كان الجميع يعرفون أنه لا يميل الى تحرير المدن

---

(1) Diod., XIX, 59, 61, 62.
(2) Diod., XIX, 62. 1.

الخاضعة لسلطانه ، ولا سيما أنه عندما صدقت قورينايئة هذا التصريح وثارت على حاكمها أوفلاس ، بادر بطلميوس الى القضاء على هـذه الثورة • ومع أنه أضاع فى ذلك أغلب عام ٣١٣ الا أنه استطاع أن يقضى على أنصار أنتيجونوس فى قبرص ويقيم نيقوقريون (Nicocreon) السلاميسى حاكما عليها (١) • وقد شهد هذا العام أيضا تضييق الخناق على قاساندروس بوجه خاص ، الى حد أنه دخل مع أنتيجونوس فى مفاوضات ، الا أنها باءت بالفشل (٢) • ولكى يخفف بطلميوس الضغط على حلفائه ويتخلص من خطر اقدام دمتريوس على غزو مصر ، هاجمه فى ربيع عام ٣١٢ وأحرز عليه عند غزة نصرا مبينا (٣) كانت له نتائج بعيدة الأثر ، فقد ترتب على ذلك أن استرد بطلميوس جوف سوريا وخف الضغط على قاساندروس • وكان أهم من ذلك أن سلوقس وجد الطريق مفتوحا أمامه للعودة الى ولايته ، التى استردها بسهولة فى أكتوبر عام ٣١٢ (٤) • ويعتبر هـذا التاريخ بداية عهد السلوقيين (٥) •

نكبات بطلمية :

ولم يهنأ بطلميوس بنصره طويلا ، ففى عام ٣١١ ثأر دمتريوس لنفسه بأن أسر فى شمال سوريا قوة بطلمية قوامها ٧٠٠٠ جندى • هذا الى أن أنتيجونوس — وقد قرر تصفية حسابه مع بطلميوس وسلوقس مما شغله عن غزو أوروبا فى ذلك العام — لم يلبث أن انضم بقواته الى قوات ابنه واسترد جوف سوريا الذى سارع بطلميوس الى اخلائه تفاديا لمجابهة أنتيجونوس (٦) • وتضيقا للخناق على بطلميوس يبدو أن أنتيجونوس ساعد أوفلاس على الاستقلال بقورينايئة (٧) ، وأرسل حملتين ضد البتراء من أجل حرمان مصر طريق القوافل بين البتراء وغزة ، كما أرسل حملة ثالثة نحو البحر الميت لحرمان مصر قطرانه الضرورى للسفن

(1) Diod., XIX, 62, 3-6, 79.
(2) Diod., XIX, 63, 64.
(3) Diod., XIX, 80-86; Plut., Demeter., 5, 2-4; App., Syr., 54.
(4) Bouché-Leclercq, I, pp. 42-9 ; C.A.H. VI, pp. 483-8 ; Jouguet, Nat. Eg., pp. 18-20; Mac. Imp., pp. 147-50; Cary, pp. 25-8; Rostovtzeff, Soc. and Ec., pp. 11-12.
(5) Joseph., Ant. Jud. XII, 263; App., Syr., 54.
(6) Diod., XIX, 93.
(7) Cf. Paus. I, 6, 8.

والتحنيط ، لكن هذه الحملات جميعا باءت بالفشل (١) . ولما كانت عودة سلوقس الى بابل تنطوى على أخطار داهمة تتهدد كل مشروعات أنتيجونوس ، فانه عهد الى ابنه دمتريوس بغزو بابل . ويبدو أن أهم نتيجة لهذه الحملة غير الموفقة (عام ٣١١) كانت اقتناع أنتيجونوس بضرورة عزل سلوقس عن حلفائه (٢) ، وذلك بمصالحة هؤلاء الحلفاء الى أن يقضى على سلوقس الذى كان يهدد مؤخرته ويقف حائلا دون ما كان يستطيع الحصول عليه من الولايات الشرقية من الرجال والخيول والفيلة والأموال .

صلح عام ٣١١ :

وفى ذلك العام (٣١١) عقد الصلح بين أنتيجونوس وقاساندروس ولوسيماخوس ، ثم مع بطلميوس أيضا ، واستغل أنتيجونوس هذا الصلح للقيام بدعاية واسعة بين الاغريق ، فقد أذاع فيهم أنه لم يقبل طلبات قاساندروس ويعرض ع نسحق بطلميوس عندما وقف أمامه وحيدا ، الا لحرصه على أن ينعم الاغريق بالهدوء والسكينة بعد أن أنهكتهم الحرب (٣) . وقد تضمنت شروط الصلح (أولا) أن يحتفظ قاساندروس بسيطرته على مقدونيا حتى عام ٣٠٥ عندما يبلغ الاسكندر الرابع رشده ويتولى الحكم بنفسه . (وثانيا) أن يحكم لوسيماخوس تراقيا وبطلميوس مصر وأنتيجونوس آسيا . (وثالثا) أن تحرر المدن الاغريقية ولا تستبقى فيها حاميات (٤) .

ومما يجدر بالملاحظة أن الشرط الأول كان حافزا لقاساندروس على التخلص من الاسكندر الرابع ، وأن الشرط الثالث زاد أنتيجونوس مكانة بين الناس وأعطاه المعاذير لبدء الحرب من جديد متى شاء . وتتلخص نتائج الحرب فى أن قاساندروس فقد جانبا كبيرا من بلاد الاغريق ، لكنه

---

(1) Diod., XIX, 94-100; Bouché-Leclercq, I, pp. 52-3; C.A.H. VI, pp. 488-9; Jouguet, Nat. Eg., p. 20; Cary, pp. 28-9, 384.

(2) Cary, p. 29.

(٣) أهم وثيقة عن هذه الدعاية هى رسالة انتيجونوس الى مدينة سقبسيس (Scepsis) . راجع النص :

Ditt., O.G.I.S. 5; Bradford Welles, Royal Correspondence in the Hellenistic Period, 1943, no. 1.

(4) Diod., XIX, 105.

احتفظ بابيروس ووطد مركزه فى مقدونيا ، وأن لوسيماخوس دعم مركزه الى حد كبير ، وأن بطلميوس فقد جوف سوريا وقورينائية وسيادته البحرية ، لكنه احتفظ بقبرص ولم يمس مصر نفسها أى سوء ، غير أن بطلميوس ساعد سلوقس على استعادة ولايته ومن ثم أنشأ تلك الدولة العاتية ، التى كان فى ضمير الدهر أنها ستصبح أخطر منافس فى المستقبل لأسرة البطالمة • وأما فيما يخص أنتيجونوس ، فان هذا الصلح كان نصرا دبلوماسيا رائعا أكسبه نفوذا كبيرا بين الاغريق فضلا عن فوزه بجوف سوريا وقاريا والاعتراف له بكل الولايات الشرقية بما فى ذلك ولاية سلوقس • وهذا يفند الرأى القائل بأن سلوقس كان أحد أطراف صلح عام ٣١١ (١) • واذا كان من اليسير أن نفهم لماذا رحب أنتيجونوس بالصلح ، فانه من العسير أن نتكهن لماذا قبل أعداؤه هذا الصلح وضحوا بحليفهم سلوقس ، اللهم الا اذا كانوا قد أدركوا أنه لم يكن فى وسعهم عندئذ خوض غمار حرب فاصلة (٢) •

وكان طبيعيا أن يستغل أنتيجونوس الصلح فى محاولة استعادة الولايات الشرقية ، وذلك بعمليات عسكرية ضد سلوقس نرجح أنها امتدت من عام ٣١٠ حتى آخر عام ٣٠٨ ، وأنها باءت بالفشل مما اضطر أنتيجونوس الى عقد الصلح مع سلوقس فى بداية عام ٣٠٧ ق•م• (٣) • وانهماك أنتيجونوس طويلا فى تلك العمليات يفسر تفسيرا شافيا ما سنراه من تطور الأحداث فى الغرب ، بل ان اخفاقه فى قهر سلوقس كان عاملا حاسما فى القضاء عليه أخيرا فى عام ٣٠١ ، اذ يبدو أنه كان يتعذر تحقيق ذلك لو لم يبق سلوقس قويا ومستقلا ، ولم تكن لديه فسحة من الوقت وفرصة لدعم قوته فى الشرق وتنظيم جيشه وزيادة قوته (٤) •

مقتل الاسكندر الرابع :

وحين كان أنتيجونوس منهمكا فى مشاغله الشرقية وقعت أحداث

---

(١) انظر مناقشة هذه المسألة فى Cary, App. 3, p. 384.

(2) Rostovtzeff, Soc. and Ec., pp. 12-13.

(3) Cf. Smith, Babylonian Hist. Texts Relating to Capture and Downfall of Babylon.

(4) Rostovtzeff, pp. 13-15.

خطيرة فى الغرب • ذلك أن الاسكندر الرابع بلغ عندئذ الثالثة عشرة من عمره تقريبا ، وأخذ بعض المقدونيين يقولون بأن الوقت قد حان ليتولى السلطة بنفسه ، فأراح قاساندروس نفسه من هذه المتاعب بقتل هـذا الصبى وأمه (فى عام ٣١٠ أو أوائل ٣٠٩) • وانتهز أنتيجونوس ذلك وأرسل الى بولوبرخون صبيا يدعى هرقل زاعما أنه ابن الاسكندر الأكبر، كما أرسل اليه مالا لتكوين جيش يهاجم به قاساندروس ويؤيد مطالبة هرقل بعرش أبيه ، غير أنه عندما هاجم بولوبرخون مقدونيا فى العـام التالى (٣٠٩) أفلح قاساندروس فى التفاهم معه ، فقتل هرقل وانخـرط فى خدمة قاساندروس (١) •

بطلميوس يستعيد سيادته البحرية و «يحرر» الاغريق :

وقبل ذلك أصابت أنتيجونوس لطمة قاسية ترتبت عليها لطمات أشد قسوة منها • ذلك أن أخاه بولمايوس (Polemaeus)— وكان قد أدى اليه خدمات جليلة ضد قاساندرس كوفىء عليها بمنحه ولاية فروجيـا على الدردنيل — ثار عليه فى عام ٣١٠ وحالف قاساندروس (٢) •

ويبدو أن بطلميوس رأى الفرصة مواتية لاستعادة سيادته البحرية ودعمها ، فبدأ نشاطه (عام ٣١٠) بمحاولة فاشلة للاستيلاء على قيليقيا ، ثم وجه اهتمامه الى قبرص فقضى على آخر ملوكها الوطنيين نيقوقريون (Nicocreon) (٣) وضم الجزيرة نهائيا وأقام أخاه منلاوس (Menelaos) حاكما عليها • وفى العـام التالى (٣٠٩) استغل بطلميوس مبدأ تحرير الاغريق ، الذى اعترف به الجميع فى صلح عام ٣١١ « ليحرر » بعض المدن الاغريقية • واذا كان بطلميوس قد فشل فى الاحتفاظ بقيليقيا تراخايا (Cilicia — Tracheia) بعد طـرد حاميـات أنتيجونوس منها ، فانـه استولى على بعض قواعد فى بامفوليا ولوقيـا وقاريا وهى : فاسيليس (Phaselis) وجزانثوس (Xanthus) وقاونوس (Kaunos) وهيراقليا (Heraclea) وبرسيقون (Persicon) كما استولى على جـزيرة قـوس

(1) Diod., XX, 28; Bouché-Lecl. I, pp. 54, 59 ; C.A.H. VI, p. 493.
(2) Diod., XX, 19; C.A.H. VI, pp. 492-3; Cary, pp. 29-30.
(3) Diod., XX, 21 ; Ath. Mitt. XXII, 1897, p. 188.

(Cos) ، حيث قضى شتاء ذلك العام ورد على ما عرضه عليه بولمايوس من محالفته بدعوته الى الجزيرة واعدامه هناك (١) •

ويحتمل أنه حوالى هذا الوقت حاول بطلميوس الزواج من كليوبترة أخت الاسكندر وكانت عندئذ فى ساردس ، لكن أنتيجونوس دبر قتلها (٢) • وعلى كل حال فان برنيقى الجميلة ، وكانت قد أنجبت له أرسينوى ، أنجبت له فى جزيرة قوس (فبراير عام ٣٠٨) (٣) ابنه المحبوب الذى خلفه على العرش •

تأليه بطلميوس :

وفى ربيع عام ٣٠٨ اتجه بطلميوس على رأس أسطول كبيرة الى أندروس (Andros) وحررها من حاميات بولمايوس (٤) وظهر فى جزر القوقلاد فى ثوب محررها ، وبذلك خلف أنتيجونوس فى عصبة الجزر التى كان قد ألفها بزعامته • وقد كافأت عصبة القوقلاد بطلميوس على « تحريرها » برفعه لأول مرة الى مصاف الآلهة (٥) ، لكنها لم تعبده الا فيما بعد باسم « الاله المنقذ » • وبعد ذلك عرج بطلميوس على بلاد الاغريق ونزل ببرزخ قورنثة ، حيث « حرر » مجارا (٦) وعقد مؤتمرا من ممثلى البلوبونيز أعلن فيه عزمه على تحرير الاغريق وطلب امداده بمعونة مالية ونوعية (٧) ، مما أثار الشكوك فى حقيقة نواياه ، فوافقوا على ما طلبه لكنهم لم يقرنوا القول بالعمل • وعندما دخل سيقوون (Sicyon) وقورنثة ووضع فيهما حاميات بطلمية (٨) « لتحمى الحرية الاغريقية » ، تأكدت شكوك الاغريق فلم يعبأوا كثيرا بدعايته الجوفاء • واذا كان ذلك كله يدل على أنه كان قد تنازع مع قاساندروس ، فانه لم يلبث أن عقد اتفاقا معه وعاد سريعا الى الاسكندرية (٩) •

---

(1) Diod., XX, 19, 27 ; Bouché-Lecl. I, pp. 56 ff. ; C.A.H. VI, pp. 493-4.
(2) Diod., XX, 37; Bouché-Lecl., I, p. 66.
(3) Meyer, Untersuch.z. Chronol. d. Erst. Ptol., 1925, p. 65.
(4) Diod., XX, 37 ; Jouguet, Nat, Eg., p. 21.
(5) Michel, Recueil No. 373 ; Ditt., Syll. 390.
(6) Diog. Laert. II, 115.
(7) Diod., XX, 37.
(8) Plut., Demetr. 15, 1.
(9) Bouché-Lecl. I, pp. 65-6; C.A.H. VI, pp. 494-5; Jouguet, Nat. Eg., pp. 21-22.

وما كان بطلميوس يستهدفه من وراء مغامرته فى بلاد الاغـريق ورغبته فى الزواج من كليوبترة ؟ أكان يرمى من وراء ذلك الى فتح بلاد الاغريق ، واكتساب حق المطالبة بعرش الامبراطورية المقدونية أو على الأقل بعرش مقدونيا ، فيتسنى له حكم عالم بحر ايجة بأجمعه ؟ نحـن نستبعد أنه كان يتطلع الى عرش الامبراطورية المقدونية ، اذ أنه لو كان يطمع فى ذلك لقبل أن يخلف برديقاس فى منصب الوصاية يوم هزمه وعرض عليه الجيش المقدونى ذلك المنصب فى عام ٣٢١ . ونستبعد أيضا أنه كان يرمى الى فتح بلاد الاغريق أو الحصول على عرش مقدونيا ، لأننا نستبعد أن بطلميوس الحكيم بعيد النظر ، كان يخاطر بأن يستثير عواطف الاغريق وبأن يزج بنفسه فى صراع عنيف مع مقدونيا ، وكان يقبض على زمامها اذ ذاك قاساندروس ، حليفه الطبيعى ضد عدوهما العنيد أنتيجونوس .

حقا ان العلاقات بين الحليفين كانت قد فترت ، ولكنه ازاء تهـديد خصمهما لم يكن فى وسعهما أن يصطرعا ، غير أن ما كان بطلميوس قد صادفه من نكبات فى عام ٣١١ واعراض قاساندروس عن شد أزره فى أثناء تلك الأزمة دفعا بطلميوس الى محاولة الزواج من كليوبترة ليقوى نفسه ويعزز مركز مصر ويرفع شأنها ، مثل ما استخدم فى ذلك من قبل دفن جثة الاسكندر فيها ، كما دفعاه أيضا الى محاولة احياء عصبة قورنثة والظهور أمام الاغريق فى ثوب المحرر والنصير ، ولا سيما أن تدخـل بطلميوس فى السياسة الاغريقية لم يكن أمرا جديدا عليه . فقد رأينـا كيف أنه فى عام ٣١٤ رد على تصريح أنتيجونوس الذى أعلن فيه حرية الاغريق باصدار تصريح مماثل . وسبب هذا الاهتمام بالشئون الاغريقية أنه كان ضروريا لبطلميوس ، مثل ما كان ضروريا لسائر الولاة المقدونيين فى الشرق ، أن يبقى على اتصال بالعالم الاغريقى ، فقد كانت تأتى من المدن الاغريقية رءوس الأموال والفنيون الذين كان بطلميوس فى حاجة اليهم لتقدم مرافق مصر الاقتصادية . ومن البلاد الاغريقية أيضا كان بطلميوس يسـتقدم أكثر المتطوعين والمرتزقة الذين كون منهم قواتـه العسكرية .

وفضلا عن ذلك فان دعم نفوذ بطلميوس فى أهم الموانى الاغريقية كان

يحول دون ازدياد قوة مقدونيا البحرية ويساعد بطلميوس على السيطرة على بحر ايجة • ولعل بطلميوس قد أراد أيضا بهذه المغامرة أن يثبت لقاساندروس أنه يستطيع تهديده اذا حدثته نفسه ثانية بهجر جانبه فى وقت الشدة • وأما استيلاء بطلميوس على عصبة جزر بحر ايجة ، فانه كان جزءا أساسيا من سياسته الخارجية •

استرداد قورينائة :

واذا كانت سيادة بحر ايجة ضرورية لكيان البطالمة السياسى ، فانه كانت هناك أقاليم أخرى مثل قورينائة لاغنى لهم عنها لضمان استقلالهم ، ولذلك فانه عندما كان بطلميوس الأول فى بلاد الاغريق وسنحت له فرصة لاسترداد قورينائة لم يتوان فى العودة سريعا الى مصر لهذا الغرض ، لأن قورينائة كانت تعني مصر مباشرة ، ومصر كانت دائما قلب مملكة البطالمة النابض • وقد أثبتت الآيام أن ضم قورينائة لم يزد فى قوة بطلميوس بل أصبح بمثابة شوكة فى جانبه وجانب خلفائه ، فمن ناحية لم يمثل أهلها للخضوع لسلطة أجنبية لأنهم اعتادوا على الحرية والاستقلال ، ومن ناحية أخرى كانت الأطماع الشخصية تغرى حكامها على الخروج على طاعة الملك • وقد كابد بطلميوس جانبا من هذه المتاعب ، فلم تكد تنقضى تسعة أعوام على اخضاع قورينائة واقامة أوفلاس حاكما عليها حتى هبت ثائرة (٣١٣) فأنفذ بطلميوس اليها حملة تأديبية قضت على الثورة وأسندت مقاليد الأمور ثانية الى أوفلاس (١) • ولم يكد يمر على ذلك عامان (٣١١) حتى انتهز أوفلاس فرصة النكبات التى نزلت ببطلميوس فى سوريا للاستقلال بقورينائة ، ويبدو أن أنتيجونوس ساعد أوفلاس ليضيق الخناق على بطلميوس • ولكى يدعم أوفلاس مركزه تحالف مع أجاثوقلس السراقوسى ، وكان مشتبكا فى حرب مع قرطجنة ، ووعد أوفلاس بأن ينزل له عن الفتوحات التى يحرزانها معا فى افريقيا بشرط أن يساعده فى اخضاع قرطاجنة • غير أنه لحسن حظ بطلميوس اختلف أجاثوقاس مع أوفلاس وقضى عليه (٢) (عام ٣٠٩) ، لكنه كان يتعين على بطلميوس أن يعيد بسط سيطرته على

---

(1) Diod., XIX, 29, 1.
(2) Diod., XX, 41-3; Justin., XXII, 7.

قورينائية ، ولم يتوان فى اسناد هذه المهمة الى ماجاس ابن زوجة برنيقى (٣٠٨) الذى يبدو أنه لم يلق عنـاء فى ذلك وأصـبح نائب الملك فى قورينائية (١) •

دمتريوس « يحرر » أثينا ومجارا من حاميات قاساندروس :

ولما لم يكن فى وسع أنتيجونوس أن يترك سيادة بحر ايجة فى قبضة بطلميوس وسيادة بلاد الاغريق فى قبضة قاساندروس ، لأن ذلك كان يكشف جبهته الغربية بل يتهدد كل مركزه فى آسيا ، فانه بادر الى عقـد الصلح مع سلوقس ليوجه اهتمامه الى الغرب • وقد وجـد أنتيجونوس الفرصة سانحة ليقوم بدور « محرر » الاغريق ، فأنفذ ابنه دمتريوس الى بلاد الاغريق حيث نزل فى أتيقا على رأس قوة كبيرة (صيف عام ٣٠٧) وطرد الحامية المقدونية من مونوخيا (Munychia) وأعلن تحرير أثينا وعزل دمتريوس الفليرى وأعاد الديمقراطية ثانية • واعترافا بفضل أنتيجونوس ودمتريوس أغدق الأثينيون عليهما مظاهر تشريف كثيرة كان من بينهـا عبادتهما باسم « الالهين المنقذين » وخلع لقب ملك على كل منهما • وفى أثناءمحاصرة حامية مونوخيا دخل دمتريوس مجارا وطرد منها الحـامية التى كان قاساندروس قد أقامها هناك (٢) • وبعد أن كال أنتيجونوس هذه الضربات القاصمة لقاساندروس فى بلاد الاغريق ، استدعى دمتريوس من هناك ليصفى حسابه مع بطلميوس •

هزيمة بطلميوس فى قبرص وضياع سيادته البحرية :

ولما كان أنتيجونوس يستهدف تحطيم أسـطول بطلميوس ، وكانت قبرص أهم قواعده البحرية ، فانه أنفذ دمتريوس لمهاجمتها • وفى ربيع عام ٣٠٦ وقعت عند قبرص ملحمة فاصلة كانت نكبة على بطلميوس ، ذلك أن قائده منلاوس حوصر فى ميناء سلاميس ، وعندما خف بطلميوس لنجدته منى بهزيمة بحرية فادحة (٣) • وبذلك ثأر دمتريوس لهزيمته عند غـزة وتحطم الأسطول البطلمى ، وفقدت مصر قبرص وكل ممتلكاتها الخارجية

(1) Suidas s.v. Demetrius; Paus., I, 6, 8; Bouché-Leclercq, I, pp. 66-7; C.A.H. VI, p. 495 ; Jouguet, Nat. Eg., p. 28; Cary, Appendix 7, pp. 393-4.

(2) Diod., XX, 45-46 ; Plut., Demetr., 8-12.

(3) Diod., XX, 46-53; Plut., Demetr. 15-16; Polyeanus, IV, 7.

وسيادة البحر وأصبحت معرضة لخطر مستطير (١) . ولم تعوض هذه الهزيمة الا ببطء وبعد مدة طويلة اضطر بطلميوس فى خلالها الى العدول عن اتباع سياسة هجومية والى العودة ثانية الى سياسة التمهل والعمل على الافادة من الحوادث أكثر من التحكم فى تكييف مجراها .

خلفاء الاسكندر يتخذون لقب ملك :

وقد كانت لهذه الهزيمة نتيجة مباشرة أخرى ، اذ أنه عندما بلغ أنتيجونوس نبأ النصر اتخذ لنفسه لقب ملك وخلع هذا اللقب على ابنه (٢) . ولم يكن معنى ذلك أن أنتيجونوس اكتفى باعتبار نفسه ملكا على نصيبه فى آسيا بل اعتبر نفسه هو وابنه مليكى الامبراطورية المقدونية، التى خلا عرشها بالقضاء على أسرة الاسكندر . وتدل نقودهما على أنهما اعتبرا حقهما فى هذه الامبراطورية منذ وفاة الاسكندر (٣) .

وتذكر المصادر القديمة (٤) أن بطلميوس حذا حذو أنتيجونوس ودمتريوس باتخاذه هو أيضا لقب ملك ، لكن سجل ملوك مصر يؤرخ ملكية بطلميوس الأول ابتداء من العام المصرى الذى يمتد من ٧ نوفمبر عام ٣٠٥ حتى ٦ نوفمبر عام ٣٠٤ (٥) . ولم يترتب على اتخاذ بطلميوس لقب ملك فى عام ٣٠٥ اعتبار ذلك العام بداية لعهده ، بدليل أن تأريخ الوثائق الرسمية استمر على غرار النمط نفسه الذى كان متبعا قبل ذلك العام من حيث اعتبار عام ٣٢٣ بداية لعهد بطلميوس (٦) . واذا كان هناك خلاف حول التاريخ الذى أقدم فيه خلفاء الاسكندر على اتخاذ هذه الخطوة التى أكدوا بها استقلال كل منهم بولايته وانحلال الامبراطورية فلا خلاف حول اتخاذ الخطوة نفسها (٧) .

---

(1) Cary, pp. 34-5, 385-6.
(2) Plut., Demetr., 18, 1.
(3) Bouché-Leclercq, I, pp. 69-71; Jouguet, Mac. Imp., pp. 154-5 ; Nat. Eg., pp. 23-4; C.A.H. VI, pp. 495-9. Tarn; pp. 8-9; Cary, p. 35.
(4) Diod., XX, 53; Plut., Demetr., 18, 1; Justin., XV, 2, 10-14; App., Syr., 54.
(5) C.A.H. VI, p. 499; Bevan, pp. 27-8; Bouché-Leclercq, I, pp. 71-2; Cary, pp. 35-6; Glanville, Cat. Dem. Pap. in B. M., I, p. 53; Cf. Skeat, Reigns of Te Ptols., p. 28; cf. Strack, 191, 7.
(6) cf. P. Eleph., I - IV.
(7) Diod., XX, 53, 3-4.

راجع بلوتارخ : دمتريوس ، الفصل ١٨ حيث يحدثنا بأن قاساندروس لم يستخدم لقب ملك فى مراسلاته ، لكننا نجده على نقوده وكذلك فى النقوش ، راجع Ditt. Syll. I, 127.

فشل انتيجونوس فى غزو مصر :

بعد هذا النصر المبين ، اعتقد أنتيجونوس أنه كان فى وسعه التخلص من بطلميوس ، ولذلك فانه فى خريف عام ٣٠٦ أعد هو ودمتريوس جيشا وأسطولا قويين لمحاولة ما فشل فيه برديقاس من قبل . فقد كانت قواتهما تتألف من ٨٠٫٠٠٠ جندى من المشاة و ٨٠٠٠ من الفرسان و ٨٢ فيلا تحت قيادة أنتيجونوس ، وأسطول يتكون من ١٥٠ سفينة حربية و ١٠٠ سفينة للنقل على رأسها دمتريوس . وزودت هذه الحملة الهائلة بكميات كبيرة من الحبوب وغذاء الدواب . ولقد كان مجهودا جبارا لكنه تحطم أمام دفاع بطلميوس عن دولته (١) .

حصار رودس ، بطلميوس « الاله المنقذ » :

وعندما فشل أنتيجونوس فى الاستيلاء على مصر ، بدت له فكرة تضييق الخناق عليها من ناحية البحر بالاستيلاء على جزيرة رودس ، مع أنها لم تكن من ممتلكات بطلميوس ، بل كانت صديقة أنتيجونوس فى عام ٣١٥ وساعدته فى بناء أسطوله غير أنه كانت لها علاقات وثيقة مع مصر منذ أن أحرز بطلميوس سيادته البحرية ، ورفضت الانحياز الى جانب أنتيجونوس ضده فى أثناء حملة قبرص . وفضلا عن ذلك فانها كانت أهم عميل تجارى لمصر فى البحر المتوسط . وازاء ذلك كله كان أنتيجونوس يخشى أن تقوم رودس بمساعدة بطلميوس فى اعادة بناء أسطوله . وتبعا لذلك أنفذ دمتريوس الى رودس فى ربيع عام ٣٠٥ على رأس قوة بحرية كبيرة ، لكن رودس قاومت الغزو بشجاعة فائقة ، فحاصرها دمتريوس دون جدوى نحوا من خمسة عشر شهرا وكان هذا الحصار سبب لقب « محاصر المدن » الذى خلع عليه . وأخيرا بفضل وساطة الايتوليين عقد الصلح بين الطرفين فى صيف عام ٣٠٤ وقبلت رودس محالفة أنتيجونوس ، وانما بشرط ألا تعادى بطلميوس . ولما كان بطلميوس قد فقد أسطوله منذ هزيمته عند قبرص ، فانه لم يكن فى وسعه نجدة رودس ، لكنه أمدها ببعض الجنود المرتزقة وكميات كبيرة من المؤنة فحفظت لبطلميوس هذا

---

(1) Diod., XX, 73-6; Plut., Demetr., 19.

الجميل (١) • ويحدثنا ديودوروس بأنه بعد فشل دمتريوس فى حصار رودس ، أرسل مواطنوها الى واحة سيوة يستلهمون وحى آمون اذا كان ينصحهم باظهار اجلالهم نحو بطلميوس برفعه الى مصاف الآلهة ، وعندما أتاهم الرد بالايجاب أقاموا له هيكلا أطلقوا عليه اسم بطولمايون (Ptolemaeon) (٢) • ويذكر باوسانياس أن رودس عبدت عندئذ بطلميوس وخلعت عليه لقب « الاله المنقذ » (٣) وهو اللقب الذى عرف به فى التاريخ •

ويرجع قبول أنتيجونوس الاتفاق مع رودس الى أن قوة قاساندروس كانت آخذة فى الازدياد فى بلاد الاغريق حتى أوشك أن يستعيد أكثرها ، ولذلك صدرت الأوامر الى دمتريوس بالابحار الى بلاد الاغريق حيث احرز انتصارات حاسمة • ذلك أنه أنقذ أثينا ، وكانت مشتبكة فى حرب مع قاساندروس منذ أربعة أعوام (٣٠٧ — ٣٠٤) ، وأعاد فتح بلاد الاغريق الوسطى ، وحرر البلوبونيز ، وأعاد انشاء عصبة قورنثة فاختارته قائدا لها مكان الاسكندر الأكبر (عام ٣٠٣) (٤) • واحياء هذه العصبة خير دليل على عزوف أنتيجونوس عن سياسة اخضاع الاغريق ، وهى السياسة التى كان ينتهجها أنتيباتروس وقاساندروس ، وعلى ميله الى سياسة فيليب الثانى والاسكندر الأكبر وهى سياسة المحالفة على قدم المساواة مع الدول المتحدة الاغريقية (٥) •

المحالفة الثانية ضد انتيجونوس :

ولقد تحرج عندئذ مركز قاساندروس ، ازاء ضياع أكثر بلاد الاغريق من قبضته بعد ضياع أبيروس ، فحاول التفاهم مع أنتيجونوس ، لكن هذا طلب منه التسليم دون قيد أو شرط (٦) • فلم يكن من قاساندروس

(1) Diod., XX, 81-88, 91-99; Plut., Demetr. 21-22; Paus. I, 6, 6-7; App., B. Civ. IV, 66-67; Polyaen. IV, 6, 16 ; Bouché-Leclercq, I, pp. 75-8; C.A.H. VI, pp. 499-500; Cary, pp. 36-7; Rostovtzeff, p. 15.

(2) Diod., XX, 100, 3-4.

(3) Paus., I, 8, 6.

(4) C.A.H. VI, pp. 500-1 ; Rostovtzeff, Soc. and Ec., p. 16 ; Tarn, p. 9; Bouché-Leclercq, I, pp. 79-80.

(٥) عن دستور العصبة راجع :
Wilcken, Berichte Berl. Ak. 1927, pp. 277 ff; Cary, Class. Quar., 1923, pp. 137 ff; Larsen, Class. Phi., 1925, pp. 313 ff; 1927, pp. 52 ff.

(6) Diod., XX, 106.

الا أنه اتصل بلوسيماخوس واتفقا على اعداد حملة قوية ، وعلى التماس العون من بطلميوس وسلوقس .

ولما كان القضاء على قاساندروس ينذر الجميع بأشد المخاطر من أنتيجونوس ، فان هؤلاء الملوك الأربعة جددوا فى عام ٣٠٢ محالفة عام ٣١٥ ، الا أنها لم ترم هذه المرة الى كبح جماح أطماع أنتيجونوس فحسب بل الى القضاء عليه (١) . وقد اتفق الحلفاء على أن يعبر لوسيماخوس الدردنيل ويغزو آسيا ، وأن يزحف سلوقس غربا لينضم اليه . وفى خلال ذلك كان يتعين على بطلميوس أن يحتل سوريا ، وعلى قاساندروس أن يلاقى دمتريوس الذى غزا تساليا فى ربيع عام ٣٠٢ . وقد كان الحلفاء يتوقعون أن خطتهم ، التى رسموها للحرب فى آسيا ، ستؤدى الى استدعاء دمتريوس من بلاد الاغريق . وفعلا تحقق ذلك ، اذ استدعى أنتيجونوس ابنه عندما رأى أن لوسيماخوس عبر الدردنيل وأن سلوقس بدأ زحفه غربا ، لكنه لم يكن لاستدعاء دمتريوس فائدة لأن لوسيماخوس استطاع بسلسلة من المناورات الماهرة أن ينضم الى سلوقس (٢) . وعند أبسوس (Ipsos) فى فروجيا قضى فى «معركة الملوك» على الجيش الهائل الذى كان يقوده أنتيجونوس ودمتريوس . ويعزى سبب هذه الهزيمة المنكرة الى حمية دمتريوس ، الذى حالفه النصر فى بداية الأمر ، فأسرف فى مطاردة فرسان سلوقس بينما اقتحمت فيلة العدو فيالق أنتيجونوس وضيقت الخناق عليها قوات سلوقس ولوسيماخوس فتبدد شملها وخر أنتيجونوس صريعا وهو يردد هذه الصيحة المؤثرة : « سيأتى دمتريوس لانقاذى » . لكن دمتريوس لم يأت الا بعد فوات الأوان ، واذ أدرك عبث المقاومة ولى مدبرا الى أفسوس مع فريق من مشاته وفرسانه (٣) . وبالقضاء على أنتيجونوس فى الثمانين من عمره (عام ٣٠١) ، قضى على أكبر محاولة لاحياء امبراطورية الاسكندر الأكبر ثانية .

بداية المشكلة السورية :

وما الدور الذى قام به بطلميوس فى هذا الصراع ؟ لقد اكتفى

(1) Diod., XX, 106; Plut., Demetr., 28 ; Justin., XV, 2, 15; 4, 1.
(2) Diod. XX, 107-113.
(3) Plut., Demetr., 29-30.

بطلميوس بغزو سوريا فى ربيع عام ٣٠١ عندما برحها أنتيجونوس ليعبر جبال الطوروس ويلاقى لوسيماخوس ، ثم بادر باخلاء سوريا عندما أتاه نبأ كاذب فحواه أن لوسيماخوس قد هزم وأن أنتيجونوس فى طريقه صوب سوريا (١) • ولا يمكن تفسير هذا الدور غير المشرف الذى قام به بطلميوس الا بأنانيته ، اذ يبدو أنه اتبع مع حلفائه فى هذا الصراع السياسة نفسها التى اتبعها مع حلفائه فى خلال الصراع ضد بولوبرخون ويومنيس، فقد كان صالحه دائما فى أن يستنفد الآخرون قواهم فى محاربة بعضهم بعضا ، بينما يحتفظ هو بقواه سليمة ليستطيع تنفيذ سياسته • لكن بطلميوس تخطى نطاق الحكمة هذه المرة ، اذ أنه أغضب حلفاءه بانسحابه من سوريا ، فقرروا أنه لم يقم نحوهم بخدمة يستحق عليها نصيبا من الأسلاب ، ولذلك أبوا عليه جوف سوريا الذى كان قد وعد به من قبل ؛ بينما اقتسم معظم الأسلاب سلوقس ولوسيماخوس ، اللذان اضطلعا بالعبء الأكبر فى الحرب • فقد فاز أولهما بكل سوريا وآسيا الصغرى حتى منتصف فروجيا الكبرى، وثانيهما بغرب آسيا الصغرى حتى منتصف فروجيا (٢) • ولم يحصل قاساندروس لنفسه على أية ممتلكات أسيوية ، لكن أخاه بلايستارخوس (Pleistarchos) نال الأقاليم الممتدة على ساحل آسيا الصغرى الجنوبى من قيليقيا حتى قاريا (٣) •

واذا كانت سياسة الانكماش فى الحرب قد ساعدت بطلميوس أكثر من مرة فى الاحتفاظ بقوته فانها عادت عليه هذه المرة بالوبال ، فقد أصبحت ملكية جوف سوريا موضع خلاف دائم بين البطالمة والسلوقيين ، مما أفضى الى سلسلة طويلة من الحروب كان لها أسوأ الأثر فى كيان دولة البطالمة • ولذلك نرى أنه ليس من التعسف فى الرأى القول بأن بطلميوس الذى وضع دعائم مملكة البطالمة فى مصر قد أورث خلفاءه فيما أورثهم أحد المعاول التى قوضت تلك الدعائم • وهكذا نرى ملوك العصر الهيلينيسى يحيون من جديد المنافسة القديمة بين فراعنة مصر والأباطرة الآسيويين من أجل هذه المنطقة •

---

(1) Diod., XX, 113.
(2) App., Syr. 55.
(3) Plut., Demetr., 31, 4; Cary, p. 42.

الأوضاع بعد موقعة ابسوس :

ويعتبر عام ٣٠١ بداية عهد جديد ، فقد انحلت امبراطورية الاسكندر بحيث أنه لم يعد هناك أى أمل يرجى فى احيائها ثانية ، وأصبح يقتسم عالم بحر ايجة عندئذ خمس شخصيات عظيمة هى : قاساندروس فى مقدونيا وبعض بلاد الاغريق ، ولوسيماخوس فى تراقيا وآسيا الصغرى ، وسلوقس فى بابل وسوريا وآسيا الصغرى ، وبطلميوس فى مصر وجوف سوريا وقورينائية . واذا كان أنتيجونوس قد مات ، فان ابنه دمتريوس « محاصر المدن » كان لا يزال حيا وتجيش فى صدره آمال اعادة تكوين امبراطورية أبيه وظل قوة يخشى بأسها . ذلك أنه كان لا يزال يملك أقوى أسطول فى بحر ايجة ، ويتمتع برياسة عصبة قورنثة ، وبسيادة عصبة جزر القوقلاد ، ويسيطر على قبرص ومدن اغريقية كثيرة فى بلاد الاغريق وآسيا الصغرى وفينيقيا (١) .

واذا كان حلفاء بطلميوس قد أبوا عليه جوف سوريا ، فانه كان قد أعاد احتلال ذلك الاقليم حتى نهر اليوثروس (Eleutherus) (٢) فى أثناء اشتباك حلفائه مع عدوهم المشترك ، ورفض بعد ذلك النزول عنه . وكان هذا ينطوى على خطر الاشتباك مع سلوقس الذى جاء بعد التقسيم ليضع يده على ما آل اليه ، لكنه مراعاة لصديقه بطلميوس اكتفى عندئذ بالمطالبة بحقه الى أن يرى سبيله الى معاملة الأصدقاء الجشعين (٣) .

وازاء ذلك كان طبيعيا أن يأخذ كل منهما فى البحث عن حلفاء له ، فنرى بطلميوس يتقرب الى قاساندروس ولوسيماخوس بالمصاهرة ، اذ ان الاسكندر بن قاساندروس تزوج من لوساندرا (Lysandra) ابنة بطلميوس من يوروديقى ، وأن لوسيماخوس استبعد زوجه أماستريس (Amastris) ليتزوج من أرسينوى ابنة بطلميوس من برنيقى ، وكانت لا تزال فتاة صغيرة جدا . وأما سلوقس فانه تناسى مؤقتا عداءه القديم

---

(1) C.A.H. VI, pp. 502-3; Tarn, p. 9; Bouché-Leclercq, I, pp. 80-2 ; Jouguet, Mac. Imp., pp. 157-9; Nat. Eg., pp. 25-7 ; Bevan, pp. 43-5, Rostovtzeff, Soc. and Ec., pp. 15-17.

(٢) هذا هو نهر الكبير الذى يفصل بين جبال النصيرية (Bargytus) وبين جبال لبنان ويكون الحدود السياسية بين لبنان وسوريا .

(3) Diod. XXI, 1, 5.

لدمتريوس ، ليفيد من امكانياته وبخاصة قوته البحرية ، وخطب ابنته استراتونيقى (١) (Stratonice) (عام ٣٠٠) .

نشاط دمتريوس :

وعندما ذهب دمتريوس مع فلول قواته الى بلاد الاغريق ليستنفرها ضد أعدائه ، بادرت أثينا الى اعلان حيادها وأغلقت دونه أبوابها ، وتحرر حلفاؤه من حامياته (٢) ، ولم تلبث أن تفككت عرى عصبة قورنثة وفقد دمتريوس نفوذه فى بلاد الاغريق (٣) . وازاء ذلك وجد دمتريوس أن الظروف غير مواتية لشن حرب ناجحة على قاساندروس . ولما كان لا يزال تحت امرته أسطول كبير ومعاقل كثيرة فى قبرص وآسيا الصغرى وفينيقيا، فانه فضل أن يوجه نشاطه الى آسيا ، حيث اشتد ساعده بمصاهرةسلوقس، مؤملا أن يبنى لنفسه ثانية دولة أسيوية . فهاجم أولا لوسيماخوس وحرمه أيونيا ، ثم هاجم بلايستارخوس — شقيق قاساندروس — وطرده من ممتلكاته ، وكانت تشمل أكثر شاطىء آسيا الصغرى الجنوبى . ويبدو أن قاساندروس ترك الأمور تجرى فى أعنتها ، لاعتلال صحته وتقديرا منه أن دمتريوس ، وقد شغل بالشئون الآسيوية على هذا النحو ، لن يتدخل لمدة طويلة فى شئون بلاد الاغريق . وعلى كل حال فان دمتريوس لم يلبث أن اشتبك فى حرب مع بطلميوس استولى فيها على سماريا (Samaria) ومن المحتمل أيضا على جنوب سوريا ، وذلك فيما يظن بايعاز من سلوقس الذى لم يجرؤ عندئذ على مهاجمة بطلميوس علنا . بيد أنه عندما خشى سلوقس أن تصبح الحرب عامة ، أو لعله عندما ساورته المخاوف من أن يحتفظ دمتريوس بفتوحاته ، تدخل بين دمتريوس وبطلميوس وأفلح فى عقد الصلح بينهما فى عام ٢٩٩/٢٩٨ . وبمقتضى هذه المعاهدة أخذ بطلميوس رهينة : الاسكندر زوج ابنة دمتريوس ، وبوروس زوج أخت دمتريوس وكان قد خلع من عرش أبيروس (فى عام ٣٠٢) . وقد توفى

(1) Plut., Demetr. 31-2; Bevan, pp. 35-6; Bouché-Leclercq I, pp. 83-6; C.A.H. VI, pp. 76-7; Cary, p. 43.

(يقول بلوتارخ ان أجاثوقلس بن لوسيماخوس هو الذى تزوج لوساندرا عندئذ ، لكن زواج أجاثوقلس من لوساندرا لم يحدث الا فيما بعد عقب وفاة زوجها الاسكندر بن قاساندروس) .

(2) Plut., Demetr., 30-31.

(3) Rostovtzeff, Soc. and Ec. p. 17.

الاسكندر فى مصر ، وأمابوروس فان بطلميوس أعاده الى بلاده ليثأر من قاساندروس بسبب موقفه منه عقب أبسوس (١) . وقد شفع بطلميوس ذلك بمحالفة أجاثوقلس السراقوسى ، حتى اذا ما أفلح دمتريوس يوما فى ارتقاء عرش مقدونيا كان من الممكن استخدام أجاثوقلس ضده اذا اقتضى الأمر (٢) .

وفاة قاساندروس وفوز دمتريوس بعرش مقدونيا :

وعندما توفى قاساندروس فى عام ٢٩٧ لاحت لدمتريوس بارقة أمل فى الغرب،فلم يتردد فى مبارحة آسيا ، حيث تزعزع مركزه ونشب الخلاف بينه وبين سلوقس لرفضه اعطاء سلوقس صور وصيدا ثمنا لصداقتــه . ولذلك يمم دمتريوس وجهه شطر بلاد الاغريق (٣) ليستعيد سـيطرته عليها ويستولى على مقدونيا ثم يثأر لنفسه من أعدائه .

وقد بدأ بمهاجمة أثينا الا أنها صدته فانسحب الى البلوبونيز . حيث استعاد سيطرته هناك ثم عاود مهاجمة أثينا واستولى عليها (٢٩٤) . وبعد ذلك زحف على اسبرطة ، لكنه فى أثناء هذه الحملة سنحت له فرصـة جديدة للاستيلاء على مقدونيا ، فلم يضع وقته عند اسبرطة وخف الى الشمال . وبيان ذلك أن فيليب الرابع ابن قاساندروس لم يعش بعد أبيه الا أربعة أشهر ، وعندئذ تسببت الأهواء فى مأساة بشعة . ذلك أنه بتأثير ثسالونيقى ، أرملة قاساندروس ، تقرر تقسيم المملكة بين ابنها الأكبر أنتيباتروس وابنها الأصغر المقرب اليها اسكندرالخامس . وقد كان طبيعيا ألا يفضى مثل هذا العمل الى الاستقرار ، اذ أن أنتيباتروس لم يلبث أن قتل أمه وهاجم أخاه الأصغر فاستنجد الأخير ببوروس ودمتريوس . وعندما قدم دمتريوس الى مقدونيا ، وجد أن بوروس قد سبقه الى دعم مركز الاسكندر ، لكن ذلك لم يفت فى عضد دمتريوس ، فانه دعـا الاسكندر الى مأدبة فى لاريسا وأوعز الى رجاله بقتله وبعد ذلك اختاره الجيش ملكا (٢٩٤ / ٢٩٣) . وهكذا آلت الى دمتريوس مقدونيا ، وكان

(1) Plut., Demetr., 31-2; Pyrrhus, 4-5; C.A.H. VII, pp. 7-8; Rostovtzeff, Soc. and Ec. p. 17; Cary, pp. 43-4.

(2) Bouché-Leclercq, 1, p. 87.

(3) Plut., Demetr., 32-33.

أبوه يعتبرها ركيزة ضرورية لاعادة فتح آسيا ولم شعث الامبراطورية المقدونية • (١) •

وقد أفزع سلوقس وبطلميوس ولوسيماخوس استيلاء دمتريوس على مقدونيا فجددوا محالفتهم ضده واقتسموا أغلب ممتلكاته الآسيوية: فضم لوسيماخوس شاطيء آسيا الصغرى الغربى ، واستولى سلوقس على قيليقيا ، وأخذ بطلميوس قبرص وبامفوليا ولوقيا ، فلم يبق لدمتريوس فى آسيا سوى صور وصيدا فى فينيقيا وقاونوس فى قاريا • ولاحت عندئذ لبطلميوس الفرصة لاعادة بناء أسطوله الذى تحطم فى موقعة سلاميس(٢)•

وعلى الرغم من أن دمتريوس غدا سريعا مكروها من رعاياه ، فانه استطاع أن ينشيء لنفسه قوة كبيرة فى بلاد الاغريق ، اذ أنه وقد طرح جانبا فكرة كسب ود الاغريق قضى من عام ٢٩٣ حتى عام ٢٨٩ فى السيطرة على بلاد الاغريق ، فاستولى على تساليا وبلاد الاغريق الوسطى وأصبح سيد كل بلاد الاغريق ما عدا ايتوليا واسبرطة • وفضلا عن ذلك فانه كان يسيطر على عصبة الجزر ويحالف قرصان بحر ايجة • ولذلك بدا أنه كان فى البر أقوى من أى ملك آخر ، وفى البحر صاحب السيادة العليا ، اذ يحتمل أنه كان تحت امرته ٣٠٠ سفينة حربية ، فى حين أن بطلميوس لم يكن قد نجح بعد فى رفع مستوى أسطوله الى ما كان عليه قبل سلاميس، وكانت أساطيل لوسيماخوس وسلوقس ورودس وهيراقليا وبيزنطة أصغر من ذلك •

دمتريوس يفقد مقدونيا :

وفى خريف عام ٢٨٩ بدأ دمتريوس اتخاذ العدة لغزو آسيا ، فاستشعر سلوقس وبطلميوس ولوسيماخوس استفحال خطره ولذلك قرروا فى عام ٢٨٨ المبادأة بمهاجمته ودعوا بوروس الى الانضمام الى محالفتهم • واستقر الرأى على أن يقوم لوسيماخوس وبوروس بغزو مقدونيا وأن يستخدم بطلميوس قوته البحرية فى تأليب بلاد الاغريق على دمتريوس • ولذلك فانه فى ربيع ٢٨٧ غزا لوسيماخوس وبوروس مقدونيا واقتسماها فيما

(1) Plut., Demetr, 33-37; Pyr., 6-7; Cary, pp. 44, 46-7.
(2) Plut., Demetr. 35, 3-4; Cary, pp. 47-8, 108; Tarn, p. 10.

بينهما على أثر هروب دمتريوس الى بلاد الاغريق ، حيث حالفه التوفيق فى انقاذ مملكته الاغريقية على الأقل . وعندما أصبح لوسيماخوس على هذا النحو سيد آسيا الصغرى ونصف مقدونيا ، أثارت قوته مخاوف بطلميوس وسلوقس بوجه خاص ، لكنهما لم يكونا أقل خوفا من الخطر الذى كان دمتريوس مصدره ، اذ أنه على الرغم من اضطراره الى ترك مقدونيا كان لا يزال يحتكم فى ممتلكات اغريقية هامة . وقد أفلح تدخل بطلميوس فى دفع أثينا الى الثورة على دمتريوس وخف بوروس الى نجدتها فنجت من الوقوع فى قبضة دمتريوس (١) .

دمتريوس يغزو آسيا ، اسره ووفاته :

وبعد ذلك عقد الصلح بين بوروس ودمتريوس على أساس احتفاظ كل منهما بما كان فى قبضته . وفى العام التالى (٢٨٦) ترك دمتريوس ابنه أنتيجونوس جوناتاس (Gonatas) فى بلاد الاغريق وبدأ بنفسه غزو آسيا ، فلم يتدخل فى ذلك سلوقس ولا بطلميوس ، اذ كان لا يسيئهما أن يريا دمتريوس يهاجم لوسيماخوس . وفى البداية حالف التوفيق دمتريوس فأغراه ذلك على محاولة الوصول الى الولايات الشرقية البعيدة فيما وراء أرمينيا ، لكن تذمر جنوده ومهارة أجاثوقلس بن لوسيماخوس أرغماه على العدول عن هذا المشروع (عام ٢٨٦) ، فانسحب الى قيليقيا وناشد مساعدة سلوقس لكنه لم يفز بذلك لعدم اطمئنان الأخير اليه .

وازاء تكالب الشدائد على دمتريوس شن على سلوقس حربا يائسة ، الا أنه مرض وتفكك جيشه فى أثناء مرضه ، مما اضطره الى التسليم لسلوقس ، فألقى القبض عليه وسجنه (عام ٢٨٥) الى أن وافته منيته (عام ٢٨٣) (٢) .

بطلميوس يسترد سيادة البحر :

وعندما زال خطر دمتريوس ، انتهز لوسيماخوس هذه الفرصة وطرد بوروس من مقدونيا ووضعها كلها وكذلك بلاد الاغريق تحت سيطرته

(1) Plut., Demetr., 39-45; Pyr., 10-12; Cary, 48-51.

(2) Plut., Demetr., 46-52; Pyr., 12; C.A.H. VII, pp. 79-88; Rostovtzeff, Soc. and Ec., pp. 19-21; Tarn, pp. 9-10 ; Jouguet, Mac. Imp., pp. 162-6.

(عام ٢٨٥) • وأما فى بحر ايجة ، فان خليفة دمتريوس لم يكن لوسيماخوس وانما بطلميوس • وبيان ذلك أنه فى خلال كفاح دمتريوس فى آسيا الصغرى فى عام ٢٨٦ ، حالفت ميلتوس بطلميوس ، وبعد أسر دمتريوس انخرط قائده البحرى ، فيلوقلس (Philocles) ملك صيدا ، فى خدمة بطلميوس ووضع تحت امرته الجانب الأكبر من أسطول دمتريوس ، بما فى ذلك مراكبه الفينيقية ، كما أعطاه أيضا صيدا وصوروقاونوس • وهكذا استرد بطلميوس سيادة البحر ومعها سيادة عصبة جزر القوقلاد ، دون أن يحارب من أجلها • ولم يلبث أن استولى كذلك على جزيرة ثيرا (Thera) ومن المحتمل أنه أنشأ عندئذ أيضا قاعدة بحرية فى اتانوس على الساحل الشمالى الشرقى بجزيرة كريت (١)

بطلميوس يشرك معه فى الملك ابنه المفضل لديه :

وقد كانت مشكلة وراثة العرش أكبر مشاغل بطلميوس فى سنى حكمه الأخيرة ، فلكى يضمن الملك لابنه المفضل لديه ، وهو الذى أنجبته له برنيقى فى جزيرة قوس ، ويحرم ابنه الأكبر من يوروديقى وهو المعروف باسم بطلميوس «الصاعقة» (Keraunos) أشرك معه الأول فى الملك فى عام ٢٨٥ (٢) • وكان يواجه الملك الجديد حالة خارجية متوترة ، ذلك أن أخاه بطلميوس الصاعقة التجأ الى لوسيماخوس ثم الى سلوقس للحصول على عون يمكنه من الفوز بارثه ، أو اذا تعذر ذلك للعمل على الفوز فى أوروبا بما يعوضه عن خسارة ارثه المصرى • فكان من الجائز نشوب حروب تتهدد مصائر مصر ، لكن بطلميوس الأول قد أثبت أنه اذا كان من

(1) Rostovtzeff, Soc. and Ec., pp. 21-2; C.A.H. VII, p. 92; Tarn, p. 10; Cary, pp. 52-3; Cf. App., Syr., 62.

(٢) راجع Cary, p. 35; C.A.H. VII, p. 96; Glanville, op. cit., pp. XV-XX; Skeat, pp. 22-30; Chronique, 35, 1943, pp. 132 - 3.

ويذهب بعض القدامى (Justin., XVI, 2, 7-9) وبعض المحدثين (Bouché-Lecl. I, pp. 93 ff; Jouguet, Nat. Eg., p. 28) الى أن بطلميوس الأول تنازل عن العرش لابنه بطلميوس الثانى ، ولكنه يقطع بعدم صحة ذلك ان الوثائق البردية التى ترجع الى عام ٢٨٤/٢٨٣ مؤرخة بسنى حكم بطلميوس الأول باعتباره الملك الحاكم (P. Eeleph. 3-4) . وفضلا عن ذلك فان السنين الأولى من حكم بطلميوس الثانى احتسبت منذ وفاة أبيه وان كان بطلميوس الثانى قرر فيما بعد احتساب بداية حكمه منذ اشراكه فى الملك مع أبيه .

الممكن وقف مصر فى اندفاعها الى الفتح للحصول على سيادة البحر ، فقد كان من العسير المساس بمصالح مصر الجوهرية ، وأنه لم تحل بمصر هزيمة وعلى عرشها ملك حازم الا استطاعت أن تتخلص من آثارها .

استعراض سياسة بطلميوس الاول الخارجية :

واذا استعرضنا ما قام به بطلميوس فاننا نلاحظ (أولا) أنه بعد فشل ما اقترحه على مؤتمر بابل من بقاء عرش الامبراطورية شاغرا وقيام قواد الجيش بحكم الامبراطورية ، قام بدور رئيسى فى هذا المؤتمر الذى قرر : تقسيم الملك بين ارهيدايوس وجنين روكسانا ، وكذلك تقسيم السلطة المركزية بين برديقاس وقراتروس . وما كاد بطلميوس يصل الى مصر حتى أعدم قليومنيس النقراطيسى ، وعمل على نقل جثمان الاسكندر لدفنه فى مصر .

ولا ريب فى أن ما اقترحه بطلميوس أول الأمر على مؤتمر بابل يدل على تعطش شديد للسلطة ، ولا فى أن السياسة التى شارك فى جعل مؤتمر بابل يتبعها كانت أبسط نتائجها اتاحة قسط كبير من الاستقلال لحكام الولايات . بل ان النتيجة المنطقية لهذه السياسة آخر الأمر كانت فصم عرى الامبراطورية . واعدامه قليومنيس ودفنه الاسكندر فى مصر يدلان على رغبته فى الاستقلال بحكم مصر ويتمشيان مع ما ظهر من خلقه وسلوكه منذ اجتماع بابل .

ويلاحظ (ثانيا) أنه اشترك فى أربع محالفات ضد السلطة المركزية . فقد كانت أولى هذه المحالفات ضد برديقاس الذى قضى عليه فى عام ٣٢١ ، لأنه قبض على زمام السلطة العليا فى الامبراطورية المقدونية وأراد املاء ارادته على حكام الولايات . وقد رفض بطلميوس أن يخلف برديقاس فى منصب الوصاية ، مع أنه لو كان يطمع فى تكوين امبراطورية عالمية لرحب بهذه الفرصة . وكانت المحالفة الثانية ضد بولوبرخون عندما أقيم وصيا على الملكين ، وأصبح تبعا لذلك صاحب السلطة المركزية فى الامبراطورية . وكان ضعف مركز هذا الوصى خير حافز لتقويض أركان السلطة المركزية وتحقيق الأطماع الشخصية . وأما المحالفتان الثالثة والرابعة فانهما كانتا ضد أنتيجونوس « الأعور » وهو الذى ازدادت قوته بحيث أصبح خطرا

يتهدد سلامة الولاة الآخرين ، وانتهى الأمر بالقضاء عليه فى عام ٣٠١ . وينهض ذلك كله دليلا على أن تتابع الأحداث أقنع بطلميوس بأنه لا يستطيع تحقيق ما كان يستهدفه من الاستقلال بمصر والمحافظة على هذا الاستقلال الا اذا شارك فى القضاء على السلطة المركزية فى الامبراطورية وعلى وحدة الامبراطورية وكافح كل من حدثته نفسه باحيائها أو ازدادت قوته ازديادا خطيرا يتهدد توازن القوى فى بحر ايجة . ومع ذلك يلاحظ أنه فى أغلب الأحيان كان بطلميوس يتفادى تعريض مصائر مصر تعريضا خطيرا . وليس مرد ذلك ، كما يزعم بعض مؤرخى الغرب ، الى أنه كان يسيطر على شعب أقل ميلا للحرب من شعوب مقدونيا وتراقيا وآسيا ، فهو لم يعتمد على المصريين فى جيشه ، وانما مرد ذلك الى عاملين آخرين وأحدهما هو أنه كان يعتمد فى تكوين جيشه على التجنيد الخارجى وكان يكلفه كثيرا وتحت رحمة الظروف المختلفة وعرضة للنقص بل للانقطاع كلية . والعامل الآخر هو أن بطلميوس كان يدرك تماما أن مصر كانت دعامة قوته لأنها كانت المصدر الرئيسى لثروته والمركز الذى يشاد حوله صرح امبراطورية تكفل له الاستقلال السياسى والاقتصادى ، وأن قواته كانت الدرع الواقى لمصر ، ومن ثم فانه كان لا يجوز المخاطرة بتعريض مصر للأخطار بالزج بقواته فى حروب لا تمس سلامة مصر أو لا تخدم صوالحها المباشرة .

ويلاحظ (ثالثا) أنه حين كان بطلميوس معنيا بالفوز باستقلاله والذود عنه قد حاول تحقيق هدفين آخرين : كان أحدهما هو بسط نفوذه على الأقاليم التى تجاور مصر وتعتبر بمثابة ملحقاتها الطبيعية ، فانه ما كاد يصل الى مصر حتى استولى على قورينائة لحماية حدود مصر الغربية . وعندما وطد مركزه فى مصر بانتصاره على برديقاس ، وجه اهتمامه الى الاستيلاء على جوف سوريا وفينيقيا وقبرص والاحتفاظ بها ، وذلك من ناحية لحماية حدود مصر الشرقية والحصول على المعادن والأخشاب التى يفتقر اليها وادى النيل والسيطرة على أهم منافذ طريقى الوسط والجنوب للتجارة الشرقية ، ومن ناحية أخرى لتأمين سيادة مصر على بحر ايجة . وكان الهدف الآخر هو بسط سلطان مصر ما أمكن فى البحر الأبيض

المتوسط ، بقصد الاستيلاء على الأقاليم التى توفر لمصر ما تحتاج اليه من المواد الضرورية ، وبقصد حماية الطرق البحرية التى تصل مصر بدول بحر ايجة . ولذلك كله عنى بطلميوس بالاستيلاء على عصبة جزر بحر ايجة وبعض الأقاليم الواقعة على شواطىء آسيا الصغرى فى قيليقيا وبامفوليا ولوقيا وقاريا . واذا كان قد فقد فى أواخر القرن الرابع ممتلكاته فى آسيا الصغرى وبعد ذلك سطوته البحرية ، فانه فى بداية القرن الثالث استرد سيادته البحرية ، وأصبح سيد عصبة جزر القوقلاد وثيرا وشاطىء فينيقيا وقاونوس فضلا عن جوف سوريا وقورينايئة ، وأضحت تحت امرته اذ ذاك أكبر قوة بحرية فى العالم الهلينيسى .

لقد كانت أعز أمانى البطالمة الثلاثة الأوائل هى المحافظة على استقلال مصر التام ، وضمان ثرائها بتصريف الفائض من منتجاتها والحصول على المواد التى تفتقر اليها . وقد اعتبروا الوسيلة المثلى لتحقيق ذلك احراز سيادة بحر ايجة . ويجب أن يلاحظ أن السيطرة على عصبة جزر بحر ايجة كانت لا تكسب البطالمة الا سيطرة جزئية اقتصادية وسياسية على بحر ايجة ، وأن استكمال السيطرة على هذا البحر كان يقضى بفرض حماية مصر على شواطىء آسيا الصغرى الجنوبية والغربية ، ونشر نفوذها على الدردنيل وبحر مرمرة وشواطىء البحر الاسود الجنوبية . وقد كانت سلامة هذه الامبراطورية الايجية تتطلب كذلك الاستيلاء على موانىء فلسطين وفينيقيا . وقد شيد بطلميوس الأول جانبا مهما من هذه الامبراطورية ، وترك لابنه وحفيده استكمال هذا البناء الشامخ .

وقد جعل واجب بطلميوس الأول عسيرا ظروفه ومقدرة خصومه ، ولا شك فى أنه لم يمل الى تجاهل هذه المقدرة بل انه كان يخشاها . واذا كان بفضل مواهبه قد تمكن من تشييد صرح منيف ، فانه بحذره وأنانيته وشدة حرصه قد أورث خلفاءه المشكلة السورية العاتية التى كان لها أثر بعيد المدى فى مستقبل دولته . ومع ذلك فان هذه الدولة صمدت أمام صروف الزمن مدة طويلة ، فى حين أن عاصفة واحدة كانت كافية للقضاء على دول الآخرين الذين فاقوه فى جلال مظهرهم . وما نعرفه عنه يعطينا فى جملته بواعث كافية لتقديره والاتفاق مع أقوال المؤرخين القدماء ،

الذين يضعونه فى الصف الأول بين رجال ذلك الجيل المدهش من خلفاء الاسكندر (١) .

٢ – بطلميوس الثانى (فيلادلفوس Philadelphos)

صفاته :

وفى خلال العام الممتد من ٢ نوفمبر عام ٢٨٣ الى أول نوفمبر عام ٢٨٢ توفى بطلميوس الأول (٢) ، فانفرد بعرش مصر ملك فى عنفوان الشباب يناهز الخامسة والعشرين من عمره . وقد دأب المؤرخون (٣) منذ قديم الأزل على أن يدعوا هذا الملك فيلادلفوس برغم أنه لم يحمل هذا اللقب اطلاقا فى حياته ، فقد كان اللقب الالهى الذى خلع على زوجه وأخته أرسينوى (Arsinoe) بعد مماتها وانشاء عبادة خاصة بها . وتشبه ملامحه ملامح أبيه لكنها لا تنم عن القدر نفسه من النشاط ، ولا غرو فانه لم ينعم بمواهب أبيه الحربية ، ولم يشغف بالقتال حتى أنه لم ير اطلاقا على رأس جيشه . ولعل مرد ذلك الى أن صحته كانت رقيقة (٤) . وعلى الرغم من أنه حكم مدة طويلة فانه لم يبلغ أقصى الشيخوخة . وقد كان لهذا العاهل الذهبى الشعر (٥) سمة ملكية ، وان كان عنده استعداد بغيض للبدانة مثل أخيه غير الشقيق ماجاس ، نائب الملك فى قورينائية .

وقد أكسبه الشعراء الذين شادوا بذكره مجدا خالدا ، لكن الناس يعرفون اسمه أكثر مما يعرفون سيرته . وكان فيلادلفوس تلميذ الفيلسوف استراتون (Straton) والشاعر فيلتاس (Philetas) فكانت ثقافته واسعة ، وله ولع بالجغرافيا والتاريخ الطبيعى ، وشغف بالبحث عن أنواع الحيوان النادرة لحدائقه بالاسكندرية (٦) . واذا كان بطلميوس الأول قد وضع نواة المكتبة الكبرى فى الحى الملكى بما جمعه من الكتب ، فان بطلميوس الثانى هو الذى نظمها وأعطاها صورتها الحقيقية ، وأنشأ كذلك فيما يبدو

---

(1) Jouguet, Nat. Eg., pp. 28-9.

(2) Mond and Myers, The Bucheum II, p. 29 ; Skeat, pp. 29-31; Rostovtzeff, Soc., and Ec., p. 22 ; C.A.H. VII, p. 96.

(3) Diod., I, 37, 5; Strab., XVII, 1, 5.

(4) Strab. XVII, 1, 5.

(5) Theocr., XVII, 103.

(6) Diod, III, 36, 3; Theocr. I, 167-8; P. Cairo-Zen. I, 59075.

المكتبة الصغرى التى كانت تكون جزءا من سرابيوم الاسكندرية . ولم يتعلق هذا الملك بأهداب المسرات الروحية فقط ، فقد تسلطت عليه الشهوات الى حد أنه كان دائب البحث وراء بواعث جديدة للنشوة والسرور [١] . فلا عجب أنه كانت له حظايا كثيرات ، من كافة الطبقات [٢] ، كن يثرن دهشة الاسكندرية والعالم باسرافهن فى أهوائهن وبذخهن مثل بيليستيخى [٣] (Bilistiche) التى قدمت قرابين فاخرة لمعبد دلفى وفازت بسباق العجلات فى أولومبيا فى عام ٢٦٨ ، ومثل قلينو [٤] (Cleino) الساقية التى انتشرت تماثيلها فى العاصمة . ولابد من أن مثل هذا التظاهر لم يغضب الملك ، فقد كان فخورا بثرائه ومولعا بمظاهر العظمة . ونستدل على ذلك من وصف المهرجانات التى كان يقيمها ، على نحو ما سنرى فيما بعد . وكان فيلادلفوس الى جانب ذلك مستبداعصبيا ، ويحتمل أنه كان أيضا حاد المزاج ، وهو ما يبدو من أسلوب بعض قراراته وخطاباته ، وهى التى بات من المؤكد أنه هو الذى أملاها . ونكاد نسمع أصداء غضبه المخيف ، الذى صحب فضيحة قليون (Cleon) المشرف على أعمال الرى فى الفيوم ، تتجاوب فى بقايا مراسلات هذا التعس . وبالرغم من أن هذا العاهل كان محور كثير من القصص والتواريخ ، فانه لم تبق لنا عنه أدلة كافية تمكننا من التعرف على دخائل نفسه والحكم عليها بدقة .

ارسينوى الثانية :

واذا كان من العسير أن نتحقق مما يقال عما كان لأخصاء فيلادلفوس رجالا ونساء من الأثر الكبير فى سياسته ، فانه لا يخامر أحدا الشك فى أن أخته أرسينوى كانت مصدر وحيه فى أوائل حكمه ، وقت أن كانت سياسته طموحة نشيطة ، لكن الخمول لم يلبث أن استولى على هذه السياسة فيما بعد . ولذلك يجدر بنا أن نذكر شيئا عن هذه الملكة ، التى يدور الجدل حول خلقها والدور الذى لعبته . وأجمل نقودها الذهبية — تلك التى سكت فى خلال حياتها — تكسبها جمالا ملكيا ، حتى ليبدو محالا أن

(1) Strab. XVII, 1, 5. (2) Athen., XIII 576 e-f.
(3) Plut., Amator., 9; Paus., V, 8, 11 ; Alhen., XIII, 596e.
(4) Polyb., XIV, 11, 2 ; Athen., X, 425 f ; B.C.H. VI, 1882, pp. 117 ff ; Schreiber, Ath. Mtt., X, pp. 387 ff.; Colignon, Hist. Scul. Gr. II, pp. 557 ff.

ملامح بها هذا النبل وهذا الصفاء كان يمكن أن تتفق مع فساد الروح وانحطاطه . ومع ذلك فان أرسينوى ، فى رأى بعض المؤرخين ، تفتتح سلسلة أولئك الملكات السياسيات ، اللائى ملكتهن الخيــلاء وتسلطت عليهن شهوة الحكم واستخففن بوخز الضمير (١) .

وقد تزوجت أرسينوى ثلاث مرات لأسباب سياسية فى المرة الأولى من لوسيماخوس (حوالى عام ٣٠٠) لتخدم أغراض أبيها السياسية ، وفى المرة الثانية من بطلميوس « الصاعقة » (٢٨٠) لتضمن لنفسها وأولادها من لوسيماخوس ملك مقدونيا ، وفى المرة الثالثة من بطلميوس الثــانى (٢٧٦ ــ ٢٧٥) لتحقق لنفسها آمالها فى الحكم والسيطرة . ذلك أنه بعد ضياع آمالها فى حكم تراقيا ومقدونيا ، عادت الى الاسكندرية ، حيث اكتسبت على أخيها الملك سلطة لا تقهر . وقد كان فيلادلفوس متزوجا عندئذ من أرسينوى الأولى ، وكانت بمثابة ابنة أخته أرسينوى الثانية ، لأنها كانت ابنة زوجها لوسيماخوس ، بيد أن أرسينوى الثانية سرعان ما دبرت أبعاد أرسينوى الأولى الى قفط (Coptos) بتهمة التآمر ضد الملك (٢٧٦ ــ ٢٧٥)(٢)، ثم تزوجت أرسينوى الثانية من أخيها ملك مصر. وقد كان زواج الأخ من أخته الشقيقة يعتبر فسقا فى نظر الاغريق وان كان الاله زيوس والالهة هيرا (Hera) لم يتقيدا بهذا القانون البشرى . ولم يفت ثيوقريتوس (Theocitos) شاعر البلاط أن يمجد هذا « الزواج المقدس » الجديد . وأما الشاعر الهجاء سوتادس (Sotades) فانه جزاء اجترائه على التنديد بهــذا الزواج لقى حتفه وفقا لرواية أثينايوس (٣) أو ألقى فى غياهب السجن بضع سنوات وفقا لرواية بلوتارخ (٤) .

واذا كان من المحتمل أن أرسينوى الثانية لم ترتكب كل الجرائم التى عزاها اليها المؤرخون ، فانه لا سبيل الى الشك فى أنها كانت لا تترفع عن استخدام أى وسيلة فى سبيل الفوز بالسلطان ، ولا أدل على ذلك مما رأيناها تفعله لترتقى عرش مصر . ولم تكن هذه هى المرة الأولى التى

(1) Jouguet, Nat. Eg., pp. 46-9; Bevan, pp. 59-61.
(2) Mahaffy, Hist., p. 75. Tarn, p. 13 ; Cary, p. 84.
(3) Athen., XIV, 621 a.
(4) Plut., De Liber. educ., 14; Quaest. Symp., IX, 1.
سنناقش هذا الزواج فى الفصل الخامس .

انزلقت فيها الى الشر بسبب تعطشها الى الحكم ، فسنرى بعد قليل أنها حين كانت زوجة لوسيماخوس ارتكبت جريمة منكرة لتضمن السلطة لنفسها والعرش لأكبر أبنائها ، لكن أخاها غير الشقيق « الصاعقة » الذى تزوجته بعد وفاة لوسيماخوس لم يلبث أن بدد هذا الحلم .

الظروف تخدم فيلادلفوس :

ولنتتبع الآن أحداث العالم الهلينيسى منذ انفرد بعرش مصر بطلميوس الثانى ، الذى أدت اليه الظروف خدمة جليلة . ذلك أنه فى مستهل حكمه انهارت امبراطورية لوسيماخوس ، وأحدقت بامبراطورية سلوقس أزمة كادت تقضى عليها . وفى الوقت نفسه أثارت غزوة الغال اضطرابا كبيرا فى أوروبا وفى آسيا ، وكان من حسن طالع فيلادلفوس أن مصر لم تعرف الغال الا بمثابة جنود مرتزقة .

انهيار امبراطورية لوسيماخوس ومصرعه :

وقد أفضت احدى مآسى القصر فى مقدونيا الى القضاء على لوسيماخوس العجوز ، وكانت المنافسات والدسائس تقطع أوصال بلاطه ، حيث كانت زوجه الشابة أرسينوى شقيقة ملك مصر تتمتع بنفوذ يعادل أطماعها الواسعة . وقد مر بنا أنها كانت تريد السلطة لنفسها والعرش لابنها الأكبر ، لكن أجاثوقلس — الابن الأكبر للوسيماخوس من نيقايا ابنة أنتيباتروس ، وقاهر دمتريوس فى آسيا الصغرى فى عام ٢٨٦ ، وزوج لوساندرا أرملة الاسكندر بن قاساندروس وأخت أرسينوى لأبيها — كان الوريث الشرعى الذى أكسبته هذه الصلات وشجاعته ومولده كافة الفرص والحقوق . وزاد لهيب المنازعات فى بلاط لوسيماخوس وجود بطلميوس الصاعقة هناك ، وكان يعمل دائبا لتحقيق ما كان يستهدفه وسبقت الاشارة اليه (١) . وأفضت هذه المنازعات الى أن أرسينوى اتهمت أجاثوقلس باطلا بتدبير مؤامرة لاغتيال أبيه (٢) . ويحدثنا باوسانياس (٣) بأن أرسينوى نقمت على أجاثوقلس اما لأنه صدها عندما راودته عن نفسها ، واما ، وهو الأصح عندنا ، لأنها أرادت أن تتخلص من منافسته فيخلو

(١) راجع ص ٩٧ .

(2) Justim., XVII, 1.
(3) Paus, I, 10, 3.

الجو لها ولابنها . وعلى كل حال فان لوسيماخوس قضى باعدام ابنه (١) (عام ٢٨٤)، ففرت لوساندرا الى سلوقس (٢) . ولم يلبث بطلميوس الصاعقة أيضا أن التجأ الى سلوقس فأحسن وفادته معاملا اياه معاملة الوريث الشرعى لعرش مصر (٣) ، تنويها عن استعداد سلوقس لمساعدة ضيفه على تحقيق أمانيه . ويفسر ارتحال الصاعقة من بلاط لوسيماخوس الى بلاط سلوقس بأنه قبيل ذلك (عام ٢٨٣) خطب بطلميوس الثانى أرسينوى ابنة لوسيماخوس ، وازاء هذا التقارب بين فيلادلفوس ولوسيماخوس ، لم يعد الصاعقة ضيفا مقبولا لدى صهر غريمه ملك مصر . وقد هزت الجريمة المنكرة ، التى راح أجاثوقلس ضحيتها ، دعائم دولة لوسيماخوس ، فان ممتلكاته فى آسيا خرجت تباعا عن طاعته . وفى عام ٢٨٢ عبر سلوقس الطوروس استجابة لدعوة هذه الممتلكات فيمايبدو ، وعندئذ سلم اليه فيلتايروس (Philetaeros) برجام وما فيها من الأموال . وقد تسلم سلوقس أيضا ساردس وكنوزها . وفى عام ٢٨١ خرج لوسيماخوس على رأس جيشه لاسترداد امبراطوريته الآسيوية ، فالتقى مع سلوقس عند قوروبديون (Koroupedion) فى لوديا ، وكانت آخر المعارك العظمى بين خلفاء الاسكندر ، وفيها هزم لوسيماخوس وقتل (٤) .

مصرع سلوقس ، ارتقاء « الصاعقة » عرش مقدونيا :

وعندما خرج سلوقس مظفرا من هذه المعركة ، وجد امبراطورية الاسكندر عدا دولة البطالمة عند موطىء قدميه . ذلك أنه منذ أكثر من عشر سنين عقد معاهدة مفيدة فى مجموعها أنهت الحرب بينه وبين ساندراقوتاس (Sandracottas) ملك الكنج والسند ، وبذلك أمن حدوده الشرقية . والآن دانت له كل آسيا الصغرى تقريبا ، وأصبح عرش مقدونيا شاغرا . فدارت بخلده فكرة احياء امبراطورية الاسكندر ، ونسى ما بذله من الوعود لبطلميوس الصاعقة ولوساندرا ، وعبر الدردنيل فى بداية عام ٢٨٠ ليستولى على مقدونيا قلب الامبراطورية . لكن بطلميوس

(1) Memon. 8 F.H.G. III, p. 532 ; Appian., Syr., 64 ; Strab., XIII, 623; Justin. XVII, 1, 4.

(2) Paus., I, 10, 4.

(3) Memon, 12 ; Appian., Syr., 62 ; Paus., X, 19, 19, 7.

(4) Bouché-Leclercq, I, pp. 144-8; Jouguet, Mac. Imp., 166-8; C.A.H. VII, pp. 97-98; Tarn, p. 11.

الصاعقة ، وقد شعر بأن سلوقس لن يقيمه على عرش مصر وسيحرمه كل أمل فى مقدونيا ، انقض عليه وقتله ، ونادى الجيش بقاتل آخر خلفاء الاسكندر الذين عاصروه ملكا على مقدونيا (١) .

تحالف فيلادلفوس وبطلميوس الصاعقة :

وقد كان يناصب ملك مقدونيا الجديد العداء اثنان ،أحدهما هو أنطيوخوس الأول (Antiochos) ، الذى خلف أباه سلوقس فى آسيا ، ولم يكن فى وسعه أن يدع جانبا أطماع أبيه فى عرش مقدونيا ، ولاضرورة الثأر له من قاتله ، والآخر هو أنتيجونوس جوناتاس بن دمتريوس محاصر المدن ، وكان هو أيضا يطالب بعرش مقدونيا ، وكان مركزه قويا فى بلاد الاغريق الى أن هزمه بطلميوس الصاعقة فى موقعة بحرية فى عام ٢٨٠ وثار عليه الاغريق فى ذلك العام . وكان عدوا بطلميوس الصاعقة منافسين لأخيه ملك مصر ، ومن ثم أصبح الأخوان حليفين طبيعيين ضد أنطيوخوس وأنتيجونوس ، ولا سيما أن بطلميوس الصاعقة سارع الى مناشدة صداقة أخيه ملك مصر معلنا تناسيه حرمانه ارثه واكتفاءه بما اكتسبه على حساب عدو أبيهما (٢) . وقد وطد بطلميوس الصاعقة مركزه بانتصاره على أنتيجونوس فى عام ٢٨٠ (٣) ، وبارتكابه جريمة جديدة خلصته من أشخاص كان من الممكن أن ينافسوه ، وهم أبناء أرسينوى من لوسيماخوس وبيان ذلك أنه لكى يتقى هذا الخطر ويستولى على قاساندريا ، وكانت أرسينوى تسيطر عليها ، تزوج من هذه السيدة بالرغم من أنها كانت أخته واعدا اياها بأن يتبنى أبناءها ، لكنه ما كاد يدخل قاساندريا حتى قتل اثنين منهم (٤)، ففرت أرسينوى وثالثهم الى ساموتراقيا ثم الى افسوس (آخر عام ٢٨٠) . وعلى الرغم من أن أرسينوى كانت أخت ملك مصر ، فان ارتكاب هذه الجريمة لم يؤد الى اتخاذ أى اجراء ضد « الصاعقة » لأن مصر كانت

---

(1) Memnon 12; Trog. Pomp., Prol. XVII; Justin., XVII, 2, 5-6; Paus. I, 16, 2 ; X, 19, 7 ; App., Syr., 62 ; C.A.H. VII, p. 98 ; Bouché-Leclercq, I, pp. 148-9;; Jouguet,, Nat. Eg., pp. 44-5.

(2) Justin., XVII, 2, 9.

(3) Memnon, 13; Cf. Justin., XXIV, 1.

(٤) راجع : Justin, XX IV ، أما ثالث أبناء أرسينوى من لوسيماخوس وكان اكبرهم جميعا ويدعى بطلميوس فانه لم يشارك مصير أخويه لأنه لم يكن معهما وقت وقوع هذه المأساة ، راجع :

Trog. Pomp., Prol. XXIV.

مشتبكة عندئذ فى حرب مع أنطيوخوس (١) ، كما سنرى •

غزوة الغال ، مقتل الصاعقة ، جوناتاس ملك مقدونيا :

وعلى كل حال فان حكم بطلميوس الصاعقة لم يعمر طويلا ، اذ أنه قتل فى عام ٢٧٩ فى أثناء الدفاع عن مملكته ضد الغال ، الذين غزوا مقدونيا وأشاعوا الفوضى فى أرجائها وتقدموا فى بلاد الاغريق الوسطى حتى دلفى ، حيث هزمهم الايتوليون فى عام ٢٧٩ ، فارتدوا الى مقدونيا حيث انتصر على فريق منهم أنتيجونوس جوناتاس فى عام ٢٧٧ ، فاختاره الجيش المقدونى ملكا على مقدونيا • وقضى جوناتاس العام التالى فى التخلص من المطالبين بعرش مقدونيا ، ثم شغل حتى عام ٢٧٢ بمحاربة الاغريق وبوروس ملك أبيروس بعد عودته من حملته المشهورة فى ايطاليا (٢) •

الغال فى آسيا الصغرى ، العصبة الشمالية :

وقد كان لغزوة الغال أثرها فى الجزء الشرقى من العالم الهلينيسى ، حيث كان أنطيوخيوس يطمح الى أن يكون خليفة أبيه بحق ويحكم ولاياته الشرقية وكل آسيا الصغرى ، بما فى ذلك جزؤها الشمالى الذى كان يجتازه قرب شاطىء البحر الأسود الجنوبى طريق حربى هام يربط الجزء الشرقى من امبراطورية السلوقيين بمقدونيا ، وكان أنطيوخوس يرنو ببصره اليها • وكان يقف فى وجه أطماع أنطيوخوس دول شمال آسيا الصغرى ، وكانت تتألف منها عصبة تسمى « العصبة الشمالية » ، وتضم المدن الحرة القوية هيراقليا وبيزنطة وتيوس ('Teos) وقيوس (Ceos) وكذلك مملكة بونتوس (Pontos) وكان على عرشها اذ ذاك ميثريداتس الثانى (Mithridates) ، ومملكة بيثونيا ، وكان يحكمها عندئذ نيقومدس الأول (Nicomedes) • وقد انضم الى هذه العصبة أنتيجونوس جوناتاس عقب هزيمته فى عام ٢٨٠ وثورة بلاد الاغريق عليه ، وكان دون شك يأمل فى أن ينشىء لنفسه مملكة فى آسيا الصغرى •

واذا كان أنطيوخوس قد أفلح فى ابعاد أنتيجونوس عن هذه العصبة

(1) C.A.H. VII, p. 100; Jouguet, Nat. Eg., p. 45; Mac. Imp., pp. 177-8.
(2) C.A.H., p. 106 ff.

بأن عقد معه محالفة ، يبدو أنه بمقتضاها تنازل الأول عن أطمـاعه فى مقدونيا والثانى عن أطماعه فى آسيا فان العصبة الشمالية بقيت مع ذلك قوية ، لكنه لم تكن لديها القوة الكافية لمكافحة أنطيوخوس بمفردها . ولذلك قرر نيقومدس وميثريداتس الاستعانة بالغال وساعداهم على عبور الدردنيل ، فأوسعوا ممتلكات أنطيوخوس فى آسيا الصغرى نهبا وتخريبا. ولم يستطع أنطيوخوس مواجهة هذا الخطر فى الحال وطرد الغال من آسيا الصغرى ، لأنه كان مشغولا عندئذ بثورة داخلية فى سوريا وبحرب مع فيلادلفوس (٢٨٠ — ٢٧٩). وقد ساعد نيقومدس وميثريداتس الغال على الاستقرار فى فروجيا ، ليكون وجودهم هناك درعا واقيا للعصبة الشمالية. وقد عاث الغال فسادا فى آسيا الصغرى ، ولم يفلح أنطيوخوس اطلاقا فى التخلص منهم ، على الرغم من الهزيمة الفادحة التى أنزلها بهم فى موقعة الفيلة فى عام ٢٧٥ (١) ، عندما كان النضال قد بدأ ثانية ، فيما يبدو ، بينه وبين فيلادلفوس (٢) .

اهداف الدول الهلينيسية ، مصر وسوريا ومقدونيا :

تمخض الصراع بين خلفاء الاسكندر آخر الأمر عن قيام ثلاث دول على أنقاض امبراطورية الاسكندر الأكبر . وكانت دولة البطالمة عنـدئذ أقوى هذه الدول ، أى أقوى دولة فى العـالم الهلينيسى ، تليها دولـة السلوقيين ، وكانت تشمل ولايات امبراطورية الاسكندر فى بلاد ما بين النهرين وكذلك أغلب الولايات الشرقية البعيدة ، وجانبا كبيرا من آسيا الصغرى وسوريا (فيما عدا جوف سوريا) . وكانت الدولة الثالثة هى مقدونيا ، وكانت تعتبر نفسها سيدة المدن الاغريقية فى شبه جزيرة البلقان وتسيطر فعلا على بعضها مثل خالقيس وقورنثة .

وقد كانت لكل من هذه الدول حاجاتها ومراميها وكذلك خطتهـا ووسائلها لتحقيق ذلك . وعلى الرغم من أن مصر خرجت من الصراع العنيف بين خلفاء الاسكندر أقوى وأغنى دولة هلينيسية ، فانه لابطلميوس الأول ولا الثانى فكر فى اعادة تكوين امبراطورية الاسكندر . فقد كان

(1) Rostovtzeff, Soc. and Ec., pp. 26-7; Tarn, pp. 11-12.

(2) Jouguet, Nat. Eg., p. 49.

هدفهما الأساسى ، على نحو ما مر بنا ، هو الدفاع عن استقلال مصر الكامل ولعب الدور الأول فى حلبة السياسة وفى مضمار الاقتصاد فى العـالم الهلينيسى ، وكانت أفضل وسيلة لتحقيق ذلك هى احراز السيطرة على بحر ايجة • ويجب أن يكون مفهوما أن السيطرة على عصبة جزر القوقلاد ، وهى التى فاز بها أولاسوتر ثم وطد دعائمها فيلادلفوس ، كانت لا تكسب مصر الا سيطرة جزئية سياسية واقتصادية على بحر ايجة • ولاستكمال هذه السيطرة حاول فيلادلفوس الاستيلاء على شواطىء آسيا الصـغرى الجنوبية والغربية ، وبسط نفوذه على المراكز التجارية الهامة على ضفاف الدردنيل وبحر مرمرة وشاطىء البحر الأسود الجنوبى • ومن ناحيـة أخرى ، كانت سلامة هذه الامبراطورية الايجية تتطلب الاستيلاء على الموانىء الكبيرة على شواطىء فينيقيا وفلسطين ، وخاصة صور وصيدا ، اذ كان ذلك يضع تحت امرة صاحب السيطرة هناك أمهر الملاحين فى البحر المتوسط وقدرا وفيرا من الأخشاب لبناء السفن وأهم منافذ طريقين تجاريين كبيرين يأتى أحدهما شمالا من بلاد العرب والبتراء والآخر غربا من بابل ودمشق • ولذلك عنى البطالمة ، وخاصة الأوائل منهم ، بالاستيلاء على فلسطين وفينيقيا وجانب من سوريا (جوف سوريا) • وقد حدت الرغبة فى السيطرة على بحر ايجة بالبطالمة الأوائل الى أن يحاولوا تقوية نفوذهم فى أهم الموانىء الاغريقية ،ليمنعوا حكام مقدونيا من أن يصبحوا أقوياء فى البحر • ولم يمل هذه السياسة على البطالمة اعتبارات اقتصادية فحسب، اذ كانوا يعتبرون سيطرتهم على بحر ايجة أساس كيانهم السياسى ومصدر قوتهم • ذلك أن عزلتهم فى مصر كانت تضعفهم أمام دولة السلوقيين ، وكانت فى قبضتها المدن الاغريقية فى الأناضول ، وأمام مقدونيا وكانت تسيطر على اغريق البلقان ، فى حين أن سيطرة البطالمة على الطرق التجارية فى بحر ايجة وعلى « جوف سوريا » كانت توفر لهم موارد جمة من الرجال والأموال • ولم تكن سيطرتهم على الطرق التجارية هدفا فى حد ذاتها ، بل وسيلة لتحقيق أهدافهم السياسية • ومن الجلى أن هذه السياسة كانت تضر بصوالح الدولة السلوقية ومقدونيا ، وتنطوى على ضياع استقلال المدن الاغريقية فى الجزر وفى آسيا الصغـرى ، ولذلك كان البطالمـة

لا يستطيعون تحقيق أهداف سياستهم الخارجية دون القيام بمجهود حربى عنيف مستمر .

وكان طبيعيا اذن ألا يسلم السلوقيون باستيلاء البطالمة على « جوف سوريا » وعلى شواطىء آسيا الصغرى ، لأن حدوث ذلك كان يحرمهم موارد ضخمة وانشاء أسطول كبير والاحتفاظ به فى موانىء تلك الأصقاع، بل كان يتيح للبطالمة أن يسدوا فى وجوههم سبل الاتصال بالبحر المتوسط، فتصبح دولتهم مملكة شرقية بحتا منعزلة تماما عن العالم الاغريقى . واذا كانت الظروف القاهرة قد أرغمت السلوقيين على النزول عن شمال آسيا الصغرى ، فانهم كانوا لا يسلمون طواعية لدولة أخرى بالسيطرة على « جوف سوريا » وشواطىء آسيا الصغرى الجنوبية والغربية . وازاء ذلك كله لم يكن هناك مفر من أن يصطدم السلوقيون بالبطالمة اصطداما عنيفا .

ولم يكن فى وسع ملوك مقدونيا ، أنتيجونوس جوناتاس ودمتريوس الثانى وأنتيجونوس دوسون (Doson) ، أن يسلموا بسيطرة البطالمة على بحر ايجة ، لأنه كان يترتب على ذلك انتقال السيطرة على مؤنة بلاد الاغريق من قبضة مقدونيا الى قبضة دولة معادية لها ، فقد كانت السيطرة على بحر ايجة تفضى الى السيطرة على المضايق ، وكان عن طريقها يأتى جانب كبير من مؤنة بلاد الاغريق . وكان البطالمة يحرصون على ألا تصبح مقدونيا دولة قوية لأن ذلك كان يؤدى الى احياء امبراطورية دمتريوس الأول البحرية ، مما يترتب عليه القضاء على سيادتهم الايجية ، ولذلك سنرى كيف أن البطالمة كانوا يعملون على تأييد منافسى ملوك مقدونيا وأعدائهم ، وبخاصة أثينا والعصبة الآخية واسبرطة . ومن ناحية أخرى عندما تخلصت مقدونيا من متاعبها فى بلاد الاغريق ، عملت على طرد البطالمة من بحر ايجة ، وبطبيعة الحال أيدها السلوقيون فى ذلك . وعلى الرغم من الأخطار التى أحدقت بالبطالمة باستمرار فى بحر ايجة ، فانهم نجحوا فى اقامة سيطرتهم هناك والاحتفاظ بها مدة طويلة (١) .

حرب قاريا ، أو حرب دمشق :

وقد بدأ النضال العنيف بين أنطيوخوس الأول وفيلادلفوس فى عام

---

(1) Rostovteff, Soc. and Ec., pp. 27-31.

٢٨٠ ، عندما نشبت بينهما حرب غامضة (٢٨٠ — ٢٧٩) يمكن تسميتها « حرب قاريا » ، لأن مصر أحرزت من ورائها فتوحات فى قاريا ، فقد وقعت ميلتوس بوجه خاص فى قبضتها ، أو « حرب دمشق » ، لأن فيلادلفوس استولى على دمشق وشاطىء فينيقيا الشمالى حتى أرادوس • وعلى كل حال فانه ، ازاء خطر الغال على أنطيوخوس من ناحية وانشغال فيلادلفوس بحملة ضد النبط من ناحية أخرى ، عقد الصلح بين الطرفين فى عام ٢٧٩ (١) •

حملة فيلادلفوس ضد النبط وجيرانهم :

وقد شغل بطلميوس فى العامين التاليين (٢٧٨ — ٢٧٧) باخضاع قبائل أدومايا والبحر الميت وشرق الأردن (٢) • ومرد نشاط بطلميوس الثانى ضد النبط وجيرانهم الى الأهمية التى كان هذا العاهل يعلقها على التجارة الشرقية ، مما حدا به أيضا الى اقتفاء أثر أبيه فى القيام ببحوث كشفية لمعرفة شواطىء البحر الأحمر وشعوبه وموارد الثروة هناك ، والى الاهتمام بالطرق التى تربط وادى النيل بالبحر الأحمر وبانشاء الموانىء على هذا البحر ، على نحو ما سنرى فى سياق الحديث عن التجارة •

الحرب السورية الأولى :

ولما كان أنطيوخوس قد انتقل فى عام ٢٧٦ الى ساردس (٣) لملاقاة الغال ، فان ذلك أغرى فيلادلفوس على خوض غمار حرب تعرف بالحرب السورية الأولى • وتتضارب الآراء تضاربا شديدا حول تواريخ أحداث هذه الحرب ، لكننا نرجح أنه فى ربيع ٢٧٥ جرد فيلادلفوس حملة غزت سوريا السلوقية • وما كاد أنطيوخوس يهزم الغال فى « موقعة الفيلة » فى ذلك العام حتى خف الى سوريا حيث هزم القوات المصرية واسترد دمشق (٤) ، وحاصرت قواته البرية والبحرية مدينة ميلتوس (٥) (عام ٢٧٥) ، لكن قاليقراتيس (Callicrates)

---

(1) Jouguet, Nat. Eg., p. 49; Cary, pp. 83, 387.
(2) Tarn, J.E.A. 1929, pp. 9 ff. ; Cf. D. Lortom, J.E.A., 1971, pp, 160 ff,
(3) Smith, Babylonian Hist. Texts Relating to The Capture and Downfall of Babylon, Ch. 2.
(4) Polyaen., IV, 15.
(5) Rehm, Das Deplpinion in Milet, I, pt. 3, no. 139; Tarn, Hermes, 1930, pp. 447-50; J.H.S. 1928, pp. 155 ff.

أمير البحـر البطلمى لم يلبث أن تمـكن من رفـع هذا الحصار ، وفى هذه الأثناء أخذ أنطيوخوس يعد العدة لغزو جوف سوريا .

ويرى البعض أن زواج فيلادلفوس من أخته أرسينوى كان نتيجة للهزيمة التى حلت به فى سوريا وأشعرته بعدم كفايته الحربية وبحاجته الى شخصية تسد هذا النقص . بيد أنه لعل الأرجح أن يكون هذا الزواج قد تم قبل نشوب الحرب السورية الأولى ، وأن الاقدام على غزو سوريا السلوقية كان وليد الطموح الذى بثته أرسينوى فى سياسة مصر الخارجية(١)

ثـورة ماجـاس :

مر بنا أن قوريناية ثارت على بطلميوس فى عام ٣١٣ ، وأنه أخضعها وأسند حكمها ثانية الى أوفلاس وأن هذا الحاكم خرج على بطلميوس فى عام ٣١١ ، وأنه عقب مصرع أوفـلاس فى عام ٣٠٩ اسـتعاد بطلميوس قوريناية وأقام عليها ماجاس ابن زوجته برنيقى فأصبح نائب الملك فى حكم هذا الاقليم منذ عام ٣٠٨ . بيد أنه استنادا الى فقرة غامضة مقتضبة عند باوسانياس (٢) ، والى بعض النقود التى نقشت عليها عبارة تنم عن سكها باسم الشعب القورينى (Kyranion damo) وذلك تمييزا لها عن النقود التى نقشت عليها عبارة تنم عن سكها فى عهد بطلميوس حـاكم القورينيـين (Kyranion Ptolemaio) ، يرى فـريق مـن البـاحثين أنه نشبت فى قوريناية ثورة أخرى كانت على الأرجح فى أعقاب هزيمـة بطلميوس فى موقعة سلاميس فى عام ٣٠٦ ، وأن ماجاس استرد قوريناية فى عام ٣٠١ حين استرد بطلميوس جوف سوريا وقبرص ، وأن ماجاس انتهز فرصة وفاة بطلميوس فى عام ٢٨٣ وأعلن استقلاله بقوريناية وأقام نفسه ملكا عليها (٣) . واستنادا الى فقرة باوسانياس سالفة الذكر ، والى أنه فى عام ٣٠٨ كانت سن ماجاس لا يمكن أن تزيد على خمسة وعشرين عاما مما يصعب معه تصور اسناد حكم قوريناية اليه عندئذ ، يرى فريق آخر من الباحثين أن ماجاس لم يتول حكم قوريناية الا حوالى عام ٣٠٠ ،

(1) Cf. C.A.H. VII, pp. 702-3; Tarn, p. 13.
(2) Paus., I, 6, 8.
(3) Robinson, Cat. Gr. Coins of Cyrenaica, B.M.C., pp. LXXXX—VII ; A.H.M. Jones, Cities of Eastern Roman Emp., p. 353.

وأنه حكمها منذ هذا التاريخ حتى عام ٢٥٠ أولا باسم بطلميوس الأول حتى وفاة هذا العاهل فى عام ٢٨٣ ثم منذ ذلك التاريخ حتى وفاته فى عام ٢٥٠ بوصفه ملكا مستقلا (١) .

ويدحض الرأى الأول : أولا ، أنه لا يجوز الاعتماد على فقرة باوسانياس المقتضبة فى تأريخ ثورة قورينايئة واستردادها لأنها تذكر استرداد قورينايئة بعد استعادة بوروس عرشه وهو ما لم يحدث قبل عام ٢٩٧ (٢) . وثانيا ، وأما عن النقود التى يوحى نقشها بتحرر قورينايئة من ربقة بطلميوس فانه ليس هناك ما يقطع بنسبتها الى أواخر القرن الرابع قبل الميلاد ويحول دون نسبتها الى الفترة المضطربة التى أعقبت وفاة ماجاس على نحو ما سيجىء ذكره . وثالثا ، أنه لا يوجد فى المصادر القديمة ما يشير الى وقوع ثورة فى قورينايئة فى عام ٣٠٦ ولو أن شيئا مثل ذلك قد حدث لورد ذكره عند ديودوروس وهو الذى يتناول بافاضة أحداث ذلك العام . وازاء اتفاق الرأيين الأول والثانى على أن ماجاس أعلن استقلاله فى عام ٢٨٣ ، وازاء اتصال هذه المسألة بالأحداث التالية ، فاننا سنتناول مناقشة هذه المسألة فيما بعد .

وينقض الرأى الثانى : أولا — ما ذكرناه فى بداية تفنيد الرأى الأول خاصا بفقرة باوسانياس . وثانيا — أن ماجاس لم يكن فردا عاديا من عامة الناس وانما أحد أفراد أسرة البطالمة ولابد من أن يكون قد أظهر من المواهب ما أقنع بطلميوس بأهليته لتولى حكم قورينايئة وهو ما حدث بالفعل سواء فى عام ٣٠٨ وفقا لما نراه ويراه كثيرون غيرنا أم فى حوالى عام ٣٠٠ وفقا لأصحاب الرأى الثانى . وثالثا — أن أحد مصادرنا القديمة (٣) يحدثنا بأن بطلميوس استعاد قورينايئة عقب مصرع أوفلاس فى عام ٣٠٩ ، وأن مصدرا قديما آخر (٤) يذكر أن ماجاس حكم خمسين عاما ، أى من حوالى عام ٣٠٠ الى عام ٢٥٠ وفقا لأصحاب هذا الرأى ، ومن حوالى

(1) Beloch, Gr. Gesch., IV, pt. 2, pp. 186-9; Chamoux, Rev. Hist., 1956, II, pp. 18-34; B.C.H., 82, 1958, p. 574.

(2) Cary, p. 393. (انظر أعلاه ص ص ٩٣ — ٩٤) .

(3) Suidas, s.v. Dametrius.

(4) Agatharchides apud Athen., XII, 550 b.

عام ٣٠٨ الى حوالى عام ٢٥٨وفقا لرأينا ورأى الكثيرين من الباحثين(١).
واذا جاز أن الخمسين عاما التى ذكرها المصدر القديم ليست الا رقما
تقريبيا فانه يمكن أن نقبل أن ماجاس لم يتوف فى عام ٣٥٨ بالضبط ولكنه
يصعب قبول أنه توفى فى عام ٢٥٠ والا لكان الرقم التقريبى ستين عاما.
ورابعا — لو صح أن ماجاس توفى فعلا فى عام ٢٥٠، لكان معنى ذلك
أن تدخل أنتيجونوس جوناتاس فى شئون قورينائية بعد وفاة ماجاس —
على نحو ما سيجىء ذكره فيما بعد — قد حدث بعد اضمحلال قوته نتيجة
لثورة الاسكندر ابن أخيه عليه فى حوالى عام ٢٥٢، وهو ما يبدو غير
معقول ولا مقبول.

وأما عن مسألة اعلان ماجاس استقلاله بقورينائية واقامة نفسه ملكا
عليها، فانها فى حد ذاتها ليست موضعا للجدل، ذلك أنه قد وصلت الينا
حتى الآن ثلاث نقوش ذكر فيها اسمه مقرونا بلقب ملك (٢). وأما
موضع الجدل فهو تاريخ هذا الاعلان. ولتقرير ذلك يجب أن يؤخذ فى
الاعتبار أن بطلميوس الثانى أشرك فى الملك مع أبيه منذ عام ٢٨٥، أى
أنه عند وفاة أبيه بعد ذلك بعامين لم يكن مفتقرا الى التدريب ولا الى
معرفة احتياجات الدولة، ولا كان حدثا صغيرا بل شابا ناضجا فى الخامسة
والعشرين من عمره. هذا الى أنه عندما انفرد بالملك فى عام ٢٨٣ كانت
مملكته أقوى وأغنى مملكة فى العالم الهلينيسى. ولا شك فى أن
فيلادلفوس كان يدرك مثل أبيه أهمية قورينائية لتأمين سلامة مصر، كما
كان يدرك أنه بوصفه ملكا جديدا كان يجب أن يثبت للعالم أجمع أنه
لا يقل عن أبيه بأسا ولا حرصا على الحفاظ على ممتلكات دولته. والواقع
أن تاريخ فيلادلفوس يدل على أنه لم يعمل على الحفاظ على هذه الممتلكات
فحسب بل أيضا على الاضافة اليها، ومن ثم فانه لا يعقل أنه كان يسلم
طواعية بانشقاق ماجاس وانفصال قورينائية عن الامبراطورية البطلمية.
وتبعا لذلك لو أنه حدث فعلا أن ماجاس أقدم على اعلان استقلاله عقب
وفاة بطلميوس الأول فى عام ٢٨٣ لبادر فيلادلفوس الى تأديبه بدلا من

(1) Tarn, Antigonos Gonatas, pp. 450-1; Tillyard and Wace, B.S.A., XI, pp. 112 ff.; Cary, pp. 393-4.

(2) S.E.G., IX, 112; Inscr. Cret., II, pp. 211 ff.; B.C.H., 82, 1958, pp. 571-87.

الاشتباك مع أنطيوخوس الأول فى حرب قاريا أو حرب دمشق ثم فى الحرب السورية الأولى على نحو ما مر بنا ، ولكن المصادر القديمة لا تشير اطلاقا الى وقوع أى نزاع بين فيلادلفوس وماجاس قبل عام ٢٧٤ ، ولم يتمثل هذا النزاع فى حملة بطلمية موجهة ضد ماجاس لرده الى حظيرة الامبراطورية البطلمية وانما فى حملة قادها ماجاس ضد مصر . ذلك أنه يتبين من أحد المصادر القديمة أنه قبل اقدام أنطيوخوس الأول على غزو جوف سوريا (عام ٢٧٤) تحالف مع ماجاس وزوجه ابنته أباما (١) (Apama) . ونعتقد أن ماجاس لم يعلن استقلاله وينادى بنفسه ملكا الا عندئذ ، لأنه لم يكن فى وسعه الاجتراء على اتخاذ هذه الخطوة دون أن يكون له حليف قوى يشد أزره ضد فيلادلفوس . بيد أن هذا لا ينفى أن رغبة ماجاس فى الاستقلال كانت تراوده منذ وفاة بطلميوس الأول ولا أنه أخذ يستعد لتحقيقها فى الوقت المناسب . وما أن تحالف مع أنطيوخوس حتى زحف على مصر وكاد أن يصل الى الاسكندرية بسبب ثورة الجنود الغال فى جيش فيلادلفوس ، ولكن تدابير أرسينوى نجحت فى اثارة قبائل المارماريد (Marmaridae) فى مؤخرة ماجاس فاضطر الى التقهقر سريعا . وأما الغال فانهم حوصروا وقضى عليهم جميعا (٢) .

ولما كنا سنرى بعد قليل النجاح الباهر الذى أحرزه فيلادلفوس فى الحرب ضد أنطيوخوس ، وكنا لا نسمع بعد ذلك عن وقوع أى نزاع بين الأخوين غير الشقيقين (ماجاس وفيلادلفوس) ولا عن قيام ماجاس بأية محاولة عدوانية ضد مصر ولا سيما فى أعقاب النكبات التى منى بها فيلادلفوس فى الحرب السورية الثانية ، فاننا نرجح أنه عقب فشل حملة ماجاس وانتصارات فيلادلفوس فى الحرب السورية الأولى اتفق الأخوان على أن يدين ماجاس بالطاعة لأخيه لقاء الاعتراف به ملكا على قورينائة ، أو بعبارة أخرى الاتفاق على اعطاء قورينائة استقلالا ذاتيا مع بقائها فى حظيرة الامبراطورية البطلمية .

ولعل المخاطر التى سلفت الاشارة اليها كانت سبب الفشل الذى منيت

---

(1) Paus., I, 7, 3.,

(2) Paus., I, 7, 2.,

به القوات المصرية فى سوريا، ولذلك فانه ما كادت مصر تتخلص من هذه المخاطر حتى عادت الى مهاجمة أنطيوخوس ، فاستولت على كل شاطىء فينيقيا وردته على أعقابه داخل سوريا وأحرزت فتوحات واسعة على شواطىء آسيا الصغرى ، فاضطر أنطيوخوس الى عقد الصلح فى عام ٢٧٢ (١) . واذا كان أنطيوخوس قد تمكن من الاحتفاظ بنصف قيليقيا الشرقى ، فان ممتلكات فيلادلفوس عند عقد الصلح كانت تشمل نصف قيليقيا الغربى بعد قالوقادنوس (Calycadnos) وساحل بامفوليا الشرقى بما فى ذلك فاسليس (Phaselis) ، ومن المحتمل أسبندوس (Aspendos) وأغلب لوقيا جنوبى ميلواد (Milyad) ، وعدة أماكن فى قاريا وأيونيا وهى: قاونوس وهاليقارناسوس وموندوس(Myndos)وقنيدوس وميلتوس . وفى بحر ايجه، كان فيلادلفوس يملك ساموتراقيا وايتانوس (Itanos) الى جانب ساموس (التى أصبحت قاعدة الأسطول البطلمى فى بحر ايجة) وثيرا والقوقلاد . وفى سوريا ، امتدت ممتلكات مصر حتى شملت وادى مارسياس . واذا كانت دمشق قد بقيت فى قبضة أنطيوخوس ، فان فيلادلفوس ضم أرادوس (Ardaos) وماراثوس (Marthos) وبذلك أصبحت كل فينيقيا مصرية (٢) . وعلى حدود مصر الغربية دانت له بالطاعة قبائل المرماريد (Marmaridae) عند الساحل وكذلك قورينائية (٣). وفى ٩ من يولية عام ٢٧٠ « صعدت الى السماء » أرسينوى الثانية ، وهى التى عزى اليها رسميا كل هذه الانتصارات الباهرة ، فلا عجب أنها قد فازت بمظاهر التقدير والتبجيل فى حياتها وفى مماتها (٤) .

بطلميوس الابن (٥) :

ويحدثنا باوسانياس بأن أرسينوى الثانية توفيت دون أن تنجب أبناء من فيلادلفوس (٦) . ويذكر مصدر قديم آخر أنها تبنت أولاد فيلادلفوس من زوجته السابقة وأن أكبرهم سنا كان بطلميوس

---

(1) Cary, pp. 85, 104.

(2) C.A.H., VII, pp. 703-4.

(3) Jouguet, Mac. Imp., p. 246.

(4) Tarn, Class. Rev., XL, 1926, p. 86; C.A.H., VII, pp. 704-5.

(٥) انظر : Cary, Appendix 6, pp.390-2, with Bibliography.

(6) Paus., I, 7, 3.

الثالث (١) ٠

ونجد أنه فى عدد من الوثائق الديموتيقية (٢) والاغريقية (٣) التى ترجع الى فترة تمتد بين عامى ٢٦٧ و ٢٥٩ قد ورد ذكر « بطلميوس ابن بطلميوس » بوصفه شريكا فى الملك لفيلادلفوس ٠ ومما يجدر ذكره أن هذا الشريك قد ذكر فى «وثيقة الدخل» التى ترجع الى عام ٢٥٩ ثم أزيل اسمه من هذه الوثيقة ، وأنه لم يرد له ذكر بعد ذلك فى الوثائق اللاحقة لهذا التاريخ ٠

وقد تضاربت آراء المؤرخين تضاربا بينا فيمن كان هذا الشخص الذى أشركه فيلادلفوس معه منذ عام ٢٦٧ على الأقل حتى نحاه عنه فى عام ٢٥٩٠ وهناك خمسة احتمالات :

١ ــ أنه كان بطلميوس الثالث وأن اسمه حذف من الوثائق منذ عام ٢٥٩ لسبب غير معروف ، لكنه يناهض هذا الاحتمال أن هذه الفترة الطويلة لم تحسب فى سنى حكم بطلميوس الثالث مع أنه ، وفقا للسابقة التى وضعها بطلميوس الثانى ، احتسب بداية سنى حكمه منذ أشركه أبوه معه فى الحكم فى نوفمبر عام ٢٤٧ ، وذلك للمرة الثانية وفقا لهذا الافتراض غير المقبول ، أو للمرة الأولى وفقا لما نراه مع فريق من المؤرخين ٠ وفضلا عن ذلك فانه ليس لدينا ما ينم عن سبب لحذف اسم ولى العهد من الوثائق منذ عام ٢٥٩ ٠

٢ ــ أنه كان ابنا أنجبته أرسينوى الثانية لفيلادلفوس ، لكن هذا الاحتمال لا يستقيم مع ما ذكره باوسانياس من أن أرسينوى الثانية توفيت دون أن تنجب لفيلادلفوس أبناء ٠

٣ ــ أنه كان أخا أكبر لبطلميوس الثالث ، لكنه يستبعد هذا الاحتمال ما أسلفناه من أن بطلميوس الثالث كان أكبر اخوته ٠

٤ ــ أنه كان ابنا غير شرعى لبطلميوس الثانى من احدى حظاياه ٠

(1) Schol. Theocr., XVII, 128.
(2) P. Louvre 2424, 2433, 2443 etc.
(3) P. Petr., II, 26; SB. 6709; P. Zen. 3, Annales, 1919, p. 165; Welles, Royal Corr., 14, 1, 9.

واذا كان يصعب انكار أنه كان لفيلادلفوس أبناء غير شرعيين ، فانه مع ذلك لا يستقيم عقلا أن يحرم فيلادلفوس ابنه الشرعى لصالح ابن غير شرعى .

٥ — أنه كان الابن الأكبر لأرسينوى الثانية من لوسيماخوس ، ذلك الابن الذى نجا من قبضة « الصاعقة » . ومعنى ذلك أن تكون أرسينوى عندما سيطرت على فيلادلفوس وجعلته يتزوجها قد جعلته أيضا يتبنى هذا الابن مثل ما تبنت هى أبناءه من زوجته الأولى . وعندماتوفيت أرسينوى وغمرها فيلادلفوس بمظاهر الاحترام والتقدير لم يكن منه الا أنه أشرك ابنها معه فى الحكم ، لكنه نحاه فى عام ٢٥٩ عندما ثار عليه هذا الابن العاق ، ذلك أن مصدرا قديما (١) يذكر اشتراك « ابن الملك بطلميوس» مع تيمارخوس فى ثورة ضد أبيه . ولاجدال فى أن تيمارخوس الذى كان حاكم ميلتوس فى أثناء الحرب السورية الثانية قضى عليه فى عام ٢٥٩ (٢) .

ومعنى ذلك أن « الابن » الذى ورد ذكره فى هذا المصدر قد خرج على ملك مصر فى الوقت نفسه الذى اختفى فيه من الوثائق ذكر «الابن» الذى كان شريكا لفيلادلفوس منذ عام ٢٦٧ على الأقل . ويوجد اعتراضان على هذا الرأى ، وأحدهما هو أن المصادر القديمة لا تشير اطلاقا الى اجتراءفيلادلفوس على تفضيل ابنزوجته منلوسيماخوس على أكبرأبنائه. وكان يمكن الأخذ بهذا الاعتراض لو أن مصادرنا كانت كاملة وافية وليست مبتورة وناقصة . والاعتراض الآخر هو أن بطلميوس الثالث مع أنه كان فعلا ابن أرسينوى الأولى الا أنه كان دائما يوصف فى وثائق عصره الرسمية بأنه ابن « الالهين الأخوين » أى ابن بطلميوس الثانى وأرسينوى الثانية ، ولو صح أنه كان قد استبعد عن ولاية العرش أول الأمر نتيجة لتدابير أرسينوى الثانية لما حرص على ذكر بنوته لزوج أبيه ومدبرة اقصائه . والرد على هذا الاعتراض هين يسير :فأولا لاجدال فى أن أرسينوى الثانية تبنت بطلميوس الثالث . وثانيا أن بطلميوس

(1) Athen., XIII, 593 a-b; Trog. Pomp., Prol. XXVI.
(2) Cf. Welles, Royal Correspondence, no. 14, note 9, pp. 75-6; no. 36, note 19, pp. 161-2, with Bibliography.

الثالث لم يعتز ببنوته لبطلميوس الثانى وأرسينوى الثانية بصفتهما الشخصية وانما بوصفهما « الالهين الأخوين » • ومعنى ذلك أن هذا الاعتزاز كان أمرا طبيعيا تمليه مقتضيات السياسة العليا التى درج البطالمة على ألا يدعوها تفسح مجالا لاعتبارات الحب أو الكراهية • وفضلا عن ذلك ، فانه لم يكن فى وسع بطلميوس الثالث الاشادة ببنوته لأبيه المؤله وحده دون أرسينوى المؤلهة وذلك لسبب بسيط، وهو أن بطلميوس الثانى لم يؤله وحده وانما مقرونا مع أرسينوى الثانية باسم « الالهين الأخوين»•

فيلادلفوس وجنوب الوادى (أثيوبيا) :

وفى قصيدة ثيوقريتوس « مديح بطلميوس » (١) ، وهى التى كتبت دون شك قبل وفاة أرسينوى الثانية ، لأن فيلادلفوس وصف فيها « بالأخ والزوج العزيز » ورد بين رعايا مصر الأقاليم السالفة الذكر وكذلك «الأثيوبيون» • وقد كان فراعنة مصر العظام يبسطون نفوذهم جنوبا الى ما وراء الشلال الأول ، وهى الأصقاع التى كان الاغريق يدعونها «أثيوبيا» ونعرفها اليوم باسم النوبة وشمال السودان ، حيث أصبحت الحضارة المصرية حضارة البلاد منذ عهد بعيد • ومما يجدر بالذكر أن كلمة أثيوبيا تعنى عند الاغريق بلاد الذين لفحت الشمس وجوههم • وفى الأصل كان الاغريق يطلقون هذا الاسم على كل المناطق المدارية سواء فى أفريقيا أم فى آسيا • بيد أنه منذ عهد هرودوتوس أصبح هذا الاسم ينم بوجه خاص عن البلاد الواقعة جنوبى مصر ، أى النوبة وشمال السودان وشمال الحبشة •

وعندما فتح الاسكندر الأكبر مصر ، كان ناستاسن (Nastasen) ملك « أثيوبيا » لا يزال يعتز فى عاصمته نباتا (Napata) بالتقاليد المصرية • وعند وفاة هذا الملك فى عام ٣٠٨ ، انقسم جنوب الوادى الى مملكتين أحداهما فى الشمال وعاصمتها نباتا ، والأخرى فى الجنوب وكانت أشد بأسا من الأولى وعاصمتها مروى (Meroe) ، وتعرف اليوم باسم البجراوية • ولم تكن للبطالمة أطماع كالفراعنة فى ضم السودان الى ملكهم ، فقد كان جل اهتمامهم موجها الى عالم البحر المتوسط ، ولذلك

(1) Idy., XVII, 87.

اكتفوا باقامة حدودهم الجنوبية عند الشلال الأول • ففى عهد الاسكندر الأكبر وبطلميوس الأول احتفظ بحاميات فى الفنتين لحماية حدود مصر الجنوبية (١) ، لكن ديودوروس (٢) يحدثنا بأن فيلادلفوس أرسل حملة الى « أثيوبيا » ، ولعل ذلك قد حدث قبل عام ٢٧٦ • ولا يبعد أن الباعث على هذه الحملة لم يكن مجرد اقتناء أنواع نادرة من الحيوان ، بل كان أيضا توطيد حدود مصر الجنوبية وتأمين طرق أعالى النيل • ذلك أن نصا (٣) يرجع الى النصف الأول من القرن الثالث يشير الى هجوم « الأثيوبيين » على القوات المصرية ، ولعله كانت هناك صلة بين حملة فيلادلفوس والحوادث التى يشير اليها هذا النص • واذا كنا نجد هنا دليلا على اهتمام بطلميوس الثانى بالتجارة مع الجنوب، فقد سبق أن رأينا أدلة أخرى على اهتمامه بالتجارة الشرقية •

حرب خرمونيدس :

وقد سلف القول أنه لم يكن فى صالح مصر أن تكون مقدونيا قوية ، ولذلك فانه ماكاد بوروس يعود فى عام ٢٧٤ من حملته المشهورة الى ايطاليا حتى دفعته مصر الى مناوءة أنتيجونوس جوناتاس وأمدته بمساعدات مالية ، لكن بوروس لم يلبث أن لقى حتفه فى عام ٢٧٢ • وازاء ذلك أخذت مصر تعمل حثيثا على ايجاد أداة جديدة لمناهضة جوناتاس ، وذلك بالتأليف بين قلوب الدول الاغريقية المتنافرة لتقوم بمجهود مشترك يحررها من ربقة مقدونيا • ووصف أرسينوى بأنها نصيرة الحرية الاغريقية فى القرار (٤) ، الذى اتخذه الأثينيون بناء على اقتراح المواطن خرمونيدس (Chremonides) بدعوة كافة الاغريق الى ترسم خطى حلف أثينا واسبرطة وحلفائهما فى مناهضة الغاصب المقدونى يشير الى أن أرسينوى هى التى كانت قد أوحت بانشاء ذلك الحلف الذى تألف فى عام ٢٦٧ ضد جوناتاس • ويتضح من هذا القرار أن الحلف كان يتألف من مصر واليس (Elis) والعصبة الآخية وتجيا (Tegea) ومانتينيا (Mantinea)

---

(1) Bevan, pp. 75-6; Cf. Cary, pp. 79-80.

(2) Diod., I, 37, 5.

(3) Sachar, Aramaische Papyrus u. Ostr., 1911, Papyrus 47 (بالاغريقية

(4) O.G.I.S. 163 ; Syll. 434-5; Michel, 180; Hicks, Gr. His. Insc., 169.

وأورخومنوس (Crchomenos) وقافواى (Caphyae) وفيجاليا وكريت ، فضلا عن أثينا واسبرطة اللتين تحالفتا سويا لمناصرة الحرية الاغريقية لأول مرة منذ مائتى عام ، أى منذ تحالفهما ضد الغزو الفارسى (١) . وقد عرفت الحرب التى تبعت ذلك بحرب خرمونيدس (٢) نسبة الى ذلك المواطن الأثينى الذى سلفت الاشارة اليه ولعب دورا كبيرا فى اثارة الاغريق ضد جوناتاس .

وكان يمكن أن تؤدى هذه الحرب الى نتيجة مختلفة تمام الاختلاف، لو أن بطلميوس فيلادلفوس أبدى النشاط نفسه الذى كان يبديه فى خلال حياة أرسينوى ، وكان يفرضه عليه فى هذه الظروف واجب الشرف والمروءة ، بل مصلحة مصر نفسها لكى لا يخرج جوناتاس من الصراع منتصرا قويا فيتهدد سيادة مصر البحرية . فقد أغرى بطلميوس الاغريق بالانتقاض على مقدونيا ووعدهم بالمساعدة ، ومن ثم كان لزاما عليه أن يقدم لهم مساعدة عسكرية فعالة . وقد كانت الحاجة ملحة الى هذه المساعدة ، لأنه نتيجة للحصار البرى والبحرى الذى ضربه جوناتاس على أثينا ووجود حاميات مقدونية فى قورنثة ومجارا قطعت سبل الاتصال بين أثينا وحلفائها فى البلوبونيز (٣) لكن بطلميوس لم يقدم مثل هذه المساعدة اذ يبين أنه وقد تملكته الرغبة فى ألا يكرر الحملة التى قام بها أبوه فى عام ٣٠٨ وثبت أنها كانت فادحة التكاليف وتنطوى على مخاطرة شديدة دون أن تستفيد منها قوة مصر البحرية ، قرر أن يقتفى أثر السياسة الأنانية التى كثيرا ما اتبعها أبوه ، سياسة الافادة من تسخير جهود الحلفاء دون التورط فى تعريض قوات مصر الرئيسية للمخاطر ما دامت مصائر مصر نفسها غير مهددة . وبيان ذلك أنه عندما غزا جوناتاس أتيقا فى عام ٢٦٦ وحاصر أثينا برا وبحرا وخف أريوس (Areos) ملك اسبرطة لنجدتها على رأس القوات البلوبونيزية ، قنع فيلادلفوس بتقديم مساعدات مالية وغذائية لأثينا ، وقيام قائده البحرى باتروقلوس (Partoclos) بمظاهرات حربية جوفاء تجاه سواحل أتيقا واستيلائه على مثانا وكذلك على

(1) Cf. Cary, pp. 133-4.

(2) Athen., VI, 250 f.

(3) Paus., III, 6, 4.

بعض امدادات جوناتاس وارساله هدية اليه من السمك والتين وهما طعام الغنى والفقير ، وكان مغزى ذلك أنه اما أن يستولى على سيادة البحر واما أن يهلك جوعا (١) . لكن باتروقلوس لم يقدم معونة حربية فعالة للمدينة المحاصرة أو يساعد ملك اسبرطة على الالتفاف حول القوات المقدونية التى تحمى برزخ قورنثة وارغام جوناتاس على خوض معركة فاصلة فى أتيقا . وفى العام التالى (٢٦٥) صمم أريوس على اقتحام خطوط جوناتاتس ، وكانت تسد برزخ قورنثة ، لكنه فشل وقتل فى المعركة(٢). وقد ترتب على ذلك انحلال الحلف وعدم محاولة اسبرطة ثانية نجدة أثينا، لكن النجدة لم تلبث أن جاءت أثينا من ناحية أخرى ، اذ أن الاسكندر الثانى ملك أبيروس غزا مقدونيا فى عام ٢٦٤ (٣) . وازاء علاقات الود التى كانت قائمة بين مصر وأبيروس منذ عهد بطلميوس الأول ، نتيجة للعداء الدفين الذى كانت هاتان الدولتـان تضمرانه لمقدونيـا ، يجمع المؤرخون على أن بطلميوس فيلادلفوس هو الذى أوعز الى الاسكندر بغزو مقدونيا . واذا كان فيلادلفوس قد اتخذ من تحرير الاغريق ذريعة يزين بها لهم مقاتلة مقدونيا ، فلعله حرض الاسكندر على غزوها بضرورة الثأر لمقتل أبيه بورروس . وهكذا نرى أنه حين كان فيلادلفوس يزين لأصدقائه محاربة خصمه ، ويبسط لهم يده بالمال بدلا من أن يشاركهم فى خوض غمار الحرب ، وقف يشاهدهم يكتوون بنارها ليلتقطوا له الكستناء هينة لينة . وقد قام الاسكندر بغزوته فى عام ٢٦٤ ، لكن ذلك لم يفلح فى اقصاء جوناتاس عن أتيقا الا برهة قصيرة عاد بعدها الى محاصرة أثينا بشدة تاركا جبهة مقدونيا تحت قيادة ابنه دمتريوس الذى تمكن من هزيمة الاسكندر فى العام التالى (٢٦٣) (٤) . وفى هذا العام يمم الأسطول المصرى وجهه شطر آسيا الصغرى تاركا أثينا تكافح بمفردها الى أن أعياها الكفاح والجوع فسلمت فى شتاء ٢٦٢/٢٦١ (٥) . وبعد سقوط أثينا عقد جوناتاس صلحا قصير المدى مع بطلميوس (عام ٢٦١) (٦) .

---

(1) Pythermos ap. Athen., VIII, 334 a-b.
(2) Trog. Pomp., Prol. XXVI.
(3) Justin., XXVI, 2, 9.
(4) Justin., XXVI, 2, 10-12.
(5) Paus., I, 30, 4.
(6) C.A.H. VII, pp. 705-8; Cary, pp. 133-6.

وقد فقدت أثينا من جراء هزيمتها أهميتها السياسية السابقة وأصبحت خاضعة لسيطرة مقدونيا خضوعا تاما ، فى حين أن جوناتاس أصبح سيد بلاد الاغريق دون منازع ، وفى قبضته الكثير من معاقلها وخاصة قورنثة وأثينا وكذلك أرتريا وخالقيس فى جزيرة يوبويا (١) .

تحالف مصر وبرجام :

ويعتبر سقوط أثينا فشلا مزريا للسياسة المصرية ، ولو أن أنطيوخوس استطاع أن يتآلف عندئذ مع جوناتاس لتعرضت الامبراطورية المصرية لأخطار داهمة . وبدلا من ذلك وجد فيلادلفوس فى عام ٢٦٣ حليفا جديدا له فى يومنيس الذى خلف عمه فيلتايروس فى حكم برجام ذلك العام.

وعلى الرغم من أن فيلتايروس كان قد أصبح مستقلا فى الواقع ، فانه كان يعترف لأنطيوخوس بسيادة اسمية على الأقل . أما يومنيس فانه أعمل رأيه على أن يكون مستقلا اسما وفعلا ، ومن ثم بدأ السياسة التى أصبحت تقليدية فى أسرته ، وكانت تنطوى على مناوءة السلوقيين ، ومحالفة البطالمة. ولم ترحب مصر بهذه الصداقة لأسباب سياسية فقط ، وهى عداوة مصر التقليدية للسلوقيين بل لأسباب اقتصادية أيضا ، اذ أن مصر بوصفها دولة بحرية كبرى كانت فى حاجة الى كمية كبيرة من القطران وكان قطران سوريا قليلا ، ولذلك كان العالم الهلينيسى يستمد حاجته من القطران من مقدونيا ومن قمة ايدا (Ida) بالقرب من برجام . فكان جوناتاس وأنطيوخوس فيما بينهما يستطيعان ارغام مصر على دفع أثمان باهظة للقطران فى وقت السلم وحرمانها حاجتها فى وقت الحرب . وقد كانت مصر تستطيع تفادى ذلك ، لو أن دولة صديقة مثل برجام كانت تهيمن على قطران ايدا . وبما أن يومنيس أسس عند ايدا مدينة تدعى فيلتايريا (Philetaireia) ، فان هذا ينهض دليلا على أنه نجح فى تحقيق غرضه وغرض مصر هناك . وازاء مظاهر الاستقلال التى أبداها يومنيس شن عليه أنطيوخوس فى عام ٢٦٣ حملة تأديبية ، لكن متاعبه الداخلية عاقته عن متابعتها بنجاح . وبسبب هذه الحرب ، ترك باتروقلوس أثينا فى عام ٢٦٣ لتسطلى وحدها بنار القتال مع أنتيجونوس ، وذهب الى آسيا الصغرى ، حيث استولت مصر

(1) Rostovtzeff, Soc. and Ec., p. 37.

فى العام التالى على أفسوس ، وأصبح فى قبضتها شاطىء قاريا فيما بين ميلتوس وهاليقارناسوس • وقد أفلح يومنيس بمساعدة بطلميوس فى تجنيد جيش كبير من المرتزقة هزم به أنطيوخوس بالقرب من ساردس فى عام ٢٦٢ • وبهذا النصر دعم يومنيس استقلاله ومن أخذ يوسع رقعة دولته (١) •

الحرب السورية الثانية :

وفيما بين أكتوبر ٢٦٢ وأبريل ٢٦١ توفى أنطيوخوس الأول وخلفه ابنه الأصغر أنطيوخوس الثانى وكان أميرا نشيطا وضع شئون دولته فى نصابها ، واشتعل بينه وبين فيلادلفوس لهيب حرب يطلق عليها عادة « الحرب السورية الثانية » مع أن غرب آسيا الصغرى كان مسرحها الرئيسى •

وقد كانت هذه الحرب سيئة الطالع على فيلادلفوس ، فانه كان يشد أزر عدوه جزيرة رودس — صديقة بطلميوس الأول القديمة وكانت تحرص دائما على اتخاذ موقف محايد ازاء البطالمة والسلوقيين ، لكنها خشيت عندئذ أن تتأثر تجارتها من جراء سيادة مصر البحرية — وكذلك عدو فيلادلفوس اللدود جوناتاس ، وكان يرقب الفرصة للقضاء على سيطرة البطالمة البحرية واستعادة السيادة البحرية التى كان يتمتع بها أبوه دمتريوس • ولذلك أخذ يبنى أسطولا جديدا منذ صلح عام ٢٦١ (٢) ، الا أنه لم يكن فى وسع جوناتاس مع موارده المحدودة بناء أسطول كبير يماثل الأسطول البطلمى ، لكن اشتباك بطلميوس فى الحرب السورية الثانية وانتصار الأسطول الرودسى على قوة بطلمية بحرية أعطيا جوناتاس الفرصة التى كان يتحينها (٣) •

ولم يستطع يومنيس صاحب برجام مساعدة فيلادلفوس،بسبب انشغاله بحرب حليفته قوزيقوس (Cyzicos) مع بيزنطة ، وكذلك بسبب ثورة ابن عمه فيما يحتمل • وقد زاد فى متاعب فيلادلفوس ثورة بطلميوس بن لوسيماخوس وأرسينوى الثانية ، وكان فيلادلفوس قد تبناه وأقامه حاكما

(1) C.A.H. VII, pp. 709-18; Cary, p. 108.
(2) C.A.H. VIII, p. 710; Cary, pp. 105, 106.
(3) Polyaen., V, 18; Frontin., III, 10.

على أفسوس • ولعل مرد هذه الثورة الى أن بطلميوس بن لوسيماخوس كان قد استشعر أنه أخذ يفقد حظوته لدى فيلادلفوس فرأى فى تعيينه حاكما على أفسوس تمهيدا لاقصائه عن ولاية العرش ، ولذلك قرر فى عام ٢٦٠ أن ينتهز فرصة متاعب فيلادلفوس ليقتطع لنفسه دولة فى أيونيا ، وكانت فيما مضى ملكا لأبيه لوسيماخوس • وقد رحب أنطيوخوس بهذه الحركة وأرسل بعض فرقه التراقية لشد أزر ابن لوسيماخوس ، وانضم اليه أيضا تيمارخوس الايتولى ، حاكم ميلتوس البطلمى ، الذى بادر الى الاستيلاء على ساموس ، لكن ابن لوسيماخوس لم يستطع الاحتفاظ بمركزه لأن جنوده التراقيين ثاروا عليه وقتلوه (١) (عام ٢٥٩) • وعندئذ نصب تيمارخوس نفسه طاغية على ميلتوس وأفسوس ، غير أن أنطيوخوس لم يلبث أن استرد منه أفسوس ثم خلص ميلتوس من طغيانه بالقضاء عليه فى عام ٢٥٨ فخلع مواطنوها على أنطيوخوس لقب « اله » (٢) •

فيلادلفوس يفقد أيونيا وسيادة بحر ايجة :

وقد كان الحادث الرئيسى فى الحرب السورية الثانية هو ذلك النصر الباهر الذى أحرزه جوناتاس على الأسطول البطلمى قرب جزيرة قوس(٣) (عام ٢٥٨ أو ٢٥٦) (٤)، فقد ترتب على ذلك «أولا» استيلاء أنطيوخوس على أيونيا ثم على جزيرة ساموس (٥) • وفضلا عن ذلك فان أنطيوخوس استولى أيضا على ساموتراقيا وأماكن مختلفة فى تراقيا نفسها ، وكذلك على كل فينيقيا شمالى صيدا • «وثانيا» اكتسب جوناتاس سيادة البحار ، فانه بمقتضى الصلح الذى عقد فى عام ٢٥٥ نزل فيلادلفوس لجوناتاس عن عصبة القوقلاد ، لكنه سمح لفيلادلفوس بالاحتفاظ بجزيرة ثيرا (٦) • ولا شك فى أن أنطيوخوس انضم الى هذه المعاهدة لتأييد فتوحاته ، لكن البعض يعتقد أنه استمر فى الحرب مع فيلادلفوس حتى عام ٢٥٢ ، الا أن هذا الرأى يبدو غير محتمل، اذ أنه لو كان جوناتاس قد هجره وعقد صلحا منفردا فى عام ٢٥٥ لفسدت العلاقات بينهما ، فى حين أن

(1) Athen., XIII, 593 b.
(2) App., Syr. 65.
(3) Plut., de Scip. laud. 16; Athen. V, 209; Diog. Laert. IV, 39.
(4) C.A.H. VII, p. 862; Peremans, l'Antiquité Classique, 1939, pp. 401 ff.
(5) Cary, pp. 105, 137-8.
(6) Cary, p. 403.

استراتونيقى شقيقة أنطيوخوس تزوجت دمتريوس ابن جوناتاس (١) فى عام ٢٥٣ . ولكى يثبت جوناتاس أمام العالم أجمع أنه استعاد سيادة البحار التى كانت فى قبضة أبيه أقام فى ساموتراقيا تمثال النصر المشهور (٢) وشيد فى ديلوس بابا ضخما ، وأنشأ هناك بدلا من الحفلات المعروفة باسم بطوليمايا حفلين آخرين يدعى أحدهما أنتجونايا (Atigoneia) بمناسبة تشييد بابه،ويدعى الآخر استراتونيقايا (Stratoniceia) بمناسبة زواج ابنه دمتريوس من استراتونيقى شقيقة أنطونيوخوس (٣) .

ادماج فورينايئة فى مصر :

وحوالى هذا الوقت مهدالسبيل الى ادماج قورينايئة فى الدولةالمصرية مأساة لعبت السياسة والأهواء دورا فيها ، اذ أنه حوالى ٢٥٨ (٤) توفى ماجاس عن ابنة فى الرابعة عشرة من عمرها تدعى برنيقى . وكان ماجاس قد خطب وريثته لولى عهد مصر (٥) ، وهو الذى أصبح فيما بعد بطلميوس الثالث يورجتيس (Euergetes) .

ولعل مرد ذلك الى أن ماجاس ، وقد أدرك استحالة امكان وقوف قورينايئة فى وجه مصر بعد وفاته ، رحب بمساعى مصر الدبلوماسية لعقد هذه الخطبة حتى ينهى الخصومة التى دامت بينه وبين أخيه نحوا من خمسة عشر عاما ، ويضمن لابنته لا عرش قورينايئة فحسب بل عرش مصر أيضا. ولما كان هذا الزواج يستتبع ادماج قورينايئة فى مصر بعد وفاة بطلميوس الثانى وماجاس ، فانه كان يعارضه فى قورينايئة حزب وطنى كبير يرنو الى الاستقلال وتتزعمه أباما أرملة ماجاس وشقيقة أنطيوخوس الثانى .وعندما توفى ماجاس رأت أباما أنها اذا حالت دون اتمام هذا الزواج وزوجت ابنتها من أمير آخر أمكنها الاحتفاظ باستقلال قورينايئة المحلى والابقاء على أسرتها الحاكمة وضمنت لنفسها تبعا لذلك السيطرة الفعلية فى المملكة .

---

(1) Euseb. Armen. I, 249 Schoene.

(2) C.A.H. VII, p. 714 fn. 2; VIII, p. 676 ; Beazeley & Ashmole, Greek Sculpture & Painting pp. 75-6, fig. 163.

(3) C.A.H. VII, pp. 711-15.

(٤) يختلف المؤرخون حول تاريخ وفاة ماجاس لكنه لما كان ماجاس قد استعاد قورينايئة لمصرفى عام ٣٠٨ وحكمها لمدة خمسين عاما (Agatharchides ap. Athen., XII,, 550). فاننا نرجح انه توفى حوالى عام ٢٥٨ . راجع : ص ١١٢ وما بعدها وكذلك : Cary, Append. 7, pp. 393-4.

(5) Justin., XXVI, 3, 2.

ولعله ازاء النصر الباهر الذى كان جوناتاس قد أحـــرزه مؤخـــرا على فيلادلفوس وقع اختيار أباما على دمتريوس «الجميل» (وكان أخا غير شقيق لجوناتاس) ، ولابد من أن يكون جوناتاس قد رحب بذلك ليكيل لفيلادلفوس لطمة أخرى . لكن دمتريوس نفسه تسبب فى فشل هــذا المشروع بصلفه وغروره ووقوعه فى غرام أباما فأوعزت برنيقى بقتله فى فراش أمها (١) وقبضت على زمام السلطة (حوالى عام ٢٥٥) . ويبين أنه قد تبع ذلك وقوع اضطرابات عنيفة فى قوريناية (٢) وضع حدا لها التشريعات التى اقترحها الفيلسوفان أقديموس (Ecdemos) وديموفانس (Demophanes) (٣) .

ويرى البعض أن هذه التشريعات هى الدستور الذى حفظه لنا نقش عثر عليه منذ عهد غير بعيد ، ومر بنا أنه يحـــوى الدستور الذى توحى القرائن بأنه يرجع الى عهد بطلميوس الأول . ولا يمكن أن يكون هــذا الدستور هو ذلك الذى وضعه أقديموس وديموفانس وذلك لسبب بسيط وهو أن دستورهما كان دستورا فيدراليا فى حين أن الدستور الوارد فى النقش تنصب موارده جميعا على مدينة واحدة ولا توجد به أية اشارة الى وجود أية علاقة بين هذه المدينة — قورينى — وبين المدن الاغريقية الأخرى فى قوريناية . ويقول قاتولوس (٤) (Catullus) ، نقلا عن قاليماخوس (Callimachos) ، أن قتل دمتريوس كان جريمة حسنة مهدت السبيل الى ادماج قورينايـــة فى دولة البطالمة ، وذلك لزواج برنيقى وريثـــة قوريناية من خطيبها الأول ولى عهد مصر . ويحوم الشك حول تاريخ هذه الحوادث ، لكنه يبدو أن زواج برنيقى لم يسبق كثيرا ارتقاء زوجها عرش مصر (٥) .

فيلادلفوس يزوج ابنته لانطيوخوس :

ولما كانت لجوناتاس يد كبرى فى الكوارث التى حلت بفيلادلفوس

---

(1) Justin, XXVI, 3.
(2) Plut., Philop., I, 3.
(وفقا لبلوتارخ كان زميل اقديموس يدعى مجالوفانس)
(3) Polyb., X, 23, 3.
(4) Catullus, LXVI, 25 ff.
(5) C.A.H. VII, pp. 712-13; Jouguet, Nat. Eg., p. 54; Cf. Cary, p. 188.

فى الحرب السورية الثانية ، وكان جوناتاس قد تدخل فى شئون قورينائية ليفسد على مصر تدابيرها لادماج قورينائية فيها ، فلابد من أنه قد أقض مضاجع فيلادلفوس تقوية أواصر الصداقة بين جوناتاس وأنطيوخوس بالمصاهرة التى عقدت بينهما فى عام ٢٥٣ ، خوفا من أن يستغل جوناتاس هذه الصلة فيستحث أنطيوخوس على استعادة « جوف سوريا » . فلكى يقضى فيلادلفوس على هذه المخاوف ويؤمن حدوده الشرقية على نحو ما أمن حدوده الغربية وبذلك تتاح له الفرصة لتصفية حسابه مع جوناتاس كان لابد من التفاهم مع أنطيوخوس ، ولذلك فان فيلادلفوس توصل فى أواخر عام ٢٥٣ الى كسب أنطيوخوس الى جانبه بالمصاهرة . وبيان ذلك أن أنطيوخوس كان متزوجا من ابنة عمه لاوديقى (Laodice) (١) وهى التى أنجبت له ابنين وابنتين ، لكنها كانت قوية الشكيمة مما يسر على فيلادلفوس اقناعه بالاتفاق على تركها والزواج من أميرة فتية من أسرة البطالمة ، هى برنيقى ابنــة فيلادلفوس من أرسينوى الأولى ، والفــوز بصداق عظيم ، بشرط أن يكون عرش أنطيوخوس لأبناء الزوجةالجديدة. وقد أقصيت لاوديقى وأبناؤها الى أفسوس ، وفى أبريل عام ٢٥٢ أوصل فيلادلفوس ابنته حتى بلوزيون ورافقها أبولونيوس وزير مالية أبيها حتى الحدود وكانت عندئذ عند صيدا (٢) . ويقال أن برنيقى كانت لا تشرب الا مياه النيل التى شمل متاعها مؤنة منها وكان أبوها يتابع ارســالها اليها (٣) ، وذلك لاعتقاد القدماء أن مياه النيل تضمن الحمــل (٤) .

وعلى كل حال فان برنيقى أنجبت ابنا لأنطيوخوس ، وكان صداقها كبيرا الى حد أنه أصبح مضرب الأمثــال وأنه أطلق على برنيــقى لقب « فرنفوروس » (Phernephoros) (٥) ، أى صاحبة الصــداق العظيم . ويرى البعض أن هذا الصداق كان مبلغا كبيرا من المال الى جانب دخل جوف سوريا ، بينما يرى البعض الآخر أن هذا الصداق كان عبارة عن

---

(١) راجع : (Beloch, Gr. Gesch. IV, pt. 2, p. 200 ، ويرى البعض ان لاوديقى كانت اخت انطيوخوس ، راجع بوشيه لكلرك حـ ١ ص ٢١١ حاشية ٣ .

(2) P. Cairo-Zenon 59251.
(3) Polyb. ap. Athen., II, 45 b-c.
(4) Cf. Seneca, Nat. Quaestiones III, 25; Mahaffy, Empire, p. 171.
(5) Hieron., In Daniel., c. XI.

ارجاع بطلميوس لأنطيوخوس قيليقيا الغربية (وكانت مصر قد استولت عليها فى أثناء الحرب السورية الأولى) فضلا عن اعطائه أيضا بامفوليا ، وذلك لقاء تنازل السلوقيين عن المطالبة بجوف سوريا • ونحن نميل الى الرأى الأخير لأنه يتمشى مع الدوافع التى أوحت بعقد الزواج وهى تسوية الخلافات بين الأسرتين وتأمين الاحتفاظ بجوف سوريا ، وكان أفضل ممتلكات مصر الخارجية ويعنيها أكثر من قيليقيا الغربية وبامفوليا ، اللتين يعتقد البعض أن بطلميوس نزل عنهما لأنطيوخوس ثمنا لعقد الصلح فى نهاية الحرب السورية الثانية •

وعلى كل حال فانه فى أواخر عهد فيلادلفوس لم يتبق من ممتلكات مصر على شاطىء آسيا الصغرى الجنوبى سوى لوقيا وقاريا • ولا يبعد أن فيلادلفوس كان يعلل النفس أيضا بربط السياسة السورية بعجلة السياسة المصرية نتيجة لنفوذ ابنته لدى زوجها ثم لتربع ابنته وحفيده على عرش سوريا • لكن ألم يقدر فيلادلفوس احتمال نشوب صراع على ولاية العرش قد يودى بحياة ابنته وحفيده ؟ أم أنه أدخل ذلك كله فى حسابه لكنه لم يأبه لمثل هذه التضحية لأنها تكون أدعى للتدخل فى الشئون السورية ؟ كلا الاحتمالين جائزان وما نعرفه عن خلق البطالمة لا يجعلنا نميل الى اعفائهم من الاقدام على أى عمل فى سبيل الأهداف التى كانوا يتوخونها •

ومن العجيب أن أنطيوخوس ، مع علمه بخلق لاوديقى ، قد سمح للمكاسب المادية التى كان الزواج الجديد ينطوى عليها بأن تعميه عن المخاطر التى كان هناك احتمال قوى أن تترتب على اقصاء لاوديقى وأولادها لصالح برنيقى وأبنائها • حقا أنه حاول استرضاءها بضيعة كبيرة فى آسيا الصغرى ، لكنه كان طبيعيا ألا تقنع بذلك أميرة مقدونية مثلها ، كما كان طبيعيا أن ينشأ بعد موته صراع عنيف على العرش كان من الممكن أن يتهدد كيان الدولة نفسها فضلا عن ممتلكاتها ، بل كان من الجائز حتى اذا لم تنجب له برنيقى أولادا أن يجد أبناؤه من لاوديقى من يتحدى حقهم فى ولاية العرش بحجة أن أباهم قد حرمهم ذلك الارث •

فيلادلفوس يثأر لنفسه ويسترد سيادة بحر ايجة :

وبعد الاطمئنان الى الحدود الشرقيـة والغـربية ، كان فى وسـع فيلادلفوس العمل على الثأر لنفسه من خصمه اللدود . وبيان ذلك أن جوناتاس ، منذ ارتقائه عرش مقدونيا ، كان قد أسند حكم قورنثة الى أخيه غير الشقيق قراتروس كما أسند اليه بعد ذلك الاشراف العام على حامياته فى أتيقا ويوبويا . وقد حفظ قراتروس العهد ، لكنه بعد وفاته (حوالى عام ٢٥٥) أخذ ابنه الاسكندر يتطلع الى الفوز بولاية أوسع ولقب أعظم مما كان لأبيه . وحوالى عام ٢٥٢ أغراه فيلادلفـوس على المناداة بنفسه ملكا وأمده بمساعدة مكنته من دعم مركزه فى قورنثـة والاستيلاء على خالقيس ، وبذلك شلت مؤقتا حركة جوناتاس لأن خروج الاسكندر عليه قطع اتصاله بأعوانه فى البلوبونيز وحرمه جانبا كبيرا من أسطوله وموارد بناء السفن ، اذ أن قورنثة وخالقيس كانتا قاعدتين بحريتين رئيسيتين لجوناتاس فى بلاد الاغريق (١) .

وحين انخفضت قوات جوناتاس البحـرية على هـذا النحـو كان فيلادلفوس جادا فى بناء أسـطول كبير (٢) ، ويبين أنه حوالى عام ٢٥٠ استعاد سيادة بحر ايجة ومعها عصبة القوقلاد بدليل أنه أنشأ حـفلات البطوليمايا فى ديلوس فى عام ٢٤٩ (٣) . هذا الى أنه فى عام ٢٥١ خلص أراتوس (Aratos) موطنه سيقوون من ربقة طاغية كان يستمد سلطته من جوناتاس ثم ضمها الى عصبة آخايا (٤) ، وكانت قد تكونت منذ عام ٢٨٠ من عدد من المدن الصغرى لكنه لم يكن لها شأن يذكر حتى تولى أراتوس زعامتها فازداد عدد أعضائها كما ازدادت أهميتها السياسية (٥) . وقد كان فيلادلفوس يؤيد الاسكندر حتى وفاته فى عام ٢٤٧ ، ويؤيد أراتوس الى أن توفى هو نفسه فى بداية العام التاسع والثلاثين من حكمه أى فى يناير عام ٢٤٦ (٦) .

---

(1) Cary, p. 139.
(2) Rostovlzeff, p. 1318.
(3) C.A.H. VII, p. 715; Beloch., Gr. Gesch. IV. pt. 2, 2nd ed., pp. 611 ff; Cary, p. 140.
(4) Plut., Aratos, 4-9.
(5) Rostovtzeff, p. 38.
(6) Bouché-Leclecq, I, p. 213; Jouguet, Nat. Eg., p. 55; Tarn, Class. Rev., XL, 1926, p. 86; Bevan, p. 386.

استعراض سياسة فيلادلفوس الخارجية :

ويتضح جليا مما مر بنا أن أهداف بطلميوس الثانى الخارجية كانت أهداف بطلميوس الأول نفسها فى الجوهر ، الا أنه ذهب الى مدى أوسع فى تنفيذ السياسة الخارجية التى وضع أبوه أساسها . ذلك أنه عمل على دعم حدود مصر الغربية والجنوبية والشرقية ، وعلى استكمال أسباب سيادة مصر فى بحر ايجة ، وعنى بالتجارة الجنوبية ، ووجه اهتماما كبيرا الى التجارة الشرقية ، ونستدل على ذلك من حملته على النبط وتوطيد سلطان مصر فى فلسطين وشرق الأردن وفينيقيا ، ومن الاستيلاء على بعض أجزاء فى أيونيا حيث كانت توجد بعض منافذ طريق الوسط ، وكان أهم الطرق التجارية الآتية من أواسط آسيا . ولم يكن أقل من ذلك اهتماما بالتجارة مع الغرب ، فهو لم يقم علاقات مع روما فحسب ، بل كانت بينه وبين سراقوسة وقرطجنة علاقات وثيقة ، على نحو ما سنرى فى سياق الحديث عن التجارة .

واذا كانت الحرب السورية الثانية قد سلبته أيونيا وسيادة بحر ايجة ، وكان قد نزل عن أغلب ممتلكاته على شاطىء آسيا الصغرى الجنوبى ، فانه عمل على تأمين جوف سوريا وادماج قورينائية فى مملكته ليبقى كيان الدولة سليما قويا . وسرعان ما نجح فى تشييد أسطول جديد واسترد سيادة بحر ايجة . وعلى الرغم من المبالغ الطائلة التى أنفقها على مجهود مصر الحربى وفى سبيل تأييد سياسته الخارجية ، فان الخزائن الملكية بقيت مكتظة بالأموال وكان سلطانه وطيد الدعائم فى البلاد ، لكننا سنرى أن سياسة فيلادلفوس الداخلية قد أثارت فى أهالى البلاد حقدا دفينا تبدت مظاهره فى عهد خلفائه ، وكان لها أثر حاسم فى مستقبل البلاد .

٣ - بطلميوس الثالث (يورجتيس ، Euergetes = الخير)

صفـــاته :

يبدو أن انتقال العرش من بطلميوس الثانى الى ابنه من أرسينوى الأولى تم دون حدوث أى اضطرابات . ويبين من قرار قانوب أن بطلميوس الثالث خلف أباه على العرش فى ٢٧ من يناير سنة ٢٤٦ ق.م.[1] . وقد

(1) O.G.I.S. 56, 15-16; Skeat, p. 81, n. 6.

أشاد الشعراء بوداعة الملك الجديد ، وهى صفة يبدو أنه يؤيدها لقبه الالهى يورجتيس أى الخير ، لكن هذه الصفة تبدو مغتصبة الى حد ما اذا صح ما يعتقده بعض الباحثين من أن بطلميوس الثالث لم يكتف بعزل أبولونيوس وزير مالية أبيه من منصبه بل أمر أيضا باعدامه • وعلى كل حال فانه كانت لدى يورجتيس مثل سلفيه فكرة عالية عن عظمة الملك ومشاغل الحكم • وكان ملكا مثقفا مثل أبيه فقد كان تلميذ الشاعر أبولونيوس الرودسى وصديق العالم الفذ أراتوسثنيس (Eratosthenes) • ويمكننا أن نرى ميله للعلوم الدقيقة فى اصلاح التقويم ، الذى فرضه على الكهنة المصريين ثم اقتبسه يوليوس قيصر فيما بعد • وكان هذا الاصلاح ينطوى على اضافة يوم كل أربعة أعوام الى العام المصرى وكان يتألف من ٣٦٥ يوما • ومن المؤكد أنه كان أديبا ، واذا كان لم يصلنا أمر أملاه ، مثل ما وصلنا من فيلادلفوس ، نستطيع أن نسمع فيه أصداء صوته ، فانه فيما يبدو هو الذى صنف ذلك البيان الرسمى عن بداية الحرب السورية الثالثة (١) ، وهو الذى حفظت لنا بردية من جوروب بالفيوم جزءا منه (٢) •

الحرب السورية الثالثة :

أدى زواج برنيقى من أنطيوخوس الثانى الى متاعب مفجعة ، عندما توفى هذا الملك فى عام ٢٤٦ ، اذ أنه عقب ذلك مباشرة احتدم النزاع بين لاوديقى وبرنيقى ، فقد كان طبيعيا أن تكافح كل منهما من أجل ارتقاء ابنها عرش أبيه •

وقد كان مركز لاوديقى قويا فى آسيا الصغرى ، حيث كان أخوها الاسكندر حاكم ولاية لوديا ، وفضلا عن ذلك فانها فى عام ٢٤٦ أفلحت فى اغراء أنطيوخوس على زيارتها فى أفسوس حيث مرض فجأة وتوفى ونودى بابن لاوديقى الأكبر ملكا باسم سلوقس الثانى • فهل كان أنطيوخوس قد نادى قبل وفاته بسلوقس خليفة له ؟ ان المصادر

(1) Jouguet, Mac. Imp., p. 247-8; Nat. Eg., pp. 55-6; Cary, p. 398.
(2) Cf. Mahaffy and Smyly, The Flinders Petrie Papyri, II, 45; III, 144; Mitteis-wilcken, Chrestom., no. 1; Trans. in Bevan, pp. 198-200; Holleaux in Rev. Et. Anc., 1916, pp. 153 ff.; Etudes d'Epigraphie et d'Hist. grec., ed. by L. Robert, 3, Paris, 1942, pp. 281-310.

القديمة (١) تذكر أن لاوديقى دست السم لزوجها وأحضرت بعد وفاته شبيها له مثل دور الملك وهو يعالج سكرات الموت وأوصى أتباعه بالولاء لأبنائه . ولما كانت زيارة أنطيوخوس لزوجه الأولى لاوديقى أمرا حقيقيا لا يرقى اليه الشك ، فان ذلك يدل على مصالحة أنطيوخوس للاوديقى . ومن اليسير أن نتصور دون اسراف فى الرأى أن هذه السيدة بادرت الى انتهاز فرصة استعادة حظوتها لدى الملك فظفرت منه بالاعتراف بولاية العرش لابنها الأكبر . بل لا يبعد أن يكون أنطيوخوس ، عندما أتاه نبأ وفاة فيلادلفوس ، قرر مصالحة لاوديقى بقصد اعادة ولاية العرش لأبنائها لأنه وقد أفاق من غفوته قدر المخاطر التى تتهدد دولته من وصاية طويلة الأمد اذا خلفه على العرش ابنه الطفل من برنيقى ، فى حين أنه لم يكن هناك مجال لأية وصاية اذا خلفه ابنه الأكبر من لاوديقى فقد كان يناهز عندئذ التاسعة عشرة من عمره . ولا يبعد أن تكون لاوديقى بعد فوزها بأمنيتها قضت على زوجها خوفا من أن يقع تحت تأثير برنيقى ويغير رأيه مرة أخرى .

ومن ناحية أخرى كان مركز برنيقى قويا فى أنطاكية ، حيث كان يؤيدها بعض القواد . هذا الى أن المدن السورية الأخرى اعتبرت ابنها وريث العرش الشرعى . وفضلا عن ذلك فانها كانت على مقربة يسيرة من مصر . وقد أفضى النزاع بين برنيقى ولاوديقى الى نشوب الحرب السورية الثالثة أو حرب لاوديقى (٢) ، وهى حرب يخيم حول سيرتها ظلام كثيف يثير الشكوك وتضارب الآراء .

وقد تكشف البحث الحديث عن روايات مختلفة عن سيرة هذه الحرب . وعلى كل فانه يمكننا أن نتبين وسط الظلام الدامس أن برنيقى بادرت الى الرد على مناورة لاوديقى ببيان هاجمت فيه الحق الذى ادعاه سلوقس لنفسه فى العرش واتهمت لاوديقى بدس السم لزوجها وتزييف اعترافه بسلوقس خليفة له . وأن هذا البيان أكسب برنيقى تأييد أنطاكية وباقى المدن السورية ، ومع ذلك فان فئة قوية فى أنطاكية كانت تؤيد

(1) Valerius Maximus IX, 14; Plin. VII, 53; App., Syr. 65.

(2) C.I.G. 2905; G.I. Br. Mus., 403, 1. 135.

لاوديقى ، وأن برنيقى ناشدت مساعدة أخيها ملك مصر فأنفذ أسطولا الى سولى فى قيليقيا حيث فاجأ رجاله حاكم هذه المقاطعة وهو يحاول نقل مبلغ كبير من المال الى لاوديقى فاستولوا على الأموال والولاية وممرات الطوروس ، وأن بطلميوس الثالث دخل سلوقية بيريه قرب مصب نهر العاصى ثم أنطاكية حيث استقبل استقبالا حافلا أثار دهشته (١) . واعتمادا على ما يرويه يوستينوس (٢) وبولى آينوس (٣) ، يعتقد بعض المحدثين (٤) أن برنيقى وابنها كانا قد قتلا قبل وصول يورجتيس الى سوريا وأن وفاتهما أخفيت لأسباب سياسية . لكن بقايا بردية جوروب التى تعطينا النص الرسمى عن هذه الحوادث تقول أن برنيقى كانت لا تزال على قيد الحياة . ولذلك نرجح أن الثورة التى قام بها أنصار لاوديقى فى أنطاكية بتأييد فريق من مرتزقة الغال وأفضت الى خطف طفل برنيقى وقتله ثم خطف برنيقى نفسها واعدامها لم تحدث الا بعد ذلك فى أثناء الحملة التى قام بها بطلميوس يورجتيس حتى سلوقية على نهر الدجلة (عام ٢٤٥) .

وتحدثنا المصادر القديمة بأن يورجتيس كان فى قلب آسيا فى عام ٢٤٦/٢٤٥ . واذا صدقنا فى ذلك نقشا ، كان على نصب من البازلت أقيم فوق عرش من المرمر فى أدوليس (Adulis) بالحبشة ، ونقل نصه راهب كان يعيش فى القرن الثامن للمسيح ويدعى قوسماس أنديقوبلستس (Cosmas Indicopleustes) ، فان ملك مصر أخضع كل آسيا حتى باقتريانا (Bactriana) (٥) . لكنه يكاد يكون مؤكدا أن يورجتيس قاد جيوشه حتى سلوقية على الدجلة ، ثم أنفذ الرسل باسم أخته الى حكام الولايات الشرقية يطلب منهم الطاعة فأذعنوا ، وبعد ذلك عين حاكما عاما على هذه الولايات (٦) ، وعاد الى مصر لقيام ثورة فيها (٧) . واذا

(1) P. Gourob, col. 3, ll. 16-25.
(2) XXVII, 1.
(3) VIII, 50.
(4) Cf. Bevan, pp. 200 ff.; Cary, pp. 88-9, 397-9.
(5) Ditt. OGIS. 54 (A); C.I.G. 5127; Strack no. 39; Hicks, Gr. Hist. Inscr., no. 173, p. 296; S.B. 8545 (A); Bouché-Leclercq, I, pp. 260-2; Jouguet, Nat. Eg., pp. 56-7.
(6) Beloch, Gr. Gesch. IV, pt. 2, 2nd ed., p. 518; C.A.H. VII, p. 717.
(7) Justin., XXVII, 1, 9; Hieron., in Dan. XI, 6.

صح أن برنيقى وابنها كانا قد قتلا قبل وصــول بطلميوس الثالث الى سوريا ، وأن ملك مصر قد تعمد اخفاء ذلك . فلماذا اذن زحف شرقا ؟ أكان يطمع فى بسط نفوذه على الولايات الشرقية فى امبراطوريةالسلوقيين؟ واذا كانت هذه الآمال قد دارت بخلده ، فاليس من المعقول أنه كان يترك وراءه قوة كبيرة لدعم سلطانه فى تلك الأرجاء . عنــدما اضطرته حوادث مصر الى العودة اليها سريعا ؟ رب معترض يقول ان الظروف التى استدعت يورجتيس الى مصر حالت دون تركه قــوة كبيرة وراءه للمحافظة على فتوحاته . واذا صح ذلك فلماذا ، فيما بعد ، عندما امتد سلطانه امتدادا واسعا فى بحر ايجة ، ولا سيما عندما داخل الانحــلال امبراطورية السلوقيين وتقطعت أوصالها ، لم يحاول أن يوسع ممتلكاته على حساب تلك الامبراطورية مع أن الفرصة كانت مواتية ؟ وليس لهذا سبب سوى أن البطالمة لم يفكروا الا فى امبراطورية بحــرية . ولذلك نستبعد أن برنيقى وابنها كانا قد قتلا قبل وصول يورجتيس الى سوريا وزحفه شرقا ، وأنه أخفى ذلك لتحقيق أطماعه ، اذ أن القرائن تدل على أنه لم تكن ليورجتيس أطماع هناك ، وأنه لم يقم بحملته الا لدعم حقوق أخته وابنها ، ولذلك أيضا نعتقد أن برنيقى وابنها لم يقتلا الا فى عام ٢٤٥ ، عندما وقعت فتنة فى أنطاكية ذهبا ضحيتها .

وعندما عاد يورجتيس الى مصر ، ترك حاميات فى قيليقيا وسوريا ، لكن سلوقس بادر الى دعم مركزه فاكتسب بزواج أختيه محالفة ميثريداتس ملك بونتوس وارياراتس (Ariarathes) ملك قابادوقيا واستطاع بلباقته السياسية أن يستميل أغلب المدن الاغريقية فى آسيا الصغرى (١) . وفى عام ٢٤٥/٢٤٤ استعاد الولايات الوسطى والشرقية وجانبا من قيليقيا وكل سوريا السلوقية فيما عدا سلوقية بيريه . وفى عام ٢٤٣ حاول استرداد شواطىء قيليقيا وسلوقية وغزو جوف سوريا ، لكن العواصف حطمت أسطوله وأنزل به الجيش البطلمى هزيمة فادحة فارتد الى أنطاكية (٢) .

---

(١) يسجل نقش طويل من ازمير (Hicks, 176; Ditt. O.G.I.S. 229) شكر هذه المدينة لسلوقس على خدماته لها ، وكذلك محاولة هذه المدينه رد الجميل للملك بحث المدن والمستعمرات المجاورة لها على شد ازره .

(2) Justin., XXVII, 2, 5.

وفى عام ٢٤٢ حاصرت قوة مصرية دمشق ولم يستطع سلوقس انقاذها الا فى العام التالى عندما جاء أخوه أنطيوخوس هراكس لنجدته ، لكن كل الشاطىء السورى حتى سلوقية بيريه بقى فى قبضة بطلميوس (١) .

جوناتاس يستعيد جزر القوقلاد :

وقد كان لسلوقس الثانى حليف طبيعى ، وان لم يكن حليفا رسميا ، وهو جوناتاس ملك مقدونيا ، وكان يتطلع الى فرصة للثأر من مصر جزاء مساعدتها الاسكندر وأراتوس واستردادها سيادة بحر ايجة ، ولذلك فانه ، بعدما استرد فى عام ٢٤٦ قورنثة ويوبويا وتبعا لذلك كل قوات أسطوله ، انتهز فرصة انهماك مصر فى شئون الدولة السلوقية وهزم عند أندروس (٢) فى عام ٢٤٥ جزءا من الأسطول البطلمى ، وتمكن من استعادة جزر القوقلاد ، لكن مصر احتفظت بجزيرة ثيرا وكذلك بكريت فضلا عن ممتلكاتها فى آسيا الصغرى (٣) .

اتساع نطاق امبراطورية البطالمة البحرية :

وحدث فى عام ٢٤٣ أن أفلتت قورنثة من قبضة جوناتاس فأضعف ذلك قوته البحرية ، وأن العواصف حطمت أسطول سلوقس ، فانتهزت مصر الفرصة للقيام بعمليات بحرية واسعة المدى فى عام ٣٤٣ أو عام ٢٤٢ . واذا كنا لا نعرف تفاصيل هذه العمليات ولا اذا كانت قد تمت فى حملة واحدة أو أكثر ، فاننا نعرف أن سوفرون ، حاكم أفسوس ، سلمها الى القوات البطلمية (٤) ، وأنه بينما بقى فى قبضة سلوقس قيليقيا الشرقية (عدا سولى ومالوس وسلوقية) وأيونيا الشمالية ، استردت مصر قيليقيا الغربية وبامفوليا واحتفظت بممتلكاتها السابقة فى لوقيا وقاريا واستولت على أيونيا الجنوبية وعلى جزيرتى لسبوس وساموتراقيا وكذلك على ممتلكات سلوقس فى تراقيا حتى مارونية ، بما فى ذلك شبه جزيرتها

(1) C.A.H. VII, pp. 717-9; Cary, pp. 89-90.
(2) Trog. Pomps., Prol. XXVII.
(3) Cary, p. 141.
(4) Athen., XIII, 596 C.

(غاليبولى) ، وذلك فضلا عن الشاطىء السورى حتى سلوقية بيريه قرب مصب نهر العاصى (١) .

وفى عام ٢٤١ عقد سلوقس مع بطلميوس صلحا أيد هذه النتائج الباهرة التى جعلت مركز مصر عندئذ على شواطىء بحر ايجة الشمالية والشرقية أقوى من مركزها فى عام ٢٧٢ . ومع ذلك فان مصر لم تتمتع عندئذ بمثل تلك السيادة البحرية التى كانت تتمتع بها قبلا لأن مقدونيا بسيطرتها على جزر القوقلاد قاسمت مصر سيادة البحر وتبعا لذلك حرمتها التدخل تدخلا فعالا فى شئون بلاد الاغريق (وان كانت ما زالت تحتفظ هناك بمثانا) . ومنذ ذلك الوقت اقتصر تدخل مصر فى بلاد الاغريق على تقديم المساعدات المالية (٢) .

عصبتا ايتوليا وآخايا :

وبعد هذه البداية الزاهرة ساد السلام فى عصر يورجتيس الى حد يثير الدهشة ، اذ أن الصعاب اكتنفت ملكى مقدونيا وسوريا ، ومع ذلك يبدو أنه لم يبذل جهدا كبيرا للافادة من متاعب منافسيه . فمن ناحية اشتبك جوناتاس فى حرب شعواء مع الجمهوريات الاغريقية ، وعندما توفى فى عام ٢٣٩ كان قد فقد كل بلاد الاغريق تقريبا ، ولم تعد مقدونيا تلعب هناك الدور الرئيسى ، فقدآل ذلك الدور الى عصبتى ايتوليا وآخايا . وما كاد دمتريوس الثانى (٢٣٩ — ٢٢٩) يرتقى عرش مقدونيا حتى تصادم مع عصبة ايتوليا ، فانفصمت عرى الصداقة القديمة بين دولته وهذه العصبة التى تآلفت مع عصبة آخايا ونشب بين دمتريوس وهاتين العصبتين مايعرف «بحرب دمتريوس» (٢٣٨ — ٢٢٩) . ولم تتدخل مصر فى هذه الحرب بل اكتفت بتقديم اعانات مالية لأراتوس زعيم العصبة الآخية . واذا كان دمتريوس قد نجح فى اقتطاع بويوتيا وفوقيس من عصبة ايتوليا وانزل بعض الهزائم بعصبة آخايا ، فان هذه العصبة خرجت من هذه الحرب

---

(١) راجع نقش ادوليس (بوشيه لكارك حـ ١ ص ٢٦١ — ٢٦٢) وبوليبيوس (V, 34, 6-9) وقرار ساموتراقيا تمجيدا لهيبومدون الذى أقامه بطلميوس حاكما على منطقة الدردنيل وتراقيا (Michel, 351)

(2) C.A.H. VII, pp. 718-9; Jouguet, Nat. Eg., pp. 57-8; Cary, pp. 89-90. 102--106, 109, 120--1, 140--1, 403.

أقوى بكثير مما دخلتها ، فقد ضمت الى حظيرتها كل اقليم أرجـوس (ما عدا مثانا المصرية) وكل أرقاديـا (ما عـدا مانتينيا وتجيـا تابعتى ايتوليا) (١) .

وفى أثناء هذه الحرب انقض الدردانى (Dardani) على مقـدونيا من الشمال وأنزلوا بدمتريوس هزيمة فادحة (عام ٢٣٣) قضى بقية حكمه فى اصلاح آثارها ، مما شغله عن الاشتراك شخصيا فى الحملات الأخيرة فى « حرب دمتريوس (٢) » .

ومن ناحية أخرى ساءت جدا حال امبراطورية السلوقيين ، وكان الانحلال قد أخذ يدب اليها منذ عهد أنطيوخوس الثانى (٢٦١ — ٢٤٦). فقد انسلخت عنها باقتريا (حوالى عام ٢٥٠) ، ثم بارثيا (Parthia) على مرحلتين فى عام ٢٤٧ وحوالى ٢٣٥ ، وأرمينيا (حوالى عام ٢٣٠) ، بينما استمرت بيثونيا وقابادوقيا وبونتوس تتمتع باستقلالها ، ومضت برجام فى بناء قوتها فى عهد أتالوس الأول (٢٤١ — ١٩٧) حتى غدت دولة شديدة البأس .

حـرب الأخـوين :

وفى هذه الأثناء قطعت الخلافات أوصال أسرة السلوقيين . وبيـان ذلك أنه فى عام ٢٤٥ عندما بارح سلوقس الثانى آسيا الصغرى لاستعادة دولته ، ترك فى ساردس أخاه الصغير أنطيوخوس هراكس ، وكانت أمه تشجعه على أن يصبح حاكما مستقلا . ولذلك فانه عندما ناشده سلوقس المساعدة فى أواخر الحرب السورية الثالثة لم يحصل على هذه المساعدة الا بشرط الاعتراف به شريكا فى الملك ، يتمتع بسلطة كاملة فى آسـيا الصغرى (عام ٢٤١) .

ولما كان يصعب على سلوقس احترام هذا الاتفاق الذى كان يترتب عليه اقصاؤه عن بحر ايجة ، فانه لم يكن هناك مفر من اصطدام الأخوين، فوقعت بينهما حرب ضروس يطلق عليها « حرب الأخوين » . ذلك أن

---

(1) Polyb., II, 44; Plut., Aratos, 24-31, 33-35.
(2) Rostovtzeff, Soc. and Ec., p. 39; Jouguet, Nat. Eg., p. 58; Cary, pp. 147-9.

سلوقس غزا آسيا الصغرى فى عام ٢٣٧ وفاز ببعض الانتصارات لكن الغال ، حلفاء أخيه ، أنزلوا به هزيمة فادحة عند أنقرة اضطرته الى عقد الصلح والنزول نهائيا عن آسيا الصغرى لأنطيوخوس (عام ٢٣٦) . بيد أنه سرعان ما ثبت عجز أنطيوخوس عن الاحتفاظ بسطوة السلوقيين فى آسيا الصغرى حيث قام هنا وهناك حكام مستقلون عنه ، بل انه أطلق العنان لحلفائه الغال فأوسعوا البلاد سلبا ونهبا الى أن أنزل بهم أتالوس — خليفه‌ابن عمه يومنيس(١) فى برجام — فى عام ٢٣٠ هزيمة ساحقة ارتدوا بعدها الى مقاطعة جالاتيا فى وسط فروجيا الكبرى ، وبذلك تخلصت آسيا الصغرى من شرورهم طوال حياته ، فهللت له المدن الاغريقية باعتباره منقذها .

أتالوس الأول ملك برجام :

وازاء المكانة التى اكتسبها أتالوس على هذا النحو اتخذ لنفسه لقب ملك وقرر الاستيلاء على الممتلكات السلوقية فى آسيا الصغرى .

وقد أفضت ثلاث مواقع حربية بين أتالوس وأنطيوخوس ، فى فروجيا على الدردنيل وفى لوديا وفى قاريا ، الى طرد أنطيوخوس من آسيا الصغرى حيث أصبح أتالوس فى عام ٢٢٨ سيد كل الولايات السلوقية شمالى الطوروس (ما عدا قيليقيا والأقاليم التى استقل بها الحكام المحليون) . وعندما طرد أنطيوخوس من آسيا الصغرى كان سلوقس مشتبكا فى حرب مع بارثيا ، فانتهز أنطيوخوس هذه الفرصة لخلع أخيه وحصل على تأييد أنطاكية ، بتدبير عمته أستراتونيقى ، مطلقة دمتريوس الثانى ملك مقدونيا (٢) ، كما حصل على قوات من أرمينيا ، لكن سلوقس عاد مسرعا من بارثيا وبدد شمل قوات أنطيوخوس واسترد أنطاكية .

ولما كان فى صالح دولة البطالمة أن تكون الدولة السلوقية — وهى أخطر منافس لها — نهبا لصراع أسرى وبيل يهدد كيانها ويضعف قوتها ، فلا شك فى أن السياسة والأموال البطلمية كانت تؤيد هراكس ضد أخيه سلوقس ، لكن الجيوش البطلمية لم تتدخل فى الصراع بين الأخوين .

(1) Cary, p. 110, fn. 2.
(2) Agathrch., ap. Joseph., C. Apion. I, 206=F. H.G. III, p. 196.

وعندما فر هراكس الى الاسكندرية ، بعد فشله فى الاحتفاظ بملكه وفى خلع أخيه ، سجنه يورجتيس . واذا كان قد تركه يهرب فان ذلك كان دون شك نتيجة الاهمال ولم يكن نتيجة خطة سياسية ، لأن هذا المخاطر ذهب للقتال وملاقاة حتفه عبثا فى تراقيا (١) . واذا كان يورجتيس يطمع حقا فى ضم الولايات الشرقية فى الامبراطورية السلوقية ، فلماذا لم ينتهز فرصة حلقات الصراع المرير بين الأخوين وهى التى زعزعت أركان تلك الامبراطورية ويتدخل بجيوشه لتحقيق تلك الأطماع ؟

انتيجونوس دوســون :

وفى آخر عهد يورجيتس استعادت مقدونيا سيادة بلاد الاغريق . ذلك أن خليفة دمتريوس الثانى كان طفلا فى التاسعة من عمره فاغتصب الملك منه الوصى عليه : أنتيجونوس دوسون (Doson) ابن دمتريوس الجميل . وقد كان عاهل مقدونيا الجديد جديرا بشرف الانتساب الى سلالة الملوك العظام فى أسرة أنتيجونوس ، فانه بادر بالاستيلاء على تساليا وسلب مصر قاريا (٢) ثم استغل فرصة المنازعات التى قطعت أوصال بلاد الاغريق ليعيد بسط سيادة مقدونيا عليها . فمن ناحية تقرب اليه الايتوليون عنــدما رأوا أن حلفاءهم الآخيين قد جنوا من حرب دمتريوس خير الثمار واتسعت عصبتهم اتساعا كبيرا . ومن ناحية أخرى عدل قليومنيس دستور اسبرطة ، وأقام نفسه طاغية عليها ، وقام باصلاحات اشتراكية واسعة المدى ، واتبع منذ عام ٢٢٨ سياسة خارجية تستهدف السيطرة على البلوبونيز . ولما كان قليومنيس قد استولى على مدينة بعد أخرى من مدن عصبة آخايا ، وكانت ميوله الاشتراكية تتهدد طبقة أصحاب الأملاك فى هذه العصبة وهى التى كان الايتوليون يتربصون بها الدوائر ، وكان بطلميوس يورجتيس قد حول الى قليومنيس المساعدة المالية التى كان فيما مضى يقدمها لأراتوس زعيم العصبة الآخية ، لأنه كان يريد فى بلاد الاغريق خصما قويا لدودا لمقدونيا ولأن اسبرطة بزعامة قليومنيس كانت أصلح من يقوم بهذا الدور .

(1) Justin., XXVII, 3, 9-10; Polyb. V, 74, 4; Trog. Pomp., Prol. XXVII; Justin., 27, 3, 11 12; C.A.H. VII, p. 719-23; Jouguet, Nat. Eg., pp. 58-9; Cary, pp. 89, 109-112.

(2) Trog. Pomp., Prol. 28; Cf. Polyb., XX, 5, 7-11.

فان عصبة آخايا لم تر مفرا من التحالف مع عدوتها القديمة مقدونيا (شتاء ٢٢٥/٢٢٤) . وقد يسر ذلك مهمة دوسون الذى جدد فى ربيع ٢٢٤ محالفة دمتريوس مع بويوتيا واقتحم برزخ قورنثة واستولى على قورنثة وأرجوس . وفى خريف هذا العام أنشأ دوسون بزعامة مقدونيا عصبة هلينية جديدة تتألف من أقارنانيا وآخايا وبويوتيا وأبيروس ويوبويا وفوقيس وتساليا . ومع كل النقائص التى كانت تعتور تكوين هذه العصبة وصلاحيتها للعمل ، فانها كانت على الأقل خطوة فى سبيل توحيد بلاد الأغريق وتعاونها مع مقدونيا . وفى عام ٢٢٣ استولى دوسون على كل مدن أرقاديا .

يورجتيس يعدل عن سياسة معاداة مقدونيا :

وفى الوقت الذى تحرج فيه مركز قليومنيس ، ارتقى عرش الدولة السلوقية ملك جم النشاط (أنطيوخوس الثالث) ، فقطع يورجتيس امداداته المالية عن قليومنيس ونصحه بالاتفاق مع دوسون ، لكن قليومنيس آثر أن يخوض مع خصمه معركة فاصلة عند سلاسيا (Sellasia) فى عام ٢٢٢ . وعندما انتصر دوسون فى هذه الموقعة ضم اسبرطة الى العصبة الهلينية وفرقيلومنيس الى بلاط الاسكندرية يطلب العون بالمال والرجال، فلقى ترحيبا بمقدمه وان لم يلق حماسا لقضيته . وربما كان من الحق ألا يلام يورجتيس على هذا التحول فى سياسته ، لأنه ازاء فشل قليومنيس فى حربه مع مقدونيا ، وازاء نشاط الملك السلوقى الجديد الذى كان يحمل فى طياته نذرا تتهدد مصر ، كان من الحكمة ألا يتمادى يورجتيس فى معاداة مقدونيا ، ولا سيما أنه لم يعد هناك أمل فى أن يجنى من وراء ذلك شيئا اللهم الا أن يدفع مقدونيا الى التعاون مع سوريا ضده ، وقد سبق لمصر أن خبرت قوة مثل هذه التعاون (١) .

أنطيوخوس الثالث :

عندما ارتقى سلوقس الثالث عرش سوريا فى عام ٢٢٦ ، عهد الى أخيه الصغير أنطيوخوس بحكم بابل ، واختار رجلا سياسيا بارعا من قاريا

(1) Polyb., II, 47-69; Plutarch, Aratos, 35-46; Cleomenes, 18-32; Jouguet, Mac. Imp., pp. 203-6; Nat. Eg., pp. 59-69; Cary, pp. 155-64.

يدعى هرمياس كبيرا لوزرائه وأسند الى عمه أندروماخوس استرداد آسيا الصغرى من أتالوس ، الا أن أتالوس هزم أندروماخوس وأرسله الى مصر . وهذا ينهض دليلا على أن يورجتيس كان يعاون أتالوس مثل ما كان فيلادلفوس يعاون يومنيس .

وعندما عبر سلوقس نفسه الطوروس وقتله اثنان من ضباطه ، خشى أن يقع نضال على العرش بين أنطيوخوس وأخايوس (Achaeos) ، ابن عمه (١) أندروماخوس ، وكانت السلطة قد آلت اليه مؤقتا لغياب أنطيوخوس فى بابل ، لكن أخايوس نادى بأنطيوخوس ملكا (عام ٢٢٣) وعاقب قتلة سلوقس . وقد استبقى أنطيوخوس الثالث هرمياس فى منصبه كبيرا للوزراء وعهد الى أخايوس برد أتالوس على أعقابه ، وأسند ولايتى ميديا وفارس الى حاكمين شبه مستقلين وهما مولون (Molon) وشقيقه الاسكندر (٢) . وسرعانما أثبتت الأحداث بعد نظر يورجتيس أو وزير ماليته سوسيبيوس (Sosibios) ابن ديوسقوريدس (Dioscorides) عندما قرر مهادنة أنتيجونوس دوسون بدلا من التمادى فى معاداته . اذ أنه عقب وفاة يورجتيس (٣) ناصب هرمياس مصر العداء ، لكنه لم يكن عداء خطيرا بسبب المخاطر التى استهدفت لها عندئذ دولة السلوقيين . وذلك أنه فى عام ٢٢٢ ثار مولون وشقيقه على أنطيوخوس ، فدعا الملك مجلسه الى الاجتماع فى أنطاكية . وكان من رأى أبيجنيس (Epigenes) القائد الشيخ المحنك ، أن يقوم الملك بنفسه باخماد الثورة ، لكن هرمياس خالف هذا الرأى ، واقترح ايفاد حملة لاخماد الثورة دون تعريض حياة الملك للمخاطر ، كما اقترح انتهاز فرصة وفاة يورجتيس ومحاولة غزو جوف سوريا انتقاما من مصر ، فقد زعم أنه يوجد تفاهم بين أخايوس وبلاط الاسكندرية . ولذلك تقرر ارسال قائدين لاخضاع مولون وانفاذ حملة لغزو جوف سوريا ، لكن مولون هزم القائدين كما أن ثيودوتوس الايتولى هزم الجيش السلوقى الذى دخل جوف

(١) وفقا لرأى بعض الباحثين لم يرتبط اندروماخوس بالأسرة السلوقية الا عن طريق زواج انطيوخوس الثالث بابنته راجع Cary, p. 111, fn. 2.

(2) Poly l., V, 40.

(3) Polyb., V, 40, 2; 60, 4; Cary, p. 90; Bouché-Leclercq, I, p. 294.

سوريا (عام ٢٢١) . وعندئذ استقر رأى أنطيوخوس وهرمياس على أن يتوليا بنفسيهما أمر مولون وشقيقه ، وفعلا نجحا فى وضع الأمور فى نصابها . وفى آخر عام ٢٢٠ عاد أنطيوخوس مظفرا ، بعد القضاء على مولون والاسكندر . هذا الى أن هرمياس نفسه ، وقد كرهه كل البلاط ولم يعد الملك يحتمل وصايته الوقحة ، لقى حتفه فى سلوقية على الدجلة فى مؤامرة دبرها طبيب أنطيوخوس .

ثورة اخايوس :

ويبدو أن أخايوس بقى وفيا لابن عمه حتى عام ٢٢٠ لكنه بعد قيامه بحملة ناجحة (٢٢٢ — ٢٢١) ، استرد فيها من أتالوس كل ما كان قد كسبه منذ الحرب السورية الثالثة (ماعدا بعض المدن فى اقليم طروادة) ، بدلا من أن يتابع هذا النجاح بتضييق الخناق على برجام أسكرته نشوة النصر وخيل اليه أن أنطيوخوس قد لا يعود من حملته الشرقية ، أو على الأقل أن فى وسعه غزو سوريا قبل عودة أنطيوخوس، فخرج على رأس جيش كبير لتحقيق أطماعه . بيد أنه عندما فطن جنوده الى نواياه رفضوا المشاركة فى حملة ضد الملك الشرعى ، مما اضطره الى العدول عن عزمه والانصراف الى محاربة بعض قبائل بيسيديا ، وبذلك أتاح لأتالوس الفرصة لاسترداد أكثر المدن الاغريقية التى كان قد فقدها . وعلى الرغم من أن أنطيوخوس علم بغدر أخايوس ، فانه رأى من الحكمة ألا يتعرض لهذا الخصم الذى كانت مصر تحاول استمالته الى جانبها ، مقدرا أن نشاط أتالوس وعواطف جنود أخايوس لن تتيح له تكرار محاولته السابقة [1] .

استعراض سياسة بطلميوس الثالث الخارجية :

ويتضح بجلاء من استعراض فتوحات بطلميوس الثالث أنه اقتفى فى سياسته الخارجية خطوات أبيه وجده ، وهى السياسة التى كانت تهدف الى المحافظة على استقلال مصر والحصول على ما تفتقر اليه من المواد الضرورية ، والسيطرة على الطرق البحرية المؤدية الى

(1) Polyb., IV, 48; V, 40-57; C.A.H. VII, pp. 723-6; Jouguet, Nat. Eg., pp. 60-3; Cary, pp. 69-70, 112-3.

مصر ، والاستيلاء على أهم منافذ الطرق التجارية الوافدة من أواسط آسيا ، أو بعبارة أخرى استقلال مصر ، وسيادة بحر ايجة من أجل ضمان سلامة مصر وقوتها وثرائها • لكنه اذا كانت امبراطورية البطالمة قد بلغت أقصى مداها فى عهد يورجتيس ، فانها لم تشمل عندئذ عصبة القوقلاد ، وتبعا لذلك لم تتمتع مصر عندئذ بسيادة كاملة على بحر ايجة •

ويرى بعض المؤرخين أن حصول البطالمة على ممتلكات على شواطىء آسيا الصغرى من قيليقيا الى الدردنيل ، وفى غاليبولى وفى تراقيا ، يشير الى أنهم لم يرموا الى الاشراف على الطرق التجارية المؤدية الى الاسكندرية فحسب ، بل الى رغبتهم كذلك فى الاستيلاء على كل بحر ايجة من أجل الحصول على سيادة العالم — تلك الرغبة التى كانت الدافع وراء مشروعات كافة القوى المتنافسة فى العالم الاغريقى منذ بداية القرن الثالث (١) • ونحن نرى أن الأمر لم يقتصر على تلك الممتلكات الواسعة الآنفة الذكر ، بل أن نفوذهم امتد كذلك الى شواطىء بحر مرمرة وشواطىء البحر الأسود الجنوبية ، بفضل تحالفهم مع برجام وصداقتهم مع « العصبة الشمالية » فى آسيا الصغرى ، وكانت تناصب دولة السلوقيين العداء • ونرى أيضا أن البطالمة لم يرموا فقط الى الاكتفاء بالاشراف على الطرق البحرية المؤدية الى الاسكندرية ، بل كانوا يرمون أيضا الى الاستيلاء على أهم منافذ الطرق التجارية الآتية من أواسط آسيا ، وذلك للتحكم فى التجارة الشرقية الهامة ولضمان سيادة بحر ايجة ، لا من أجل الحصول على سيادة العالم وانما من أجل ضمان استقلال مصر وقوتها وثرائها كما سلف القول • ولو أن البطالمة كانوا يرمون حقا الى سيادة العالم ، لا نتهزوا ما سنح لهم من الفرص التى كانت مواتية لمثل هذه الأطماع الجامحة ، لكن نشوة النصر لم تسكرهم ، فقد عرفوا كيف يكبحون جماح أطماعهم فى ساعات انتصارهم ، ولذلك عمرت دولتهم أطول من أية دولة هلينيسية أخرى •

---

(1) Jouguet, Mac. Imp., pp. 248-9.

واذا كانت فكرة تكوين امبراطورية عالمية قد بدت لملوك مقدونيا بسبب ثروتهم العسكرية ، وان كنا نعرف أنها لم تخطر ببال أحد من هؤلاء الملوك بعد دمتريوس « محاصر المدن » ، أو اذا كانت هذه الفكرة قد طرأت لملوك آسيا بسبب غناهم بالمال والرجال ، فانها كانت تبدو غريبة وبعيدة التحقيق بل حافلة بالمخاطر لملوك مصر ، لأن اخضاع العالم كان يتطلب وجود جيش كبير يمكن تجديده بسهولة ، فى حين أن البطالمة كانوا يعتمدون فى تكوين جيوشهم على التجنيد الخارجى ، وكان يكلفهم كثيرا بل أهم من ذلك أنه كان تحت رحمة الظروف المختلفة وعرضة للنقص بل الانقطاع كلية •

واذا ألقينا نظرة عاجلة على امبراطورية البطالمة ، فاننا نلاحظ أنها امبراطورية بحرية ، وأن بعض أجزائها كان يرتبط ارتباطا وثيقا بمركز هذه الامبراطورية أو بعبارة أخرى بمصر نفسها ، وأن بعضها الآخر كان بعيدا عن ذلك المركز ومشتتا • ونستبين من تاريخ البطالمة الثلاثة الأوائل أنهم لم يدخروا وسعا فى الاحتفاظ بالبعض الأول (قورينائية وجوف سوريا وقبرص) ، فى حين أنهم كانوا يسلمون بضياع البعض الآخر عندما لم يقدروا على مواجهة الظروف الخارجية • والحقيقة هى أن مصر كانت العماد الأول لقوة البطالمة وثروتهم وأهم جزء فى امبراطوريتهم • (أنظر الخريطة فى آخر الكتاب) •

وقد رأينا كيف أن يورجتيس لم يثابر على النشاط الذى أبداه فى مستهل حكمه ، وهذا فى ذاته دليل على أنه لم يطمع فى الاستيلاء على العالم ، بل أن يورجتيس لم يعمل حتى على استرداد عصبة القوقلاد ، ولعله لم ير داعيا لذلك بعد استيلائه على شواطىء بحر ايجة الشمالية والشرقية • وعلى كل حال فان مصر نعمت بالسلم عشرين عاما ، اذ أن يورجتيس قصر نشاطه الخارجى منذ عام ٢٤١ على تقديم اعانات مالية لأراتوس وقليومنيس فى بلاد الاغريق ، ومن المحتمل أيضا لأنطيوخوس هراكس وأتالوس فى آسيا • لكن هذا السلم ، الذى يرجع الى ما صادف منافسى يورجتيس من المتاعب قد أبرز ضعفا شديدا فى هذا العاهل ، فهو لم ينشط فى الافادة من هذه المتاعب بل ترك أنتيجونوس

دوسون ينقض على ممتلكاته فى قاريا ، وانفض عن تأييد قليومنيس مثل ما انفض أبوه من قبل عن أثينا • وأخطر من ذلك كله أنه ترك جيشه وأسطوله يستغرقان فى التراخى والضعف ، حتى أنه عندما توفى فى عام ٢٢١ لم تعد مصر قوة حربية يخشى بأسها (١) •

٤ — بداية عهد بطلميوس الرابع (فيلوباتور ، Philopator = المحب لأبيه) •

صفاته :

بعد أن بلغت دولة البطالمة أوج مجدها ، آل صولجانها فيما بين اليوم الخامس واليوم السادس عشر من فبراير عام ٢٢١ ق • م (٢) الى شاب عابث فى الثانية والعشرين من عمره انحدر بها الى حال من الضعف والمهانة لم تستطع النهوض منها لتتبوأ ثانية تلك المكانة التى كانت تنعم بها فى عهد البطالمة الأوائل • وقد اتخذ بطلميوس الرابع لنفسه لقب « فيلوباتور » أى المحب لأبيه ، ولعل مرد ذلك الى أن أباه كان يستمتع بمحبة رعاياه والى أنه بمشاركته هؤلاء الرعايا هذه المحبة كان يأمل فى استمالة القلوب اليه ! واذا كان يمكن الاغضاء عن بناء هذا الملك سفينة ضخمة فاخرة تعتبر قصرا عائما ، وكان الشك لا يخامرنا فى أن الاضطرابات الداخلية التى كانت على وشك الانفجار ترجع قبل كل شيء الى السياسة الداخلية التى اتبعها أسلافه ، وخاصة فيلادلفوس ، على نحو ما سنرى فيما بعد ، فانه من المؤكد أن فيلوباتور لم يتحل بصفات الرجولة ولا هبات الملك • ذلك أنه كان كسلا متراخيا فى عمله ، شديد الاهتمام بمظاهر العظمة ، قليل الاكتراث بشئون الدولة الى حد أنه كان يتعذر على موظفيه الوصول اليه ، كلفا بالمجون فاصطفى من أجله رفاقا ولوكانوا من حثالة الاسكندرية (٣) •

وقد أطلق الاسكندريون على هذه الجماعة « اخوان الأنس »

---

(1) C.A.H. VII, p. 726.

(2) Skeat, p. 31, no. 7.

(3) Polyb., V, 24, 3-5; 35, 6; XIV, 12; Plut., Cleom., 33; Athen., VI, 216 c.

(Geloiastai) (١) • وكان أخطر شيء على هذا الشاب ، أنه أصبح سريعا ألعوبة فى أيدى أفراد أسرة تحوم حـولهم الشبهات ، وهـم نديمـه أجاثوقلس (Agathocles) وحظيته أجاثوقليا (Agathoclea) وأمهما أويناثى (Oenanthe) • ويقـول بوليبيوس (٢) ان فيلوباتور كان عبـدا طيعا لحظيته أجاثوقليا التى قلبت الدولة بأجمعها رأسا على عقب • ويحدثنا يوستينوس (٣) بأن هذه الأسرة لم تقنع بالسيطرة على الملك ، فتغلغل نفوذها فى الدولة الى حد طغى على نفوذ الملك • ويبين أن المؤرخـين القدماء استمدوا معلوماتهم عن خلق فيلوباتور من القصص التى نشرها عنـه فى ثلاثة أجـزاء رجـل كان فى خـدمته يدعـى بطلميوس بن أجسارخوس (٤) •

وكان هذا الملك الفاسق متصـوفا ، اذ أنه كثـيرا ما يحـدث أن تستطيع أسرار بعض العبادات استهواء أكثر النفوس رفعة وكذلك أكثر الشهوات جموحا • ولما كان فيلوباتور قد أطلع على أسرار عبادة الالهة قوبلى (Cybele) ، فانه كان يدعى جالوس (Gallos) على نحو ما كان يدعى كهنة هذه الالهة • وكان يحمل أيضا وشم اللبلاب ، وهو رمـز أتباع مذهب ديونوسوس اله الاستعمار الأسيوى وكذلك اله الخمـر عند الاغريق • ومنذ عهد بطلميوس الثالث ، كان البطالمة يدعون أنهم ينحدرون من سلالة هذا الاله ، وذهب فيلوباتور فى شـدة حماسـه لديونوسوس الى حد أنه أراد أن تتمثل فيه بشكل ما شخصية جـده الأكبر المقدس (٥) • ويعتقد البعض أن فيلوباتور كان مخلصا فى هـذا الحماس ، بيد أنه بسبب ميله الى المجون كان أكثر احتفالا بديونوسوس بوصفه اله الخمر منه بوصفه اله الاستعمار ، فاشتط فى القيام بأعمال أثارت عليه غضب الكثيرين من رعاياه ونقمتهم • فلا عجب أن اعتبر مثل هذا

(١) راجع : Athen., VI, 246 • ويرى البعض أن فيلوباتور وغيره من أفراد أسرة البطالمة لم يجمعوا حول موائدهم حلقات من الأصفياء بدافع الرغبة فى اللهو والعبث والاستمتاع بالملذات ، وانما تنفيذا لسياسة مرسومة ذات طابع دينى ، انظر : Tondriau, Chronique, 1946, pp. 149-171.

(2) Polyb., XIV, 11, 5.

(3) Justin., XXX, 2.

(4) Cf. Athen., XI, 246 c; X, 425 e-f; XIII, 577 f-578 a.

(5) Perdrizet, Bull. Soc. Arch. Alex., 1910, pp. 62 ff.

الضرب من الحماس مسئولا الى حد عن السمعة السيئة التى لصقت بهذا الملك. واذا كان لم يتخذ لقبا رسميا له «ديونوسوس الجديد» (Neos Dionysos) مثل ما فعل فيما بعد بطلميوس الثانى عشر ، فان الناس ورجال البلاط كثيرا ما كانوا يدعونه ديونوسوس (١) . ويحتمل أن يكون تمسكه بعبادة ديونوسوس ، التى أراد أن يفرضها على رعاياه ، هو الذى حدا به الى اضطهاد اليهود ، على نحو ما سيأتى ذكره فى سياق الحديث عن سياسة البطالمة الدينية .

ولما كان فيلوباتور تلميذ العالم الكبير اراتوسثنيس والفيلسوف الرواقى سفايروس (Sphaeros) فانه كان معنيا بالآداب . وقد طمع فى اظهار مواهبه الشعرية ، فكتب قصة شعرية تدعى « أدونيس » (Adonis) وكتب أجاثوقلس تعليقا عليها . ولا نعجب من اختياره هذا الاله بطلا لقصته ، فقد كان أدونيس قريبا الى قلب ديونوسوس وحبيب أفروديتى، على نحو ما تحدثنا به القصص القديمة (٢) .

وقد اقتفى فيلوباتور أثر فيلادلفوس وتزوج هو أيضا ، فى العام السادس من حكمه ، أخته أرسينوى الثالثة . ويرى بعض المؤرخين أن هذا الزواج قد تأخر الى هذا الوقت ، لأن أصفياء الملك كانوا يأملون أن تنجب له أجاثوقليا وريثا للعرش ، لكنه عندما لم تتحقق هذه الآمال زوجوه من أخته (٣) . لكن البعض الآخر يرى أن زواج بطلميوس الرابع من أخته قد تأخر الى هذا الوقت من ناحية لأنه عند ارتقائه العرش لم تكن أرسينوى قد بلغت سن الزواج بعد ، ومن ناحية أخرى لخوف بطانة السوء أن يؤدى الزواج الى أضعاف نفوذهم واقصاء أجاثوقليا (٤) . وعلى كل حال فانه عندما تزوج بطلميوس الرابع من أخته أرسينوى عرفا باسم « الالهين فيلوباتورس » أى المحبين لأبيهما . ولما كان لا يوجد دليل على أن بطلميوس الرابع تزوج أرسينوى قبل موقعة رفح (٢٢ من يونيو عام ٢١٧) ، وكان قد ورد فى القرار الذى اتخذه

---

(1) Clem. Alex., Protrept, p. 16 (Sylb.).
(2) Bouché-Lecl., pp. 325 ff.; Schol. Aristoph., Thesmoph. 1059; Cf. Berlin Pap. no 11774, verso, in Schubart u. Kuhn, Papyri und Ostraka d. Ptolem., 1922; Archiv, IV, p. 413; Diog., L. VII, 177; Bevan, pp. 233-4; Jouguet, Nat. Eg., p. 62.
(3) Mahaffy, Hist., p. 128.
(4) Bouché-Leclercq, I, pp. 321-2; Bevan, pp. 230-1.

الكهنة فى ١٥ من نوفمبر عام ٢١٧ وحفظه لنا نصب بيثوم (١) « زيادة ما كان يقدم فى المعابد من مظاهر التكريم للملك بطلميوس .. ولأخته أرسينوى ، الالهين المحبين لأبيهما . » ، فلا بد من أن بطلميوس الرابع وأرسينوى كانا قد اتخذا لقب الالهين فيلوباتورس وتبعا لذلك كانا قد تزوجا قبل هذا التاريخ ، أو بعبارة أخرى بعد موقعة رفح بقليل .

وقد أدت أرسينوى الثالثة واجبها نحو الأسرة بانجاب ولى للعهد (٣٠ من مسرى = ٩ من أكتوبر عام ٢٠٩) (٢) أشرك وهو فى المهد (قبل ٦ من يونية عام ٢٠٨) (٣) مع أبيه فى الملك . وبرغم ما عرف عن أرسينوى من شجاعة سنلمسها عند الكلام عن معركة رفح ، فانها لم تستطع مقاومة قوى الشر التى تجمعت حول زوجها ، فاعتكفت عن الحياة محاولة أن تجد فى مخالطة العظماء عزاء لها عن الهوة التى تردى فيها بيتها (٤) . وبعد وفاة هذه الملكة التعسة ، التى قتلت بعد وفاة زوجها ، كتب عنها أراتوسثنيس كتابا يفيض بالشعور (٥) .

الوزير سوسيبوس :

وقد بدأ العهد الجديد بارتكاب بعض الجرائم ، وهى قتل برنيقى أم الملك وماجاس أخيه ولوسيماخوس عمه . ويصف بوليبيوس هذا الوزير بأنه كان شيطانا رجيما باشر السلطة أمدا طويلا وعاث فى الدولة فسادا كثيرا (٦) . وتلقى تبعة ارتكاب هذه الجرائم على سوسيبيوس ، وزير فيلوباتور ، فانه ليخلو له الجو ويستأثر وحده بالسلطة أوغر صدر الملك ضد عمه لنفوذه ، وضد أخيه لمحبته بين الجنود ، وضد أمه لعطفها على أخيه ، فقد أفهم الملك أنه لا يستطيع أن ينعم بحياة هانئة هادئة الا اذا قضى على هؤلاء الثلاثة . واذا كنا لا نستبعد على بطلميوس الرابع ارتكاب أى جريمة ، فاننا مع ذلك لا نستطيع قبول ما يرويه يوستينوس من أنه قتل أباه وأمه (٧) اذ أن بوليبيوس يحدثنا بأن يورجتيس توفى بسبب المرض (٨) .

(1) Bevan, pp. 388 ff.

(٢) راجع قرار حجر رشيد حيث ورد النص على اقامة حفل فى كل المعابد بمناسبة عيد مولده (انظر .Bevan, pp. 236, 267)

(3) Smyly, Gurob, 12; Meyer, Untersuch. Z. Chron., p. 43.

(4) Bevan, p. 236; Jouguet, Nat. Eg., p. 62.

(5) Athen., VII, 276 a.

(6) Polyb., XV, 25.

(7) Justin., XXIX, 1, 5.

(8) Polyb., II, 71, 3.

ونعرف أن سوسيبيوس قبل أن يصبح حاكم دولة البطالمة الحقيقى فى عهد بطلميوس الرابع ، كان وزير مالية بطلميوس الثالث منذ عام ٢٤١ ، كما نعرف أنه كان يشغل منصبا رفيعا آخر فى عام ٢٣٥ — ٢٣٤ ، فقد كان عندئذ كاهن (١) عبادة الاسكندر الأكبر والبطالمة وكانت عبادة اغريقية رسمية . واذا صح أن ثيوجنيس (٢) (Theogenes) كان وزير المالية منذ العام الخامس فى عهد فيلوباتور (٣) ، فلا يبعد أن يكون سوسيبيوس قد آثر منذ ذلك الوقت الاكتفاء بالقيام بدور مستشار الملك . وعلى كل حال فانه ليس من شك فى أن هذا الرجل الداهية الطموح لم يلق مشقة فى السيطرة على فيلوباتور سيطرة تامة أكسبته سلطات واسعة لأن شخصا عابثا مستهترا ضعيفا مثل هذا الملك كان لا يمكن أن يقيم العراقيل فى سبيله .

الاستمرار فى مهادنة مقدونيا :

وبعد وفاة يورجتيس استمر سوسيبيوس فى متابعة سياسته ، وهى التى عرفنا أنها كانت تنطوى على مهادنة مقدونيا ، فمن ناحية كانت المخاطر تتهدد مصر عندئذ من قبل الملك الشاب النشيط أنطيوخوس الثالث ، وكان يتحفز للانقضاض عليها ، ومن ناحية أخرى فانه ازاء وفاة أنتيجونوس دوسون (شتاء ٢٢١/٢٢٠) كان من العبث انفاق الأموال على التدخل فى شئون بلاد الاغريق بل كان من المحتمل ألا يلقى قليومنيس صعوبة فى السيطرة على تلك البلاد فيصبح بدوره خطرا على مصر .

ولذلك فانه عندما أنعشت وفاة دوسون آمال قليومنيس وألحف فى مطالبة فيلوباتور بمساعدته أو على الأقل بالسماح له بمغادرة مصر مع رجاله لم يستجب الملك الى رجائه . ولما كان استبقاء قليومنيس فى مصر بعد تخييب آماله مع تمتعه بمكانة كبيرة بين المرتزقة ينطوى على أخطار

---

(1) Rev. Eg., I, 1880, p. 134.

(٢) فى رأى ادجار (Bull. Alex., no 19, p. 117) أن ثيوجنيس هو الذى قام بدور الجلاد فى الجرائم التى دبرها سوسيبيوس وورد ذكره باسم ثيوجوس (Treogos) فى الكتاب المنحول على بلوتارخ :

(Ps. - Plut., De prov. Alex. libell., ed. O. Cursius, no. 13).

(3) Annales, XX, p. 198; Bull. Alex., mo 19, p. 117.

كبيرة ، فان سوسيبيوس أقنع فيلوباتور بسجنه فى منزل كبير بالاسكندرية • وعندما ضاق قليومنيس ذرعا بحاله دبر وسيلة للفرار من سجنه ، وخرج هو ورفاقه يحضون الاسكندرية على الثورة ، لكنه لم يكن لصرخة الحرية رجع الصدى فى هذه المدينة الملكية التى كانت فخورة بقصرها ، وتتيه عجبا دون شك باستقلالها المحلى ، لكنها كانت غريبة عن الروح الجمهورى الذى كان يلهب المشاعر فى بلاد الاغريق• وعندما أخفق الاسبرطيون فى محاولتهم قتلوا بعضهم بعضا ، وأمر فيلوباتور بقتل نسائهم وأطفالهم (١) (عام ٢١٩) •

الحرب السورية الرابعة :

وقد أسلفنا أن أنطيوخوس انتهز فرصة وفاة يورجتيس ليغزو جوف سوريا فى عام ٢٢١ ، وأن ثيودوتوس الايتولى ، حاكم هذا الاقليم خيب آماله فاتجه شرقا لوضع أمور ولاياته الشرقية فى نصابها • وعندما عاد مظفرا من هذه الحملة فى آخر عام ٢٢٠ ووقف على سيرة فيلوباتور ، اعتقد أن الوقت قد حان لسلب مصر جوف سوريا ، ولذلك فانه فى العام التالى استؤنفت ، أو بدأت « الحرب السورية الرابعة » • وليس أبلغ فى الدلالة على انصراف فيلوباتور عن مهام الدولة وانهماك سوسيبيوس فى مؤامراته لدعم مركزه بالقضاء على لوسيماخوس وماجاس وبرنيقى وقليومنيس من أن ولاة الأمور فى مصر لم ينتهزوا فرصة متاعب أنطيوخوس ، التى ترتبت على ثورة مولون والاسكندر وعلى ثورة أخايوس ، للثأر من غزوة أنطيوخوس فى عام ٢٢١ أو الاستعداد لدفع الاعتداء عن ممتلكات مصر السورية اذا ما حدثت أنطيوخوس نفسه بذلك بعد الفراغ من مشاغل امبراطوريته • بل انهم بدلا من اعرابهم لثيودوتوس عن تقديرهم لنجاحه فى رد أنطيوخوس على أعقابه فى عام ٢٢١ أساءوا معاملة هذا الضابط الأجير حتى خشى على حياته • فلا عجب أنه عندما هاجم أنطيوخوس سلوقية بيريه قرب مصب نهر العاصى فى ربيع عام ٢١٩ واستولى على هذا الميناء الكبير بفضل رشوة بعض الضباط ، استحثه ثيودوتوس على القدوم فورا الى جوف سوريا

(1) Polyb., V, 35-39; Plut., Cleom., 33-35 ; Bouché-Leclercq, I, pp. 289-91.

وأعرب له عن استعداده لتسليم هـذا الاقليـم اليه • فلـم يكن من أنطيوخوس الا أنه اجتاز مسرعا وادى مارسياس وشق طريقه وسـط التلال الى الساحل حيث سلم اليه ثيودوتوس صور وعكا (Ptolemais) وأربعين سفينة حربية ومعدات هائلة وانخرط فى سلك خدمته •

وبعد ذلك تابع أنطيوخوس زحفه للاستيلاء على جوف سوريا حتى أوقفت تقدمه جنوبى الكرمل مدينة دورا (Dura) ، وكان يشد أزرها نيقولاوس (Nicolaos) القائد البطلمى فى سوريا ، غير أن هذا القـائد كان أضعف من أن يخاطر بخوض معركة حاسمة • ولو أن أنطيوخوس ترك قوة تحاصر هذه القلعة وزحف على بلوزيون لوجد مصر عند موطىء قدميه ، لكنه خدع بدعاية سوسيبيوس التى روجت بـين النـاس أن الجيش المصرى بكامل قوته كان متجمعا عنـد بلوزيون ، وكذلك بما ألقى فى روعه من أنه يستطيع الحصول على جوف سوريا بمفاوضـات سلمية لو أنه عقد هدنة لمدة أربعة شهور • ولما كان الشتاء قد اقـترب وكان يخشى التغيب طويلا عن دولته لقلقه من نشاط أخايوس ، فانه قبل الهدنة وترك ثيودوتوس ليحكم ممتلكاته الجديدة ، وعاد الى سلوقية بيريه فى انتظار المفاوضات المزعومة لتسليم جوف سوريا •

وحقيقة الأمر أنه عنـدما بدأ أنطيوخوس حملتـه لم يكن فى مصر جيش مستعد للقائه ، ولذلك كان الموقف جـد خطـير ، لأن اقـدام أنطيوخوس على هذه الحملة بالرغم من موقف أخايوس الغامض يدل على أنه كان مصمما على الوصول الى نتيجة حاسمة ، فخف فيلوباتور الى منف ثم الى بلوزيون ، على رأس كل ما أمكن حشده من القوات • وفى الوقت نفسه عنى سوسيبيوس وأجاثوقلس بتجنيد جيش جـديد وتدريبه فى الاسكندرية ، فأحضرا من بلاد الاغريق أفضل من تستطيع النقود ابتياع خدماتهم من الضباط المرتزقين ، الذين حاربوا تحت قيادة دمتريوس الثانى وأنتيجونوس دوسون وتشربوا بالتقاليد المقـدونية ، وكان من أبرز هؤلاء الضباط أندروماخوس من أسبندوس وبولوقراتس من أرجوس • وكذلك أحضر عدد من الجنود المرتزقة ، ودعى للخدمة العسكرية حوالى ٤٠٠٠ من الجنود الذين استقروا فى مصر ، نتيجـة

للاقطاعات التى كان البطالمة قد منحوهم اياها • وأخطر من ذلك وأهم هو أن سوسيبيوس ، بايحاء من فيلوباتور فيما يظن ، جند نحوا من ٢٠٠٠٠ مصرى ، وسلحهم ودربهم على نهج المقدونيين ، وكون منهم فيلق المشاة الكاملى العدة (فالانكس) • واستدعى من قورينائية ٢٣٠٠ من الفرسان ، على رأسهم ضابط من مدينة برقة (المرج) يدعى أمونيوس • وهكذا تجمع بالقرب من الاسكندرية جيش كبير ، عكف القواد الاغريق على تدريبه بعناية فى الخفاء • ولاستكمال تدريب هذا الجيش لجأ سوسيبيوس الى حيلة المفاوضات وأطالها عمدا لتحقيق هذا الغرض ، فقد ناقش سفراء مصر المشكلة السورية بتفصيل طويل وعندما انتهوا من ذلك أثاروا مشكلة معقدة أخرى لكى يتعذر الوصول الى اتفاق • ذلك أنهم طالبوا بأن تشمل أخايوس معاهدة الصلح التى تعقد بين الطرفين المتحاربين • وعندما أدرك أنطيوخوس أخيرا عبث الاستمرار فى المفاوضات قطعها ، وفى ربيع عام ٢١٨ استدعى قواته لاستكمال اخضاع جوف سوريا بغزو هذا الاقليم برا وبحرا (١) •

وقد أخذ أنطيوخوس فى زحفه الطريق البرى الذى يجتاز فينيقيا وسار أسطوله فى محاذاته ، وعند ممر بلاتانوس (Platanos) شمالى صيدا التقى بنيقولاس ، وكان يؤيده أسطول بطلمى ، وكان سوسيبيوس يأمل أن يستطيع تأخير تقدم أنطيوخوس أطول وقت ممكن ، فقد كان كل تأخير فى صالح مصر • لكنه بعد معركة برية وبحرية طاحنة استولى أنطيوخوس على الممر وارتد نيقولاوس الى صيدا وحصنها • ولم يضع الملك المنتصر الوقت فى محاصرة صيدا بل أمر الأسطول بالانسحاب الى صور ويمم هو شطر الداخل ، حيث استسلمت له فيلوتريا (Philotereia) وسقوثوبوليس (Scythopolis = بيت شان) ، ثم استولى على مدينة بعد أخرى فى الجليل وساماريا مما أغرى اثنين من ضباط بطلميوس وكذلك بعض القبائل العربية على الانضمام اليه • وبعد الاستيلاء على مدينة فيلادلفيا (عمان) المنيعة ترك قوتين احداهما لحماية هذه المدينة والأخرى لاحتلال ساماريا ، وعاد الى عكا لقضاء الشتاء هناك (٢) • وفى هذه الأثناء كان تدريب الجيش

(1) Polyb., V, 58-68.
(2) Polyb., V, 68-71.

البطلمى الجديد يسير قدما ، فهو لم يشترك فى القتال الا فى العام التالى .

موقعة رفح :

وفى عام ٢١٧ زحف أنطيوخوس حتى تخطى رفح ، حيث التـقى بالجيش البطلمى الجديد وكان معسكرا على بعد تسعة كيلومترات جنوبى هذه المدينة (١) . وقد كان جيش أنطيوخوس يتألف من ٦٢٠٠٠ راجـل و ٦٠٠٠ فارس و ١٠٢ من الفيلة الهندية ، وهى أضخم وأقوى من الفيلة الافريقية (٢) . واذا لم يكن للجنود الخفيفى العدة وزن كبير ، فان فيلقه (الفالانكس) كان يتألف من ٢٠٠٠٠ر٢٠ جندى مقدونى واغـريقى من المقيمين فى دولته ، ويؤيده ١٠٠٠٠ر١٠ جندى من حملة الدروع المختارين الذين ينتمون الى مختلف الجنسيات . وقد كان الجيش البطلمى يتألف من ٥٠٠٠٠ر٥٠ راجل و ٥٠٠٠ فارس و ٧٣ فيلا أفـريقيا . وكان الفالانكس يتألف من ٢٠٠٠٠ر٢٠ مصرى و ٥٠٠٠ فارس اغريقى ، فيما يبين ، يؤيدهم ٨٠٠٠ من الجنود المرتزقة (٣) . وفى هذه الأزمة الخطيرة ، نهض فيلوباتور

---

(1) Polyb., V, 80.
(2) Polyb., V, 79, 13; 84, 5-6.

ويؤيد اقوال بوليبيوس عن سمو الفيلة الهندية على الفيلة الافريقية ملاحظات السير وليم جورز فى :

African Affairs, Jan. 1946, pp. 42 ff.; 1948, pp. 113 ff.

(٣) يحدثنا بوليبيوس بأن عدد مشاة بطلميوس كان ٠٠٠ر٧٠ (v, 79, 2) لكن بوليبيوس يذكر قبل ذلك ، عند الكلام عن وحدات الجيش البطلمى ، ان الفالانكس كان بقيادة أندروماخوس وبطلميوس ومكونا من ٢٥٠٠٠ جنـدى دون بيان جنسيتهم (v, 65, 4) ثم يذكر بعد ذلك ان المصريين كاملى العـدة فى الجيش كانوا ٠٠٠ر٢٠ بقيادة سوسيبيوس (v, 65, 9) . وعند وصـف كيفية اصطفاف وحدات الجيش قبل المعركة ، ذكر ان المرتزقة الاغريق كانوا الى يمين المصريين الذين يؤلفون الفالانكس (v, 82, 1) . وفى مكان آخـر يذكر بوليبيوس أن الفالانـكس كان بقيـادة أندروماخـوس وسوسيبيوس وارسينوى (v, 83, 3) . ولو اننا قبلنا أرقام بوليبيوس لكان معنى ذلك أن قلب الجيش كان يتألف من ٤٥٠٠٠ مقاتل منهم ٠٠٠ر٢٠ من المصريين والباقى بطبيعة الحال من المقدونين والاغريق . ولو صح ذلك لما كان هناك مبرر اذن لان يسمى بوليبيوس النصر فى رفح نصرا مصريا (v, 107, ff) لان المصريين كانوا يؤلفون أقل من نصف عدد الفالانكس الذى حسم نتيجة المعركة . وفضلا عن ذلك لو كان الفالانكس البطلمى بهـذه الكثرة العـددية وكان اغلبـه من المقدونيين والاغريق لما تأخر اشتراكه فى الموقعة حتى أمر بالاشتباك بعـد هزيمة الجناح الأيسر ، مما يؤخذ دليـلا على انه لم يكن بتلك الـكثرة وان غالبيته كانت من المصريين الذين لم يكن لقوادهم ثقة كبيرة فيهم . ولذلك يميل =

العابث بواجبه كأى ملك شجاع ، فقد تولى القيادة الفعلية بنفسه وصحبته الى ميدان القتال شقيقته الصغيرة المحبوبة أرسينوى التى أصبحت فيما بعد زوجته . واذا كانت فرق أنطيوخوس تمتاز بمهارتها فى الحروب ويثير حميتها الانتصارات التى أحرزتها من قبل ، فان الجيش البطلمى أعد اعدادا كاملا بعث الثقة فى نفوس قواده ، حتى أنهم لم يقنعوا بالدفاع عن خط النيل الذى فشل أمامه كثير من الغزاة من قبل ، بل تقدموا عبر الصحراء لملاقاة أنطيوخوس .

وجنوبى رفح التقى هذان الجيشان العرمان وجها لوجه ، وكان فيلق (فالانكس) كل منهما فى القلب ، يحيط به من الجانبين بقية المشاةالآخرين ثم الفرسان فى الجناحين ، وقد تولى بطلميوس والى جانبه أرسينوى قيادة الجناح الأيسر فى مواجهة أنطيوخوس ، واصطف أمامه أربعون فيلا أفريقيا مقابل ستين من فيلة أنطيوخوس الهندية ، وكانت فرق حملة الدروع فى الجيشين تحت قيادة الملك الشخصية . وفى الثانى والعشرين من شهر يونية ، بعد أن اصطف الجيشان على النحو الذى أوردناه ، واستحث كل من الملكين جنوده على القتال بعزم وشدة — وقد اشتركت أرسينوى مع أخيها فى استنهاض همة الجنود — أعطيت الاشارة ببدء القتال (١) .

وقد هزم الجناح البطلمى الأيمن جناح أنطيوخوس الأيسر (٢) ، فى حين أن فيلة الجناح البطلمى الأيسر عجزت عن مقاومة الفيلة الهندية ، التى انقضت على فرق حملة الدروع وحطمتها ، ثم أطبق أنطيوخوس بفرسانه وجنوده المرتزقة على باقى الجناح البطلمى الأيسر وأجهزوا عليه (٣) . غير أن أنطيوخوس ، مثل دمتريوس فى موقعة ابسوس ، دفعته الحمية الى الابتعاد أكثر مما يجب فى مطاردة الهاربين ، فى حين أن فيلوباتور استخلص

= اغلب المحدثين الى ان الفالانكس البطلمى فى موقعة رفح كان يتألف من ٢٠٫٠٠٠ مصرى و ٥٠٠٠ مقدونى واغريقى . ومن ثم يبين ان بوليبيوس احتسب المصريين مرتين ، وان المشاة البطلميين الذين اشتركوا فى معركة رفح لم يكونوا ٧٠٫٠٠٠ وانما ٥٠٫٠٠٠ راجع :
Bouhé-Leclercq, I, p. 306 fn. 1; Jouguet, Mac. Imp., pp. 214-5; Nat. Eg., pp. 64-5; Bevan, p. 227; Cary, p. 405; Griffith, pp. 122-3; Launey, Rech. Armées Hellenstiques, pp. 99-100.

(1) Polyb., V, 83-84, 1.
(2) Polyb., V, 85, 1-5.
(3) Polyb., V, 84, 2-10.

نفسه من فرسانه الفارين ، وتقدم لقيادة قلب جيشه الذى لم يكن قد اشترك بعد فى منازلة قلب جيش العدو . وعندما التقى قلبا الجيشين وجناحاهما مكشوفين لتقرير مصير المعركة ، لم يستطع قلب جيش أنطيوخوس ، مع أنه كان يتألف من خيرة جنود العصر ، أن يصمد أمام قلب جيش فيلوباتور وكان جله من المصريين ، الذين أبى البطالمة عليهم من قبل شرف الاشتراك فى حروبهم ضد الجنود المقدونيين والاغريق ، سادة فنون القتال ! ولم يعد أنطيوخوس من مطاردة الجناح البطلمى الأيسر ، الا ليشارك جنوده فى الادبار الى مدينة رفح حيث جمع ما تبقى له من جنود وانسحب عائدا الى مملكته (١) .

واذا صدقنا ما ورد عن ذلك فى قرار الكهنة المصريين ، الذين اجتمعوا فى منف بعد عودة فيلوباتور منتصرا ، فان أنطيوخوس صادف هزيمة فادحة فر بعدها هاربا فى هلع شديد الى حد أنه ألقى عن نفسه شارات الملك ، بينما فاز بطلميوس بغنائم وفيرة (٢) .

وقد انسحب أنطيوخوس مسرعا الى أنطاكية ، خشية أن يقع بين شقى الرحى : فيلوباتور وأخايوس . وازاء المخاطر التى كانت تتهدده من هاتين الناحيتين ، اضطر الى طلب عقد الصلح مع فيلوباتور . وبدلا من أن يدخل ملك مصر فى حسابه المتاعب المحيطة بخصمه ويستثمر انتصاره الباهر ، دفعه ذلك النصر غير المنتظر — الذى استرجع له جوف سوريا — وكذلك ميله الطبيعى الى حياة الدعة والمجون الى الترحيب بالصلح حتى أنه اكتفى باسترداد جوف سوريا (٣) ، دون الاصرار على استرداد سلوقية بيريه أيضا ، وكان أنطيوخوس قد استرجعها فى ٢١٩ بعد بقائها فى قبضة مصر منذ الحرب السورية الثالثة . وفى ١٢ من أكتوبر عاد فيلوباتور الى مصر ليطلق لنفسه العنان فى متابعة حياة المجون والعبث (٤) ، بعد أن عين أندروماخوس حاكما عاما على جوف سوريا وقضى أكثر من ثلاثة أشهر

---

(1) Polyb., V, 85, 6; 86, 7; Justin. XXX, 1, 6.

(٢) راجع الترجمة الانجليزية لنصب بيثوم فى كتاب بفان ص ٣٨٩ .

(3) Polyb., V, 87, 1-8 ; C. A. H., VII, pp. 730-1 ; Jouguet, Mac. Imp., p. 217 ; Nat. Eg., p. 66; Cary, p. 92.

(4) Polyb,. XIV, 12.

فى دعم سلطانه هناك وزيارة مدن ذلك الاقليم التى رحبت به أيما ترحيب (١) وكذلك فى زيارة المعابد وتقديم القرابين (٢) .

ولم يكن انتصار رفح انتصارا باهرا لفيلوباتور وسوسيبيوس فحسب ، بل كان أيضا انتصارا رائعا للمصريين ، الذين كان البطالمة يعاملونهم حتى الآن معاملة المغلوبين على أمرهم ، ولذلك فانه كان لهذا النصر نتائج بعيدة المدى سنتناول الكلام عنها فيما بعد . ولا شك فى أن بوليبيوس لم يخطىء فى اعتبار عهد هذا الملك بداية اضمحلال دولة البطالمة ، ولذلك فاننا اذا كنا قد أدمجنا بداية هذا العهد فى الشطر الأول من عصر البطالمة ، فاننا سندمج بقية عهد فيلوباتور فى الشطر الثانى من عصر البطالمة ، وهو الذى انتهى بزوال دولتهم .

---

(1) Polyb., V. 86, 8-11.
(2) Plut, Sollert. Anim., 17.

الفصل الثالث

سياسة البطالمة الخارجية من عام ٢١٦ حتى عام ٣٠ ق٠م

١ ـ بقية عهد بطلميوس الرابع

تعتبر موقعة رفح حدا فاصلا بين عهدين : العهد الذى بلغت فيه دولة البطالمة أقصى اتساعها وأوج مجدها ، والعهد الذى أخذت فيه تدب اليها عوامل الضعف والاضمحلال حتى سقطت هيبتها وتلاشت سطوتها ، فتزعزع سلطانها فى الداخل وفقدت أملاكها فى الخارج ، وأصبحت تنتابها الاضطرابات والغزوات ، الى أن انتهى بها الأمر الى أفول نجمها وزوال استقلالها ٠

العوامل التى تأثرت بها سياسة مصر الخارجية فى الشطر الثانى من عصر البطالمة :

ويرجع هذا الاضمحلال الى سببين رئيسيين : أحدهما داخلى والآخر خارجى ٠ وأما السبب الداخلى فهو ضعف السلطة المركزية واختلال نظام الحكم ، ويعزى ذلك الى ثلاثة عوامل : أولا ، ما كان لاشتراك المصريين فى موقعة رفح من الأثر العميق فى نفوسهم ، اذ أن الدور الذى قاموا به فى تلك الموقعة أعاد اليهم الثقة بأنفسهم ، فلم يتهيبوا الوقوف فى وجه الحكومة ثائرين على ما كانوا يلقونه من صنوف الضغط والارهاق ٠ وقد تعددت هذه الثورات منذ عام ٢١٦ ق٠م الى حد أنها أضعفت قوة البطالمة ، وشلت حركاتهم فى الخارج ٠ وثانيا ، منذ وفاة بطلميوس الثالث ، آل العرش الى ملوك ضعاف مستهترين أو صبية صغار ، وآلت مقاليد الحكم الى أوصياء أو وزراء عجزوا عن الارتفاع الى مستوى الأحداث ، فكان ذلك خير مشجع لذوى المطامع ، الأعداء منهم والحلفاء ، للانقضاض على ممتلكات مصر الخارجية بل على مصر ذاتها ٠ وثالثا ، ظهور روح التنافس واستحكام النزاع بين أفراد أسرة البطالمة ، منذ عهد بطلميوس السادس ، ذلك النزاع الذى كانت وما تزكى ناره أحيانا ، وسجل التاريخ

صفحة حوادثه بين أقسى وأروع ما سجله ، عن أمراء أعمت أبصارهم وأضلت بصائرهم ألوان الترف والنعيم التى شبوا فى أحضانها ، وأفسدت نفوسهم وألهبت شهواتهم مظاهر السلطة المطلقة التى نشأوا فى كنفها وضروب الخلاعة والاستهتار التى عاشوا فى ظلها ، فكانوا مزيجا من الرذائل التى تتولد فى جو فاسد مسمم .قوامه سلطان لا يحد ، وشعب ذليل مستكين يكاد لا يملك حق التألم ، وحاشية فاسقة لا تعنى بغير القصف واللهو ، وجرثومة عليلة منكرة هى ثمرة تزاوج الاخوة من أخواتهم . فلا عجب أن تكشف هذا كله عن جرائم قد لا تقل بشاعة ووحشية عما ارتكبه تيبريوس ونيرون . وقد كان طبيعيا أن تسهم هذه الانقسامات الأسرية فى اضعاف قوة البطالمة وفى تشجيع أعدائهم على الاعتداء على دولتهم ، بل أنها كانت من أكبر ما ساعد روما على التحكم فى توجيه سياسة مصر وتغلغل نفوذها فيها .

وأما السبب الخارجى فهو ظهور ثلاث قوى فتية على أفق السياسة الدولية ، وهى روما وفيليب الخامس وأنطيوخوس الثالث ، فقد أغرت حال مصر الداخلية هذه القوى على تحقيق أطماعها على حساب مصر .

بداية اهتمام روما بشرق البحر المتوسط :

شغلت روما حتى الآن باخضاع ايطاليا ومحاربة الغال والقرطجنيين عن التدخل فى شئون شرق البحر المتوسط السياسية ،مع أنه كانت تربطها بالعالم الاغريقى علاقات ثقافية وثيقة . غير أن مقدونيا وبلاد الاغريق أخذت تسترعى اهتمام السياسة الرومانية نتيجة لرغبة روما فى حماية سواحل ايطاليا الجنوبية وتجارة الايطاليين مع بلاد الاغريق من دولة الوريا (Illyria) القوية ، وكانت تقوم على الشواطىء الشرقية للبحر الادرياتى ، وتنتظم تحت امرتها قوة كبيرة من القراصنة . وفى عام ٢٣٠ استولت الوريا على عدد من المدن الاغريقية الساحلية وكذلك على جانب كبير من أبيروس وأقارنانيا ، وبذلك أصبح نفوذ الوريا يمتد الى خليج قورنثة ، كما أصبح القراصنة الالوريون يمارسون نشاطهم على نطاق واسع فى البحرين الادرياتى والايونى ، ويسطون على شواطىء ايطاليا الجنوبية ويعتدون

على الايطاليين • وازاء ذلك انتهزت روما فرصة مواتية لها ، وأرغمت الوريا على النزول عما استولت عليه ، واقتطعت منها اقليمها الساحلى المعروف باسم دلماتيا وكونت من هذا الاقليم ومن جزيرة فاروس المواجهة له امارة مستقلة • وفضلا عن ذلك فان روما بسطت حمايتها على عدد من المدن الاغريقية الساحلية المجاورة لالوريا وكذلك على اقليم ساحلى بجوار هذه المدن (عام ٢٢٩) • وكانت روما تستهدف من وراء هـذا العمل السيطرة التامة على بوغاز أوترانتو وكان يعتبر الطريق الرئيسى للموصلات بين ايطاليا وبلاد الاغريق • بيد أن عمل روما هذا كان اعتداء على حقوق مقدونيا بل خطرا داهما يتهدد هذه الدولة ، فقد كانت لمقدونيا حقوق على المدن الاغريقية فى الوريا ، وأهم من ذلك أن روما أصبحت جارة لمقدونيا وتستطيع الوصول اليها بسهولة • وأضف الى ذلك أن روما ، قبل وبعد أعمالها الحربية فى الوريا ، تجاهلت وجود مقدونيـا بانشائها علاقات سياسية مع أعداء مقدونيا وحلفائها على السواء — مع ايتوليا وآخايا وقورنثة وأثينا • وقد أدرك أنتيجونوس دوسون وخليفته فيليب الخامس كنه الموقف تماما ، وتبعا لذلك أصبحت روما منذ ذلك الوقت شغلهما الشاغل ، لأن مقدونيا كانت لا تستطيع الاطمئنان الى سلامتها ، طالما بقى جزء من شاطىء الوريا فى قبضة روما (١) •

الحرب المقدونية الاولى :

وعندما ارتقى فيليب الخامس العرش (عام ٢٢٠) ، توهم الايتوليون أن شباب الملك الجديد وعدم خبرته سيتيحان لهم الفرصة لبسط سيادتهم على بلاد الاغريق ، لكن فيليب أذهلهم بخبرته وجرأته ، وبعد حـرب طاحنة تسمى « حرب الحلفاء » أرغمهم على قبـول صلح ناوباقتوس (Nuapactos) عام ٢١٨ • وبعد ذلك بدأ الصراع العنيف بين فيليب وروما ، من أجل السيطرة على الوريا • وقد أدت هـذه المنافسة الى تحـالف فيليب مع هانيبال (عام ٢١٥) (٢) ، أملا فى أن يسـاعد على انتصار هانيبال ويفوز ، على الأقل ، بطرد الرومان من شاطىء الوريا ،

---

(1) Polyb., II, 8-12 ; C.A.H. VII, pp. 831 ff. ; Rostovtzeff, Soc. and Ec., pp. 47-8.

(2) Polyb., VII, 9; Rostovtzeff, Soc. and Ec., p. 48.

ولو أن الأسطول القرطجنى شد أزر فيليب لأحرز فيما يظن انتصارات حاسمة • وعندما تحرج مركز روما ردت على تحالف فيليب مع هانيبال بعقد محالفة هجومية مع الايتوليين (١) (عام ٢١٢) لم يلبث أن انضم اليها أتالوس ، لأنه بعد أن حرمه أخايوس امبراطوريته الآسيوية كان يطمع فى بناء امبراطورية فى جزر بحر ايجة والشاطىء الشرقى لشبه جزيرة البلقان • وقد ظن أن الفرصة مواتية لتحقيق هذا الغرض نتيجة لتحالفه مع أنطيوخوس الثالث وانهماك فيليب فى المتاعب التى أثارتها عليه روما • واذا كان أتالوس قد خرج من الصراع مع فيليب منهزما ، فانه اكتسب صداقة روما ، ووضع يده على جزيرة ايجينة التى اشتراها من الايتوليين (٢٠٩) • وقد دامت الحرب التى عرفت باسم « الحرب المقدونية الأولى » ست سنوات (٢١٢ — ٢٠٦) ، الى أن أعيى الايتوليين النضال فعقدوا مع فيليب صلحا منفردا (عام ٢٠٦) ، لأن روما لم تنشط فى تأييدهم الا فى البداية فقط • وفى العام التالى عقد الصلح بين فيليب وروما أيضا (٢) •

فيليب الخامس يبنى قوته :

وقد خرج فيليب من صراعه مع الايتوليين والرومان أكثر قوة وأطماعا منه فى أى وقت مضى • وازاء موقف الاغريق منه فى خلال هذا الصراع، قرر أن يعود الى سياسة قاساندروس فى معاملة هؤلاء الحلفاء ، فنقموا عليه ونعتوه بالطاغية بعد أن كان محببا اليهم • وقد أدرك فيليب من هذا الصراع أنه كا نيتعذر عليه مكافحة الرومان بنجاح دون أسطول وموارد كافية • ولما كانت بلاد الاغريق أفقر من أن تمده بهذه الحاجات الضرورية ، فانه رأى أن فرصته الوحيدة لتحقيق أغراضه كانت فى الوصول الى الشرق والحصول على سيادة بحر ايجة أو على الأقل استعادة تلك السياد ةالايجية الجزئية التى تمتع بها بعض الوقت كل من دمتريوس الأول وأنتيجونوس جوناتاس • ولما كانت الجزر ومدن آسيا الصغرى لا تزال غنية أو على الأقل أغنى من بلاد الاغريق ، فان استيلاءه عليها

(1) Liv., XXVI, 4.

(2) C.A.H. VIII, pp. 122 ff.; Jouguet, Nat. Eg., pp. 122-3.

كان يوفر له الوسائل اللازمة لبناء قوة بحرية كبيرة • لكن أهداف فيليب كانت تتعارض من ناحية مع أهداف رودس وبرجام ، فقد كانتا تطمعان فى السيطرة على بحر ايجة ، ومن ناحية أخرى مع أهداف أنطيوخوس الثالث ، وهو الذى سنرى أنه فى أثناء قتال فيليب مع الرومان والايتوليين كان يقوم بأعمال باهرة فى آسيا ويستعد للانقضاض على امبراطورية البطالمة • وكان سقوط هذه الامبراطورية محط آمال فيليب ، بشرط ألا تقع فى قبضة أنطيوخوس • ولكى يحقق فيليب أهدافه الايجية عقد الصلح مع الرومان فى عام ٢٠٥ ، ولما لم يكن لديه ما يلزمه من الأموال والسفن لتحقيق هذه الأهداف ، وكان مع ذلك عليه أن يقضى بأية وسيله ممكنة على قوة رودس ومكانتها فى بحر ايجة ، فانه لجأ الى وسيلة تعلمها من الالوريين وهى استخدام القراصنة فى تحطيم قوة العدو وسلبه موارده • وقد نجح قراصنته فى السطو على عدد من الجزر والمدن الآسيوية وبذلوا جهدا فى تخريب موارد رودس البحرية • وفى الوقت نفسه (عام ٢٠٥/٢٠٤) أثار حربا عنيفة بين كريت ورودس (١) • وهكذا تمكن فيليب من أن ينزل فى بحر ايجة أسطولا كان كفؤا لأسطولى رودس وبرجام (٢) •

أنطيوخوس الثالث يعيد بناء امبراطوريته :

وحين كان فيليب وروما يشيدان صرح قوتيهما ، لم يركن أنطيوخوس الثالث الى حياة الدعة والخمول ، ولم يذعن لهزيمته عند رفح ، بل سار قدما فى اعادة بناء امبراطورية السلوقيين • ذلك أن أنطيوخوس وجه عنايته أولا الى القضاء على ابن عمه أخايوس ، فقد أصبح شوكة فى جانبه منذ عام ٢٢٠ • ولتحقيق هذا الغرض اضطر أنطيوخوس الى التحالف مع أتالوس ، العدو الطبيعى لأسرة السلوقيين •

وفى عام ٢١٦/٢١٥ حوصر أخايوس فى ساردس ، ولم يفلح الجنود المرتزقة الايتوليون الذين أرسلهم سوسيبيوس لمعاونة أخايوس فى رفع الحصار عن هذه المدينة فوقعت فى قبضة العدو فى عام ٢١٤ • بل ان

(1) Polyb., XIII, 4, 5; XVIII, 54, 6-12; Ormerod, Piracy in the Ancient World, p. 149.
(2) Rostovtzeff, Soc. and Ec., pp. 50-51; C.A.H. VIII, pp. 143-6.

بوليس الكريتي المأجور الذى عهد اليه سوسيبيوس بتدبير وسيلة لهروب أخايوس خان العهد وسلم أخايوس الى أنطيوخوس ، فأمر بأن تنفذ فى ابن عمه العادة الآسيوية المتبعة مع الثوار ، وتبعا لذلك قطعت أطرافه وفصلت رأسه وخيطت الى جلد حمار وصلب جسده (عام ٢١٣) (١) . وهكذا تخلص أنطيوخوس من متاعب ابن عمه واسترد أغلب الممتلكات السلوقية فى آسيا الصغرى ، الا أنه ترك لأتالوس ، بمقتضى المعاهدة التى عقدها معه ، تلك الممتلكات التى كانت فى قبضته قبل محاربة هراكس ، وهى وادى قايقوس واقليم طروادة والشاطىء الغربى لآسيا الصغرى من لامبساقوس حتى تيوس (٢) .

وفى العام التالى يمم أنطيوخوس شطر ولاياته الشرقية فى أواسط آسيا ، وبفضل حملة تستحق الاعجاب ، الى حد أن العالم الهلينيسى قارنها بحملة الاسكندر الأكبر ، أعاد وحدة امبراطوريته على أساس متين وأظهر قوته أمام ولاته الآسيويين وأمام العالم أجمع ، فاكتسب مكانة رفيعة فى دولته وفى الخارج (٣) ، واتخذ أنطيوخوس منذ عودته فى عام ٢٠٥ لقب الملك الأكبر ، مثل الأخمينيين قديما (٤) ، وكان الاغريق يدعونه أنطيوخوس الأكبر (٥) . ومنذ ذلك الوقت أخذ أنطيوخوس يتأهب للثأر لهزيمته فى رفح واسترداد الممتلكات السلوقية فى سوريا وآسيا الصغرى وتراقيا فى الوقت المناسب .

الخمول يسيطر على السياسة البطلمية :

وماذا كان من أمر مصر حين وقعت تلك الأحداث الجسام فى البحر المتوسط وفى الشرق ، أى حين نشطت فى العالم الهلينيسى ثلاث قوى هامة — روما وفيليب الخامس وأنطيوخوس الثالث — وبدا ألا مفر من انهيار التوازن الدولى الذى شهده منتصف القرن الثالث (٦) ؟.

---

(1) Polyb., VII, 15-18; VIII, 15-21; C.A.H. VIII, p. 124.
(2) Jouguet, Mac. Imp., p. 219 ; Cary, p. 114.
(3) Polyb., XI, 39; Rostovtzeff, Soc. and Ec., p. 50.
(4) Jouguet, Nat. Eg., p. 122; C.A.H., VIII, 142.
(5) Durrbach, Choix d'inscr. Delos, 76.
(6) Rostovtzeff, Soc. and Ec., p. 47.

ان علاقة مصر بروما ، وهى التى أخذت قوتها تزداد باطراد حتى آلت اليها سيادة غرب البحر المتوسط نتيجة لانتصارها على قرطجنة فى موقعة زاما (عام ٢٠٢) ، ترجع الى عهد فيلادلفوس عندما عقد معها فى عام ٢٧٣ تلك المعاهدة التى سلفت الاشارة اليها ، الا أن هذه العلاقات كانت مقصورة على التجارة وتبادل المجاملات ، دون أن تسعى احداهما الى التقرب الى الأخرى ، ولذلك ظلت كل منهما مدة طويلة مستقلة عن الأخرى ، فى سياستها وفى علاقاتها الخارجية • وفى عام ٢١٥ ، رفض البلاط الاسكندرى أن تستدرجه سراقوسة (Syracuse) الى التحالف مع قرطجنة • وتدل هذه المحاولة ، من جانب سراقوسة ، على أن بعض الأوساط الهلينية كانت تنتظر من الدولة المصرية العظيمة موقفا آخر ، وعلى أنه كانت لا تزال لمصر مكانة عظمى بين الاغريق • ويؤيد ذلك القرارات التى أصدرتها بعض المـدن الاغريقيـة اجـلالا لفيلوباتور وسوسيبيوس ، فهى كافية لاثبـات أن المـدن الاغريقية كانت تسعى الى الفوز بعطف مصر ، لكن مصر ،وقد آلت مقاليـد الأمـور فيها الى فيلوباتور وعصابته وأخذت تنتابها الثورات القومية ، لم تعد تعمل حتى على الاحتفاظ بسيادتها البحرية كاملة فى شرق البحر المتوسط •

وقد عرفنا أنه كان للسياسة الخارجية التى اتبعها البطالمة الثـلاثة الأوائل هدفان رئيسيان وهما اسـتقلال مصر استقلالا تاما سياسـيا واقتصاديا ، والتمتع بأكبر قسط ممكن من السيطرة على عالم بحر ايجة• وقد نجح أولئك البطالمة الى حد بعيد فى تحقيق هذين الهدفين وأما منذ عهد فيلوباتور فان البطالمة لم يحاولوا الا تحقيق الهدف الأول ، اذ أنهم اضطروا تدريجيا الى طرح تحقيق الهدف الثانى جانبا ازاء ضغط القوى الفتية الوثابة التى مر بنا ذكرها ، وازاء الضعف الكامن فى أولئك البطالمة الأواخر وفى رجالهم الذين ألقيت اليهم مقاليد الحكم ، وازاء الثورات المصرية الخطيرة التى اندلع لهيبها فى البلاد ، وأخيرا ازاء الخـلافات العنيفة بين أفراد أسرة البطالمة منذ عهد بطلميوس السادس • وقد كان لهذه الظروف الداخلية رجع الصدى فى الخارج ، ذلك أن مصر فقدت لوسيماخيا للتراقيين ، ولم تعد لها فى أغلب مدن آسيا الصغرى الخاضعة

لها الا سلطة اسمية (١) • ووسط الأزمات التى أحدقت بفيلوباتور من كل جانب ، استمر هذا الملك العابث سادرا فى غيه يقضى سنى حياته الأخيرة فى المجون واللهو (٢) •

مصر تتقرب الى مقدونيا :

وعلى الرغم من أنه ازاء تهديدات أنطيوخوس كانت مصر تميل الى التقرب الى مقدونيا ، فانها كما احتفظت بحياد دقيق بين روما وقرطجنة، وقفت أيضا على الحياد فى أثناء القتال بين فيليب والايتوليين ، ولم تفعل أكثر مما فعلته رودس وخيوس بأن حاولت التوفيق بين الطرفين المتحاربين (٣) •

وعندما هجر سقوباس (Scopas) الايتولى بلاده (٢٠٤) الى مصر، وفى رفقته بعض الأتباع ، رحب بهم سوسيبيوس لاستخدامهم فى القضاء على الثورة المصرية ، وفى الاستعداد لمجابهة أنطيوخوس الذى أحست مصر بتهديداته ، فلم تدخر مالا فى اعداد جيش جديد • ولما كانت هناك حاجة ملحة الى ضباط ممتازين ، وكان سقوباس ضابطا قديرا ، فانه عين قائدا عاما ، وعين رفاقه ضباطا فى الجيش (٤) • وقد مر بنا أن سوسيبيوس كان يتطلع الى مقدونيا لدرء خطر أنطيوخوس ، وتبعا لذلك دخل سوسيبيوس فى مفاوضات مع فيليب لعقد معاهدة بين مصر ومقدونيا، وتقوية هذه الرابطة فيما بعد بخطبة ولى العهد الطفل لاحدى كريمات ملك مقدونيا (٥) • وقد رحب فيليب بهذا العرض ، لأنه كان يخشى أن يدفع مصر خوفها من أنطيوخوس الى كسب وده بالتنازل له عما يطلبه من ممتلكاتها • ولكى يثبت فيليب صداقته لمصر عرض على فيلوباتور أن يساعده على اخماد الثورة الداخلية ، لكن هذا العرض رفض لما انطوى عليه من خطر فتح أبواب مصر لمقدونيا ، فلم يظهر فيليب استياءه من ذلك ، واكتفى بالترحيب بعرض سوسيبيوس دون أن يعقد معه أى

(1) C.A.H. VIII, p. 143.
(2) Polyb., XIV, 12; Bouché-Leclercq, I, pp. 325 ff; Jouguet, Mac. Imp., p. 220.
(3) Bouché-Leclercq, I, pp. 318-20, 322-3; Jouguet, Nat. Eg., p. 124.
(4) Cf. Polyb., XIII, 2.
(5) Cf. Polyb., XV, 25, 13.

اتفاق • ومن الطريف أن أنطيوخوس أيضا أراد أن يظهر فى ثوب صديق فيلوباتور ، اذ أنه عرض عليه مساعدته ضد الثوار ، لكن هذا العرض أيضا رفض بدوره • وسرعان ما أيدت الحوادث بعد نظر سوسيبيوس فى الاستعداد ضد أنطيوخوس ، اذ أنه فى عام ٢٠٣ ذهب على رأس قوة كبيرة الى قاريا ، وأرغم بعض المدن التى كانت « حليفة بطلميوس » على التسليم له • ولا شك فى أن هذا العمل لم يسر فيليب فقد كانت له أطماع فى قاريا • وهكذا انتهى عام ٢٠٣ بتجمع العاصفة التى كانت تنذر باقتـــلاع جذور ممتلكات مصر الخارجية • واذا كان أنطيوخوس قد كشف القنـــاع عن نواياه ، فان فيليب كان لا يزال يحتفظ بقناعه ، ويثـير القلق فى نفس أنطيوخوس ، والأمل فى نفس الاسكندريين (١) • وفى ٢٨ من نوفمبر عام ٢٠٣ عرف العالم أن فيلوباتور وأرسينوى توفيا ، وأن عرش الامبراطورية المصرية آل الى طفل فى السادسة من عمرة تحيط به عصابة وضيعة (٢) •

٢ — بطلميوس الخامس (ابيفانس Epiphanes = الظاهر)

مصر تفقد امبراطوريتها

اجاثوقلس يفوز بالوصاية على الملك الطفل :

أننا لانستبعد أن يكون فيلوباتور قد توفى قبل٢٨ من نوفمبر عام ٢٠٣ وأن يكون نبأ وفاته قد أخفى (٣) ولم يعلن الا بعد أن قتلت أرسينوى نتيجة لما نشب بينها وبين أجاثوقلس وسوسيبيوس من خلاف على الوصاية على الملك الصبى ، غير أننا نستبعد أن يكون هذا الصراع بين فريقين غير متكافئين قد دام حوالى سنة من عام ٢٠٤ حتى أواخر عام ٢٠٣ (٤) • ولذلك نرجح أن وفاة فيلوباتور لم يكتم نبـؤها عن النـــاس الا لفترة قصيرة ارتكبت فى أثنائها جريمتان هما قتل أرسينوى وتزييف وصـــية فحواها أن فيلوباتور عين سوسيبيوس وأجاثوقلس وصيين على ابنه •

(1) C.A.H. VIII, p. 148.
(2) Meyer, Untersuch. Chron., pp. 39 ff.
(3) Justin., XXX, 2, 6.
(4) Cf. Bouché-Lecl. I, pp. 333-40 ; Bevan, p. 350 ; Wallbank, J.E.A. XXII, 1936, pp. 2 ff.; Bickerman, Chron. d'Eg., 29, 1940, pp. 124 ff.; Skeat, p. 32, n. 8.

ومعنى ذلك أننا نرجح أن فيلوباتور لم يترك وصية بسبب وفاته فجأة وقبل الأوان — فقد كان يبلغ عندئذ حوالى الأربعين — اذ أنه لو كان قد ترك فعلا وصية ، لما كان هناك شك فى أن يسند فيها الوصاية الى سوسيبيوس وأجاثوقلس ، ولما نشب ذلك الصراع الذى أودى بحياة أرسينوى ، وكانت أضعف من أن تتحدى خصميها حين يكونان مسلحين بوصية شرعية من صاحب العرش • وقد يؤيد ما نرجحه عن تزييف الوصية أن نبأ هذا التزييف قد ذاع ، وأن الرومان استغلوا ذلك فزعموا أن فيلوباتور ترك لهم الوصاية على ابنه (١) • وعلى كل حال فانه فى ٢٨ نوفمبر عام ٢٠٣ دعا أجاثوقلس وسوسيبيوس رجال الحرس الملكى وأفراد الحاشية وضباط المشاة والفرسان ، وأعلنا وفاة الملك والملكة ، ونادیا بالطفل الصغير ملكا ، وقرأا الوصية المزيفة ، وتوليا الوصاية • ولكن الحيلة لم تجز على الاسكندريين فانهم أدركوا أن أرسينوى قتلت ، ولذلك عمهم سخط شديد • ويبين أن سوسيبيوس توفى بعد ذلك بقليل ، فانفرد أجاثوقلس بالوصاية وسارع الى كسب جانب الجنود بنقدهم مرتب شهرين ثم استحلفهم يمين الولاء للملك (٢) •

وعندما فاز أجاثوقلس بالوصاية على هذا النحو ، وضع الملك الصبى فى رعاية أوينانثى وأجاثوقليا وحاول أن يدرأ عن مصر الأخطار الخارجية التى كانت تتهددها ، وأن يتخلص فى الوقت نفسه من الشخصيات الكبيرة التى قد تسبب له المتاعب•وتبعا لذلك عين فيلامون (Philammon) قاتل أرسينوى ، حاكما على ليبيا ، وأعطى سقوباس أموالا كافية لتجنيد جنود مرتزقة فى بلاد الاغريق ، وأرسل بلوبس (Pelops) الى أنطيوخوس يطلب اليه احترام المعاهدات القائمة بين الدولتين ، وأنفذ بطلميوس ابن أجسارخوس (Agesarchos) الى روما ليعلن نبأ ارتقاء بطلميوس الخامس العرش ، ويستحث السناتو على التوسط بين مصر وأنطيوخوس• بيد أنه لما كان تدخل مصر بين فيليب الخامس والايتوليين قد أغضب الرومان ، وكانوا يرون مصلحتهم فى اطالة الحرب بين الفريقين ، فان

(1) Justin., XXXI, 1, 2.
(2) Polyb., XV, 25, 3-11.

أجاثوقلس لم يأمل كثيرا فى نتيجة هذا المسعى ، بل يقال انه لم يرسل مبعوثه الى روما الايلقصيه عن مصر • ولعل كل آمال أجاثوقلس كانت معقودة على مقدونيا مما يدل على أنه تابع سياسة سوسيبيوس ، ولذلك فانه عهد الى بطلميوس بن سوسيبيوس بأن يعقد مع فيليب الخامس معاهدة تتضمن زواج ابنته من بطلميوس الخامس ، والحصول على مساعدة فيليب ضد أنطيوخوس (١) • ولا يبعد أن يكون فيليب قد وعد لقاء هذه المساعدة بمبالغ كبيرة ، وبالنزول له عن بعض ممتلكات مصر (٢) • وبعد أن تخلص أجاثوقلس على هذا النحو من الشخصيات التى كان يخشى جانبها ، وهدأ من روع الجيش بما قدمه اليه من الأموال ، ملأ المناصب الشاغرة بأحط العناصر ، وأستأنف حياته الماجنة العابثة (٣) •

أنطيوخوس وفيليب يستغلان ضعف الحكومة الفاسدة :

ولقد صمم أنطيوخوس وفيليب على استغلال ضعف تلك الحكومة الفاسدة البغيضة الى الاسكندريين ، ومن المحتمل أن يكون أنطيوخوس هو الذى خطا الخطوة الأولى ، حوالى الوقت الذى وصلت فيه البعثة البطلمية الى مقدونيا ، فعرض على فيليب اقتسام ممتلكات مصر الخارجية فيما بينهما • وقد كانت المفاوضات سرية ، ولذلك لم تعرف بدقة شروط الاتفاق بين أنطيوخوس وفيليب (٤) ، ولكننا نستبعد ما يذهب اليه

---

(1) Polyb., XV, 25, 12-19.

(2) C.A.H. VIII, pp. 149-50; Bouché-Leclercq, I, pp. 342-3; Jouguet, Mac. Imp., p. 222; Jouguet, Nat. Eg., p. 127.

(3) Polyb., XV, 15, 20-22.

(٤) يتشكك بعض المحدثين فى أن هذا الاتفاق قد عقد على الاطلاق استنادا الى تعارض أهداف هذين الملكين وتضارب صوالحهما . لكن هذه الحجة وحدها لا تكفى لتفنيد ما أجمعت عليه كل المصادر القديمة ولاسيما أن من بينها مؤرخا موثوقا به مثل بوليبيوس (iiI, 2 ; XV, 20) وهو الذى عاش فى وقت قريب جدا من هذه الاحداث . وفضلا عن ذلك فان تضارب الصوالح والأهداف لا يحول دون تعاون المتنافسين بل الخصوم وفقا لمقتضيات الظروف والأحوال . ولعل من ابرز الأمثلة على ذلك وأقربها الى الاذهان ذلك التحالف الذى عقد قبيل الحرب العالمية الثانية بين خصمين لدودين مثل ستالين وهتلر ، فضلا عن تحالف الغرب الرأسمالى مع روسيا السوفيتية فى أثناء الحرب العالمية الثانية للتخلص من هتلر . ولا جدال فى انه لم يكن بين أنطيوخوس الثالث وفيليب الخامس اى خصومة ، وان كانت تجيش فى صدر كل منهما اطماع واسعة . راجع :

=

ليفيوس ويوستينوس (١) من أن الاتفاق كان يشمل مصر ذاتها ، فقد كان يتعذر اقتسامها . ونميل الى أن الاتفاق اقتصر على اقسام الممتلكات المصرية بحيث يحصل كل من الملكين على أقربها الى مملكته (٢) . فيأخذ فيليب ما بقى لمصر من جزر القوقلاد وممتلكاتها فى تراقيا والدردنيل،ومن المحتمل أيضا قورينايئة ، ويأخذ أنطيوخوس جوف سوريا وما تبقى لمصر من ممتلكات فى آسيا الصغرى (٣) .

ويبدو أن كلا من أنطيوخوس وفيليب كان يطمع فى أن يكون غرم مصر غنمه وحده ، لكن الظروف اضطرتهما الى أن يقنعا مؤقتا باقتسام ممتلكات مصر الخارجية . ذلك أن خوف أنطيوخوس من فيليب منعه عندئذ من كشف القناع عن أطماعه كلها ، واضطره كارها الى النزول له عن أقاليم تراقية وأسيوية كان يعتبرها من حق الامبراطورية السلوقية . ولذلك لم يكن مخلصا فى الاتفاق الذى عقده مع مقدونيا . وكان فيليب يدرك ذلك كله ، ويخشى ازدياد اتساع الامبراطورية السلوقية التى أصبحت ثانية شديدة البأس ، ولعل أخشى ما كان يخشاه ألا يقنع أنطيوخوس بجوف سوريا ، ويستولى على مصر بعد ذلك . وكان فيليب يرى من صالحة الظهور أمام مصر فى ثوب المدافع عن ممتلكاتها الخارجية لكى تؤول اليه وحده بعد ذلك هذه الممتلكات جميعا . لكنه كان يرى

McDonald and Walbank, The Origins of the Second Macedon. War, J.R.S., = 27, 1937, pp. 180-207.
Magie, The Agreement between Philip V and Antiochus III for the Partition of the Eg. Empire, J.R.S., 29, 1939, pp. 32-44.
Walbank, Philip V of Macedon, Cambridge, 1940.
Luca de Regibus, Tolomeo V Epiphane e l'intervento romano nel Medit. Orient., Aegyptus, 32, 1952, pp. 97-10.

(3) Liv., XXXI, 14; Justin. XXX, 2, 8.

(2) Cf. S. Jerome, In Dan., XI.

(٤) لكن بوليبيوس (III, 2, 8) يحدثنا بأنه عندما تآمر فيليب وانطيوخوس على ممتلكات مصر استولى الأول على المنطقة الايجية وقاريا وساموس . واستولى الثانى على جوف سوريا وفنيقيا . وهذا صحيح لكنه ليس معنى ذلك ان الاتفاقية كانت تنص على مثل هذا التقسيم . فسنرى ان الطرفين لم يعتزما احترامها وان فيليب قد بدأ بذلك . ونستبعد كذلك ما يذهب اليه ابيانوس (Maked, 4) من ان انطيوخوس وفيليب اتفقا على ان يعينا بعضهما بعضا ليستولى الاول على مصر وقبرص والثانى على قورينايئة وجزر القوقلاد وايونيا . انظر :
Bouché-Leclercq, I, pp. 351-2; C.A.H., VIII, pp. 150-1; Jouguet, Nat. Eg., p. 125; Cary, pp. 93, 186-7.

كذلك أنه من الخير له ألا يشتبك عندئذ فى حرب مع أنطيوخوس ، فقد كان يريد تقوية نفسه بانتهاز فرصة النضال المحتوم بين أنطيوخوس ومصر ويقوم بفتح الأقاليم التى كان يرى ضرورة ضمها اليه قبل أن يقلب ظهر المجن لأنطيوخوس متذرعا بحجة الدفاع عن الممتلكات البطلمية . ويبدو لنا أنه ازاء هذه الاعتبارات قبل فيليب عروض أنطيوخوس وعقد معه «معاهدة مخزية» ، على نحو ما يصفها بوليبيوس ، وفى الوقت نفسه أحسن وفادة سوسيبيوس الصغير ، واستبقاه فى قصره معززا مكرما مدة تقرب من سنة (١) .

ومن المحتمل أن تكون تلك المعاهدة المخزية (٢) ، التى لم تكن فى نية أنطيوخوس ولا فيليب احترامها ، قد عقدت فى شتاء عام ٢٠٣/٢٠٢ . وفى ربيع عام ٢٠٢ بدأ فيليب وأنطيوخوس تنفيذ أغراضهما دون محاولة تبرير اعتداءاتهما ، فغزا أنطيوخوس جوف سوريا ، لكننا لا نعرف شيئا عما قام به هناك ، وان كان يبدو أنه لم يصادفه توفيق كبير . وأما فيليب فانه تنفيذا لخطة التظاهر بالدفاع عن الممتلكات المصرية لم يتعرض لهذه الممتلكات وانقض على عدة مدن فى شبه جزيرة تراقيا وعلى ضفاف الدردنيل والبسفور ، فأخضع لوسيماخيا وسستوس وخلقدنيا وقيوس (Ceos) وكانت حليفا تعدوته عصبة ايتوليا . ولما كان فيليب قد حالف بروسياس (Prusias) ملك بيثونيا وعدو أنطيوخوس ، وكانت بين بروسياس وقيوس عداوة ، فان ملك مقدونيا خربها وباع أهلها فى النخاسة وسلمها الى عدوها (٣) ، واستولى أيضا على مورليا (Myrleia) (٤) ، وكذلك على برينثوس (٥) وفى طريق عودته الى مقدونيا ، استولى غدرا على ثاسوس (Thasos) واستعبد أهلها (٦) . وفى هذه الأثناء نفذ ديقيارخوس (Dicaearchos)، أمير البحر عند فيليب ، تعليمات مولاه ، فقام بأعمال السلب والنهب فى عدد من المدن البحرية الواقعة فى جزر بحر

(1) Cf. Polyb., XVI, 22, 3.
(2) Polyb., III, 2, 8; XV, 20; Liv., XXXI, 2, 8.
(3) Polyb., XV, 21-23.
(4) Rostovtzeff, Soc. and Ec., p. 606.
(5) Cf. Polyb., XVIII, 44, 4.
(6) Polyb., XV, 24.

ايجة وعلى الشاطىء الآسيوى (١) .

سلوك فيليب يثير الغضب عليه :

وقد أثار غضب العالم الاغريقى اعتداء فيليب على مدن وادعة آمنة ، وبخاصة الفظائع التى ارتكبها فى قيوس وثاسوس . واستشاط أنطيوخوس غضبا لتعاون فيليب مع بروسياس ولقيامه بتلك الفتوحات ، وبخاصة لاستيلائه على لوسيماخيا ، وكما نيدعى لنفسه حقوقا عليها . وكذلك نقمت ايتوليا وبيزنطة على فيليب لاستيلائه على مستعمراتها . وأخيرا وليس آخرا أهاج رودس تصرفات فيليب ولا سيما مع قيوس ، ورأت فى استيلائه على المضايق خطرا يهدد تجارتها فاعتبرته عدوها وأخذت تستعد لمحاربته (٢) (صيف عام ٢٠٢) . ولا شك فى أنه كان من الحماقة أن يثير فيليب على نفسه كل هذا العداء ، لكنه لم يعبأ بذلك ولا سيما عندما علم من عيونه فى روما أنها ، وقد قضت على قرطجنة فى موقعة زاما (عام ٢٠٢) ، كانت لا تميل الى القيام بأى عمل عندئذ ضد مقدونيا ، ولذلك اعتقد فيليب أنه يستطيع متابعة مغامرته الشرقية آمنا (٣) .

اضطرابات فى الاسكندرية :

وفى تلك الأثناء كان اوار الثورة المصرية لا يزال متأججا ويجتاح البلاد من أقصاها الى أقصاها ، على نحو ما سنعرف فيما بعد ، وكانت الاسكندرية مسرحا لاضطرابات عنيفة . وبيان ذلك أن أجاثوقلس الوضيع أسرف فى مجونه وجمع حوله أحط العناصر ووزع بينهم أرفع المناصب ، فلا عجب أن تزايدت كراهية الناس له يوما بعد يوم . وأثارت هذه الحال أطماع تلبولموس (Tlepolemos) قائد بلوزيون ، فكون لنفسه حزبا وصمم على اقتناص الوصاية على الملك . وقد ظهرت المقاومة فى بداية الأمر متواضعة فى المقاصف بنشر أقوال فيها كثير من التعريض ، ثم بحملات صريحة على « مزخرف الجدران وعازفة القيثارة ومصففة الشعر ، وذلك الخليع الذى كان فى شبابه يعير نفسه لكل طالب بعد الشراب » (٤) .

(1) Bouché-Leclercq, I, p. 352 ; Cary, p. 187.
(2) Cf. Polyb., XV, 23.
(3) C. A. H. VIII, pp. 151—2.
(4) Polyb., XV, 25, 20-32 ; Jouguet, Mac. Imp., p. 222 ; Nat. Eg., p. 127 ; Bouché-Leclercq, I, pp. 344-5.

وقد قابل أجاثوقلس ذلك الخطر باتهام تلبولموس بأنه على اتصال وتفاهم مع أنطيوخوس ، وباعدام بعض الشخصيات الكريهة التى كان يخشى جانبها • وأخيرا حاول استثارة عطف جنود القصر بمشهد تمثيلى ، تظاهر فيه بأنه يأتمنهم على حماية الملك الصغير من أطماع تلبولمس الذى يرنو ببصره الى اغتصاب العرش ، لكن هذا المثل الردىء لم يفلح فى اقناع أحد ، فانسحب وسط أصوات الاستهجان (١) • وفى خلال ذلك كان يتدفق على العاصمة رجال من حاميات الوجه القبلى ، أخذوا يحرضون أقاربهم وأصدقاءهم على التعاون معهم فى التخلص من أجاثوقلس وعصابته • ويبدو أن تلبولموس عمل عندئذ على قطع المؤنة عن الاسكندرية ليعجل باندلاع لهيب الثورة ، فقابل أجاثوقلس ذلك بالقاء القبض على حماة خصمه ، وجرت هذه السيدة فى شوارع الاسكندرية من معبد دمتر (Thesmophoreion) الى السجن دون أن تعطى فرصة لتستر رأسها ، مما أثار غضب الناس الى حد أنهم لم يعودوا يكتفون بالاعراب عن مقتهم للفئة الحاكمة فى اجتماعاتهم الخاصة ، فقد أخذ بعضهم يعرب عن ذلك فى عبارات يكتبونها على الجدران فى أثناء الليل ، بينما اجترأ البعض الآخر على عقد اجتماعات عامة فى وضح النهار لهذا الغرض • وازاء ذلك فكر أجاثوقلس فى الهرب ، لكن بما أنه لم يكن قد أعد للأمر عدته ، فانه عكف وسط مجونه على وضع قوائم بأسماء الذين يعدمون والذين يلقى القبض عليهم (٢) •

ووسط هذه الظروف كان يكفى وقوع حادث صغير لاشعال لهيب الثورة • وقد تمخضت محاكمة مويراجنس (Moeragenes) عن هذا الحادث • وكان مويراجنس أحد رجال الحرس الملكى ، لكنه اتهم بافشاء الأخبار الى صديقه تلبولموس وعهد الى نيقوستراتوس (Nicostratos) رئيس السكرتارية بتحقيق هذه التهمة ، لكن المتهم أكد براءته ، فنزعت عنه ملابسه لتعذيبه حتى يبوح بالحقيقة • وعندما كان بعض الجلادين يعدون أدوات التعذيب والبعض الآخر يخلعون معاطفهم ، دخل مسرعا

(1) Polyb., XV, 25, 33-36 ; Jougnet, Mac. Imp., p. 223 ; Nat. Eg., p. 127; Bouché-Leclercq, I, p. 345.
(2) Polyb., XV, 26, 10-27, 5 ; Jouguet, Mac. Imp., Loc. cit.

أحد الخدم وأسر ببضع كلمات فى أذن نيقوستراتوس ، ثم خرج جاريا يتبعه نيقوستراتوس ، دون أن يبوح بشىء أو يفعل شيئا سوى أن يربت على فخذه مرارا (١) . فاستولت الدهشة على الحاضرين ، وعندما لم يعد نيقوستراتوس بعد قليل أخذوا ينصرفون ، واذ وجد مويرا جنس نفسه وحيدا هرب عاريا الى خيمة جنود مقدونيين كانوا معسكرين على مقربة من القصر يتناولون عندئذ وجبة الصباح ، وقص عليهم ما جرى له ، واستعطفهم أن يحموه وينقذوا الملك ، كما أنذرهم بسوء مصير محتوم اذا هم لم ينتهزوا هذه الفرصة،التى بلغ فيها غضب الشعب على أجاثوقلس أقصاه ، لانقاذ أنفسهم (٢) .

وقد كان هذا الحادث حاسما ، اذ أن النار التى كانت خامدة اشتعلت دفعة واحدة ، وفى أقل من أربع ساعات اتفقت كلمة الاسكندريين على الثورة . وقد أذهلت هذه الأحداث أجاثوقلس الى حد أنه لم يدر ما يفعل سوى التظاهر بعدم المبالاة وكأن شيئا غير عادى لم يحدث.ولذلك استمر فى عبثه ولهوه على مألوف عادته ، لكن أمه أويناثى وقد تملكها الجزع ذهبت الى معبد دمتر حيث كان الناس يحتفلون بتقديم بعض القرابين السنوية . وفى بداية الأمر تقدمت الى الآلهات بضراعات يائسة ، ثم جلست صامتة عند المذبح تبدو عليها سيماء الجزع . وقد شاهد أغلب السيدات هذا الجزع بغبطة وانما فى هدوء الا أن بعض أقارب بولوقراتس (Polycrates) حاكم قبرص ، وبعض سيدات البلاط اللائى كن أقل ثقة بالمستقبل اقتربن منها لمواساتها ، فلم يكن من أويناثى الا أنها التفتت اليهن فى غضب صارخة « لا تقتربن منى أيتها الوحوش ، فانى أعرف جيدا دعواتكن المشئومة وما تضمرنه لنا من سوء ، ولكن تالله لسوف أجعلكن تأكلن لحم أطفالكن » .وبأمرها سارع حملة العصى رافعين عصيهم ، فبادرت النساء بالهرب رافعات أكف الضراعة الى الآلهات ملتمسات منهن أن ينزلن بأويناثى اللعنات التى استمطرتها عليهن (٣) . وهكذا انضمت

(1) Polyb., XV, 27, 6-11 ; Jouguet, Mac., Imp., pp. 223-4 ; Nat. Eg., Loc, cit. ; Bouché-Leclercq I. p. 346.

(2) Polyb., XV, 28.

(3) Polyb., XV, 29.

النساء الى صفوف الثوار ، فتضاعفت النقمة ولم يأت الليل حتى كان الاضطراب يعم المدينة . فقد أخذت الجماهير تتصايح وتتجمع فى الرحبات الفسيحة المحيطة بالقصر وفى مضمار السباق والميدان الكبير وبهو مسرح ديونوسوس (١) .

وعندما أتى أجاثوقلس نبأ ما حدث ، احتمى هو وأقاربه والملك فى دهليز بالقصر كانت به ثلاثة أبواب ، أغلقوها جميعا ووقفوا مع فئة من الحراس وراء ثالثها ، لكن الجنود المقدونيين عرفوا فى الصباح مكانهم واقتحموا الباب الاول . وعندئذ بعث اليهم أجاثوقلس رسولاً للتفاهم معهم ، فأبلغهم بأنه مستعد للتنازل عن الوصاية ، وعن كل سلطة ونفوذ ومال اذا تركوه سالما ، وسمحوا له بما يكفى ليعيش منه ، لكن الثوار ألحفوا فى طلب الملك ، واقتحموا الباب الثانى . ومن وراء الباب الثالث مد أجاثوقلس يديه خلل القضبان ملتمسا منهم الرحمة ، بينما كشفت أجاثوقليا عن ثدييها اللذين قالت أنهما أرضعا الملك (٢) . لكن ذلك كله كان مجهودا ضائعا ، اذ كان يجب الاذعان وتسليم الملك . وعندما أخذ الملك وسط الحرس الى مضمار السباق ، هتف له جمع صاخب وطالب الناس بعقاب المجرمين ، فأوعز له سوسيبيوس الصغير بأن يومىء بالموافقة، ثم أخذه الى بيته الخاص (٣) ليجنبه منظر الفظائع التى توقعها ، اذ سرعان ما جر الى الشارع أجاثوقلس وأجاثوقليا وأمهما وأقاربهما وخدمهما ، وقذف بالجميع الى الجماهير المتعطشة للدماء ، فقطعت أجسامهم اربا اربا . وهجمت الجماهير على بيت فيلامون — قاتل أرسينوى — وقتلته هو وابنه الصغير وجرت زوجه عارية الى الميدان الكبير وذبحتها (عام ٢٠٢/٢٠١) (٤) .

الحرب السورية الخامسة ، مصر تفقد جوف سوريا :

وبعد ذلك أقيم تلبولموس وصيا على الملك ، وكان ضابطا كفؤا لكنه أثبت سريعا أنه حاكم ضعيف كسل يسكره أحط أنواع المديح . وحين

(1) Polyb., XV. 30.
(2) Polyb., XV, 31
(3) Poly b., XV, 32.
(4) Polyb., XV, 33; Jouguet, Mac. Imp., pp. 224-6; Nat. Eg., pp. 127-9; Bouché-Leclercq, I, pp. 346-9.

كانت الحرب على أبواب مصر أهمل شئون الدولة ، وأسرف فى انفاق أموالها ، وشغل عن مهامها بالمبارزة والشراب ، فأثارت تصرفاته السيئة سخط الاسكندريين ، وأخذ يتكون ضده حزب بزعامة سوسيبيوس الصغير ، وهو الذى قام بجدارة بأعباء منصب حامل الاختام . فلم يكن من تلبولموس الا أنه عزل سوسيبيوس من منصبه (١) ، لكنه لم يلبث أن عزل هو نفسه ، وخلفه فى منصبه أريستومنس الأقرنانى ، وأسندت قيادة الجيوش الى سقوباس (٢٠٢/٢٠١) (٢) . وفى ربيع عام ٢٠١ كانت تلك الاضطرابات العنيفة التى وقعت فى الاسكندرية قد شجعت أنطيوخوس على متابعة فتح جوف سوريا « الحرب السورية الخامسة » . ووسط هذه الظروف استطاع أنطيوخوس أن يتقدم حتى غزة ، لكن هذه المدينة الوفية لمصر أظهرت مرة أخرى شجاعة جديرة بتقاليدها ، اذ أنها قاومت أنطيوخوس مقاومة عنيفة الى أن أعياها الكفاح فسقطت فى يده وخربها تخريبا (٣) (شتاء عام ٢٠١ — ٢٠٠) . بيد أن المقاومة التى أبدتها غزة مكنت سقوباس من جمع جيش واستردادها وطرد أنطيوخوس من فلسطين حتى منابع نهر الأردن ، غير أن أنطيوخوس لم يلبث أن أنزل بسقوباس هزيمة فادحة فى موقعة بانيون (Panion) (٤) عند المكان الذى يخرج فيه نهر الأردن من مؤخرة لبنان الصغير ، فانسحب مع من تبقى من رجاله الى صيدا ، فحاصرها أنطيوخوس برا وبحرا (صيف عام ٢٠٠) ، ولم يلبث أن أرغم سقوباس على التسليم (٥) (ربيع عام ١٩٩) ، ثم استرد بيت المقدس ونشر نفوذه على كل فلسطين حتى صحراء سيناء (٦) . ولم يواف عام ١٩٨ حتى كانت مصر قد فقدت كل جوف سوريا الى غير رجعة ، وكان أنطيوخوس فى مركز يسمح له بغزو مصر ، لكنه وجه نشاطه ناحية أخرى حيث استدعته مهام عاجلة (٧) .

---

(1) Polyb., XVI, 21-22.
(2) Polyb., XV, 31, 6; Cf. XVIII, 53-54; Diod., XXVIII frg. 13; R. Encyc., 2 (1895) col. 948 no. 2 ; Jouguet, Nat. Eg., p. 129 ; Mac. Imp., pp. 226-7
(3) Polyb., XVI, 22 a.
(4) Polyb., XVI, 18-19; Cf. Cary, p. 93.
(5) Hieronym., In Dan., XI, 15-16.
(6) Polyb., XVI, 39, 3-4.
(7) C.A.H. VIII, pp. 165, 178.

فيليب يستأنف نشاطه :

وأما فيليب الخامس فانه فى ربيع عـام ٢٠١ استأنف نشاطه فى بحر ايجة ،وعلى شواطىء آسيا الصغرى ، اذ يرجح انه استولى عندئذ على عدد من الجزر المستقلة ثم أخضع ساموس — وكانت قاعدة بطلمية هامة — وفرض سلطته على تيوس (Teos) وحاصر خيوس ، فأفزع هذا الخطر رودس وأتالوس الى حد أنهما تآلفا ضد فيليب ، مع أنهما كانا الى ذلك الوقت عدوين • وعند خيوس التقت أساطيل الفريقين فى آخر معـركة بحرية عظيمة خاضها الأسطول المقدونى ، لكنها لم تكن موقعة حاسمة ، اذ أن أسطول رودس انتصر على السفن التى كان يتألف منها جناح فيليب الأيسر ، فى حين أن القتال كان سجالا بين ميمنة فيليب وأسطول أتالوس• وعندما ابتعد أتالوس عن بقية أسطوله لينقذ احدى سفنه ويطارد بعض سفن العدو ، قطع فيليب عليه خط الرجعة واضطره الى الفرار من المعركة تاركا سفينته الملكية وبعض سفنه الأخرى غنيمة للعدو • واذا كان فيليب قد أحرز هذا النصر الجزئى ، فانه مع ذلك فقد فى هذه المعركة عـددا كبيرا من سفنه ورجاله (١) •

وبعد ذلك بقليل التقى فيليب بأسطول رودس عند لادى (Lade) فانتهز فيليب هذه الفرصة وهزم أسطول عدوته اللدودة ، واضطره الى الانسحاب جنوبا ، وأستولى على ميلتوس (٢) • واذ ترك أسطوله يهاجم الجزر التابعة لرودس،انقض على برجام أملافى مفاجأتها والاستيلاء على أتالوس لكن برجام خيبت أمله(٣)، فانصرف الى قاريا حيث استولى على عدة مدن لم تكن ممتلكات مصر هناك من بينها(٤) • وفى شتاء عام ٢٠١—٢٠٠ عندما أراد العودة الى مقدونيا ، حاصرت برجام ورودس قواته البحرية والبرية فى قاريا • وفى هذه الأثناء استنجدت برجام ورودس بروما ضد هـذا العدو المشترك (٥) ، فقررت روما وقف مقدونيا عند حدها قبل أن يستشرى خطرها ،وجرت الى الصراع جانبا كبيرا من العالم الاغريقى • وعندما

(1) Polyb., XVI, 2-8.
(2) Polyb., XVI, 10 ; 14; 15.
(3) Polyb., XVI, 1, 1-9; Cf. App., Mac., 4.
(4) Polyb., XVI, 11; 12 ; 24.
(5) Polyb., XVI, 24, 3; App., Mac., 4.

أفلح فيليب ، بحيلة ماهرة ، فى رفع الحصار عن نفسه وقواته فى قاريـا (حوالى مارس - أبريل عام ٢٠٠) خف الى مقدونيا لمواجهة الأخطار التى كانت تحدق بها ، فتبعته قوات أتالوس ورودس ووقفت له بالمرصاد فى جزيرة ايجينة (١) •

التدخل الرومانى :

وقد بدأت من هذا الوقت سلسلة الأحداث الحربية والسياسية ، التى تمخضت عن اذلال مقدونيا والدولة السلوقية ، أقوى دولتين فى العـالم الاغريقى عندئذ ، وعن ادخالهما أولا فى نطاق نفوذ روما ، وبعد ذلك فى حظيرة امبراطوريتها • ويبين أنه لم تمل سياسة روما أول الأمر أية رغبة فى بسط رقعة امبراطوريتها بضم أقاليم فى الشرق ، وانما أملاها القلق الذى أثارته فيها سياسة فيليب وأنطيوخوس فى الوقت الذى خرجت فيه منتصرة ، وانما منهوكة القوى من الحرب البونية الثانية ، فقد كانت روما تخشى ما قد يقدم عليه فيليب وأنطيوخوس بعد تقوية نفسيهما بالاستيلاء على ممتلكات مصر الخارجية •

اذا كان هانيبال قد غزا ايطاليا ، فلماذا لا يقدم فيليب (حليف هانيبال السابق) وأنطيوخوس (حليف فيليب الحالى) على غزو روما ؟ ألم يعتزم الاسكندر الأكبر ضم الغرب الى امبراطوريته العالمية (٢) ؟ ألم ينضم بوروس بعد ذلك الى المدن الاغريقية فى جنوب ايطاليا ضد روما ، فأثبت بذلك أنه يوجد فى بلاد الاغريق رجال قادرون على أن يوحدوا ضـد روما كل الذين يضيقون بسيادتها فى ايطاليا ؟ والى جانب ذلك كله ، فان قرطجنة خرجت من الحرب البونية الثانية مهزومة لكنه لم يقض عليها ، وكانت تود دون شك أن تثأر لهزيمتها ، فهل كان يبعد أن يتحالف معها فيليب ؟ لقد كانت كل هذه الأفكار تدور بخلد الرومان ، وكانوا لا يأمنون جانب الدول الهلينيسية الشرقية ، فقد كانت لها تقاليد حربية جليلة ، وكانت مواطن أعظم الاختراعات فى فنون القتال • ولم يتخلص الرومان اطلاقا من

---

(1) C.A.H. VIII, pp. 152-61.

(2) Diod., XVIII, 4; Liv., IX, 17-19; Cf. Tarn, J.H.S., 1921, pp. 1 ff., 124 ff. ; 1939, pp. 124-135; Robinson, Amer. Journ. Philol, 1940, pp. 402-412.

هذه المخاوف ، اذ أنهم حتى بعد الانتصارات التى أحرزوها على فيليب وأنطيوخوس وبرسيوس كانوا لا يزالون يخشون مقدونيا والدولة السلوقية ويعملون لهما ألف حساب • بل أنه فى عهد ميثريداتس الأكبر فى القرن الأول ، كانت روما لا تزال قلقة على نفسها • ويكفى أن نقرأ أشعار « هوراتيوس » لندرك الارتياح العظيم الذى استشعره الرومان عندما انتصروا على كليوبترة فى موقعة أقتيوم ، ونحس القلق الشديد الذى كان يساورهم من البارثيين ، خلفاء الدولة السلوقية فى آسيا • لقد كان طبيعيا اذن أن ينتهز السناتو الفرصة ، عقب النصر الرومانى فى الحرب البونية الثانية ، ليشتبك مع فيليب قبل أن يتآلف مع أنطيوخوس ضدها ، فقد كانت لدى أنطيوخوس مشاغل أخرى فى الشرق عندئذ ، فى حين أنه كان يؤيد روما ماديا وأدبيا جانب كبير من العالم الاغريقى وبخاصة رودس وبرجام ، وكان فيليب قد تحمل خسائر كبيرة فى حربه مع رودس وبرجام ، وتبعا لذلك كان لا يجب الانتظار خشية أن يتمكن فيليب من تقوية نفسه (١) •

روما وفيليب ، الحرب المقدونية الثانية :

وفى ربيع عام ٢٠٠ أرسل السناتو بعثة سياسية كانت تتألف من جايوس قلاوديوس نيرون (C. Claudius Nero) ومارقوس أيميليوس لبيدوس (M. Aemilius Lepidus) وجايوس سمبرونيوس توديتانوس (C. Sempronius Tuditanus) (٢) • وكانت مهمة هذه البعثة فى الظاهر التوفيق بين أنطيوخوس وبطلميوس الخامس استجابة لطلب مصر ، لكن غرضها الحقيقى كان اثارة الاضطراب فى بلاد الاغريق ، وتسليم فيليب انذار روما النهائى ، والوقوف على نوايا أنطيوخوس وضمان حياده فى النزاع بين فيليب وروما •

وقد وصل السفراء الرومان الى بلاد الاغريق عقب عودة فيليب الى مقدونيا بقليل ، وأفلحوا فى اثارة عدد كبير من المدن الاغريقية ضده ، وأبلغوه الانذار عن طريق قائده نيقانور ، وكان عندئذ فى أتيقا على رأس

(1) Rostovizeff. Soc. and Ec., pp. 62-3.
(2) Liv., XXXI, 2.

التجريدة التى أرسلها فيليب لشد أزر حلفائه الأقارنانيين فى تخريب أتيقا انتقاما من الأثينيين لاعدامهم شابين من أقارنانيا لم يلتزما بالقواعد الخاصة باقامة الطقوس الاليوسية • ولما كان الانذار الرومانى لا يتضمن مطالبة فيليب بدفع التعويضات الكافية لبرجام فحسب ، بل أيضا بعدم محاربة أى شعب اغريقى ، وكان السفراء الرومان يبذلون قصارى جهدهم فى الهاب عواطف الاغريق ضده ، وكان فيليب قد أثار نقمة أثينا عليه لاشتراك قواته فى تخريب أتيقا ، فان أثينا أعلنت عليه الحرب • وعندما علم فيليب بالانذار الرومانى ، لم يعره أى انتباه وسارع الى اتخاذ الخطوات اللازمة لمواجهة الحرب مع روما • فقد كان أضعف من منازلتها بحرا كما أن مقدونيا كانت مكشوفة من الناحية الشرقية ، ولذلك أراد تأمين هذه الجبهة وفى الوقت نفسه المحافظة على خطوط مواصلاته عبر تراقيا والدردنيل مع آسيا الصغرى ، حيث ترك قوات لحماية فتوحاته هناك ، ومن ثم فانه قرر الاستيلاء على شاطىء تراقيا وكذلك على الساحل الشرقى للدردنيل • وعندما شرع فى تنفيذ هذه الخطة رد على اعلان أثينا الحرب عليه بارسال قوات لتخريب أتيقا • وقد استولى فيليب على شاطىء تراقيا (وكان لا يزال ملكا لمصر) وشبه جزيرتها ، وعبر الدردنيل وحاصر أبودوس وهى التى استمات أهلها فى الدفاع عنها دون أن يفلحوا فى انقاذها • وقبيل سقوط هذه المدينة قدم اليها لبيدوس لينهى الى فيليب انذارا رومانيا جديدا • وبيان ذلك أنه عندما علم السناتو باغضاء فيليب عن الانذار الأول واعتدائه على تراقيا وأتيقا استصدر فى صيف عام ٢٠٠ قرارا من جمعية المئينات باعلان الحرب على فيليب • وقد صيغ هذا القرار فى قالب انذار جديد تضمن الى جانب المطلبين الاولين مطلبين آخرين وهما دفع تعويضات لرودس وعدم المساس بالممتلكات المصرية ، وكلفت البعثة الرومانية ، وكانت عندئذ فى رودس فى طريقها الى الشرق ، ابلاغ الانذار شخصيا الى فيليب ، فأسندت البعثة هذه المهمة الى لبيدوس • وقد رد فيليب على لبيدوس بأنه اذا كانت روما مصممة على عدم احترام المعاهدة التى بينهما فانه سيدافع عن نفسه بحماية الآلهة (١) •

---

(1) Polyb., XVI, 25-34 ; C.A.H. VIII, pp. 161-5.

وقد ترتب على ذلك نشوب « الحرب المقدونية الثانية » ، وهى التى أحرزت فيها روما انتصارا سهلا على فيليب فى موقعة قونو سقفالاى (Cynoscephalae) عام ١٩٧ • واكتسب الرومان تبعا لذلك مكانة رفيعة فى كل أنحاء العالم الهلينيسى ، فى حين أن فيليب لم يعد فى واقع الأمر ملكا مستقلا ، اذ أن روما استمرت ترقبه بدقة ولا تسمح له باتباع سياسة مستقلة الا فى علاقاته مع الغال والتراقيين والوريا الشمالية • وأما بلاد الاغريق فان روما أعلنت حريتها واستقلالها فى عام ١٩٦ (١) •

روما وأنطيوخوس :

وبعد تسليم الانذار النهائى لفيليب أو بعبارة أخرى بعد اعلان الحرب عليه ، كان على سفراء روما أن يقوموا بأدق جانب من مهمتهم وهو زيارة أنطيوخوس • ولقد التقوا به بعد بضعة شهور من بدء حصار صيدا ، وكان سقوباس قد اعتصم بها بعد هزيمته فى موقعة بانيون ، على نحو ما مر بنا • وليست لدينا أدلة مباشرة على ما دار بين السفراء الرومان وأنطيوخوس ، لكنه يمكن استنتاج ذلك من سير الحوادث التى تبعت تلك المقابلة • ولا جدال فى أن قصد السفراء الظاهر كان محاولة التوفيق بين أنطيوخوس وبطلميوس ، ولا فى أن غرضهم الحقيقى كان التعرف على نواياه ازاء الصراع المقبل بين روما وفيليب ، ومحاولة اقناعه بالوقوف على الحياد فى هذا الصراع • وأما التوفيق بين أنطيوخوس وبطلميوس فأغلب الظن أنه لم يدر بخلدهم أن يصروا عليه لا خوفا من أن يضايق ذلك أنطيوخوس ، وانما لأنه كان فى صالح روما استمرار الحرب بينه وبين مصر فلا يجد فرصة للانضمام الى فيليب • ولذلك يبدو أن السفراء أكدوا لأنطيوخوس حسن نوايا السناتو نحوه ، وأفهموه أنه مهما يحزن السناتو استهداف بطلميوس ، حليف روما ، للمخاطر ، فان السناتو لن يعوق سبيل أنطيوخوس • ويبدو كذلك أن أنطيوخوس لم يدخر وسعا فى اظهار صداقته لروما ، لأنه أبدى ارتياحه لانشاء علاقات مع الجمهورية الرومانية ورغبته فى ارسال بعثة دبلوماسية اليها ، لكنه لم يعد السفراء

(1) Polyb., XVIII, 1-12, 18-39, 42-46; Plut., Flaminius, 10; Rostovtzeff, Soc. and Ec., p. 53; C.A.H. VIII, pp. 166-183.

بشىء فيما يتعلق بمسألة الحياد فى خلال الحرب بين روما فيليب ، وذلك لتقديره أن موقفه الغامض كان يثير قلق روما ، وأن هذا القلق كان يضمن له أكثر من كل وعود السفراء حرية العمل فى الشرق كما يشاء ، فتركه السفراء قلقين غير واثقين من نواياه • وعلى الرغم من دهائهم ،فانهم لم يدركوا ارتيـاحه من أن روما بمحـاربة فيليب كانت تعمل على تخليصه من حليف خطر ،ولذلك استمر يقض مضاجع رجال السناتو خوفهم من قدوم أنطيوخوس لمساعدة فيليب (١) •

وبعد ذلك عرج السفراء على الاسكندرية ، حيث كان الناس يتلهفون على معرفة نتيجة محاولة التوفيق بين مصر وأنطيوخوس • ولعل السفراء تخلصوا من هذا الموقف بالتعبير عن أسفهم لفشلهم فى محاولتهم بسبب عناد أنطيوخوس • وقد اخترعت فيما بعد أسرة لبيدوس أسطورة فحواها أنه بقى فى الاسكندرية ليحمى بطلميوس باسم روما (٢) • والحقيقة هى أن روما تركت مصر تلقى مصيرها ، لأنها اذا كانت قد أمرت فيليب بألا يمس الممتلكات المصرية ، فانها لم تتخذ أى اجراء لمنع أنطيوخوس من أن يفعل فى تلك الممتلكات ما يشاء (٣) •

نشاط أنطيوخوس فى آسيا الصغرى وتراقيا :

وقد مر بنا أن أنطيوخوس تابع فتوحاته فى جوف سوريا فلم يواف عام ١٩٨ حتى كان قد استولى على كل ذلك الاقليم وغدا فى مركز يسمح له بغزو مصر ، لكنه وجه نشاطه ناحية أخرى فقد أدرك أن هزيمة فيليب أصبحت محققة ، ولذلك كان يجب أن يستعيد ممتلكاته الوراثية فى آسيا الصغرى وفى تراقيا وهى الممتلكات التى كان بعضها وقع فى قبضة مصر والبعض الآخر فى قبضة مقدونيا ، وكان يجب القيام بذلك قبل أن تفرغ روما من الحرب المقدونية وتقف فى سبيله • وحين كان سفراؤه يؤكدون لروما صداقته نحوها كان يجد فى خلال شتاء ١٩٨ — ١٩٧ فى اعداد حملة كبيرة • وفى الربيع التالى استولى على الممتلكات البطلمية على شواطىء

(1) C.A.H. VIII, pp. 165-6.
(2) Justin., XXX, 3, 3-5; Val. Max. VI, 6, 1; Tacit., Ann. II, 67; Cf. Liv., XLV, 44, 13.
(3) C.A.H. VIII, p. 166.

قيليقيا (١) ولوقيا وقاريا (٢) ، لكنه عندما كان يحاصر قوراقسيون (Korakesion) فى بامفوليا وفدت عليه بعثة من رودس بايحاء من روما دون شك . ذلك أن أعداء فيليب جميعا ، وفى مقدمتهم روما ، كانوا يرقبونه بجزع ، فقد كانوا يظنون أنه لم يزحف غربا الا لمساعدة فيليب ، ولذلك أبلغته رودس بكل احترام أنها لا تستطيع السماح له بالزحف فيما وراء ذلك . ولما كانت رودس لا تميل الى الاشتباك معه بسبب صوالحها الثمينة فى امبراطوريته ، وكان هو بدوره لا يود الاشتباك مع رودس لعلمه بأن أساطيل روما وبرجام ستؤيدها دون شك ، فان الطرفين كانا يحرصان على التفاهم ولذلك دخلا فى مفاوضات لتسوية الأمر وديا . وعندما وصلت أنباء هزيمة فيليب ، لم تعد رودس ترى داعيا للوقوف فى سبيل أنطيوخوس ، ومن ناحية أخرى رأى أنطيوخوس أن من الحكمة اظهار احترامه لرودس لكى يستبقى صداقتها ، فاتفقا على أن يسترد ممتلكاته بشرط ألا يعتدى على موندوس (Myndos) وهاليقارناسوس وساموس فتركها تحت اشراف رودس ، وبشرط أن يحترم أيضا ممتلكات برجام الوراثية (٣) . وبعد الاتفاق مع رودس ، استولى على أفسوس (٤) وعلى كل المدن تقريبا فيما بين قاريا والدردنيل ، غير أن أزمير ولامبساقوس (Lampsacos) رفضتا الاذعان له فحاصرهما ولذلك استنجدتا بروما (٥) . وقبل الشتاء استولى على أبودوس ، وكانت لا تزال فى قبضة فيليب . وفى صيف عام ١٩٦ استولى على مادوتوس (Madytos) وسستوس وكل شبه جزيرة غاليبولى وشاطىء تراقيا (٦) . واذا كان هذا فى نظر أنطيوخوس آخر فتوحاته غربا ، لأنه بذلك استرد آخر جزء من ارثه ، فان الرومان كانوا يرون فى استيلائه على تراقيا المرحلة الاولى لطردهم من بلاد الاغريق (٧) ، وهى التى أصبحوا يعتبرونها منطقة نفوذ ودرع أمان لهم ، ولذلك حاولوا اقناعه بالانسحاب ولكن دون جدوى . ولم يكن أنطيوخوس فى

---

(1) Hieron., In Dan., XI, 16.
(2) Liv., XXXIII, 19.
(3) Liv., XXX, 20.
(4) Liv., XXXIII, 38.
(5) Polyb., XVIII, 52.
(6) Polyb., XVIII, 51, 3.
(7) C.A.H. VIII, pp. 173-9, 184; Jouguet, Mac. Imp., p. 228; Nat. Eg., p. 130.

الأصل يضمر سوءا للرومان ، غير أن رغبته فى الاحتفاظ بشاطىء تراقيا واصرار الرومان على نزوله عن هذا الشاطىء ، دفعاه الى التورط ضد روما بتعاونه مع أبرز العناصر الاغريقية المناهضة لها ، أى مع الايتوليين • وكان الايتوليون حلفاء روما فى الحربين المقدونيتين الاولى والثانية ، لكنهم نقموا على روما لادراكهم أنها بعد انتصارها على فيليب غدت صاحبة الكلمة العليا فى بلاد الاغريق •

مصر تفقد ممتلكاتها دون أن تحرك ساكنا :

وقد كان يتملكنا العجب حقا من أن مصر لم تحرك ساكنا ازاء ضياع ممتلكاتها الخارجية ، لو لم نعرف أنها كانت فريسة للثورات القومية التى دامت طوال هذه الأحداث الخطيرة • والى جانب ذلك يبدو لنا أن مركز الحكومة لم يكن وطيد الدعائم فى الاسكندرية نفسها اذ أن سقوباس دبر مؤامرة لقلب الحكومة ، لكن أريستومنس الوصى على الملك كان أسرع منه وأعدمه هو وأفراد أسرته وأعوانه • وبعد هذه الأزمة رأى أريستومنس أنه من الحكمة انهاء الوصاية التى كان يتولاها على الملك ، لأنها كانت مصدر متاعب دائمة بسبب ما تثيره من الأطماع فى الشخصيات الكبيرة • وتبعا لذلك أعلن أن الملك ، وكان اذ ذاك فى الثالثة أو الرابعة عشرة من عمره ، قد بلغ سن الرشد (١) • ويغلب على الظن أن الملك قد توج فى منف عام ١٩٧ على نهج الفراعنة القدماء يوم عيد ارتقائه العرش ، أى يوم ٢٨ من نوفمبر (٢) • وعلى كل حال فان القرار الذى أصدره الكهنة فى العام التالى وحفظه لنا حجر رشيد المشهور قد عنى بتسجيل تتويج الملك وفقا للتقاليد المصرية القديمة (٣) •

مصر تحاول التفاهم مع أنطيوخوس :

ولعل الباعث على حركة سقوباس الفاشلة كان الاستياء من سياسة أريستومنس ، اذ يبين أنه ازاء الأخطار التى كانت تتهدد مصر نفسها من

(1) Polyb., XVIII, 53-55.

(2) C.A.H. VIII, pp. 187-8; Jouguet, Nat. Eg., p. 130; Mac. Imp., p. 288.

(٣) راجع نص قرار حجر رشيد فى بفان ص ٢٦٣ وما بعدها . وفى بوشيه لكلرك ج ١ ص ٣٧٠ وما بعدها .

ناحية أنطيوخوس بعد استيلائه على جوف سوريا ، وازاء ضياع كل أمل لمصر فى تدخل روما بينها وبين أنطيوخوس ، رأى أريستومنس أنه لم يعد هناك أمل لانقاذ مصر نفسها الا بحسن التفاهم مع أنطيوخوس ، فأخذ يسعى منذ عام ١٩٨ الى عقد الصلح معه على أساس زواج بطلميوس الخامس أبيفانس من كليوبترة ابنة أنطيوخوس ، وتنازل مصر لأنطيوخوس عن ممتلكاتها الخارجية التى فقدتها لأنطيوخوس وفيليب • لكننا لانأخذ بما يذهب اليه سان جيروم (١) من أن معاهدة الصلح عقدت فى عام ١٩٨ ، لأنه لم يكن فى عرض مصر ما يغرى أنطيوخوس عندئذ على المبادرة الى قبوله ، فقد كان العرض ينطوى على تأمين مصر دون مقابل ، اذ أنه قبل بدء المفاوضات كان أنطيوخوس قد استولى على جوف سوريا ، وفى أثناء المفاوضات كان يستعيد ممتلكاته الوراثية فى آسيا الصغرى وتراقيا ، وسنرى بعد قليل أنه كان يتحين الفرص للاستيلاء على مصر نفسها • واذا كنا نرجح أن أنطيوخوس لم يبادر الى عقد معاهـدة الصلح مع مصر فى عام ١٩٨ ، فاننا نرجح أيضا أنه رأى من حسن السياسة الا يرفض عروض مصر وأن يستمهل أريستومنس حتى يفرغ من استعادة ممتلكاته الوراثية •

وفى تلك الأثناء كانت روما قد تخلصت من فيليب بهزيمته وأخـذت فتوحات أنطيوخوس تزعجها ولا سيما بعد وصوله الى أوربا ، فأجمـع السناتو رأيه على القضاء على هذا الخطر الجديد ، عندما كانت علاقات روما مع الاغريق لا تزال طيبة ، وعندما كان فيليب لا يزال أضعف من أن يتعاون معه •

روما توجه انذارا الى أنطيوخوس :

وتبعا لذلك فان روما أعلنت حرية بلاد الاغريق فى عام ١٩٦ فى خلال الألعاب النيمية ، وأبلغت سفراء أنطيوخوس أنها تطلب الى مولاهم أن يبتعد عن المدن الاغريقية المستقلة فى أوروبا وفى آسيا ، وأن يعيد كل ما أخذه من ممتلكات فيليب الخامس وبطلميوس الخامس ، وألا يشخص الى أوروبـا على رأس جيش ، وأنهـا ستنفـذ بعثـة دبلومـاسية الى

(1) Hieronym., In Dan., XI, 17.

أنطيوخوس (١) • وعندما التقى السفراء الرومان بأنطيوخوس فى لوسيماخيا أبلغه لوقيوس قورنليوس لنتولوس المطالب الرومانية السالفة الذكر ، فرد عليه أنطيوخوس بحزم قائلا : أنه لا يفهم معنى لتدخل روما فى شئون آسيا فهو لم يتدخل فى شئون ايطاليا ، وانه اذا كانت المدن الاغريقية فى آسيا تريد الظفر بحريتها فيجب ألا تعتمد على تدخل روما ، بل يجب أن تلجأ الى كرمه وعطفه • وأما عن أوربا فانه لم يأت اليها الا ليسترد ارثه فى غاليبولى وشاطىء تراقيا ، وانه لا يرى أى خطر على روما فى اعادة بناء لوسيماخيا فهو لم يستهدف هناك الا اعداد مسكن ملكى لابنه الثانى سلوقس • وأما عن الخلافات التى بينه وبين بطلميوس فانها فى طريق التسوية ، ثم أذهل الرومان بقوله ان أسرتى البطالمة والسلوقيين على وشك الارتباط برباط المصاهرة (٢) •

وقد أوقف هذه المباحثات وصول نبأ كاذب فحواه أن بطلميوس الخامس قد توفى ، فأبحر أنطيوخوس فى الحال قاصدا الاسكندرية للاستيلاء على عرشها الشاغر ، لكنه علم فى لوقيا أن أبيفانس كان لايزال حيا • ويبدو أن هذه الشائعة الكاذبة نشأت عن الاضطراب الذى ترتب على مؤامرة سقوباس • ويقال ان أنطيوخوس حاول عندئذ الاستيلاء على قبرص ، لكن أنواء البحر حطمت جانبا من أسطوله عند شاطىء قيليقيا وأرغمته على العودة الى سلوقية (٣) • وقد قضى شتاء عام ١٩٦/١٩٥ فى أنطاكية ، حيث زوج ابنته لاوديقى الى ابنه الأكبر وشريكه فى الملك (٤) ، وهو الذى توفى فى عام ١٩٢ •

انطيوخوس يعقد معاهدة الصلح مع مصر :

ولما لم يكن فى نية أنطيوخوس الاذعان لروما ، فانه قرر تقوية نفسه بكسب ود كل جيرانه ، ولذلك وافق أخيرا على عقد معاهدة الصلح مع مصر (عام ١٩٥) على الأسس السالفة الذكر — وان كان زواج بطلميوس الخامس من كليوبترة لم يتم الا فيما بعد — وزوج ابنة أخرى الى أرياراتس

---

(1) Polyb., XVIII, 47, 1-3.
(2) Polyb., XVIII, 49-51; Liv., XXXIII, 39-40; App. Syr. 3.
(3) Liv., XXXIII, 41; App., Syr., 4.
(4) App., Syr., 4.

الرابع ملك قابادوقيا ، وعرض على يومنيس ملك برجام الزواج من ابنة ثالثة ، لكن يومنيس رفض هذه المصاهرة خوفا من اغضاب روما . وفضلا عن ذلك فان أنطيوخوس تحالف مع الغال . وفى عام ١٩٤ عاد الى تراقيا حيث تابع فتوحاته بالاستيلاء على اينوس ومارونية ، وكانتا فيما مضى ملكا لمصر . وفى شتاء عام ١٩٤/١٩٣ أنفذ بعثة دبلوماسية الى روما للوقوف على حقيقة نواياها نحوه (١) .

زواج بطلميوس الخامس وكليوبترة الاولى :

وفى هذا الشتاء احتفل فى رفح بزواج بطلميوس من كليو بترة (٢) . ويحدثنا يوسف (٣) وأبيانوس (٤) بأن هدية عرس كليوبترة لزوجها كانت « جوف سوريا » . ويضيف يوسف الى ذلك أن الملكين (أنطيوخوس وبطلميوس) كانا يقتسمان دخل ذلك الاقليم . وازاء ما عرفناه عن تهالك السلوقيين على الاستيلاء على ذلك الاقليم ، فاننا نرجح أن الهدية لم تكن أكثر من دخل ذلك الاقليم (٥) ، ولا سيما أن بوليبيوس يحدثنا فى وضوح لا لبس فيه ولا غموض بأنه منذ موقعة بانيون حتى عام ١٧٢ كان ذلك الاقليم خاضعا على الدوام لملك سوريا (٦) ، وأن أنطيوخوس الرابع نفى وجود معاهدة تنص على منح مصر ملكية ذلك الاقليم (٧) . ولا يبعد أن المفاوضين البطلميين كانوا يطالبون باسترداد مصر ملكية ذلك الاقليم لقاء تنازلها عن ممتلكاتها الأخرى ، لكن نصوص المعاهدة — وهى لم تصل الينا — صيغت بحيث كفلت أن تكون هدية كليوبترة لزوجها دخل « جوف سوريا » دون أية اشارة الى ملكية ذلك الاقليم . ولما كان السلوقيون يحتلون فعلا ذلك الاقليم ، وكان فى وسعهم تفسير المعاهدة على نحو ما يرتضون حين يجد الجد ، وكانوا يريدون فى ذلك الوقت استرضاء مصر للافادة منها فى حالة الاشتباك مع روما فى حرب ، فلا يبعد أنهم أدخلوا فى روع المفاوضين البطلميين أن حصول مصر على دخل

(1) App., Syr., 5-6.
(2) Liv., XXXXV, 13, 4; C.A.H. VIII, pp. 185 ff.
(3) Joseph., Ant. Jud. XII, 154.
(4) App., Syr., 5.
(5) Bouché-Leclercq, I, pp. 384-7; C.A.H. VIII, p. 199.
(6) XXVIII, 1, 3.
(7) XXVIII, 20, 9.

«جوف سوريا» كان يستتبع ضمنا حصولها على ملكيته أيضا ، وأنه ازاء لهفة أولئك المفاوضين على عقد الصلح لم يصروا على النص صراحة على نقل ملكية ذلك الاقليم الى دولة البطالمة • ولعل أن ما يرويه يوسف وأبيانوس ليس الا ترديدا لوجهة النظر التى أعرب عنها الساسة البطلميون عند المطالبة بملكية ذلك الاقليم عقب وفاة كليوبترة وكذلك عند قيام أنطيوخوس الرابع بغزو مصر (١) ، على نحو ما سيجىء ذكره فيما بعد •

مصر تتقرب الى روما :

واذا كان أنطيوخوس يأمل أن تساعده مصر فى محاربة روما فان مصر خيبت آماله ، بل أنها بدلا من الوقوف على الحياد فى هذا الصراع انحازت الى جانب الرومان • وسبب هذا التحول فى السياسة البطلمية هو أن أريستومنس الذى كان يوجه السياسة المصرية ويناصر مصادقة أنطيوخوس قد خلفه فى منصبه بولوقراتس ، وكان قد قام بدور هام فى معركة رفح وحكم قبرص مدة طويلة ، ويجنح الى التقرب الى روما • ويحدثنا ديودوروس بأن أريستومنس أدار دفه البلاد بحكمة ، وأنه فى البداية كان بطلميوس يحبه كأبيه ولا يفعل شيئا دون استشارته ولكن الملك لم يلبث أن أفسدته المداهنة وكره أريستومنس الى حد أنه أرغمه على الانتحار (٢)•ويروى بلوتارخ أن أريستومنس لقى حتفه لأنه ذات يوم هز مولاه ليوقظه من سنة من النوم أخذته حينما كانت بعثة دبلوماسية ماثلة أمامه ، فقد استغل المتملقون هذا الحادث فى استثارة الملك ضد أريستومنس الى حد أنه أرسل اليه كأسا من السم وأمره بتجرعها (٣) •

ويلاحظ بوليبيوس أنه عندما تقدمت السن ببولوقراتس أطلق لشهواته العنان وانغمس فى حمأة الرذيلة (٤) ، فلا عجب أن كان تأثيرة سيئا على الملك الشاب الذى يحدثنا ديودوروس بأنه بعد وفاة أريستومنس ازدادت قسوته باطراد فكرهه المصريون حتى تعرض عرشه للزوال (٥) ، وبانه

(1) Polyb., XXVIII, 20, 9.
(2) Diod., XXVIII, 14.
(3) Plut., De Adul., 46.
(4) Polyb., XVIII, 55, 7.
(5) Diod., XXVIII, 14.

استبدل بسياسة أريستومنس الحكيمة الوقورة سياسة ذليلة مستكينة أملا فى الفوز برضاء روما لتعيد الى مصر ممتلكاتها السابقة •

لكن هذه الآمال جميعا انهارت نتيجة للحرب التى شنتها روما فى العام التالى على أنطيوخوس ، وانتهت بهزيمة هذا الملك فى موقعه ماجنسيا (Magnesia) عام ١٨٩ شر هزيمة ، ومن ثم فان سطوته تلاشت بعد حكم مجيد ، وطردت الدولة السلوقية من العالم الاغريقى ، فى حين أن روما اكتسبت احترام الاغريق فى آسيا الصغرى ، بل بسطت نفوذها على كل الأناضول بما فى ذلك جالاتيا وبيثونيا ، وأصبحت بونتوس وقابادوقيا والى حد ما أرمينيا مهددة بالخضوع لروما (١) •

ووفقا لما يرويه المؤرخ الرومانى تيتوس ليفيوس (T. Livius) ، فانه عندما غزا أنطيوخوس بلاد الاغريق فى خريف عام ١٩٢ ، عرضت بعثة بطلمية على روما مساعدة مالية كبيرة من أجل متابعة هذه الحرب ، لكن روما رفضت هذه المساعدة (٢) • وفى عام ١٩١ عندما طرد أنطيوخوس من بلاد الاغريق سارعت بعثة بطلمية أخرى الى تقديم فروض التهانى الى السناتو ، وحثه على تعقب أنطيوخوس فى آسيا ، ووضع كل موارد مصر تحت تصرف روما لتحقيق هذا الغرض ، لكن روما رفضت مرة ثانية مساعدة مصر (٣) •

معاهدة أباميا ، روما وسياسة توازن القوى :

ويدل ذلك كله على ثلاثة أمور : أولا ، مقدار سخط السناتو على مصر لتفاهمهما منذ عهد قريب مع أنطيوخوس فى الوقت الذى كانت روما تؤاخذه فيه على اعتدائه على الممتلكات المصرية • وثانيا ، تناسى روما أنها لم تتصد لأنطيوخوس قبل فراغها من الحرب المقدونية الثانية ، بل أنها قبل هذه الحرب أطلقت يد أنطيوخوس فى الممتلكات المصرية مما حمل مصر على التفاهم مع عدوها • وثالثا ، فشل سياسة التقرب الى روما وهى

(1) C.A.H. VIII, pp. 185 ff.; Jouguet, Nat. Eg., pp. 131-2; Rostovtzeff, Soc. and Ec., p. 55.

(2) Liv., XXXVI, 4.

(3) Liv., XXXVII, 3.

السياسة التى اتبعها بولوفرانس • ولا أدل على ذلك من أن روما حرمت مصر ممتلكاتها عند تقسيم أسلاب الحرب بعد هزيمة أنطيوخوس فى موقعة ماجنسيا • وبيان ذلك أنه بمقتضى معاهدة أباميا (Apamea) (١) فى عام ١٨٨ حرمت روما أنطيوخوس كل ممتلكاته شمالى وغربى الطوروس وحررت المدن الأغريقية التى كانت خاضعة له ، وقسمت باقى ممتلكاته فى آسيا الصغرى بين رودس وبرجام • وقد حصلت رودس على لوقيا (ما عدا تلمسوس التى أعطيت لبرجام) وقاريا جنوبى نهر الماندر (Maeander) وحصلت برجام على كل الممتلكات السلوقية شمالى الطوروس ونهر المايندر وكذلك على غاليبولى ولوسيماخيا والمنطقة المجاورة لها • وقد احتفظ أنطيوخوس بالولايتين البحريتين (قيلقيا الغربية وجوف سوريا) اللتين انتزعهما من بطلميوس • وأما دولة البطالمة فأنها لم تجن من وراء سياستها الا الخزى والعار ، فهى لم تسترد شيئا من ممتلكاتها المسلوبة ولم تبق لها من امبراطوريتها الا قبرص وقورينائية • وأمام دولة البطالمة الواهنة كونت الدولة السلوقية ، بعد أن قلمت أظافرها وغدت دولة آسيوية بحتا ، قوة معادلة • ومما يجدر بالملاحظة هنا أن روما حين أضعفت الدولة السلوقية زادت فى قوة دولة برجام ببسط رقعة ممتلكاتها ، مضحية فى سبيل ذلك بقدر كبير من الحرية الأغريقية مع أنها كانت قد نصبت نفسها للدفاع عنها ضد أنطيوخوس • وليس لمثل هذا الاهتمام بأمر برجام تفسير الا رغبه روما فى أن تجعل من برجام عميلة قوية شديدة البأس تقف سدا منيعا يفصل الدولة السلوقية عن مقدونيا ويحول دون توحيد جهودهما للانقضاض على ايطاليا •

ولا شك فى أن نجاح السياسة التى اتبعتها روما فى كل مكان فى الشرق ، وانطوت على التوازن بين القوى فى التنافس فيما بينها وفى الخضوع لها نفسها ، هو الذى مهد لروما فتوحاتها هناك • ولقد غيرت المعاهدة أباميا معالم الشرق الهلينيسى وذلك بأن روما أصبحت صاحبة الكلمة العليا فى شرق البحر المتوسط ، ولم تعد توجد فى بلاد الاغريق

(١) انظر شروط المعاهدة فى :
Diod. XXIX, 10; Liv., XXX VIII, 38; Polyb., XXI, 42, 43, 45; App. Syr., **44; Mithrid. 62.**

دولة واحدة مستقلة استقلالا تاما عنها . ومنذ ذلك الوقت كانت روما تتدخل فى شئون الشرق باستمرار ، اذ أن كل مختصم أضعف من خصمه ، وكل شخص وقع به حيف كان يلتجأ الى روما ، فكان مندوبو روما يسافرون شرقا على الدوام . وفى المدن كانت الديمقراطيات التى تميل الى الحرية ولو فى تصريف شئونها الداخلية تتطلع الى مقدونيا ، فى حين أن الأرستقراطيات كانت لا تتوانى عن الاستجابة الى طلبات روما (١) . وعندما أصبحت روما على هذا النحو عاملا حاسما نشيطا فى سياسة العالم الهلينيسى تغير تماما مظهر هذا العالم ، فلم يعد وحدة سياسية كما كان ، لأنه فى القرن الثالث ، على الرغم من الحروب والأحقاد ، كان هذا العالم يكون وحدة واحدة فى السياسة وفى الحضارة . واذا كانت لا تزال توجد علاقات دبلوماسية بين الممالك والمدن المختلفة ، وكانت الأسر المالكة لا تزال تتخذ من المصاهرات وسيلة لتنفيذ مآربها السياسية ، فانه لم يعد لذلك كله الا أهمية قليلة . وكانت روما تستخدم عملاءها ، وبخاصة برجام التى عرفنا كيف اتسعت اتساعا كبيرا بفضلها ، لترقب هذه العلاقات وتمنع كل تقرب حقيقى ممكن وبخاصة بين مقدونيا والدولة السلوقية . وقد أصبح العالم الهلينيسى ينقسم ثلاث مجموعات لا توجد بينها علاقات مباشرة ، وهذه المجموعات هى أولا مقدونيا وبلاد الاغريق ، وثانيا آسيا الصغرى ، وثالثا الدولتان البطلمية والسلوقية (٢) .

مصر تحاول اتباع سياسة مستقلة عن روما :

واذا كان بطلميوس ايبفانس قد شغل بالثورات القومية التى خفضت قواه الى أن أخضعت هذه الثورات مؤقتا فى عام ١٨٣، فانه مع ذلك عندما علم أن أنطيوخوس المخيف قد توفى فى عام ١٨٧ وخلفه على العرش ابنه الضعيف سلوقس الرابع ، رأى فى ذلك فرصة لاسترداد جوف سوريا . ولما كانت روما قد خيبت آمال مصر منذ عهد قريب ولا يمكن أن توافق على مثل هذا المشروع ، فان مصر قررت اتباع سياسة مستقلة عن روما . وتبعا لذلك فانها أرسلت خصيا يدعى أريستونقوس (Aristoncos) الى بلاد الاغريق

(1) Jouguet, Nat. Eg., p. 132; C.A.H. VIII. pp. 208-34; Bevan, pp. 272-3; Bouché-Leclercq, I, pp. 389 ff.
(2) Rostovtzeff, Soc. and Ec., pp. 55-6.

لتجنيد فرق جديدة من المرتزقة (١) • وحاولت فى عامى ١٨٥ (٢) و١٨٣ (٣) تجديد تحالفها مع العصبة الآخية ، وكانت حليفة روما لكنها كانت حليفة غير مطيعة وتشارك كل الاغريق تقريبا فى العواطف العدائية للرومان التى أصبحت تجيش فى صدورهم • وينهض هذا الاتصال بالعصبة الآخية دليلا على أن بلاط الاسكندرية كان يحاول احياء سياسته التقليدية وكانت تنطوى على القيام بدور نصير الحرية الاغريقية • بيد أن وفاة أبيفانس فى عام ١٨٠ (٤) قضت على المفاوضات مع العصبة الآخية (٥) وتبعا لذلك على مشروعات الاسكندرية على الأقل مؤقتا ، فلم تجد روما ضرورة لافهام مصر أنها هى وحدها الفيصل فى مسألة الحرية الاغريقية (٦) •

صفات بطلميوس الخامس :

وترينا تصاوير أبيفانس على نقوده ملامح بها نعومة يشوبها شىء من الضعف ، ربما كان سبب موته المبكر فى زهرة شبابه ، هذا اذا لم يكن سببه السم على نحو ما يزعم البعض ، لكن هذه النعومة العليلة لا تتفق مع أوردة بوليبيوس عن مهارته فى الصيد وبراعته فى ركوب الخيل ودرايته فى استخدام الأسلحة (٧) ، فكل هذا لا يتوافر الا لمن كان قوى البنية بحيث يتيسر له التدريب على كل هذه الفنون وممارستها بوفرة تمكنة من النبوغ فيها •

وقبل الحرب العالمية الثانية كان يوجد فى متحف نابولى تمثال نصفى يعتقد بعض علماء الآثار أنه تمثال هذا الملك • وهذا التمثال أكثر اتفاقا مع الخلق العنيف الوحشى الذى يعزى الى هذا الملك المخاتل ، الذى تغلب فيه حب الانتقام على كل نزعة شريفة • ذلك أنه عندما سلم اليه زعماء الثورة المصريون ، بعد أن أمنهم على حياتهم ، شد وثاقهم الى عجلته الحربية

(1) Polyb., XXII, 17, 6.
(2) Polyb., XXII, 3, 5-6; 7, 1-2; 9, 1-12.
(3) Polyb., XXIV, 6, 1-7.
(٤) يلاحظ ان آخر وثيقة نعرف حتى الآن أنها مؤرخة باسم ابيفانس ترجع الى ٢٠ من مايو سنة ١٨٠ ، راجع :
Skeat, Mizraim, 6, 33, (9); Bodleian Ostraca, 96.
(5) Polyb., XXIV, 6, 7.
(6) C.A.H. VIII, p. 283; Bevan, pp. 273-4; Jouguet, Nat. Eg., pp. 132-4; Bell and Skeat, J.E.A. XXI, 1935, p. 263; fn. 1.
(7) Polyb., XXII, 3, 8-9.

وجرهم وراءه عارين فى الشوارع ثم شوههم وأعدمهم (١) ، فلا عجب أن قسوته الوحشية أثارت عليه كراهية رعاياه (٢) .

تبعة ضياع الامبراطورية البطلمية :

ومن الذى يجب أن يتحمل تبعة ضياع الامبراطورية البطلمية فى عهد بطلميوس الاله أبيفانس ؟ لا شك فى أن البطالمة الأوائل يجب أن يتحملوا جانبا كبيرا من هذه التبعة ، اذ أن السياسة الداخلية الظالمة التى اتبعوها مع المصريين هى التى حدت بهؤلاء التاعسين الى انتهاز فرصة ضعف السلطة المركزية للقيام بتلك الثورات الجامحة ، التى شغلت الحكومة عن الدفاع عن تلك الامبراطورية . ويجب أن يتحمل فيلادلفوس نصيب الأسد فى هذه السياسة الداخلية البغيضة ، فهو صاحب ذلك النظام المالى الكريه الذى كان له أبلغ الأثر فى نفوس المصريين ، على نحو ما سنرى . وتقع على عاتق بطلميوس الأول تبعة مزدوجة ، فهو الذى وضع أساس السياسة الداخلية وهو أيضا المسئول عن « المشكلة السورية » ، التى نجمت عن أنانيته فى السياسة الخارجية وتمخضت عنها تلك الحروب الشعواء بين السلوقيين والبطالمة . ويجب أن يتحمل جانبا من هذه التبعة ذلك الملك العابث بطلميوس الرابع ، الذى شغله مجونه فيما شغله عن متابعة سياسة خارجية حازمة ، والذى أورث طفله حاشية فاسقة وضيعة لا تعنى الا باشباع أطماعها . وأخيرا لقد لعبت يد القدر دورا خطيرا ، اذ أنه فى الوقت الذى ظهرت فيه على مسرح السياسة فى العالم الهلينيسى ثلاث قوى فتية كانت اثنتان منها تتوثب للانقضاض على ممتلكات مصر الخارجية، توفى بطلميوس الرابع تاركا ملكه المهدد لطفل صغير ، تكالب ذوو الأطماع على الفوز بالوصاية عليه والاستئثار بالسلطة دون غيرهم ، ضاربين بالمصلحة العامة عرض الحائط .

٣ — بطلميوس السادس (فيلومتور ، Philometor = المحب لأمه)
والسابع (نيوس فيلوباتور) والثامن (يورجتيس الثانى)
والتاسع (فيلومتور سوتر) والعاشر (بطلميوس اسكندر الأول)

(1) Polyb., XXII, 17, 1-5.
(2) Jouguet, Nat. Eg., pp.. 135-6.

والحادى عشر (بطلميوس اسكندر الثانى)
مصر بلا امبراطورية (١٨٠ ـ ٨٠ ق٠م٠)

العالم الهلينيسى بعد أباميا :

برجـام ورودس :

ولنلق الآن نظرة عابرة على حالة العالم الهلينيسى منذ معاهدة أباميا (عام ١٨٨) لتتيسر لنا متابعة تاريخ مصر فى خلال هذه الفترة ، لأن هذه المعاهدة غيرت حال عالم الحوض الشرقى للبحر المتوسط بوجه خاص ، وذلك نتيجة لما قضت به من اضعاف قوة دولتى البطالمة والسلوقيين وزيادة قوة دولتى برجام ورودس • وكان يومنيس الثانى ـ خليفة أتالوس على عرش برجام منذ عام ١٩٧ ـ أكثر حلفاء روما تحريضا لها على محاربة أنطيوخوس الثالث فقد كان طبيعيا أن تخشى برجام اعادة بناء الامبراطورية السلوقية على النحو الذى كان يحلم به أنطيوخوس الثالث ، فلا عجب أن روما كافأت حليفها على نشاطه ضـد خصمها بتوطيـد دعائم قوته بمقتضى معاهدة أباميا على نحو ما مر بنا • لكنه كان يحد من سـلطة يومنيس قبل كل شىء تلك الترتيبات التى نظمت بها روما عندئذ مصير المدن الاغريقية فى آسيا الصغرى ، اذ أن كل المدن التى كانت فى الماضى تدفع الجزية لأنطيوخوس لكنها بقيت وفية لروما أعفيت من دفع الجزية ليومنيس ، وأما المدن التى خرجت على المحالفة الرومانية وانضمت الى أنطيوخوس فى الحرب ، فانه كان عليها أن تدفع ليومنيس ما كانت تدفعه لأنطيوخوس • وقضت روما أيضا بأن كل المدن التى كانت تدفع الجزية لأتالوس يجب أن تدفع الجزية نفسها ليومنيس (١) • ومن ناحية أخرى كانت توازن قوة مملكة برجام قوة الممالك المنافسة لها ، وهى المملكة السلوقية نفسها وقابادوقيا وبونتوس وبيثونيا فى آسيا ، ومقدونيـا فى أوربا • وقد كانت برجام ، بوصفها عميلة روما ، مكلفة ، فى السنين الأولى التالية لموقعة ماجنسيا ، بمراقبة الدولة السلوقية وبيثونيا وبونتوس وقابادوقيا ووضع حد لأطماعها ، لكن برجام لم تلبث أن فقدت مكانتها باعتبارها الفيصل فى منازعات آسيا الصغرى •

---

(1) Polyb., XXI, 45, 2-3.

واذا كانت برجام قد ارتضت لنفسها أن تقوم بدور عميل روما ، فان رودس برغم ما أفادته من معاهدة أباميا بفضل روما ، اتخذت بوجه عام ازاء روما موقف الصديق المستقل وحرصت على عدم توريط نفسها أو أصدقائها فى مشاكل تستوجب تدخل روما (١) ٠

وقد كانت نقطة التحول فى علاقة روما بحليفتيها المخلصتين فى بحر ايجة وآسيا الصغرى (وهما رودس وبرجام) « الحرب المقدونية الثالثة »، (١٧١ — ١٦٨) وهى التى أظهر فيها الاغريق قاطبة عطفهم على برسيوس ملك مقدونيا فى صراعه ضد روما (٢) ، مع أن الاغريق كانوا يتعاونون رسميا مع روما ضد مقدونيا ، وتبعا لذلك غيرت روما علاقاتها مع حلفائها وسائر الاغريق ٠ وكانت بعض تصرفات رودس وبرجام فى أثناء هذه الحرب قد أثارت شكوك روما فى نواياهما ، ولا سيما أنهما توسطتا لانهاء الحرب لا حين كانت قوات روما تقف عاجزة أمام برسيوس وانما حين كانت روما على وشك أن تسحق غريمها ٠ وازاء ذلك ما أن فرغت روما من أمر مقدونيا حتى حرمت رودس ممتلكاتها فى آسيا الصغرى وجعلت ديلوس ميناء حرا (٣) ٠ وقد ترتب على ذلك أن رودس تحملت خسائر مادية فادحة ، وفقدت سيادتها التجارية فى بحر ايجة ، مما أفضى الى ترك هذا البحر تحت رحمة القراصنة ٠ ولم تعد روما تسمح لبرجام بلعب الدور الأول الذى اعتادته فى سياسة آسيا الصغرى٠وحين اشتبك يومنيس الثانى مع الغال أصحاب جالاتيا ، لم تكتف روما بالامتناع عن مساعدته ، بل أنها كانت تشجع الغال ضده (٤) ٠ وفى عام ١٣٣ طرأ تغير هام على الحالة السياسية فى آسيا الصغرى ، عندما توفى أتالوس الثالث ملك برجام وأورث روما مملكته (٥) ٠ ومع ذلك فان كيان الدول القليلة ، التى كانت مستقلة ولم تتدخل فيها روما بقوة السلاح ، لم يطرأ عليه فى خلال مدة طويلة الا تغير طفيف ، وذلك لأن روما شغلت عن ذلك فى القرن

---

(1) Frank, Roman Imperialism, p. 182.
(2) Polyb., XXX, 6-9.
(3) Polyb., XXX, 31.
(4) Polyb., XXX, 1-3; 19, 11-13; Liv., XLV, 19-20.
(5) Liv., XIV, 65; O.G.I.S. no. 338.

انظر ابراهيم نصحى ، تاريخ الرومان ، الجزء الثانى ، بيروت ، ١٩٧٣ ، ص ٧٣ وما بعدها .

الثانى قبل الميلاد بأعدائها فى أفريقيا وأسبانيا، ولأن الأزمات الاجتماعية قطعت أوصالها منذ عهد الأخوين جراكوس (Gracchus) حتى صلا (١٣٣ — ٨٨) . وبعد ذلك تهددتها قوة ميثريداتس السادس ملك بونتوس (٨٩ — ٦٢) الذى ناصبها العداء فجأة . وازاء هذه المشاكل التى انهمكت فيها روما ، كان فى وسع مصر وسوريا متابعة تنافسهما القديم الى أن حل الوقت الذى وضع فيه بعض زعماء الأحزاب الرومانية ضم الشرق الى الامبراطورية الرومانية فى برامج سياستهم الداخلية . وقد أتت هذه اللحظة لمصر عند وفاة بطليموس التاسع فيلومتور سوتر (عام ٨٠) .

مقدونيا :

وقد قدم فيليب الخامس لروما خدمات تعادل خدمات يومنيس الثانى فى أهميتها الحاسمة ، اذ أنه لو اتحد مع أنطيوخوس والايتوليين لكان هناك خطر تحول الحرب فى بلاد الاغريق الى نكبة على روما . هذا الى أنه عندما انسحب أنطيوخوس الى آسيا الصغرى ، وصمم الرومان على تأديبه وأرسلوا اليه جيشا اجتاز سريعا شبه جزيرة البلقان ، زود فيليب هذا الجيش بالمؤنة والأدلاء . وتبعا لذلك كله فان روما كانت تدين لفيليب مثل ما كانت تدين ليومنيس بجانب كبير من نجاحها . ومع ذلك فانه فى حين أن برجام جنت جزاء خدماتها الخير العميم ، لم تجن مقدونيا شيئا بل فقدت الى الأبد بلاد الاغريق ، فكان طبيعيا أن يشعر فيليب بمرارة نحو الرومان وكذلك نحو يومنيس . ولا يعرف اذا كان فيليب الخامس قد أعد العدة للانتقام غداة الحرب بين روما وأنطيوخوس ، لكنه على كل حال لم يكن لسياسته غرض آخر سوى التحرر من ربقة الرومان ، واعادة بناء دولته وقوته الحربية . غير أن عداءه للرومان لم يتمخض عنه الا ازدياد حنقهم عليه واقدامه على اعدام ابنه دمتريوس ، وكان قد أرسله الى ايطاليا بمثابة رهينة ، وعاد من هناك يفيض عطفا نحو روما . وأما برسيوس الذى رفعه هذا الحادث الى العرش (عام ١٧٨) ، فكان يشارك أباه كراهية روما مما أدى الى الحرب المقدونية الثالثة ، التى انتهت بانتصار روما فى موقعة بودنا (Pydna) (عام ١٦٨) وتقسيم مقدونيا الى أربع جمهوريات تتمتع كل منها باستقلال ذاتى ، مع حرمانها حقى التزاوج والتعامل مع

بعضها بعضا • وفرض الرومان على كل جمهورية من هذه الجمهوريات أداء جزية سنوية مائة تالنت • وفضلا عن ذلك فان الرومان منعوا استغلال المناجم وأملاك التاج (١) • وعلى هذا النحو لم يبق لمقدونيا سوى ظل الاستقلال • وعندما أحس مغامر يدعى أندريسقوس (Andriscus) بمشاعر الاغريق المعادية للرومان ، صمم على استغلال هذه المشاعر لفائدته الخاصة ، فجمع قوات فى تراقيا وزعم أنه ابن برسيوس وصاحب الحق فى عرش أبيه ، واقتحم طريقه الى مقدونيا فى عام ١٤٩ وأعاد توحيدها ثانية • وقد ترتب على ذلك نشوب الحرب المقدونية الرابعة التى أحرزت فيها روما نصرا ساحقا قامت بعده بتحويل مقدونيا الى ولاية رومانية (٢) (عام ١٤٧) •

بلاد الاغريق :

عرفنا كيف أن روما نصبت نفسها حامية حمى الاغريق ، وكيف أنها بهذا الوصف حاربت فيليب الخامس وأنطيوخوس الثالث • غير أنها بعدما اكتسبت تهليل أغلب الاغريق أول الأمر ، أثارت شكوكهم فى نواياها بانفرادها بتسوية مشاكلهم وبتدخلها فى شئون أغلب الدول الاغريقية ، حيث أسندت مقاليد الحكم الى أرستقراطيات اختارتها بعناية • وقد كانت كل من العصبة الايتولية والعصبة الآخية تعمل على ادماج كل بلاد الاغريق فى عصبتها ، فى حين أن أسبرطة كانت تحاول عبثا استعادة سيادتها فى بلاد البلوبونيز • وأما الايتوليون فانهم هزموا مرتين ، احداهما مع أنطيوخوس الثالث ، حين استدعوه الى بلاد الاغريق فى عام ١٩٢ ولم يقدموا له المساعدة الكافية ، والأخرى وحدهم ، حين حاولوا مقاومة الرومان بعد هزيمة أنطيوخوس فأنزلوا الى مصاف أتباع روما (عام ١٨٩) • وأما الآخيون فانهم تابعوا سياستهم المستقلة المناهضة للنفوذ الرومانى ، وكانت عصبتهم قد نجحت بزعامة فيلوبويمن (Philopoemen) فى توحيد دول البلوبونيز تحت لوائها ، ولكن بعض هذه الدول كانت ترغب فى الانفصال عن هذه العصبة واستعادة حريتها • ومثل ذلك اسبرطة ، وكانت قد أرغمت قسرا

(1) Liv., XLV, 18; 29; Plut., Aem. Paulus 28.
(2) Cary, pp. 203-4; C.A.H., VIII, pp. 276-7.

على الانضمام الى العصبة . وعندما احتدم الخلاف بين اسبرطة والعصبة وناشدت أسبرطة مساعدة روما وتدخلت روما فى المشكلة (١٨٩ — ١٨٤)، لم يؤد هذا التدخل الا الى ازدياد العلاقات توترا بين العصبة والرومان ، فقد أغضب العصبة تدخل الرومان ورفضت التسوية التى وضعوها ، وأغضب الرومان اهمال شأنهم . وبوفاة فيلوبويمن فى عام ١٣٨ نشأ فى العصبة فريقان ، أحدهما مشايع لروما وعلى استعداد لتنفيذ أوامرها ، والآخر مناهض لروما ومصمم على الدفاع عن حقوق العصبة وعلى التمتع بحرية التصرف .

وعندما فرغت روما من الحرب المقدونية الثالثة ، استدارت لبلاد الاغريق لكى تكافىء أصدقاءها وتعاقب أعداءها الذين عاونوا برسيوس فى هذه الحرب أو أظهروا عطفا عليه . ذلك أنه فى الوريا أعفت روما من الضرائب مدن الوريا التى بقيت على ولائها لها ، وأما امارة جنثيوس (Genthius) فان روما قسمتها الى ثلاث جمهوريات منفصلة عن بعضها بعضا وفرضت عليها الجزية ، وفضلا عن ذلك فان روما استولت على شاطىء دلماتيا حتى نهر نارنتا (Narenta) شمالا . واذا كانت روما قد عزفت عندئذ عن ادخال تعديلات جوهرية على وضع المدن فى بلاد الاغريق، فانها صممت على تلقينها درسا قاسيا بتطهير هذه المدن من كل خصوم الرومان ، اما باعدامهم واما بنفيهم واما ببيعهم فى سوق النخاسة . فقد عرفت روما أسماء الكثيرين من خصومها باستيلائها على أوراق برسيوس، وأطلق السناتو يد البعثة التى أنفذها الى بلاد الاغريق لوضع الأمور فى نصابها بالاشتراك مع باولوس ، قاهر برسيوس . وقد أسهم فى انتقام روما الرهيب من خصومها تلك العناصر المؤيدة لها ، وهى التى استولت على مقاليد الأمور فى كل مكان . ونتيجة لما أقدم عليه الرومان وذيولهم أعدم ٥٠٠ مواطن فى ايتوليا بعد محاكمة صورية ، ونفى كثيرون من الايتوليين وصودرت أملاكهم . وفى أقارنانيا وأبيروس وبويوتيا وضعت أسماء أبرز المواطنين على القائمة السوداء ، وأمروا بالذهاب الى روما لمحاكمتهم . ولم تقف نكبة أبيروس عند هذا الحد ، ذلك أنه فى عام ١٦٧ — بناء على أمر السناتو بنهب ممتلكات مواطنى أبيروس غير الموالين

لروما ـ اجتاح باولوس هذا الاقليم وأوسعه سلبا ونهبا وألقى القبض على ١٥٠٫٠٠٠ مواطن وأرسلهم الى روما ليباعوا فى سوق النخاسة ٠

وبرغم أن الآخيين لم يظهروا فى أثناء الحرب مع برسيوس أى عداء سافر ، وأنه لم يرد ذكر اسم أحد من زعمائهم فى أوراق هذا الملك ، فان قاليقراتس (Callicrates) ـ زعيم العصبة الغادر ـ أفهم البعثة الرومانية أن الكثيرين من مواطنيه يضمرون سوءا لروما ٠ وتبعا لذلك نقلت البعثة ألفا من صفوة الاغريق الى ايطاليا بحجة اعطائهم الفرصة لاثبات براءتهم أمام السناتو ، ولكن فى الواقع بقصد استبقائهم رهائن ضمانا لحسن سلوك العصبة مستقبلا ٠ وقد كان من بين هؤلاء الرهائن المؤرخ الشهير بوليبيوس ، ولحسن الحظ أنه لقى معاملة طيبة بفضل الصلات التى أنشأها مع بعض الأسر ذات الشأن فى روما ٠ ولكن ٧٠٠ من رفاقه قضوا نحبهم هناك من جراء أسرهم ، ولم يعد باقى الرهائن الى بلاد الاغريق الا بعد ستة عشر عاما ٠

وقد كان طبيعيا أن ارتكاب روما هذه الفظائع البشعة جللها بالعار فى نظر الكثيرين من الاغريق وملأ قلوبهم كراهية لها ونقمة عليها ، وجعلهم يتوقون الى التخلص من سيطرتها ٠ وقد بلغت مشاعر الاغريق المعادية للرومان ذروتها فى العصبة الآخية ٠ ولم يكن من شأن الافراج عمن بقوا على قيد الحياة من الرهائن والسماح لهم بالعودة الى وطنهم فى عام ١٥١ أنه خفف من شعور الآخيين بالمرارة ، وكانوا تحت رحمة الحزب المشايع لروما بزعامة قاليقراتس البغيض اليهم بغضا شديدا ٠ وعندما توفى قاليقراتس فى عام ١٥٠ وبذلك زال أكبر قيد كان يكبل أعداء الرومان ، انفجر مرجل غضب الآخيين ورأوا فى انشغال روما بحروبها فى أسبانيا وأفريقيا ومقدونيا فرصة للانتقام من أسبرطة جراء انفصالها عن العصبة الآخية بارغامها عنوة فى عام ١٤٩ على العودة الى حظيرة العصبة٠وتجاهلت العصبة ما أمرها به السناتو عام ١٤٨ من أن تحرر اسبرطة وكذلك قورنثة وأرجوس ، مع أن هاتين المدينتين لم تنشدا ذلك ، وأخذت تستعد للحرب مدركة تماما أنها لن تلقى أية شفقة أو رحمة من الرومان ٠ وفى قورنثة ، حيث كان الشعور العدائى للرومان جارفا جدا ، وقع اعتداء على المبعوثين

الرومان الذين ذهبوا الى هذه المدينة لابلاغها قرار السناتو بفصلها عن العصبة الآخية .

وفى عام ١٤٦ مضت العصبة الآخية فى تحديها سلطة الرومان الى حد أنها اجترأت على اجتياح بلاد الاغريق الوسطى ، حيث انضمت الى جيشها قوات من بويوتيا ويوبويا ، ولكن الرومان لم يلبثوا أن أنزلوا بالاغريق هزيمة فاصلة بعد استبسالهم فى القتال ضد قوات تفوقهم عدة وعددا (عام ١٤٦) .

وعندئذ قرر السناتو أن يعاقب قورنثة على اعتدائها على السفراء الرومان ، وأن يجعل منها عظة وعبرة لبلاد الاغريق جميعا ، فأمر بنقل كنوزها الى روما ، وتسوية مبانيها بالأرض واشعال النار فيها ، وبيع من بقى على قيد الحياة من مواطنيها عبيدا فى سوق النخاسة . ويحيط الغموض بتفاصيل التسوية التى قضى بها السناتو عندئذ ، غير أنه يبدو أنه اذا كان الرومان لم يحولوا بلاد الاغريق اذ ذاك الى ولاية رومانية يتولون ادارة حكمها مباشرة ، فانهم اتخذوا من الاجراءات ما يكفل استتباب الأمر لهم فى أرجائها . ذلك أنهم وضعوا بلاد الاغريق تحت اشراف حاكم ولاية مقدونيا وخولوه الصلاحيات للفصل فى المنازعات ، والحفاظ على النظام والأمن ، ومعاقبة المناهضين للرومان عقابا شديدا لا هوادة فيه . وفضلا عن ذلك فان الرومان حلوا عصبات الآخيين والبويوتيين والفوقايين ، وفرضوا الجزية على المدن التى أسهمت فى مناصبتهم العداء ، وأسندوا الحكم الى الطبقات الثرية فى أغلب المدن ، وحظروا التعامل بين مختلف المدن . بيد أنه لم تنقض بضع سنين حتى أزيل الحظر على تبادل التجارة بين المدن الاغريقية ، وأعيد تكوين العصبات وانما على أساس اجتماعى ودينى فقط . وأما استقلال الاغريق وحريتهم ودورهم فى السياسة الدولية ، فان ذلك كله غدا من سمات عهد ولى وانقضى الى غير رجعة (١) .

الدولة السلوقية :

وعقب معاهدة أباميا مباشرة ، وجهت روما قدرا كبيرا من اهتمامها الى

(1) Rostovtzeff, Soc. and Ec., pp. 56-62; Jouguet, Nat. Eg., 138-40; Larsen, Cl. Phil., 1935, pp. 193 ff.; C.A.H. VIII, Chs. 8-9.

بلاد الاغريق ومقدونيا وبحر ايجة وآسيا الصغرى من أجل ضمان سلامتها والحصول على موارد طائلة • وفى تلك الأثناء يبدو أن روما كانت أقل اهتماما بشئون الدولتين السلوقية والبطلمية لاعتقادها أنهما كلتيهما وقد أقصيتا عن العالم الاغريقى لم تعودا تقلقان بالها ، ومن ثم فانها رأت أن تدعهما لمشاغلهما ومنازعاتها • لكن روما لم تلبث أن استبدلت بهذه السياسة سياسة نشيطة تنطوى على التدخل باستمرار فى شئونهما ، واثارة الاضطراب بين ظهرانيهما تمهيدا لانحلالهما • ولعل سبب هذا التغير فى سياسة روما كان العداء الذى أظهره الاغريق فى خلال الحرب المقدونية الثالثة فتملك روما الفزع من احتمال انتعاش الشرق الهلينيسى ثانية ، مع أنه بعد موقعة ماجنسيا كانت الدولة السلوقية أضعف من أن تبدأ سياسة انتقامية ضد روما • هذا الى أن أنطيوخوس الثالث فى آخر عهده ، وخليفته سلوقس الرابع (١٨٧ — ١٧٥) ، ومن بعده أنطيوخوس الرابع ، (١٨٥ — ١٦٣) ، كانوا مصممين على أن يقصروا نشاطهم على الشرق ، وكذلك على أن يحترموا شروط معاهدة أباميا • وكان كل ما يرجو أنطيوخوس الثالث وخلفاؤه أن يقوموا به فى الشرق هو دعم امبراطوريتهم، بحيث تكون لديها قوة كافية لمقاومة أى اعتداء من جانب الرومان على شروط المعاهدة ، أو بعبارة أخرى لمقاومة أية محاولة من جانب روما للتدخل فى شئونهم وشئون مصر الداخلية • بيد أن تحقيق هذا الهدف كان يتطلب جهدا كبيرا ، فى حين أن عدة عوامل داخلية وخارجية كانت قد أخذت تتهدد وحدة الدولة السلوقية وتحد من قوتها (١) •

وكانت فى مقدمة العوامل الداخلية الهامة ظروف ارتقاء أنطيوخوس الرابع العرش ، فقد كانت لها نتائج خطيرة على نحو ما سنرى فيما بعد • ذلك أنه عندما قتل سلوقس الرابع فى عام ١٧٥ ترك وراءه ابنين وهما : دمتريوس ، وأخوه الأصغر أنطيوخوس • ولما كان دمتريوس رهينة فى روما (حيث أرسله أبوه ليحل مكان عمه أنطيوخوس الرابع ، بعد أن قضى ثلاثة عشر عاما فى روما رهينة لديها منذ معاهدة أباميا) ، فان الوزير هليودوروس (Heliodoros) ، الذى دبر مقتل سلوقس ، أقام أنطيوخوس

(1) Rostovtzeff, Soc. and Ec., pp. 62-3.

الصغير ملكا تحت وصايته • وبعد أن غادر أنطيوخوس الرابع روما ذهب الى أثينا ، حيث أتاه نبأ مصرع أخيه ، فخف الى سوريا ، وقضى على هليودوروس وأقام نفسه على العرش وأشرك معه ابن أخيه الأصغر (أنطيوخوس الخامس) • وقد شعر دمتريوس ، الابن الأكبر والوريث الشرعى ، بأنه سلب حقوقه ، لكنه لم ينزل عنها بالرغم من أنه لم تكن لديه اذ ذاك وسيلة لاستردادها (١) •

ومن العوامل الداخلية أيضا انتعاش الروح القومى بين الرعايا الشرقيين لدولة السلوقيين ، وهم العرب والايرانيون واليهود • وقد كان اليهود بنوع خاص مصدر جانب كبير من متاعب أنطيوخوس الرابع أبيفانس ، فهم لم يغتفروا له رغبته فى صبغهم بالصبغة الاغريقية ، غير أنه كانت من بينهم فئة تميل الى هذه الحضارة ويتزعمها الكاهن الأكبر ياسون (Jason) ، لكن هيئة الكهنوت العليا كانت تعج بالدساسين الذين يناهضون الكاهن الأكبر فامتزج بهذه المنازعات الشخصية صراع دينى عنيف بين دعاة الحضارة الاغريقية ودعاة التمسك الدقيق بالتقاليد اليهودية• وبطبيعة الحال كان الملك يؤيد الفريق الأول ، ولذلك لعب اليهود دورا هاما فى النضال الذى شتت شمل دولة السلوقيين • وأما الأخطار الخارجية فانها كانت كثيرة ، وكان فى مقدمتها الخطر الرومانى الذى نفث سمومه لاستغلال كافة متاعب هذه الدولة ، الى أن تمكن آخر الأمر من القضاء عليها • والى جانب ذلك كانت بارثيا وأرمينيا فى الشمال ، وقبائل النبط فى الجنوب تزداد قوة باطراد ، وتتحين الفرص للانقضاض على الدولة السلوقية التى كانت سيدتها فى الماضى (٢) •

دولة البطالمة :

وللمرة الثانية فى خلال ربع قرن ارتقى عرش مصر صبى صغير • ذلك أن بطلميوس الخامس ترك وراءه ولدين وبنتا ، كان أكبرهم جميعا بطلميوس السادس فيلومتور ، وكان عندئذ فى حوالى السابعة من عمره ، فتولت الوصاية عليه أمه كليوبترة الأولى ، وبفضلها بقيت علاقات مصر مع الدولة السلوقية ودية فى خلال مدة وصايتها • ومع ذلك فانها رفضت أن تدع

(1) Bouché-Leclercq, Hist. des Seleucides, I, p. 239; Rostovtzeff, Soc. and Ec., p. 63; Jouguet, Nat. Eg., p. 140.
(2) Rostovtzeff, Soc. and Ec., pp. 63-4; Jouguet, Nat. Eg., pp. 141-2.

أخاها سلوقس الرابع يجرها الى محالفة ضد يومنيس الثانى صديق الرومان (١) • ولم تعمر وصاية كليوبترة طويلا ، اذ يرجح أنها توفيت بين ٨ من أبريل و ٢٧ من نوفمبر عام ١٧٦ (٢) • وعندئذ وقع الملك الصغير تحت وصاية شرعية أو غير شرعية تولاها شخصان من ذوى الحظوة كانا فى خدمة البلاط ، وهما مربيه الخصى يولايوس (Eulaeos) والعبد السورى لنايوس (Lenaeos) (٣) • ويقال ان هذين الشخصين أظهرا أبعد درجات الرعونة حين كان يجب على العكس اتباع سياسة متزنة حكيمة (٤) •

وقد كان فى بلاط الاسكندرية منذ عهد بطلميوس الخامس حزب يريد الحرب مع الدولة السلوقية ، لأنه لم يستطع تعزية نفسه عن فقد جوف سوريا • وبتأثير هذا الحزب بدأت المفاوضات مع العصبة الآخية فى عامى ١٨٥ و ١٨٣ للحصول على مساعدتها لتحقيق هذا المشروع ، لكن هذه المفاوضات لم تنته الى شىء على نحو ما عرفنا • وعندما آلت الوصاية الى يولايوس ولنايوس ، اعتنقا سياسة حزب الحرب مع الدولة السلوقية لاسترداد جوف سوريا ، وذلك لأنه بعد وفاة كليوبترة الأولى بدد أخوها أنطونيوس الرابع كل فرص السلام برفضه الاستمرار فى دفع دخل هذا الاقليم لمصر (وكان هذا الدخل صداق كليوبترة على نحو ما مر بنا) ، وبنفيه وجود أية معاهدة تعطى مصر ملكية هذا الاقليم (٥). وقد وجدت مناورات الوصيين الدبلوماسية الحالة ملائمة لها لدى يهود « أرض الميعاد » أو « يهوذا » (Judaea) ، حيث أظهر البعض أسفهم على ضياع سيطرة البطالمة •

ولما كان دعاة الحضارة الاغريقية فى « يهوذا » يعتمدون على تأييد أنطيوخوس الرابع ، فانه كان يتعين على الاسكندرية تأييد الفريق الآخر وكان يدعى « حزب القديسين » • وفى الواقع كانت هناك علاقات بين بيت المقدس ويهود الاسكندرية ، وكان يجب أن تتفق سياسة البطالمة

---

(1) Bouché-Leclercq, Lagides, II, pp. 2-3; Bevan, p. 282; Jouguet, Nat. Eg., pp. 137-8.

(2) Bell and Skeat, J.E.A. XXI, p. 263, fn. 2.

(3) Diod., XXX, 15-16; Liv., XLII, 29.

(4) Diod., XXX, 15; Otto, zur Geschichte der zeit d. 6 Ptol., Abh. Bay. Akad. Phil. hist. Alt., N.F., Heft 11, Muenchen, 1934, pp. 25 ff. ; Jouguet, Nat. Eg., p. 138.

(٥) انظر ص ص ١٨٦ ، ١٨٧ وكذلك ٢٠٨ .

فى سوريا مع السياسة التى يتبعونها ازاء اليهود فى مصر • ومن ناحية أخرى كان أنطيوخوس الرابع يريد توطيد دعائم دولته ليصبح فى وسعه أن يصمد حتى أمام الرومان ، ولعله أراد أن يستغل مشاغل روما فى مقدونيا ، وماعرف عن بلاط الاسكندرية من العجز ليستولى على مصر[١] ويضع السناتو أمام الأمر الواقع قبل أن يفرغ من مقدونيا • وينم عن نوايا أنطيوخوس العدوانية الموقف الذى اتخذه حيال حقوق مصر على جوف سوريا ، والجيش الكبير الذى أعده وغزا به مصر[٢] • وازاء ذلك لا يمكن لوم الوصيين على تسلحهما لاستعادة جوف سوريا ، وكان أهم جزء فى الامبراطورية البطلمية[٣] •

يبدو اذن أن الطرفين كانا يرغبان فى الحرب ، لكن القدماء أنفسهم لم يتفقوا على أى الطرفين تسبب فيها ، اذ بينما تعتقد المصادر الاغريقية أن الوصيين هما اللذان أثارا الحرب[٤] ، فان المصادر اليهودية المعروفة بعدائها لأنطيوخوس تحمله تبعة هذه الحرب[٥] ، ولذلك يميل المؤرخون الحديثون الى الرأى الأول • لكننا لا نستطيع قبول هذا الرأى لأننا حتى اذا سلمنا جدلا بأن الوصيين هما اللذان بدأا الاستعداد للحرب ، وبأن قيام أنطيوخوس ببناء قواته لم يكن الا لدرء خطر هجوم بطلمى على سوريا ، فانه لابد من التسليم بأن موقف أنطيوخوس حيال حقوق مصر على جوف سوريا هو الذى حفز الوصيين على التسلح ، وبأن مجرى الحرب يقطع بأن هذا التسلح كان قاصرا لا يبرر سواء بناء أنطيوخوس ذلك الجيش الكبير الذى غزا به مصر أم قيامه بهذا الغزو ، لو لم تكن لديه نية مبيتة على الاستيلاء على مصر • ومعنى ذلك أن قرائن الأحوال فضلا عن اتفاق رواية المؤرخ الرومانى ليفيوس مع الرواية اليهودية تجعل الرأى الثانى أدنى الى الصواب • ولعل أن الرأى الأول ليس الا رجع الصدى للدعاية التى روجها أنطيوخوس تبريرا لعدوانه •

---

(1) Livius, XLII, 29, 5-6; I Macc., 1, 16.
(2) I Macc., 18; Hieron., In Dan., XI, 22.
(3) Rostovtzeff, Soc. and Ec., pp. 65-7; Jouguet, Bull. Inst. Eg., XIX, pp. 162-7.
(4) Polyb., XXVII, 19; Diod., XXX, 2, 16.
(5) I Macc., 11, 20; Joseph., Ant. Jud., XII, 242.

ويحدثنا الكتاب الثانى من تاريخ المكابيين بأن أنطيوخوس الرابع أرسل أبولونيوس الى مصر بمناسبة بروتوقليسيا (Protoklesia) بطلميوس السادس (١) • ولما كانت كلمة بروتوقليسيا مرادفة فى المعنى لكلمة أناقليتيريا (Anakleteria) (٢) وهى التى تستعمل للتعبير عن الاحتفال ببلوغ الملوك سن الرشد (٣) ، فان المرجح أن أنطيوخوس ، وقد أراد الوقوف على مدى استعدادات مصر الحربية ونواياها نحوه ، أنفذ اليها أبولونيوس لجمع المعلومات اللازمة بحجة تمثيله فى حفل بلوغ ابن أخته سن الرشد •

ويحدثنا بوليبيوس بأنه عندما علمت العصبة الآخية (عام ١٧٠) بالاحتفال « ببلوغ الملك بطلميوس سن الرشد » أرسلت مبعوثين لتجديد أواصر الصداقة بين العصبة ومصر (٤) ، وبأن هذين المبعوثين كانا فى الاسكندرية حين غزا أنطيوخوس الرابع مصر وتدخلا مع غيرهما من سفراء الدول الاغريقية لحسم النزاع بين مصر وأنطيوخوس (٥) •

ومتى كان الاحتفال ببلوغ بطلميوس السادس فيلومتور سن الرشد ؟ اننا (أولا) تتبين من وثيقتين (٦) من عام ١٧٤/١٧٣ أن أخت الملك كليوبترة الثانية قد اشركت معه فى العبادة ، وأن الاثنين أصبحا يعرفان سويا باسم الالهين فيلومتورس ، مما يدل دلالة قاطعة على أنهما كان قد تزوجا قبل ذلك • وبديهى ألا يتزوج الملك قبل بلوغه سن الرشد ، بل المعقول أن يأتى الزواج بعد ذلك لكن هذا لا يستتبع حتما مرور وقت طويل بين بلوغ الملك رشده وزواجه • والواقع أن القرائن توحى بأنه لم ينقض وقت طويل بين هذين الحدثين • وأننا (ثانيا) نلاحظ أنه فى ذلك العام ذاته بلغ الملك الثالثة أو الرابعة عشرة من عمره ، وقد سبق اعلان بلوغ أبيه سن الرشد فى مثل هذه السن • وفضلا عن ذلك فان الرابعة عشرة كانت السن التى تعتبرها قوانين البطالمة سن بلوغ الرشد السياسى (٧) • واننا (ثالثا) نعرف أنه فى عام ١٧٣ أرسل السناتو بعثة الى الاسكندرية لتجديد عهود الصداقة مع مصر (٨) ، ويبدو من المرجح أن ذلك كان بمناسبة اقامة

(1) II Macc., 4, 21.
(2) Bouché-Leclercq, II, p 5.
(3) Polyb., XXVIII, 12, 8-9.
(4) Polyb., loc. cit.
(5) Polyb.. XXVIII, 19.
(6) P. Tebt., III, 818; 979.
(7) Taubenschlag, Law of Graeco-Rom. Eg., (1st ed.) pp. 102. 108.
(8) Liv., XLII, 6, 4.

حفل بلوغ الملك سن الرشد حوالى ذلك الوقت • وازاء هذه الاعتبارات جميعا نرجح أن ذلك الحفل وكذلك حفل زواج الملك من أخته أقيما فى عام ١٧٤/١٧٣ ، ونرى أنه لا يمكن قبول رواية بوليبيوس سالفة الذكر الا اذا كانت العصبة الآخية قد تمهلت طويلا قبل ارسال بعثتها السياسية الى الاسكندرية ، وهذا احتمال بعيد ، أو اذا كان الحفل المشار اليه خاصا ببطلميوس الصغير ، الأخ الأصغر لفيلومتور الذى نادى به الاسكندريون ملكا فى أثناء الحرب على نحو ما سنرى ، وليس حفل بطلميوس فيلومتور •

الحرب السورية السادسة :

ويبدو أنه بعد الاحتفال ببلوغ فيلومتور سن الرشد وبزواجه من أخته كليو بترة الثانية احتفل برسامته فى منف فرعونا • ولما كانت روما على وشك الدخول فى الحرب المقدونية الثالثة ، فانها أوفدت فى عام ١٧٢ بعثة الى فيلومتور وأنطيوخوس للاطمئنان الى موقفهما فى أثناء هذه الحرب • وقد أكد الملكان للسفراء الرومان أنهما سيبقيان على وفائهما لروما (١) •

وعندما أصبحت الحرب السورية السادسة وشيكة الوقوع أو كانت قد بدأت فعلا ، أوفد كل من الطرفين المتنازعين بعثة دبلوماسية الى روما لالقاء تبعة الحرب على الطرف الآخر ، فعهد السناتو الى كوينتوس مارقيوس فيليبوس (Marcius Philippus) ببحث هذه المسألة ، والفصل فى النزاع بين الطرفين (٢) • لكن الدلائل تشير الى أنه لم تكن فى نية روما تسوية هذا النزاع ، فقد رأينا كيف أنها قبل اشتباكها مع مقدونيا كانت تخشى فوز غريمتها بمساعدة مصر وسوريا ، فعنيت بتوكيد صداقتها لهاتين الدولتين وضمان وفائهما لها عندما تقع الحرب بينها وبين مقدونيا • وعندما نشبت فى عام ١٧١ « الحرب المقدونية الثالثة » التى لم تنته فى عام ١٦٨ الا بعد أن ساورت روما الشكوك من أمر انتصارها ، لابد من أن تكون روما قد استخدمت كل دهائها السياسى فى تغذية الحرب بين مصر وسوريا لتضمن على هذا النحو عدم تدخلهما فى الحرب المقدونية •

(1) Liv., XLII, 26, 7-8.
(2) Polyb., XXVII, 19; XXVIII, 1; Diod., XXX, 2.

انطيوخوس الرابع ينجح فى غزو مصر :

وعندما ترك يولايوس « مشطه وزجاجات عطوره » وهجر لنايوس « دفتر حسابه » وذهبا الى القتال (١) ، كان أنطيوخوس قد زحف بدوره . والتقى بالجيش البطلمى ، قبل أن يعبر الصحراء التى تفصل بين مصر وفلسطين ، وهزمه عند تل قاسيون (Casion) واستولى على بلوزيون (٢) ثم تقدم الى منف (٣). وهكذا نجح فيما أخفق فيه برديقاس وأنتيجونوس الأعور وأنطيوخوس الأكبر ، اذ أنه لم يفلح أى قائد وافد من سوريا فى غزو مصر منذ الاسكندر الأكبر، أى منذ مدة تزيد على قرن ونصف قرن (٤).

وتوحى عبارات بوليبيوس وديودوروس بأن أنطيوخوس الرابع استولى على بلوزيون بالخديعة (٥) . ويبدو أنه عقب الهزيمة التى حلت بالجيش البطلمى بادر يولايوس ولنايوس بالهرب الى الاسكندرية . ويحدثنا بوليبيوس بأن الخصى يولايوس حرض فيلومتور على أخذ كنوزه وهجر مملكته والفرار الى ساموتراقيا . وازاء ما أثبته فيلومتور فيما بعد من الشجاعة ، فان بوليبيوس يلقى تبعة هذا التصرف الذى يتسم بالجبن على يولاويوس (٦) دون أن يتهمه بالخيانة أو التآمر مع أنطيوخوس . وعلى كل حال لا شك فى أن هذا التصرف كان فى صالح أنطيوخوس سواء أكان بينه وبين يولايوس اتفاق سابق أم لا . ولا نسمع شيئا بعد ذلك عن يولايوس ولنايوس ، ولعل الاسكندريين عندما علموا بكل ما حدث أجهزوا عليهما (٧) وأقاموا قومانوس (Comanos وقينياس (Cineas) وصيين مكانهما (٨) .

واذا كان أكثر المؤرخين يرون أنه عندما كان فيلومتور يحاول الهرب الى ساموتراقيا ، ألقى القبض عليه وأعيد أسيرا الى بلوزيون. فان الأبحاث التى قام بها أوتو (Otto) تدعو الى التشكك فى صحة هذا الرأى . ويرى هذا المؤرخ أن فيلومتور لم يؤخذ أسيرا ، وانما استدعى من

(1) Diod., XXX, 15. (2) Diod., XXX, 14.
(3) Hieronym., In Dan., XI, 22-26.
(4) C.A.H. VIII, p. 505; Bouché-Leclercq, II, p. 11; Bevan, p. 284 ; Jouguet, Nat. Eg., p. 143.
(5) Polyb., XXVIII, 18; Diod., XXX, 18, 1-2.
(6) Polyb., XXVIII, 21.
(7) Jouguet, Debuts du régne Ptol. VI, Rev. Phil. et Lit. et Hist. Anc., VI, Paris, 1937, p. 224. (8) Cf. Diod. XXX, 15; 16

ساموتراقيا لعقد معاهدة مع أنطيوخوس، لكنه فى أثناء مفاوضته مع خاله خدعه هذا الرجل الطموح وأبقاه فى منف ، وأرغمه على قبـول شروط الصلح ، وكانت تتضمن الاعتراف بحماية أنطيوخوس . ويؤيد ما ذهبنا اليه من أن مصر لم تكن البادئة بالعدوان ما توصـل اليه أوتو مـن أن الوصيين نصحا فيلومتور بالهرب قبل بداية الحرب (١) ، وما مر بنا من أن أول لقاء بين الجيشين السلوقى والبطلمى كان عند تل قاسيون .

الاسكندريوس ينادون باخ فيلومتور الأصغر ملكا :

ازاء ذلك نادى الاسكندريون بأخ فيلومتور الأصغر ملكا (٢) ، وهو الذى عرف فيما بعد باسم بطلميوس الثامن يورجتيس الثانى .

ولم يعد اليوم مجال للشك فى أن أنطيوخوس توج نفسه فرعونا فى منف (٣) ، لكنه لا يعرف عن يقين اذا كان ذلك قد حدث فى خلال حملته الأولى أو الثانية(٤)، وان كان الأرجح أنه توج فى خلال الحملة الثانية(٥).

أنطيوخوس يحاصر الاسكندرية :

ومن منف زحف أنطيوخوس على العاصمة ، زاعما أنه يؤيد حقوق الملك الشرعى فيلومتور(٦)، لكن قومانوس (Comanos) وقينياس (Cineas) أعدا العدة للدفاع عن العاصمة ، حيث تصادف عندئذ وجود عـدد من السفراء والبعوث الدينية من المـدن الاغريقية . ذلك أن العصبة الآخية كانت قد أرسلت الى الاسكندرية بعض سفرائها لتجديد محالفتها مع مصر، ودعوتها للاشتراك فى الحفلات التى ستقام فى سيقوون . وكانت أثينا قد أرسلت بعض سفرائها لتقديم بعض الهدايا لملك مصر ، واعلان موعـد الحفلات الأثينية الجامعة ، ودعوة مصر الى حفلات الطقوس الأليوسية . وكان يوجد هناك أيضا سفراء من قبل ميلتوس وقلازومنى (Clazomnae) واستقر الرأى على ايفاد كل أولئك السفراء ومعهم تلبولموس وبطلميوس

(1) Otto, op. cit., pp. 47-57.
راجع جوجيه (Debuts., p. 2 25) فهو يرى أن النصيحة بالهرب لم تقدم الا بعد الهزيمة الأولى التى حلت بالجيش البطلمى .

(2) Polyb., XXIX, 23, 4.

(3) Cf. Hieronym., In Dan., XI, 26; Porphy., Frag. 49 a ; P. Tebt. III, 690

(4) Cf. Hampl, Gnomon, 12, 1936, pp. 37 ff.

(5) Swain, Class. Phil., 89, 1934, pp. 82-4.

(6) Liv., XLV, 11, 1; Diod., XXXI, 1.

أستاذ الخطابة بوصفهما مبعوثين من قبل الملك الجديد لمفاوضة أنطيوخوس فى عقد الصلح (١) .

وعندما مثلت هذه الجماعة الكبيرة من السفراء أمام أنطيوخوس للدفاع عن قضية مصر وتبودلت خطب طويلة ، أعلن أنطيوخوس حقوقه على جوف سوريا ، ونفى أنه عقد اتفاق بين أبيه (أنطيوخوس الثالث) وبطلميوس الخامس على منحه جوف سوريا بمثابة هدية زواجه من كليوبترة ، لكنه أجل اجابته الى حين عودة المندوب الذى أوفده الى بطلميوس الصغير ، ثم ذهب الى نقراطيس وكسب ودها بمنح كل فرد من سكانها هبة قدرها قطعة نقود من الذهب ، ثم عاد ثانية صوب الاسكندرية (٢) . وبعد ذلك أنفذ أنطيوخوس بعثة الى روما واستقبل بعثة جاءت من رودس تعلل نفسها بأمل التوفيق بين الطرفين ، لكن أنطيوخوس قاطع خطيبهم قائلا انه ليس فى حاجة الى خطب مطولة ، وان مصر ملك لأكبر الأخوين سنا ، وانه اذا كان الاسكندريون يريدون عندئذ اقامته ثانية عليهم فانه لن يحول دون ذلك (٣) . ونحن نرى مع أوتو (٤) أن أنطيوخوس لم يقصد بكل هذا الا دعاية جوفاء لنفسه والظهور فى ثوب من لا أطماع له فى مصر . وفى خلال ذلك كان الجيش السلوقى قد حاصر الاسكندرية وقطع اتصالاتها برا بداخلية البلاد ، وكان الأسطول السلوقى قد انتصر عند بلوزيون على الأسطول البطلمى .

انطيوخوس ينسحب من مصر :

ومع ذلك فانه ازاء صعوبات الحصار ، وبسبب قلق أنطيوخوس من جراء الاضطرابات فى فلسطين ، حيث كان ياسون يحاول استعادة منصب الكاهن الأكبر ، قفل ملك سوريا راجعا الى مملكته (٥) ، تاركا حامية فى بلوزيون ، وبطلميوس الصغير فى الاسكندرية ، وفيلومتور فى منف ، معتمدا على أن منافسة الأخوين ستمهد له السبيل الى غزو مصر ثانية (٦) .

(1) Polyb., XXVIII, 19.
(2) Polyb., XXVIII, 20.
(3) Polyb., XXVIII, 17, 15; 22; 28.
(4) Otto, pp. 59, 64.
(5) Cf. I Macc., 1, 17, 2.
(6) Liv., XLV, 11, 2-5; C. A. H. VIII, p. 506; Bouché-Leclercq, II, pp. 18-21; Bevan, p. 285; Jouguet, Nat. Eg. pp. 143-4; Otto, pp. 66 ff

لكن أحد المحدثين يرى أنه اذا صح أن تلك الأحـداث قد وقعت عندئذ فى فلسطين ، فانها لم تكن من الخطورة بحيث ترغم ملكا يقود جيشا مؤلفا من ٥٠٫٠٠٠ جندى على وقف حملة كبيرة ناجحة قبل أن يقطف ثمارها الدانية . وعند هذا المؤرخ أن السبب الحقيقى لانسحاب أنطيوخوس من مصر كان رغبته فى القيام بحملته الشرقية الكبرى التى كان يستعد لها منذ أمد طويل (١) .

وهذا تعليل غير مقبول ، لأن أنطيوخوس لم يقم عندئذ بتلك الحملة عقب غزوة مصر الأولى ، ولأنه كان فى وسع أنطيوخوس ارجاء هـذه الرغبة حتى يستولى على الاسكندرية ، لو أن الظروف كانت مواتية ولم ترغمه على الانسحاب عوامل قوية .

وما كاد أنطيوخوس ينسحب من مصر حتى اتفق فيلومتور وكليوبترة الثانية وبطلميوس الصغير على أن يحكموا مصر سويا ، وانتقل فيلومتور من منف الى الاسكندرية (٢) . ونعرف الآن من بردية ديموتيقية ترجع الى ١٨ من سبتمبر عام ١٧٠ أنه فى ذلك التاريخ كان يحكم مصر سويا الأخوة فيلومتور وكليوبترة الثانية وبطلميوس الصغير (٣) .

وتحدثنا بردية اغريقية مؤرخة فى ١٢ من نوفمبر عام ١٧٠ بأن ذلك العام كان العام الأول من حكم أولئك الملوك الثلاثة (٤) . ومعنى ذلك أنه قبل ١٨ من سبتمبر عام ١٧٠ كان أنطيوخوس قد غزا مصر وانسحب منها واتفق الأخوة الثلاثة على أن يحكموا مصر سويا .

انطيوخوس يغزو مصر ثانية :

ولما كانت الأسباب التى أرغمت أنطيوخوس على الانسحـاب من مصر قد زالت ، وكانت الآمال التى عقدها على المنافسة بـين فيلومتور وبطلميوس الصغير قد خابت ، فانه فى ربيع عام ١٦٨ زحـف على مصر

---

(1) Swain, p. 84

(2) Polyb,, XXIX, 23, 4; Liv., XLV, 11, 2-7.

(3) H. Thompson, A Family Archive from Siut, no. 22, pp. 49-51.

(4) Turner, A Ptol. Vineyard Lease, Bull. John Rylands Library, 31, no. 1, 1948, pp. 1-16; Gr. and Lat. Pap. in the John Rylands Library, IV, 1952, no. 583, pp. 38-45; Cf. Skeat, p. 33, 10; Bickerman, Chron. de la Six. Guerre de Syrie, Chron. d'Eg., 1952, pp. 396-403.

وأرسل أسطولا للاستيلاء على قبرص • وما كاد الأخوان يعرفان أن أنطيوخوس صمم على غزو مصر ثانية حتى أنفذا فى شتاء عام ١٦٩ بعثة تنشد دون طائل مساعدة من سيقوون والعصبة الآخية (١) • وازاء فشل هذا المسعى التجأ الأخوان الى روما (٢) ، اذ بدا أن كل شىء كان ينذر بأن مصر ستغلب على أمرها ، ولا سيما أن بطلميوس ماقرون (Macron) حاكم قبرص ، بعد مقاومة ضعيفة ، سمح لقوات أنطيوخوس بدخول هذه الجزيرة (٣) ، وكانت مفتاح مصر الشمالى • وحين كان أنطيوخوس فى طريقه الى بلوزيون ، التقى بالسفراء الذين أوفدهم اليه فيلومتور لشكره على استعادته عرشه بفضله ، والاستفسار عما يطلبه لقاء خدماته بدلا من فرض ذلك بالقوة • فأجاب أنطيوخوس بأنه لن يسحب أسطوله أو جيشه الا اذا أعطى قبرص وبلوزيون والاقليم المجاور لفرع النيل البلوزى ، وحدد مهلة للاستجابة الى طلباته فى خلالها (٤) • ولما لم يكن فى وسع الاسكندرية الاستجابة الى مثل هذه المطالب ، فان جيش أنطيوخوس زحف للمرة الثانية من الحدود الى منف ومنها الى الاسكندرية • وتحدثنا المصادر القديمة بأنه فى أثناء هذه الحملة وكذلك فى الحملة السابقة ارتكب الغزاة الكثير من أعمال السلب والنهب والتخريب (٥) •

روما ترغم انطيوخوس على الانسحاب :

وحين استصرخت مصر روما ، قرر السناتو ايفاد بعثة تتألف من جايوس بوبيليوس لايناس (Laenas) وجايوس دقيميوس (Decimius) وجايوس هو ستيليوس (٦) لتنهى الى أنطيوخوس والأخوين أن

(1) Polyb., XXIX, 23-25 ; Liv., XLV, 11, 8-9.

(2) Liv., XLIV, 19, 6-14.

(3) II Macc., 10, 12-13.

(4) Liv., XLV, 11, 10-11; II Macc., loc. cit.

(5) Cf. P. Tebt. 698; 781; Prophyr., Frag. 49 a ; Polyb., XXX, 26, 9 ; Hieronym., In Dan. XI, 26; I Macc., 1, 17-29; Cf. Henne, Rev. Etud. Anc., 1935, pp. 443 ff.

(٦) يحدثنا ليفيوس (Liv., XLIV, 19) بأن هذا القرار كان استجابة لبعثة انفذها الى روما بطلميوس الصغير وكليوبترة حين كان انطيوخوس يحاصر الاسكندرية فى اثناء حملته الأولى على مصر . لكنه يبدو ان الأمر اختلط على ليفيوس . اذ انه لا يعقل ان تبقى تلك البعثة فى روما من عام

الاستمرار فى الحرب سيفضى الى الاشتباك مع روما (١) . ولما كانت روما لا تعتزم الاشتباك فى مخاطرة جديدة قبل الفراغ من « الحرب المقدونية الثالثة » ، فان البعثة الرومانية تمهلت فى الوصول الى مصر حتى أتاها نبأ انتهاء تلك الحرب . وفى ضاحية أليوسيس (Eleusis) خارج أسوار العاصمة ، حدثت المقابلة المشهورة بين أنطيوخوس وجايوس بوبيليوس لايناس السفير الرومانى . ولما كانت روما قد خرجت منتصرة من « الحرب المقدونية الثالثة » منذ برهة وجيزة (٢٢ من يونية عام ١٦٨) ، فانه أصبح فى وسعها أن تتفرغ لأنطيوخوس وتملى عليه ارادتها . وعندما ذهب السفراء الرومان لمقابلة أنطيوخوس حياهم الملك ومد يده لمصافحة بوبيليوس ، لكن هذا السفير بدلا من أن يضع يده فى يد الملك وضع الرسالة التى حوت قرار السناتو وطلب اليه أن يقرأها قبل كل شىء ، فاطلع عليها الملك وأبلغه بأنه سيتدبر الأمر مع رفاقه . فلم يكن من السفير الرومانى ، وكان يمسك عصا قدت من غصن كرمه ، الا أنه خط بهذه العصا دائرة حول موطىء قدمى أنطيوخوس ، وطلب اليه أن يفصح عما يريد قبل أن يخطو خارج تلك الدائرة . فأخذ الملك بهذا المسلك الغريب الجرىء ، وتردد لحظة ، ثم أعلن أنه سيلبى طلب الرومان . وعندئذ هز بوبيليوس ورفيقاه يد الملك وحيوه تحية ودية . وقد كانت رسالة السناتو تنطوى على أمر أنطيوخوس بالانسحاب من مصر وقبرص ، وصدع أنطيوخوس للأمر وانسحب من مصر فوراء وبعد أن استحث بوبيليوس فيلومتور وأخاه الصغير على استمرار الوفاق بينهما وأمرهما بارسال بولواراتوس (Polyaratos) الى روما ، أبحر الى قبرص لطرد قوات أنطيوخوس منها (٢) .

وقد أقدمت روما على اتخاذ هذا الاجراء ازاء أنطيوخوس لأنه لم يكن فى وسعها السماح لامبراطورية السلوقيين بالاتساع بحيث تضم

---

١٧٠ حتى عام ١٦٨ ، ولا سيما بعد انسحاب انطيوخوس من مصر قبل خريف عام ١٧٠ .

(1) Justin., XXXIV, 2, 7-8; Otto, pp. 60 ff.

(2) Polyb., XXIX, 27; XXX, 9, 1; Diod., XXXI, 2; Livius, XLV, 11, 10; 12, 3-8; Val. Max., VI, 4, 3.

مصر بين جوانحها ، فقد كان ذلك الاتساع يهدد مركز روما فى شرق البحر المتوسط ، ويقضى على سياسة توازن القوى التى كانت روما قد اتبعتها هناك . وفى الواقع لم تقض روما على أنطيوخوس الثالث لكى تسمح الآن لابنه بالاستيلاء على دولة البطالمة ، ولذلك فانه يتضح جليا أن روما لم تنقذ مصر حبا فى هذه الحليفة ، وانما اشفاقا على نفسها من قوة أنطيوخوس (١) .

وأما أنطيوخوس ، وقد أضاع فرصة مساعدة مقدونيا على قهر روما فى الوقت المناسب ، فانه لم يسعه الا أن يحتمل الاهانة ويذعن صاغرا لأوامر روما ، لأنه كان من الحمق أن يشتبك مع روما بعد انتصارها فى مقدونيا وقبل استطاعته ضم مصر اليه (٢) .

ويبدو أن هذه اللطمة العنيفة قد أذهلت أنطيوخوس الى حد أنه استباح ما تبقى له من كرامة ، فقد أرسل بعثة الى روما لابلاغها بأنه أطاع أوامر سفرائها كما لو كانت صادرة من الآلهة ، وبأنه كان يرحب بمساعدتها على قهر مقدونيا لو أنها طلبت اليه ذلك . ويحدثنا ليفيوس (٣) بأن هذه البعثة التقت فى روما بالبعثة التى أرسلها ملوك مصر للاعراب عن شكرهم على الخدمة التى أسدتها اليهم (٤) . وينوه بوشيه لكلارك (٥) بالفارق بين خلق كل من أنطيوخوس وفيلومتور ، اذ أنه بينما أطاع الأول أوامر روما ثم شفع ذلك بالتبرع بامتهان كرامته عند أعتابها ، نرى أن الثانى عندما أمره بوبيليوس بتسليم بولواراتوس الرودسى — وكان يناصر مقدونيا ومحتميا فى مصر — لم يذعن لهذا الطلب واكتفى باعادة بولواراتوس الى وطنه (٦) .

هدف أنطيوخوس من محاولة فتح مصر :

ويذكر الكتاب الأول من تاريخ المكابيين أن أنطيوخوس الرابع كان

---

(1) Bouché-Leclercq, II, pp. 25-7; Bevan, pp. 285-6; C. A. H., VIII, pp. 506-7; Jouguet, Nat. Eg., pp. 144 ff.

(2) Rostovtzeff, S. and E., P. 67.

(3) Liv., XLV, 13, 1-6.

(4) Polyb, XXX, 16.

(5) Bouché-Leclercq, II, p. 27, fn. 1.

(6) Polyb., XXX, 9, 1-3.

يريد الاستيلاء على مصر لضمها الى مملكته (١) • لكن بوشيه لكلرك يستبعـد ذلك لأن الرومان كانوا لا يسمحـون به ، ويرى أن هـدف أنطيوخوس كان وضع مصر تحت حمايته ، واستنزاف مواردها ، والقيام بدور الوصى على ملكها الصبى وحكمها باسمه ، وتصفيـة الخـلافات القائمـة بين أسرتى البطالمة والسلوقيين ، ولا سيما فيما يخص جـوف سوريا لصالحه (٢) •

ونحن نرى أنه اذا كانت روما لا توافق على ضـم مصر الى الدولة السلوقية ، فانها كانت لا توافق أيضا على وضـعها تحت حمـاية تلك الدولة ولا على وضع فيلومتور تحت وصاية أنطيوخـوس • واذا كان أنطيوخوس لم يستهدف الاستيلاء على مصر وضمها الى مملكته فبـم نفسر أنه غزاها مرتين وتوج نفسه فرعونا فى منف ، وسك عملة جديدة فى مصر وفى قبرص تحمل اسمه وصورته (٣) ؟

ويجب أن نلاحظ أولا أنه فى أثناء الحملتين اللتين قادهما أنطيوخوس ضد مصر كان الرومان مشتبكين فى الحرب المقدونية الثالثة ، وكان من الجائز أن يخرجوا منها مقهورين • وثانيا أنه فى أثناء الحرب المقدونيـة الثالثة عرضت مقدونيا على أنطيوخوس محالفتها (٤) ، لـكنه رفض التورط فى مثل هذه المحالفة ، ولعله كان يتوقع جزاء هـذا الوفاء لروما أن تغض الطرف عن استيلائه على مصر ، ولا سيما أنه كان يأمل فى أن يحقق ذلك ويواجهها بالأمر الواقع قبل فراغها من الحـرب المقدونيـة الثالثـة • ولولا الاضطرابات التى وقعت فى فلسطـين واضـطرته الى الانسحاب من مصر فى عام ١٧٠ والبقاء بعيدا عنها حتى عام ١٦٨ لتحقق له ما يريد •

ولابد من أن تكون روما قد رحبت بوجود ملكين على عرش دولة البطالمة ، اذ أن ذلك كان نذيرا بوقوع منازعات بينهما تقطع أوصال هذه الدولة • وقد تجنبت دولة البطالمة حتى وفاة أبيفانس هـذا الداء الذى

(1) I Macc., 1, 17.
(2) Bouché-Leclercq, II, pp. 15-16.
(3) Svoronos, 232-4; Stuart Poole, p. 80.
(4) Liv., XLIV, 24.

كان شائعا فى الممالك الشرقية ، وأضنى الامبراطورية السلوقيــة منــذ القرن الثالث . وسنرى الآن أن هذا الداء سيحالف الثورات القوميــة طوال القرن الثانى ، ويتكاتف معها فى القضاء على سطوة الدولة البطلمية ونضوب معين البلاد . ولم تستفد الا روما من تلك المنازعات الأسرية ، التى لعبت فيها الأمــيرات دورا كبــيرا . ولو أن فيلومتور اقتفى أثــر فيلادلفوس وفيلو باتور (١) وقتل أخاه ، لاستبقى وحدة أسرته مــدة أطول من ذلك ، لكن فيلومتور ، فى رأى معاصره المؤرخ بوليبيوس (٢) وكذلك فى رأى مؤرخين كثيرين ، كان يتمتع بأخلاق كريمــة لم ينعــم بمثلها أحد غيره من أفراد أسرة البطالمة . وقد محت شجاعته فى ميادين القتال ذكرى هروبه الى ساموتراقيا ، الذى لم يوح به ضعفه الشخصى ، وانما دفعته اليه على الأصح نصيحة وصى باطل . وأما الأخ « بطلميوس الصغير » ، الذى اتخذ فيما بعد لقب الاله يورجتيس أى الخير ، فانه كان يتمتع بهبات الملك ، لكنه كان عنيفا دمويا لم يعرف وخز الضمير ، ولم يكن حكمه سوى سلسلة من الجرائم التى أعطاها أحيانا مسحة من رقة الأديب المتهتك . وقد أصبح شكله قبيحا بمرور الزمن ، فقد صور لنــا ثقيل الوزن من الشحم وتلك البــدانة ، التى كانت منــذ فيــلادلفوس وماجاس أحد عيوب أسرة البطالمــة . واذا كان فى عــام ١٦٨ لا يزال صغيرا ، وصاحب المكانة الأولى فى قلوب الاسكندريين ، فانه أصــبح فيما بعــد فى نظرهم « فوسقون » (Physcon) أى البطين ، وقاقرجتيس (Kakergetes) أى « الشرير » (٣) .

ثورة ديونوسيوس بتوسرابيس :

وقد اشــترك فى الملك نحوا من خمســة أعــوام ثلاثة ملوك هم : الأخوان ، والملكة كليوبترة الثانية زوجة أكبرهما وشقيقة الاثنين ، وحمل الثلاثة سويا لقب « الآلهة فيلومتورس » . ولم تتصف هــذه الفــترة

---

(١) أعدم فيلادلفوس اخوين له لتآمرهما مع نائبه فى قورينائية، وأعدم فيلوباتور أمه وعمه وأخاه ليصفو له الجو .

(2) Polyb., XXXIX, 7, 3.

(3) Strabo, XVII, 11; Athen., XII, 549 d ; Joseph., Ant. Jud., XII, 235; Bevan, p. 288; Bouché-Leclercq, II, pp. 27-8 ; Jouguet, Nat. Eg., p. 145.

بالهدوء والسكينة ، ذلك أنه حوالى عام ١٦٥/١٦٤ أزعج الملوك الثلاثة ثورة أشعل لهيبها ديونوسيوس بتوسرابيس (Dionysios Petoserapis) (١) وكان مصريا من أفراد الحاشية الملكية يشتهر بشجاعته . وقد تظاهر ديونوسيوس بتأييد بطلميوس الصغير ، لكنه فى الحقيقة عزم على التخلص من الأخ الأكبر باستغلال محبة الاصغر فى الاسكندرية ، ثم على التخلص من الأصغر باستنفار وطنية المصريين ضده . وتبعا لذلك ادعى أن الأكبر حرض على قتل أخيه ، ونشر بين عامة الاسكندريين شائعة فحواها أن مؤامرة دبرت لاغتيال بطلميوس الصغير ، فتجمعت الجماهير فى مضمار السباق ، ووصل هيجانها الى حد أنها قررت قتل الأخ الأكبر ليستقل الأصغر بالملك . وبلغ خبر الفتنة الى القصر ، فاستدعى أكبر الملكين أخاه ، ودافع عن نفسه وهو يذرف الدمع ، ورجاه ألا يصدق الشخص الذى كان يزدرى شبابهما ، ويريد اغتصاب الملك لنفسه ، وطلب اليه أن يستولى على الملك والسلطة بمفرده ، اذا كانت لا تزال فى نفسه الحائرة بقية من الخوف . وهكذا أزال الأخ الأكبر مخاوف أخيه ، واتخذ كلاهما شارات الملك ، وظهرا أمام الجماهير ليثبتا على هذا النحو ما بينهما من وئام ووفاق .

وعندما فشل ديونوسيوس فيما دبره ، أخذ يستحث الجنود المصريين على الاشتراك فى الثورة ثم انسحب الى ضاحية اليوسيس حيث جمع حوالى ٤٠٠٠ منهم ، لكن فيلومتور زحف ضدهم وأنزل بهم هزيمة بددت شملهم . غير أن ديونوسيوس أفلت سابحا عبر النيل واحتمى لدى المصريين ، وبسبب مكانته بينهم أفلح فى استثارة الجماهير ، وسرعان ما تجمع حوله عدد كبير من الأتباع (٢) . ولما كانت تلك الشذرة من كتاب ديودوروس تنتهى عند هذا الحد ، فاننا لا نعرف مصير ديونوسيوس وأعوانه ، لكن شذرة أخرى من هذا الكتاب تحدثنا عن « ثورة جديدة فى اقليم طيبة » ، قد تكون متصلة بالثورة التى بدأها ديونوسيوس وعلى كل حال فان فيلومتور قمع ذلك الاقليم بسهولة فيما عدا مدينة بانوبوليس (اخميم) الحصينة التى تجمع فيها أنشط عناصر الثوار ، اذ

(1) Jouguet, Nat. Eg., pp. 145-8; Rostovtzeff; Soc. and Ec., p. 719.
(2) Diod., XXXI, 15 a ; P. Amb., 30 = Chrest., no. 9.

أنها لم تخضع الا بعد حصار شاق (١) ، ثم عاد فيلومتور مظفرا الى الاسكندرية (٢) .

بطلميوس الصغير يثير الاسكندريين ضد اخيه :

واذا كان بطلميوس الصغير بريئا من الاسهام فى الاضطراب الذى أثاره ديونوسيوس ، فانه لم يلبث أن أثار الاسكندريين ضد أخيه الى حد أنهم أرغموه على الفرار من الاسكندرية فى أواخر عام ١٦٤ (٣) . وهكذا انتهت فترة الحكم المشترك ، وولى فيلومتور وجهه الى روما ، وكانت ملاذ الملوك المخلوعين . ويحدثنا ديودوروس (٤) بأن فيلومتور ذهب الى روما سيرا على الأقدام من الميناء الذى نزل فيه ، مرتديا ملابس مسافر عادى ، ولا يتبعه الا خصى واحد وثلاثة عبيد .

وعندما ذهب للقائه على بعد عشرين ميلا من روما دمتريوس بن سلوقس (وقد مر بنا أنه كان رهينة فى روما) وعرض عليه ملابس ملكية وفرسا مطهمة رفض ذلك (٥) ، وذهب للاقامة فى مسكن حقير عند رسام كان قد عرفه فى الاسكندرية . ولا شك فى أن هذا التواضع قد صادف هوى من أعضاء السناتو ، فأحسنوا وفادة فيلومتور . لكنهم وقد وجدوا فى هذا النزاع فرصة مواتية لتنفيذ سياسة روما الأنانية ، سياسة فرق تسد ، بتقسيمهم دولة البطالمة ذاتها بدلا من مجرد تقسيم السلطة الملكية ، لم يفصحوا له عن نواياهم وانما يبدو أنهم نصحوه بالذهاب الى قبرص وانتظار ما تسفر عنه جهود البعثة التى قرروا ارسالها الى الاسكندرية

(1) Diod., XXX, 17 b.
(2) Bouché-Leclercq, II, pp. 28-30; Jouguet, Nat. Eg., p. 143; Bevan, pp. 289-90.
(3) Liv., Epit., XLVI; Val. Max., V, 1; Otto, p. 92.
(4) Diod., XXXI, 18.

(٥) اراد فيلومتور بذلك أن يستدر عطف السناتو وان يبدو كأنه لم يأت الى روما بوصفه ملكا وانما بوصفه صاحب مظلمة عادى ، لأنه لو كان قد قبل ما عرضه عليه دمتريوس وظهر فى روما فى مظهر الملوك لكان فى ذلك مخالفة لقرار سبق ان أصدره السناتو بعدم السماح لأى ملك بزيارة روما (Polyb., XXX, 19, 6; Liv., Epit., XLVI) . وعلى كل حال فان فيلومتور كان أكرم على نفسه من بروسياس ملك بيثونيا ، وهو الذى عندما زار روما فى عام ١٦٧ تزيا بزى عبد معتق ولم يتورع عن اذلال نفسه بشكل مشين ليكسب رضاء روما .
(Polyb., XXX, 18; Liv. XLV, 44, 19-20; Diod., XX, 1-15).

لحل المشكلة • ويبدو أن التعليمات التى أعطيت للبعثة لم تكن تقضى حتما بأن يكون الحل على أساس التقسيم وانما وفقا للظروف التى تصادفها هناك ، أذ أنه لم يكن ثمة ما يقتضى روما استخدام القوة فى حل هذه المشكلة • ولم يدم انتظار فيلومتور فى قبرص طويلا ، ذلك أن الاسكندريين وقد خبروا حكم بطلميوس الصغير وحده بضعة شهور ، ضاقوا ذرعا بطغيانه وحبه لسفك الدماء ، فتحولت محبتهم له الى كراهية شديدة ، واستدعوا فيلومتور من قبرص بين أول أبريل و ٢٩ من مايو سنة ١٦٣ (١) •

روما تتدخل لتقسم الدولة بين الاخوين :

وعندئذ تدخلت البعثة الرومانية لا لمساعدة فيلومتور وانما لمنعه من جنى ثمار انتصاره كاملة ولحماية بطلميوس الصغير • وينهض دليلا على ذلك أن البعثة أفضت الى السناتو فيما بعد أن بطلميوس الصغير يدين لها بقورينائية بل بحياته ، اذ بلغ اذ ذاك عداء الشعب وكراهيته له أقصى حد ، وبأنه لم يتوقع ولم يطلب أن يمنح عرش قورينائية ، ولذلك فانه عندما منحه تهلل وجهه وتبادل القسم مع أخيه على احترام هذا الاتفاق(٢) • فقد عقد اتفاق بين الأخوين فى عام ١٦٣ تقرر بمقتضاه تقسيم المملكة بينهما بحيث تكون مصر وقبرص نصيب فيلومتور ، وقورينائية نصيب بطلميوس الصغير (٣) • وهكذا تحت ستار التوفيق بين الأخوين ، أفضت سياسة روما الى تفكيك عرى دولة البطالمة ونسخ نتائج أعمال البطالمة الأوائل (٤) •

بطلميوس الصغير يستصرخ روما ليحصل على قبرص :

ولم يكن فيلومتور يرجو أكثر من أن يحكم فى هدوء • ولتسكين خواطر الشعب أصدر فى ٢٧ من أغسطس عام ١٦٣ قرارا بالعفو عن كل الجرائم التى ارتكبت منذ ارتقائه العرش حتى هذا التاريخ (٥) • بيد أن

---

(1) Diod., XXXI, 17 c; Skeat, p. 34.
(2) Polyb., XXXI, 10, 4-5.
(3) Wilcken, U.P.Z. I, p. 180; Cf. Liv., Epit., XLVII.
(4) Bevan, p. 291; Jouguet, Nat. Eg., pp. 148-50 ; C.A.H. VIII, p. 281; Bouché-Leclercq, II, pp. 30-3.
(5) Brunet de Presle, Notices et Extraits des manuscrits grecs de la Bibl. Imp., Paris, 1865, no. 63; Strack, p. 197.

أطماع أخيه فى الحصول على قبرص لم تنقطع عن اقلاق باله منذ عام ١٥٤ •
ولو أن روما كانت مستعدة لاحترام اتفاقية عام ١٦٣ ، التى أمرت هى بها، مثل استعداد فيلومتور لاحترامها ، لما كان هناك مجال لهذه المتاعب • غير أن الرومان لم يقصدوا بتلك الاتفاقية الا استمرار النزاع ، فتسنح الفرصة أو الفرص لتدخل روما ، وقيامها فى مصر بدور الحكم الذى كانت تقوم به فى غير ذلك من أنحاء العالم الاغريقى ، وذلك بفضل سياستها التى أحبكت مناوراتها • وفى عام ١٦٢ حج بطلميوس الصغير الى روما يطالب بضم قبرص الى قورينائة ، وبرغم دفاع رسول فيلومتور ، فان روما ، لتضعف مصر وتستجيب كعادتها الى طلب المستجير بها ، قررت ضم قبرص الى قورينائة ، وعهدت الى اثنين من أعضاء السناتو بالتوفيق بين الأخوين واقامة بطلميوس الصغير ملكا على قبرص دون استخدام القوة (١) • ويبدو أن السناتو لم يمل الى استخدام القوة لتنفيذ هذا القرار أملا فى اذعان فيلومتور وديا ، غير أن فيلومتور أحسن استقبال البعثة الرومانية واستبقاها فى ضيافته وقتا طويلا الا أنه تمسك باتفاقية عام ١٦٣ • وفى تلك الأثناء كان بطلميوس الصغير قد وصل الى أبيس ، غربى مرسى مطروح ، ومعه قوة تتألف من حوالى ٢٠٠٠ جندى استأجرهم فى كريت ، وحين كان ينتظر نتيجة مسعى البعثة الرومانية لدى أخيه تألبت عليه قورينائة فى ثورة جامحة ، فبدلا من أن يضم قبرص شغل باستعادة مملكته فى قورينائة (٢) • وهكذا استبقى فيلومتور قبرص ، لكنه فقد عطف روما ، بدليل أنها قررت ابلاغه بأنه لم يعد حليف الشعب الرومانى (٣) • ولا نعرف مجرى الحوادث فى خلال السنوات الثمانى التى أعقبت ذلك ، وان كان من المحتمل أن الشقاق بين الأخوين لم ينقطع • وفى عام ١٥٦/١٥٥ أوشكت قبرص أن تقع فى قبضة دمتريوس الأول وهو الذى عرفنا أنه كان رهينة فى روما لكنه فر منها وأصبح ملك سوريا فى عام ١٦٢ ، اذ أن أرخياس (Archias) حاكم قبرص البطلمى اتفق على تسليمها الى دمتريوس ، لكن فيلومتور تحرك فى الوقت المناسب فلم يسع أرخياس

(1) Polyb., XXXI, 10.
(2) Polyb., XXXI, 17-19.
(3) Polyb., XXXI, 20; Diod. XXXI, 23.

الا أن ينتحر (١) • واذا كان هذا الحادث قد أثار يقظة فيلومتور ، فانه أيضا حرك أطماع بطلميوس الصغير ، فحج ثانية الى روما فى عام ١٥٤ ، واتهم أخاه بمحاولة اغتياله • وعبثا حاول سفيرا فيلومتور تفنيد هذه التهمة الباطلة ، اذ أن السناتو رفض الاستماع الى دفاعهما وأمرهما بمغادرة روما فورا وقبل مزاعم بطلميوس الصغير ، وعهد الى لجنة خماسية من أعضائه — على رأسها جنايوس مرولا ولوقيوس ثرموس — بمرافقة بطلميوس الصغير واقامته ملكا على قبرص ، وأذن لحلفاء روما فى شرق البحر المتوسط بمساعدة ملك قورينائة فى فتح قبرص (٢) •

ويمكننا أن نفهم بجلاء سر تعجل السناتو فى تصديق مزاعم بطلميوس الصغير من نقش على نصب من المرمر عثر عليه حديثا فى قورينى• ذلك أن هذا النقش عبارة عن وصية لبطلميوس الصغير يرجع تاريخها الى عام ١٥٥ ، أى قبل رحيله الى روما للمرة الثانية • ويتحدث الملك فى النقش عن « المؤامرة الفاحشة » التى كان مقررا أن يذهب ضحيتها ، ويوصى ، اذا لم يعقبه وارث ذكر ، بقورينائة للرومان « الذين لم يكف عن الاحتفاظ بصداقتهم ومحالفتهم » ، ويضعها بين أيديهم كما لو كانت فى حرز أمين • وشهود هذه الوصية الغريبة ، التى يصعب ادخال نصوصها فى نطاق النظم القانونية المعروفة ، هم الاله الرومانى الأكبر « يوبيتر قابيتولينوس (Jupiter Capitolinus) والآلهة العظمى وهليوس وأبولو مؤسس قورينى » (٣) • وهكذا ضرب بطلميوس الصغير مثلا احتذى حذوه فى عام ١٣٣ أتالوس الثالث ملك برجام ، وفى عام ٩٦ بطلميوس أبيون (Apion) صاحب قورينائة (٤) ، وفى عام ٧٥/٧٤ نيقومدس الرابع ملك بيثونيا •

---

(1) Polyb., XXXIII, 5.

(2) Polyb., XXXIII, 11 ; Bouché-Leclercq, II, pp. 34-42; Bevan, pp. 299-300; Jouguet, Nat. Eg., pp. 150-1.

(3) S.E.G., IX, no. 7; Cf. Wilcken, S.B. Akad. Berlin, 1932, pp. 317-336; Préaux, Chron., 1933, pp. 154-8.

(4) Liv., Epit., LXX; Cf. Justin. XXXIX, 5, 2; Appian., B. Civ. I, 111; Mithrid., 121; Bouché-Lecercq, II, pp. 108-9; Jouguet, Nat., Eg. p. 151 ; Tod, Greece and Rome II, pp. 47 ff; Otto, op. cit., pp. 97 ff.

فيلومتور يهزم أخاه الصغير فى قبرص :

وقد حدث أن حلفاء روما فى شرق البحر المتوسط لم يتحركوا لتأييد أطماع بطلميوس الصغير ، وأن أهل قبرص لم يعطفوا على طاغية قورينائة تابع روما ، بل أن روما نفسها لم تقدم له مساعدة فعالة ، فى حين أن فيلومتور استطاع تنظيم الدفاع عن قبرص ، ولذلك اضطر بطلميوس الصغير الى الاعتماد على موارده فقط . وعندما نزل الى قبرص بادره فيلومتور بضربات خاطفة واضطره الى التسليم ، لكنه كان كريما اذ أنه عفا عنه وسمح له بالعودة الى قورينائة وأغدق عليه الكثير من الهدايا ووعده بتزويج ابنته (عام ١٥٤) (١) . وكان هذا الزواج يتيح الفرصة لابطال نتائج الوصية المشئومة ، دون ايجاد سبيل لروما للاحتجاج على ذلك . وكيف كانت روما تنوى التصرف ازاء ذلك ؟ لقد كانت فكرة ارسال حملة ضد فيلومتور من العسير تنفيذها ، بسبب ثورة لوسيتانيا **(Lusitania)** وقلتيبريا (Celtiberia) على روما ، والحرب البونية الثالثة التى كانت وشيكة الوقوع ، وبوادر الحرب مع الآخيين . ويضاف الى ذلك أنه لم يكن لبطلميوس الصغير أصدقاء فقط فى السناتو ، بل كان له فيه أيضا أعداء شديدو المراس مثل مارقوس بورقيوس قاتو **(M. Porcius Cato)** . وازاء مشاغل روما الخارجية الكثيرة ، نجح قاتو فى اقناع السناتو بعدم اتخاذ أى اجراء ضد فيلومتور ، فقد دافع عن الملك « الممتاز المحسن الكريم » ، وهاجم بعنف أصدقاء ملك قورينائة وبخاصة ثرموس (عام ١٥٣) (٢). وهكذا تمت الغلبة لفيلومتور ، ولم يعد أخوه يطالبه بقبرص ثانية .

وازاء ماعرفناه من تصرفات فيلومتور الكريمة ، وما وصفه به بوليبيوس من الرقة والطيبة (٣) ، نعتقد أن بوشيه لكلرك (٤) على حق فى أن بطلميوس السادس كان ذلك « الملك بطلميوس » الذى وصفه أحد النقوش بأنه رجل فاضل صالح يفوق الرجال جميعا فى رقة حاشيته وأهدى رفاقه الذين حاربوا معه فى قبرص تاجا من الذهب باسمه فى معبد

(1) Polyb., XXXIX, 7,6; Diod., XXXI, 33.
(2) Gellius, XVIII, 9, 1; XX, 11 ; Priscianus, III, 601, 603 ; Bouché-Leclercq, II, pp. 44-5 ; Bevan, pp. 300-1; Jouguet, Nat. Eg., pp. 151-2.
(3) XXXIX, 7, 3.
(4) Bouché-Leclercq. II, p. 44.

ديلوس (١) •

فيلومتور يشرك معه ابنه الأكبر يوباتور :

وفى عام ١٥٣/١٥٢ أشرك فيلومتور معه فى الملك ابنه الأكبر يوباتور (Eupator)وهو الذى يبدو أنه كان يقيم فى قبرص بوصفه نائب الملك هناك ، لكنه لم يلبث أن توفى فى شرخ الشباب (حوالى عام ١٥٠) (٢) ، ومع ذلك فان اسمه مثبت فى القوائم المتأخرة التى تحتوى على أسماء البطالمة المؤلهين الذين قرنوا مع الاسكندر فى العبادة الرسمية (٣) •

متاعب الدولة السلوقية :

ولم يلبث مجرى الحوادث فى سوريا أن أعطى فيلومتور فرصةالانتقام للاهانات التى لحقت به فى بداية حكمه ، اذ أن الدولة السلوقية ضعفت ضعفا شديدا منذ الوقت الذى كانت فيه جيوشها تهدد الاسكندرية • ومن اليسير أن نفسر كيف أن أنطيوخوس الرابع لم يحاول الافادة من العداء الذى استعر بين فيلومتور وبطلميوس الصغير ، فمن ناحية كانت روما لا يمكن أن تسمح له بذلك ، ومن ناحية أخرى كان هو نفسه منهمكا عندئذ فى اضطهاد اليهود ومحاربة البارثيين • وبيان ذلك أنه عند عودته من مصر ظن أنه كان فى وسعه الانتهاء من مشكلة اليهود بصبغهم عنوة بالصبغة الاغريقية ، وبالقضاء على نفوذ اليهود المتعصبين ولا سيما أنهم كانوا يمالئون أسرة البطالمة ، وباسناد مقاليد الأمور فى « يهوذا » الى دعاة الهلينية منهم • فألغى اقامة الطقوس الدينية اليهودية فى بيت المقدس، واستبدل الاله زيوس أولومبيوس (Zeus Olympios) بالاله « يهوه » فى معبده هناك ، وأقام مذبحا اغريقيا « وزر الأوزار » على المذبح المقدس فى فناء ذلك المعبد ، وحول معبد يهوه على جبل الطور (Gerizim) — وكان معبد السامريين — الى معبد للاله زيوس جزنيوس (Zeus Xenios) وحرم الختان ، والامتناع عن أكل لحم الخنزير • لكن سياسة أنطيوخوس التى كانت تستهدف جعل الحضارة الاغريقية رابطة للوحدة بين أجزاء

---

(1) B.C.H. XIII, 1889, pp. 230-232.

(2) Anth. Pal., VII, 24, 1 ; Otto, op. cit., p. 9, fn. 6; Bevan, pp. 292, 301.

(3) O.G.I. S. 125, 126, 157.

دولته المتنافرة صادفت مقاومة عنيفة من اليهود ، اذ أن الأعمال التى ارتكبها ضدهم أثارت ثائرة فريق كبير منهم بزعامة المكابيين متاتيا وأبنائه من أسرة هاسمونايوس (Hasmonaeos) . وحين كان أنطيوخوس يزحف شرقا ضد البارثيين ، هزم يهوذا المكابى (Judas Maccabaeos) جيشا ملكيا مما حدا بلوسياس (Lysias) ، وكان أنطيوخوس قد أقامه وصيا ليرعى شئون الدولة فى أثناء غيبته ، الى القيام بحملة استطلاعية فى « يهوذا » اقنعته بحكمة اتباع سياسة وسط أساسها : وقف اضطهاد القديسين ، والسماح لهم بالمعيشة فى بيت المقدس جنبا الى جنب دعاة الهلينية ، واعادة معبد بيت المقدس الى يهوه ، ولكن مع ابقاء منلاوس ، زعيم اليهود المتأغرقين ، كاهنا أكبر (عام ١٦٤) .

وفى العام التالى توفى أنطيوخوس فى أصفهان (جاباى Gabae) فخلفه ابنه الصبى أنطيوخوس الخامس . وعندئذ تنازع على السلطان الوصى لوسياس ورجل من حاشية الملك المتوفى يدعى فيليب ، كان الملك الراحل قد ائتمنه على ابنه وهو طريح فراش الموت ، لكن الغلبة كانت للوسياس ففر فيليب الى مصر . وفى خلال ذلك كانت الحرب مستعرة فى « يهوذا » بين دعاة الهلينية وحزب القديسين ، فاضطر لوسياس الى التدخل فيها (عام ١٦٢) ، لكنه بعد انتصاره عند « بيت زكريا » لم يمس حرية اليهود الدينية واكتفى بهدم القلعة ، التى أقامها القديسون لمجابهة المعقل الملكى ، وكان مأوى دعاة الهلينية . وبعد عزل منلاوس عين فى منصبه رجل آخر من دعاة الهلينية يدعى الياقيم (Alkimos) .

وقد صادفت هذه الفوضى هوى من روما لتصطاد كعادتها فى الماء العكر ، وكانت لا تزال محتفظة لديها بدمتريوس الابن الاكبر لسلوقس الرابع ، الذى استمع لمشورة بوليبيوس واجترأ على الهرب من روما فى عام ١٦٣ ، وجاء ليحكم سوريا برغم أنف الجمهورية الرومانية . اذ أنه سرعان ما أوعز بقتل أنطيوخوس الخامس واسترد فى عام ١٦٢ العرش الذى كان عمه أنطيوخوس الرابع (١٧٥ — ١٦٣) قد حرمه اياه ، وبذلك آل اليه ارثه بعد ثلاثة عشر عاما ، لكن روما عملت على مضايقته باعترافها باستقلال تيمارخوس ، حاكم ميديا الذى ثار عليه ، وكذلك باستقلال

اليهود ، وان كانت روما لم تعتزم تأييد أحد من هؤلاء الأصدقاء الجدد بقوة السلاح • وفى « يهوذا » خلع الياقيم لكن جيشا ملكيا أعاده الى منصبه ثانية • غير أن النزاع لم يلبث أن تجدد بين فريقى اليهود مما اضطر الحكومة السلوقية آخر الأمر الى ايفاد جيش بقيادة باكخيديس (Bacchides) الذى أحرز فى ابريل عام ١٦٠ انتصارا حاسما على يهوذا المكابى • ومع ذلك فان حرية اليهود الدينية احترمت ، الا أنه فى الوقت نفسه استبقى الياقيم فى منصبه •

وعندما فشل باكخيديس فى مطاردة الهسمونيين عبر الأردن فى عام ١٥٧/١٥٦ ، قرر التفاهم معهم والسماح ليوناثان (Jonathan) ، الذى غدا رأس هذه الأسرة منذ مقتل يهوذا فى عام ١٦٠ ، بالاقامة فى امارة اليهود (يهوذا) حيث أخذ نفوذه يزداد رويدا رويدا الى أن أصبحت هذه الامارة امارة مستقلة استقلالا فعليا تحت امرته بوصفه الكاهن الأكبر •

وكانت مصر فى خلال ذلك ترحب بكل الناقمين على ملك سوريا . فقد آوى اليها فيليب كما ذكرنا ، وآوى اليها أيضا فى عام ١٦٠ أونياس الرابع (Onias) ، وكان كاهنا أكبر قبل ياسون وزعم أنه ظلم باقامة الياقيم فى هذا المنصب ،فمنحه فيلومتور فى اقليم ليونتوبوليس (Leontopolis) أرضا ليقيم عليها معبدا يهوديا يكون « نموذجا صغيرا » لمعبد بيت المقدس (١) • وفى عام ١٥٥ رأينا كيف أن دمتريوس حاول الاستيلاء على قبرص ، لكنه أصبح غير محبوب بين رعاياه أو على الأقل فى عاصمته . فقد أخذوا عليه عزلته فى قصره وميله الى ادمان الشراب • وهناك خلقت برجام شخصا يطالب بعرش سوريا ، كان يدعى بالاس (Balas) لكنه اتخذ اسم الاسكندر ، وقيل انه كان ابن أنطيوخوس الرابع • وقد رحبت روما بهذا المناوىء لدمتريوس واعترفت به فى شتاء عام ١٥٣/١٥٢ ملكا شرعيا لسوريا ، وبادر فيلومتور الى التحالف معه •

فيلومتور يحاول الثأر لنفسه من السلوقيين :

ولا أدل على المكانة التى اكتسبتها أسرة هاسمونيوس من الشرقى

(1) Joseph., Ant. Jud., XIII, 62-71.

فى المداهنة بين دمتريوس وبالاس للتقرب الى يوناتان ، وهو الذى اكتسبه بالاس الى جانبه بصفة قاطعة بالمناداة به كاهنا أكبر فى بيت المقدس فى أكتوبر عام ١٥٢ • وقد أسهم فى انتصار بالاس على دمتريوس جيش بطلمى بقيادة جالايستيس (Galaestes) ولقى دمتريوس حتفه فى ميدان القتال(١) (صيف عام ١٥٠) ، وبذلك آل الى بالاس عرش الدولة السلوقية (سوريا وبابل) • وفى عكا (بطوليس) تزوج بالاس من كليوبترة ثيا (Thea) ابنة فيلومتور (عام ١٥٠ — ١٤٩) ، وظهر يوناتان فى حفل الزواج بالرداء القرمزى ، وكان رداء « الأصدقاء من المرتبة الأولى » ، ونصب قائدا وحاكم امارة اليهود ، فكان ذلك انتصارا لليهود المناهضين للهلينية بوجه عام وأسرة هاسمونايوس بوجه خاص (٢) •

وسرعان ما أثبت بالاس أنه لم يكن جديرا بالعرش الذى وقع فى قبضته ، فقد كان رجلا تافها انصرف الى العبث (٣) ، وترك تصريف شئون الدولة فى قبضة وزيره أمونيوس (Ammonios) • فلا عجب أن رأينا الدولة تنحل رويدا رويدا ، ورأينا مدنها الاغريقية تتصرف كما لو كانت دولا مستقلة • وفى ربيع عام ١٤٧ عرف أن دمتريوس بن دمتريوس الأول نزل فى شمال سوريا أو قيليقيا مع جيش من مرتزقة كريت على رأسه لاسثنيس (Lasthenes) ، غير أنه لما كان دمتريوس الصغير صبيا لا تزيد سنه على الرابعة عشرة ، فلابد من أن لاسثنيس هو الذى كان القائد الحقيقى لهذه الحملة • وحين كان بالاس يولى وجهه شطر الشمال للدفاع عن أنطاكية ضد الملك الشرعى ، انتصر يوناتان على أبولونيوس حاكم جوف سوريا ، وكان قد أعلن تأييده لدمتريوس الثانى ، واستولى يوناتان على يافا وأشدود (Azotos) وعسقلان • وعندما علم بالاس بما أصابه يوناتان من النجاح ، رفعه الى مرتبة « قريب الملك » وكانت أرفع مراتب الدولة ، ومنحه مدينة عكير (اكرون ، Ekron) ملكا خاصا له •

---

(1) Diod., XXXIII, 20; Joseph., Ant. Jud., XIII, 43-61.

(2) Justin., XXXV, 1-2; I Macc., 10, 49-66; Joseph., Ant. Jud. XIII, 45, 80-85 ; C.A.H. VIII, pp. 507-24; Bouché-Leclercq, II, pp. 46-9; Jouguet, Nat. Eg., pp. 152-4; Tarn, pp. 186 ff.

(3) Athen., V, 211.

وقد خف فيلومتور الى سوريا على رأس جيش وأسطول ، واستقبلته مدن فلسطين وفينيقيا استقبالا رائعا أزعج أنطاكية . وتختلف المصادر القديمة حول نوايا فيلومتور وغرضه من هذه الحملة ، فيذكر ديودوروس (١) أن نيته كانت فى الأصل مساعدة بالاس زوج ابنته ضد دمتريوس الثانى . ويروى الكتاب الأول من تاريخ المكابيين (٢) أن فيلومتور جاء بحجة مساعدة بالاس لكنه خانه وانضم الى دمتريوس . أما المؤرخ يوسف (٣) فيحدثنا بأن فيلومتور كان صادق الرغبة فى مساعدة بالاس لكنه أغضبه عدم معاقبة أمونيوس على تدبيره محاولة لاغتياله ، فانحاز الى جانب دمتريوس . وازاء ما نعرفه عن خلق فيلومتور يصعب علينا اتهامه بالخداع واختلاق المزاعم ونعتقد أنه جاء لمساعدة بالاس ، ولعله كان يأمل فى الفوز نظير ذلك بجوف سوريا . ويبدو أن حسن استقبال المدن السورية لفيلومتور أفزع أمونيوس وبالاس ، وكانا رجلين مخاطرين لا خلق ولا مبادىء لهما ، فتصورا أن فيلومتور على شاكلتهما وأنه قد ينتهز الفرصة ويستولى على سوريا كلها ولذلك دبرا اغتياله . وأما فيلومتور فانه ، بحكم ما فطر عليه من الطيبة ، لم يدر بخلده اشتراك بالاس فى هذا التدبير وعزاه الى أمونيوس وطلب الى بالاس تسليمه اليه . وعندما رفض بالاس هذا الطلب ، اعتبر فيلومتور ذلك دليلا على اشتراكه هو أيضا فى المؤامرة . ولذلك فانه عندما قتل الأنطاكيون أمونيوس لم ير فيلومتر فى ذلك ترضية كافية ونفض يده من محالفة بالاس ، وانضم الى جانب دمتريوس الثانى واعدا اياه بعرش سوريا وبابل ويد ابنته كليوبترة ثيا ، زوجة بالاس ، لقاء النزول لمصر عن جوف سوريا .

وعندما عرض أهل أنطاكية العرش على فيلومتور ، رفض أن يضم الدولة السلوقية الى مصر خشية الاشتباك مع روما بسبب ذلك ، وأقنع الأهالى بقبول دمتريوس الثانى ملكا . وفى تلك الأثناء كان بالاس قد هرب الى قيليقيا حيث جمع جيشا وزحف على شمال سوريا ، وهناك التقى بقوات فيلومتور ودمتريوس على ضفاف نهر أوينوباراس

(1) XXXII, 9 c.
(2) I Macc., 11. 1-18.
(3) Ant. Jud., XIII, 4.

(Oenoparas)• وقد هزم بالاس فى هـذه المعركة وفر للاحتماء عنـد أحد شيوخ العرب فى الاقليم المجاور ، وأصيب فيلومتور بجرح مميت فى ميدان القتال (صيف عام ١٤٥) (١) •

ويروى المؤرخ يوسف أن جواد فيلومتور ، وقد أخافته زمزمة فيل ، ألقاه على الأرض حيث أحاط به أعداؤه وأصابوه بطعناتهم ، وقضى أربعة أيام وهو فى النزع الأخير ، ولم يسترد وعيه فى اليوم الرابع الا « ليمتع نفسه برؤية رأس عدوه بالاس » ، وكان محتميا بين الأعـراب ، اذ أن الشيخ زبيل (Zabeil) أرسل هذه الغنيمة المروعة الى فيلومتـور (٢) • ولا شك فى أن الاغريق كانوا يحبون الانتقام ، لكنه يصعب علينا أن نصدق أن فيلومتور أحس ذلك الاحساس الوحشى ، الذى بدا طبيعيا للكاتب اليهودى • وقد سبق أن أشرنا الى ما كتبه بوليبيوس عن خلق فيلومتور من أنه « كان أكثر كافة الملوك الذين عاشوا قبله وداعة وطيبة • واليك دليلا بينا : ذلك أنه لم يقض بموت أحد من أصدقائه بسبب تهمة وجهت اليه • وأعتقد تماما أنه لم يمت بأمر منه أى اسكندرى » (٣) •

وقد كانت النتيجة المباشرة لوفاة فيلومتور أن دمتريوس اعتبر نزوله لمصر عن جوف سوريا كأنه لم يكن ، وأنه لم تعد تحت امرة مصر عندئذ قوات كافية ، اذ أن فيلومتور كان قد أخذ معه الى سوريا الجانب الأكبر من القوات البطلمية ، وانتهز دمتريوس فرصة مقتله وأرغم هذه القوات على الانضمام الى جيشه أو الانسحاب الى مصر كيفما اتفق (٤) •

ومن سخرية القدر أن عهد أكثر ملوك البطالمة وداعة وطيبة كان طامة كبرى على دولة البطالمة • ذلك أنه فى عهد فيلومتور نكبت دولة البطالمة

---

(1) C.A.H. VIII, pp. 524-5; Bouché-Leclercq, II, pp. 49-53; Bevan, pp. 304-5 ; Jouguet, Nat. Eg., pp. 154-5 ; Skeat, pp. 34-5, n. 13.

ويلاحظ انه وصلت الينا وثيقة من منطقة طيبة مؤرخة بعهد فيلومتور وترجع الى ١٥ من بؤونة سنة ١٤٥ (P. dem. Strassb., 21, Gebelen) لكنه لا يبعد انه كان قد توفى قبل ذلك اذ لا بد من انقضاء بضعة أسابيع لانتقال الأخبار من سوريا الى منطقة طيبة (Skeat, p. 34).

(2) Joseph., A. Jud., XIII, 117-118.

(ذكر الكتاب الأول للمكابيين XI, 17 — أن هذا الشيخ كان [illegible]

(3) Polyb., XXXIX, 7, 1-4.

(4) Cf. Joseph., Ant. Jud., XIII, 120 ; Bouché-Leclercq, II, p. 56 ; Bevan, p. 306.

بغزوتى أنطيوخوس الرابع ، مما أفضى الى بداية النزاع الأسرى فى دولة البطالمة ، والى اتاحة الفرصة أمام روما لتقوم بدور حامية مصر وكذلك بدور الفيصل فى النزاع الأسرى ، واستغلال ذلك لتحقيق أهدافها . وسنرى بعد قليل أن تبديد قوات مصر فى مغامرة فيلومتور السورية ترك أرملته كليوبترة الثانية وولى عهده الطفل أضعف من الوقوف فى وجه بطلميوس ملك قورينائة ، عميل روما وربيبها ، مما أفضى الى مآس هزت كيان الدولة وأسهمت الى حد كبير فى انحلالها وفى تغلغل النفوذ الرومانى فى مصر .

نيوس فيلوباتور سابع البطالمة :

ويبدو أن فيلومتور أنجب ابنين كان أكبرهما يوباتور (١) (Eupator) وقد عرفنا أنه أشرك مع أبيه فى الحكم منذ عام ١٥٣/١٥٢ الى حين وفاته فى عام ١٥٠ . وأما أصغرهما فيرجح أنه كان نيوس فيلوباتور (٢) (Neos Phitoator) ، ويدل نقش عثر عليه فى الفيوم (٣) على أنه أشرك مع أبيه فى الحكم قبل وفاة الأب بوقت قصير، اذ أن هذا النقش مؤرخ بهذه العبارة « ٢٨ من شهر أبيب فى العام ٣٦ الذى هو أيضا العام الأول » (= ٢١ من أغسطس عام ١٤٥) (٤) . واذا كنا نرتب على ذلك اعتبار نيوس فيلوباتور سابع البطالمة ، فانه يصعب أن نستخلص من هذا النقش أن فيلومتور كان لا يزال على قيد الحياة فى هذا التاريخ ، فقد عرفنا أنه توفى فى سوريا فى صيف عام ١٤٥ ، ومن الجائز أنه عند اعداد هذا النقش كان قد توفى لكن نبأ وفاته لم يكن قد وصل بعد الى الفيوم .

وعندما توفى فيلومتور ، ترك ابنه نيوس فيلوباتور تحت وصاية كليوبترة الثانية . ولم يكن هناك أمل فى بقاء هذا الطفل على عرش مصر ، اذ أن بطلميوس ملك قورينائة ، عمه وخاله فى الوقت نفسه ، كان

---

(١) راجع نقش قبرص (Strack, no. 101) وهو يحدثنا بأن الاله يوباتور ابن الملك بطلميوس والملكة كليوبترة الالهين فيلومتورس .

(2) Cf. P. Grenfell, 1, 25.

(3) Strack, Archiv, III, 127-8.

(4) Skeat, p. 35; Otto, p. 128.

يتطلع بفارغ الصبر الى الفرصة التى يستطيع فيها ارتقاء عرش مصر ، ولا سيما أنه كان له أشياع فى الاسكندرية وأصدقاء فى روما . وأمـا كليوبترة الثانية ، أرملة فيلومتور وشقيقته وشقيقة بطلميـوس ملك قورينائية ، فانها كانت فيما يبدو تعتمد على تأييد ارستقراطيةالاسكندرية، وكذلك على يهودها ، وقد ازداد نفوذهم فى مصر منذ أن فاز يهود فلسطين بحكم أنفسهم ، واكتسبوا أهمية كبيرة فى السياسة السورية . فلا عجب أن عرفنا أنه كان يقود ما تحت امرة كليوبترة من الجنود قائدان يهوديان هما أونياس ودوسيثيوس (Dositheos) (١) لكن هذا التصرف من ناحية كليوبترة أفقدها عطف الكثيرين فى الاسكندرية . وقد زاد مركز كليوبترة حرجا أنه لم يكن لديها عندئذ قوات كافية لشد أزرها ، بسبب ما حدث فى سوريا عقب وفاة فيلومتور على نحو ما عرفنا .

بطلميوس ملك قورينائية يرتقى عرش مصر :

واذا كنا نعرف أن الاسكندرية كانت منقسمة اذ ذاك فريقـين : أحدهما يتألف من الارستقراطية واليهود ويناصر كليوبترة وابنها ، والآخر يتألف من عامة الشعب ويناصر بطلميوس ملك قورينائية ، بسبب كراهية هذا الفريق للأرستقراطية واليهود ، وكذلك بسبب رغبته فى اعادة توحيد الدولة ، فانه يتعذر علينا ، نتيجة لمـا لدينا من المعلومات الطفيفة ، أن نتبين بوضوح مجرى الحوادث التى أفضت الى ارتقاء بطلميوس ملك قورينائية عرش مصر . ويتحدث المؤرخ يوسف عن نشوب حرب أهلية فى الاسكندرية ، وعن وصول النبيل الرومانى لوقيوس مينوقيوس ثرموس الى العاصمة البطلمية فى اللحظة التى أحضر فيها أونياس الى تلك المدينة جيشا صغيرا لمقاومة بطلميوس ملك قورينائية،وهو الذى عندما علم بوفاة فيلومتور زحف على مصر لعزل كليوبترة وابنها واغتصاب العرش(٢).وأما يوستينوس فانه يتحدث عن ذهاب بعثة من الاسكندرية الى قورينائيـة لتعرض تاج مصر ويد كليوبترة على بطلميوس ، فتربع على عرش مصر دون قتال(٣). وما الذى يمكن استخلاصه من ذلك كله؟ يبدو أنه عقب وفاة

(1) Josephus, C. Apion, II, 49.
(2) Josephus, C Apion, II, 50-52.
(3) Justin., XXX VIII, 8, 2.

فيلومتور انقسمت الاسكندرية فريقين على نحو ما أسلفنا ، وأن الخلاف بين هذين الفريقين أفضى الى تطاحنهما ، وأنه فى أثناء هذا التطاحن وصل ثرموس المعـروف بمناصرته لبطلميوس ملك قورينايئة منذ خلافه مع فيلومتور . ولما كنا نستبعد مجيء ثرموس الى الاسكندرية عندئذ صدفة، فاننا نرجح أنه ما كادت روما تعلم بما فى الاسكندرية من خلاف حول ولاية العرش حتى اعتزمت أمرا أنفذت مبعوثها لتنفيذه تحت ستار التوفيق بين الأخوين ، كليوبترة وبطلميوس ، ففى تلك اللحظة كان فى وسع الرومان، وقد تخلصوا من كل ما كان يمكن أن يقلق بالهم من ناحية قرطجنـة أو الآخيين ، أن يوجهوا عنايتهم الى شئون مصر .

ويبدو أن ثرموس جسم لكليوبترة خطورة مركزها بسبب افتقارها الى قوات كافية فى الوقت الذى يناوئها فيه عامة الشعب ويزحف ضـدها ملك قورينايئة ، وأوضح لها أنه قد يترتب على ذلك أن تفقد هى وابنها كل شيء ، واقترح حلا وسطا لحسم النزاع وهو أن تتزوج أخاها ملك قورينايئة وأن يحكما سويا بالاشتراك مع ابنها من فيلومتور . وازاء موافقة كليوبترة والفريقين المتطاحنين على هذا الحل ، ذهبت بعثة لابلاغه الى ملك قورينايئة فرحب به وارتقى عرش مصر دون قتال (١) .

وقد يثير الشك فى صحة الدور الذى رجحنا قيام روما به فى هـذه الأزمة أن حلها على هذا النحو أفضى الى اعادة توحيد دولة البطالمة ، وهو حل يجافى السياسة (سياسة فرق تسد) التى دأبت روما على اتباعها لخدمة صوالحها ، وسبق أن نفذتها فى دولة البطالمة باتفاقية عام ١٦٣ ، وهى الاتفاقية التى أمرت بها روما وقضت بتقسيم دولة البطالمة . ونحن نرى أولا ، أن الهدف الأساسى لهذه السياسة كان تهيئة الأسباب لنشر نفوذ روما وتغلغله ، مما كان يستتبع تنوع الأساليب وفقا لمـا تقتضيه الظروف . ونرى ثانيا ، أنه من الوجهة النظرية كانت حقا سياسة فرق تسد تقضى بوجوب استمرار فصل قورينايئة عن مصر ، بيد أنه من الوجهة العملية لم يكن فى توحيد مصر وقورينايئة واقامة ملك قورينايئة على

(1) Cf. Bouché-Leclercq, II, pp. 57 ff. ; Rostovtzeff, S. and E., p. 871 ; C.A.H., IX, pp. 383 ff.; Bevan, p. 306; Jouguet, Nat. Eg., p. 155.

الاثنتين معا أى خروج على هذه السياسة • ذلك أن الملك الطفل ابن بطلميوس السادس كان الوريث الشرعى لعرش مصر ، واذا سارت الأمور فى مجراها الطبيعى واحتفظ بالعرش بعد أبيه فانه لن يدين بأى فضل لروما ، وقد يثبت أنه يشابه أباه وهو الذى تحدى روما واجترأ على عدم الاذعان لمشيئتها • فى حين أن حصول ملك قورينايئة على عرش مصر ، وهو الذى لم يكن له حق فيه سيجعله مدينا لروما ما بقى عليه • هذا الى أنه وقد أثبت فعلا سواء فى مصر أم فى قورينايئة أنه ملك متعسف شديد البطش أثارت تصرفاته نقمة رعاياه عليه ، فانه كان لا يمكن أن تنعم الدولة الموحدة فى عهده بالهدوء والاستقرار ، ولا سيما أن الاتفاق بين هذا الملك وكليوبترة الثانية على اعادة توحيد دولة البطالمة كان يحمل فى طياته بذور الخلاف • ذلك أنه لم يكن هناك مفر من وقوع اضطرابات شديدة فى الدولة الموحدة نتيجة لأحد أمرين : وأحدهما هو أن يبادر ملك قورينايئة الى التخلص من الملك الطفل وعندئذ لن ينجو من نقمة أمه • والأمر الآخر هو أن الملك الطفل عندما يكبر لن يغفل ما حدث من الافتئات على حقوقه• وهكذا لم يكن من شأن اعادة توحيد دولة البطالمة فى مثل هذه الظروف أن تتهيأ لها أسباب النهوض والقوة ، بل على العكس أسباب الضعف والاضطراب والاذعان لروما •

وعندما ارتقى بطلميوس ملك قورينايئة عرش مصر فى شهر سبتمبر عام ١٤٥ (١) اتخذ اللقب الالهى الذى كان يحمله ذلك الملك المحبوب بطلميوس الثالث ، وهكذا أصبح ثامن البطالمة يعرف باسم يورجتيس الثانى (٢) • ولم يعتبر هذا الملك عام ١٤٥ أول سنى حكمه وانما اعتبره

(1) Skeat, p. 35; Cf, Otto, Zur Gesch. d. 6 Utol., p. 128.
(فيما بين شهرى يولية واغسطس عام ١٤٥ وفقا لراى أوتو) .

(٢) ان استرابون (XVII, 1, 11) واثينايوس (IV, 184 b; VI, 252 e; XII, 549 d) وبعض المحدثين يعتبرون يورجتيس الثانى سابع البطالمة الذين حكموا مصر ، وكذلك فيما يبدو باوسانياس (I, 9, 4) لأنه يعتبر خليفة يورجتيس الثانى، ثامن البطالمة. واما اسبارتيانوس (Caracalla, 6) ويوسبيوس (I, 262, Schboene) وكثيرون من المحدثين فانهم يعتبرون يورجتيس الثانى ثامن البطالمة ويذهب بعض آخر الى انه تاسعهم .

ومرد الاضطراب بين القدامى والمحدثين فى ترقيم البطالمة ملوك مصر =

عامه الخامس والعشرين على أساس أن حكمه بدأ منذ المناداة به ملكا على مصر للمرة الأولى فى عام ١٧٠ .

مآسى العهد الجديد :

ويحدثنا يوستينوس بأن يورجتس قتل ابن أخيه نيوس فيلوباتور[١] ويضفى على هذه الجريمة صبغة مسرحية ، فهو يروى أن هذا الطفل قتل فى أحضان أمه ليلة الزفاف (٢) ، على نحو ما روى من قبل أن بطلميوس الصاعقة قتل ابنى أرسينوى الثانية وهما فى أحضانها ليلة زفافه اليها . واذا كان الشك يرقى الى ملابسات هذه الجريمة ، فانه لا شك فى وقوع الجريمة نفسها (٣) . وهكذا بدأت سلسلة من المآسى لطخت هذا الحكم المخيف بالدماء . وقد يبدو غريبا أن تقبل كليوبترة الثانية بعد ذلك معاشرة قاتل ابنها ،فهل دفعها الى ذلك الخوف أم على الأرجح رغبتها فى البقاء

= الى أن الاله يوباتور يذكر فى الوثائق أحيانا قبل فيلومتور (ومثل ذلك (P. Grnefell II, 20 ; Strack, nos. 103, 140 ; P. Tebt. 6 وأحيانا بين فيلومتور ويورجتيس الثانى (P. Grenfell II, 15) والى أن نيوس فيلوباتور لم يذكر فى الوثائق التى وصلت الينا الا منذ عام ١١٨ ق.م (Spiegelberg, Tab. 27; Revillout, Nouv. Chrest., p. 59) لكنه ذكر فى وثيقة بردية من عام ١١٤ ق.م. (P. Grenfell, I, 25) قبل الاله يورجتيس الثانى . وقد ترتب على ذلك أن فريقا من المؤرخين يعتبر يوباتور أخا أكبر لفيلومتور وحكم قبله اى أن يوباتور سادس البطالمة وفيلومتور سابعهم . لكنه لما كان يتبين بصفة قاطعة من نقش قبرص (Strack, no. 101) أن يوباتور كان ابن فيلومتور ، فان فريقا آخر يعتبر يوباتور سابع البطالمة . وعندنا أنه لا يجوز احتساب يوباتور فى عداد البطالمة ملوك مصر لأنه توفى فى حياة أبيه ، وهذا يفسر سبب وروده فى قائمة البطالمة المؤلهين قبل فيلومتور. وفى راى البعض أن يورجتيس الثانى ثامن البطالمة ووالد نيوس فيلوباتور وأن نيوس تاسع البطالمة . اما البعض الآخر فيرى أن نيوس ابن فيلومتور سادس البطالمة ، وأنه أصغر من اخيه يوباتور ،وتبعا لذلك يعتبرون يوباتور سابع البطالمة ونيوس ثامنهم ويورجتيس الثانى تاسعهم . ونحن نرى أن نيوس فيلوباتور ابن فيلومتور وأنه لم يذكر فى الوثائق الا بعد تصفية الجو بين يورجتيس وكليوبترة الثانية بمثابة ترضية لها فى عام ١١٨ عندما صدر قرار العفو المشهور . وقد سبق أن بينا فى المتن لماذا نعتبره سابع البطالمة ملوك مصر ، ويورجتيس الثانى ثامنهم . وعلى كل حال فان خير أمان لعدم الخلط بين البطالمة المتأخرين هو التفرقة بينهم بألقابهم الالهية لا باعدادهم ابتداء من فيلومتور .

(1) Pareti, Ricerchi sui Tolomi Eupatore e Neo Filopatore, R. Accad-Scienze Torino, Ann., 1907-8.

(2) Justin., XXXVIII, 8, 4 ; Cf. Oros, V, 10,7.

(3) Liv., Epit., LIX ; Val. Max, IX, 1, Ext, 5.

الاثنتين معا أى خروج على هذه السياسة . ذلك أن الملك الطفل ابن بطلميوس السادس كان الوريث الشرعى لعرش مصر ، واذا سارت الأمور فى مجراها الطبيعى واحتفظ بالعرش بعد أبيه فانه لن يدين بأى فضل لروما ، وقد يثبت أنه يشابه أباه وهو الذى تحدى روما واجترأ على عدم الاذعان لمشيئتها . فى حين أن حصول ملك قورينايئة على عرش مصر ، وهو الذى لم يكن له حق فيه سيجعله مدينا لروما ما بقى عليه . هذا الى أنه وقد أثبت فعلا سواء فى مصر أم فى قورينايئة أنه ملك متعسف شديد البطش أثارت تصرفاته نقمة رعاياه عليه ، فانه كان لا يمكن أن تنعم الدولة الموحدة فى عهده بالهدوء والاستقرار ، ولا سيما أن الاتفاق بين هذا الملك وكليوبترة الثانية على اعادة توحيد دولة البطالمة كان يحمل فى طياته بذور الخلاف . ذلك أنه لم يكن هناك مفر من وقوع اضطرابات شديدة فى الدولة الموحدة نتيجة لأحد أمرين : وأحدهما هو أن يبادر ملك قورينايئة الى التخلص من الملك الطفل وعندئذ لن ينجو من نقمة أمه . والأمر الآخر هو أن الملك الطفل عندما يكبر لن يغفل ما حدث من الافتئات على حقوقه. وهكذا لم يكن من شأن اعادة توحيد دولة البطالمة فى مثل هذه الظروف أن تتهيأ لها أسباب النهوض والقوة ، بل على العكس أسباب الضعف والاضطراب والاذعان لروما .

وعندما ارتقى بطلميوس ملك قورينايئة عرش مصر فى شهر سبتمبر عام ٤٥ (١) اتخذ اللقب الالهى الذى كان يحمله ذلك الملك المحبوب بطلميوس الثالث ، وهكذا أصبح ثامن البطالمة يعرف باسم يورجتيس الثانى (٢) . ولم يعتبر هذا الملك عام ١٤٥ أول سنى حكمه وانما اعتبره

---

(1) Skeat, p. 35; Cf, Otto, Zur Gesch d. 6 Utol., p. 128.
(فيما بين شهرى يولية واغسطس عام ١٤٥ وفقا لراى أوتو) .

(٢) ان استرابون (XVII, 1, 11) واثينايوس (IV, 184 b; VI, 252 e; XII, 549 d) وبعض المحدثين يعتبرون يورجتيس الثانى سابع البطالمة الذين حكموا مصر ، وكذلك فيما يبدو باوسانياس (I, 9, 4) لأنه يعتبر خليفة يورجتيس الثانى، ثامن البطالمة. واما اسبارتيانوس (Caracalla, 6) ويوسبيوس (I, 262, Schboene) وكثيرون من المحدثين فانهم يعتبرون يورجتيس الثانى ثامن البطالمة ويذهب بعض آخر الى انه تاسعهم .

ومرد الاضطراب بين القدامى والمحدثين فى ترقيم البطالمة ملوك مصر =

عامه الخامس والعشرين على أساس أن حكمه بدأ منذ المناداة به ملكا على مصر للمرة الأولى فى عام ١٧٠ .

مآسى العهد الجـديد :

ويحدثنا يوستينوس بأن يورجتس قتل ابن أخيه نيوس فيلوباتور(١) ويضفى على هذه الجريمة صبغة مسرحية ، فهو يروى أن هذا الطفل قتل فى أحضان أمه ليلة الزفاف (٢) ، على نحو ما روى من قبل أن بطلميوس الصاعقة قتل ابنى أرسينوى الثانية وهما فى أحضانها ليلة زفافه اليها . واذا كان الشك يرقى الى ملابسات هذه الجريمة ، فانه لا شك فى وقوع الجريمة نفسها (٣) . وهكذا بدأت سلسلة من المآسى لطخت هذا الحكم المخيف بالدماء . وقد يبدو غريبا أن تقبل كليوبترة الثانية بعد ذلك معاشرة قاتل ابنها ،فهل دفعها الى ذلك الخوف أم على الأرجح رغبتها فى البقاء

= الى أن الاله يوباتور يذكر فى الوثائق أحيانا قبـل فيلومتور (ومثل ذلك (P. Grnefell II, 20 ; Strack, nos. 103, 140 ; P. Tebt. 6 وأحيـانا بـين فيلومتور ويورجتيس الثانى (P. Grenfell II, 15) والى أن نيوس فيلوباتور لم يذكر فى الوثائق التى وصلت الينا الا منذ عام ١١٨ ق.م (Spiegelberg, Tab. 27; Revillout, Nouv. Chrest., p. 59) لكنـه ذكـر فى وثيقـة برديـة من عـام ١١٤ ق.م. (P. Grenfell, I, 25) قبل الاله يورجتيس الثانى . وقد ترتب على ذلك أن فريقا من المؤرخين يعتبر يوباتور أخا أكبر لفيلومتور وحكم قبله اى أن يوباتور سادس البطالمة وفيلومتور سابعهم . لكنه لما كان يتبين بصفة قاطعة من نقش قبرص (Strack, no. 101) أن يوباتور كان ابن فيلومتور ، فان فريقا آخر يعتبر يوباتور سابع البطالمة . وعندنا انه لا يجوز احتساب يوباتور فى عداد البطالمة ملوك مصر لأنه توفى فى حياة ابيه ، وهذا يفسر سبب وروده فى قائمة البطالمة المؤلهين قبل فيلومتور . وفى راى البعض ان يورجتيس الثانى ثامن البطالمة ووالد نيوس فيلوباتور وأن نيوس تاسع البطالمة . اما البعض الآخر فيرى أن نيوس ابن فيلومتور سادس البطالمة ، وانه أصغر من أخيه يوباتور ،وتبعا لذلك يعتبرون يوباتور سابع البطالمة ونيوس ثامنهم ويورجتيس الثانى تاسعهم . ونحن نرى أن نيوس فيلوباتور ابن فيلومتور وانه لم يذكر فى الوثائق الا بعد تصفية الجو بين يورجتيس وكليوبترة الثانية بمثابة ترضية لها فى عام ١١٨ عندما صدر قرار العفو المشهور . وقد سبق ان بينا فى المتن لماذا نعتبره سابع البطالمة ملوك مصر ، ويورجتيس الثانى ثامنهم . وعلى كل حال فان خير أمان لعدم الخلط بين البطالمة المتأخرين هو التفرقة بينهم بألقابهم الالهية لا باعدادهم ابتداء من فيلومتور .

(1) Pareti, Ricerchi sui Tolomi Eupatore e Neo Filopatore, R. Accad-Scienze Torino, Ann., 1907-8.
(2) Justin., XXXVIII, 8, 4 ; Cf. Oros, V, 10,7.
(3) Liv., Epit., LIX ; Val. Max, IX, 1, Ext, 5.

ملكة بأى ثمن ؟ واذا ما عرفنا ما كان من أمر ابنتها كليوبترة ثيا ملكة سوريا وهى التى تغلب حب السلطة فيها على كل عاطفة انسانية.اذ أنها دبرت مقتل أحد أبنائها وحاولت قتل ابنها الآخر . عندما وقفا فى سبيل أطماعها — اذا عرفنا ما كان من أمر الابنة فاننا لا ندهش لما كان من أمر الأم ، فهى على الأقل لم تقتل ابنها ولم تفعل أكثر من معاشرة قاتل هذا الابن ، وهو أمر أهون بكثير من أمر ابنتها . وعلى كل حال فانه لم يكن من شأن هذه الجريمة المروعة دعم العلاقات بين كليوبترة الثانية وزوجها السفاح .

وقد كانت المأساة الثانية اضطهاد اليهود ، جزاء مساعدتهم فيلومتور وكليوبترة الثانية ضده . ويحدثنا المؤرخ اليهودى يوسف (١) بأن يورجتيس الثانى أراد أن تطأ الفيلة بأقدامها جمعا حاشدا من اليهود ، لكن الفيلة ارتدت بدلا من ذلك على رجال الملك ، الا أنه ينقص من قيمة هذه القصة أن الكتاب الثالث من تاريخ المكابيين يعزوها الى بطلميوس الرابع (٢). ويقول المؤرخ يوسف أن يورجتيس الثانى عدل عن رغبته فى الانتقام من اليهود خوفا من عقاب السماء واستجابة الى توسلات حظيته — ويطلق عليها البعض اسم اثاقى (Ithake) والبعض الآخر اسم أيرينى (Eirene) (٣) — وان هذا هو منشأ الحفل المشهور الذى كان يهود الاسكندرية يقيمونه كل عام احتفالا بذكرى نجاتهم من الهلاك . وهنا أيضا اذا كان الشك يرقى الى ملابسات اضطهاد يورجتيس الثانى لليهود اضطهادا بشعا بمجرد استعادته عرش مصر فانه لا شك فى وقوع مثل هذا الاضطهاد . ذلك أن يوستينوس يحدثنا بأن هذا الملك بادر الى صب جام غضبه على مناصرى ابن أخيه وأخته ، (٤) واذا عرفنا أن ارستقراطية الاسكندرية واليهود كانوا يناصرون كليوبترة الثانية وابنها، ولما كانت عامة الاسكندرية يكرهون اليهود كراهية شديدة ، فانه كان طبيعيا أن يبدأ الملك السفاح بالانتقام من اليهود انتقاما مروعا .

ولم تقف أعمال يورجتيس الثانى عند حد اضطهاد اليهود . اذ أنه أطلق لنفسه الشريرة العنان فى قتل كل الذين كان يتشكك فى اخلاصهم له .

(1) Joseph., C. Apion, II, 53-55.
(2) III Macc., 6-6.
(3) Diod., XXXIII, 13.
(4) Justin., XXXVIII 8, 7.

ويبدو أنه قسا بوجه خاص على علماء الاسكندرية وفنانيها ، لأن الكثيرين منهم كانوا يعطفون على فيلومتور فاعتبرهم يورجتيس أعداءه . ويحدثنا أثينايوس بأنه نتيجة لذلك تشرد فى أنحاء العالم الاغريقى الكثيرون من علماء معهد الاسكندرية وفنانى هذه العاصمة ، فبعثوا نهضة علمية فى كل الأماكن التى فروا اليها (١) . وليس معنى ذلك أن يورجيتس الثانى كان معاديا للثقافة الاغريقية ، فقد كان هو نفسه يطمع فى مكانه بين المؤلفين الاغريق ، وخلف كتابا لذكريات مختلفة ذكر فيها ، بين أشياء أخرى ، الصفات الغريبة فى خاله أنطيوخوس الرابع (٢) .

وبهذه المجازر والاضطهادات خيل الى يورجتيس الثانى أنه قد دعم مركزه فى الاسكندرية ، لكنه لعل الأصح أنه ملأ قلوب الناس كراهية له وحقدا عليه وكذلك فزعا منه . وفى عام ١٤٤ رسم يورجتيس الثانى فرعونا فى منف ، وأنجبت له كليوبترة الثانية فى خلال حفلات التتويج المصرية ابنا سمى ممفيتيس (Memphites) (٣). ولما كانت كليوبترة الثانية سيدة طموحا شديدة المراس ، فان يورجتيس ، ليحد من أطماعها ويكسر من شوكتها ، تزوج ابنتها كليوبترة الثالثة (٤) ، وكانت لا تقل عن أمها طموحا وقسوة ، وأشركها معهما فى الملك ، اذ أنه منذ عام ١٤١ على الأقل كانت تذكر فى ديباجة الوثائق عبارة «الملك والملكة الأخت والملكة الزوجة» (٥).

وهذا معناه أنه اذا كان يورجتيس قد اجترأ على اتخاذ زوجة جديدة، فان الجرأة لم تبلغ به الى حد طلاق كليوبترة الثانية ، لأن طلاقها كان

(1) Athen., IV, 148 b; Cf. Suidas, s. v. Aristarchos.

(2) Bevan, p. 308.

(3) Diod., xxx, 13; Bouché-Leclercq, II, p. 63; Bevan, pp. 308-9; Otto, p. 13.

(4) Rostovtzeff, Soc. and Ec., pp. 8713.

(٥) يحدثنا يوستينوس (XXXVIII, 8, 5) بأن يورجتيس اعتدى على عفاف كليوبترة الثالثة قبل أن يتزوجها . ويبدو ان هذا الزواج لم يتم قبل سبتمبر عام ١٤٢ ق.م لان نقوش معبد ادفو التى ترجع الى هذا التاريخ وتسجل الانتهاء من بناء هذا المعبد لم ترد فيها اشارة الى كليوبترة الثالثة (Mahaffy, Hist. 195) . ولا يمكن ان يكون هذا الزواج قد تم بعد عام ١٤١ لان ديباجة الوثائق التى ترجع الى هذا العام تجمع بين الملك والملكة الأخت والملكة الزوجة . راجع :
P. Dem. Berlin, 1138, Revillout, Etudes, p. 132.

يستتبع عزلها . فهل كان احجامه عن ذلك يرجع الى الخوف من اثارة أنصار كليوبترة لأنهم كانوا كثرة ، أم الى أن روما كانت تصر على اشتراكها فى الحكم ضمانا لعدم الاستقرار فى الدولة ؟ لعل أن الاحتمال الثانى كان الدافع ، لأنه لو صح أن الاحتمال الأول كان الدافع لما سكتت كليوبترة على الضيم والاهانة . وانه لمن المحتمل أن أنصار كليوبترة اذا لم يكونوا أصحاب الكثرة فانهم لم يكونوا كذلك قلة قليلة ، ومع ذلك فان الخوف من بطش الملك وقوته شل حركتهم وان لم يحل دون ازدياد كراهيتهم له واشمئزازهم منه لجرائمه وتزوجه كليوبترة الثالثة.وقد دفع هذا الحادث المنفيين الى الالتفاف حول جالايستيس (قائد الجيش فى عهد فيلومتور) وكان بعد أن حرمه يورجتيس ألقابه ومنصبه قد التجأ الى بلاد الاغريق حيث أدعى أن فيلومتور كان قد عهد اليه برعاية أمير صغير كان ابنا شرعيا لكليوبترة الثانية من فيلومتور(١). وقد استغل جالايستيس زواج يورجتيس من كليوبترة الثالثة ليثير عواطف الاسكندريين ضده . وحين شعر الجنود المرتزقة بأنهم قد غدوا أهم سند ليورجتيس ، ازدادوا وقاحة وجشعا ، وعندما عجزت الخزانة الملكية ذات مرة عن دفع مرتباتهم هددوا بالانضمام الى جالايستيس،ولم ينقذ الموقف الا أن القائد هيراكس دفع رواتب الجنود من جيبه الخاص (عام ١٤٠) (٢) . ولا نسمع شيئا بعد ذلك عن جالايستيس ولا عن الأمير المزعوم .

سقيبيو آيميليانوس فى مصر :

وقد استمر الوفاق على الأقل فى الظاهر بين يورجتيس الثانى وكليوبترة الثانية . وكانت هذه هى الحال التى وجدها سقيبيو آيميليانوس (Scipio Aemilianus) فى الاسكندرية فى عام ١٣٦ (٣) ، عندما جاءها على رأس بعثة أنفذها السناتو لدراسة أحوال الدول الحليفة فى الشرق (٤) . وقد استقبل سقيبيو ورفاقه بحفاوة بالغة ، واستمتع الاسكندريون أيما استمتاع برؤية ملكهم الضخم فى ملابسه الشفافة يتصبب عرقا وتنتفخ

---

(1) Diod., XXXIII, 20.
(2) Diod., XXXIII, 22.
(3) Cicero ; Rep., VI, 11 ; Bouché-Leclerev, II, p. 68, fn. 1.
(4) Justin., XXXVIII, 8, 8.

أوداجه وهو يحاول اللحاق بضيوفه الرومان الذين تملكتهم رغبة خبيثة فى المشى من الميناء الى القصر • ويروى أن سقيبيو مال نحو الفيلسوف بانايتيوس وأسر فى اذنه : « سرعان ما أفاد الاسكندريون من رحلتنا ، فهم يدينون لنا برؤية ملكهم يمشى على قدميه » (١) •

ويحدثنا ديودوروس بأن يورجتيس أقام للسفراء الرومان مآدب فاخرة ، وبأنه عند طوافهم بالقصر عرض أمامهم كنوز الخزانة الملكية ، لكنهم لم يأكلوا الا ما يسد رمقهم وأغضوا الطرف عن الكنوز ، لاحتقارهم مظاهر الترف بوصفها مفسدة للجسم والروح معا • وقد أولى السفراء عناية كبيرة الى ما كان يستحق منهم ذلك ، اذ أنهم درسوا عن كثب موقع الاسكندرية وأهميتها وخصائص فنارها ، وركبوا النيل مصعدين حتى منف ، فلمسوا خصوبة التربة وعرفوا فائدة فيضان النيل ، وشهدوا آلاف البلاد التى تزدحم بأعداد غفيرة من الأهالى ، ووقفوا على قوة مركز مصر وما توافر لها من أسباب المنعة والسؤدد ، واستخلصوا من ذلك كله أنه من الممكن أن تصبح مصر دولة عظمى لو أتيح لها حاكم جدير بها • وبعد أن اتموا زيارتهم برحوا مصر الى قبرص ومنها الى سوريا (٢) •

واذا كان يورجتيس قد عمل على كسب ود المصريين بما أظهره لرجال الدين المصريين من عطف ورعاية (٣) ، فان كراهية الاسكندرية له قد ازدادت لأن زيارة البعثة الرومانية للاسكندرية أشعرت تلك المدينة الفخورة بأن ملكها الكريه يعتمد على التأييد الأجنبى للاحتفاظ بعرشه ، ولأنه ما كادت تلك البعثة تبرح الاسكندرية حتى استأنف يورجتيس حياته العابثة •

نشوب الثورة وفرار الملك :

وأخيرا اندلع لهيب تلك الثورة التى كانت متوقعة منذ أمد طويل • ويحدثنا ديودوروس (٤) بأن هذه الثورة نشبت بعد انقضاء خمسة عشر

(1) Posidon., ap. Athen., XII, 549e-550-550a; Plut., Apophth. Rom. Scip., 13-14 ; Diod., XXXIII, 23 ; 28a ; Justin., XXXIII, 8, 8-11.

(2) Diod., XXXIII, 28a.

(3) P. Tebt. 6 ; Préaux, Chron, Eg., XI, 1936, p. 543.

(4) Djod., XXXIII. 6.

عاما على وفاة فيلومتور (١٣١ق٠م٠) ، بينما يروى ليفيوس (١) وأوروسيوس (٢) أن الثورة وقعت فى أثناء قنصلية ماركوس بربرنا (عام ١٣٠ ق ٠ م) ٠ ويؤيد رواية ديودوروس أن بردية من الفيوم من عام ١٣١ (٣) تتحدث عن دعوة اثنين من المزارعين المصريين للخدمة فى الجيش وقت المحصول ، مما يوحى بأنه فى ١٣١ نشبت الثورة وفر الملك من مصر ثم عاد لاسترداد عرشه بالقوة ٠ وفضلا عن ذلك فانه جاء فى بردية من قرقيوسيريس من عام ١١٤/١١٣ العبارة التالية : « حتى العام التاسع والثلاثين (من حكم يورجتيس الثانى = عام ١٣١) قبل زمن الثورة » ٠ واذا كنا نجد قطعتين من الأوستراقا من طيبة مؤرختين بسنى حكم يورجتيس واحداهما من مايو عام ١٣١ والأخرى من ٣ يونية عام ١٣١ ، فانه لا يبعد أن يكون قد حدث قبل ذلك بقليل نشوب الثورة وهروب الملك من الاسكندرية الى قبرص ، اذ يجب أن ندخل فى حسابنا المدة اللازمة لوصول نبأ الحادث الى طيبة ٠

وازاء ذلك كله لا نستطيع الأخذ بما تذهب اليه الآنسة بريو (٤) ، وتؤيد الرأى الذى نادى به لاكير (Laqueur) وبوشيه لكلرك (٥) منذ أمد طويل ويدعو اليه اليوم أوتو وبنجتسون (٦) ، وفحواه نشوب الثورة وهروب يورجتيس فى عام ١٣١ ٠

ويبدو أن يورجتيس أراد اخماد الثورة فى مهدها بعمل يلقى الرعب فى قلوب الاسكندريين، اذ يروى أنه فى أحد الأيام حاصر جنوده الجومنازيوم وكان غاصا بالشبان ، وأشعلوا النار فى المبنى وقتلوا كل من حاول الفرار من ذلك الأتون الملتهب (٧) ٠ وكان لهذه الجريمة المنكرة أبلغ الأثر فى نفوس الاسكندريين ، فقد بلغ هياجهم الى حد أنهم قرروا احراق ذلك الوحش فى وكره ، غير أنه كان أفطن من أن ينتظر حتى يلقى جزاءه ٠

---

(1) Liv., Epit., LIX
(2) Oros., V, 10.
(3) P. Giss. Bibl., I, 5.
(4) Chron., 1936, p. 543,
(5) Bouché-Leclercq, II, p. 71.
(6) Otto u. Bengtson, zur Gesch. Niederganges d. Ptolemaerreiches, Abh. Bay. Akad. Wiss., Heft 17, 1938, pp. 56 ff.
(7) Val. Max., IX, 2, Ext. 5.

اذ أنه عندما علم بما اعتزمه الاسكندريون فر سرا . وتبعـا لذلك فانه عندما أشعلت النار فى القصر الملكى كان الملك فى طريقه الى قبرص ومعه كليوبترة الثالثة وأولاده منها وكذلك ممفيتيس ، وكان ابنه من كليوبترة الثانية (١) .

وازاء ذلك اعتبر الاسكندريون الملك الهـارب متنازلا عـن عرشه ونادوا بكليوبترة ملكة . وتمشيا مـع العرف والتقاليـد كان يجب أن يشرك مع كليوبترة الثانية شخص من نسل البطالمة يصلح لأن يكون زوجا لها ولو من الناحية الشكلية ، ليستوى على العرش زوج من ملوك البطالمة المؤلهين . وبعد استبعاد يورجتيس وابنيه من كليوبترة الثالثة . لم يبق الا ابنه الأكبر من حظيته أيرينى ، ويظن أنه كان نائب الملك فى قورينائية ، لكن يورجتيس خيب على الاسكندريين تدبيرهم بالمبادرة الى استدعائه الى قبرص والاجهاز عليه . وقد أحفظت هذه الجريمة الجديدة قلـوب الاسكندريين ، فقلبوا تماثيل يورجتيس . وتحدثنا مصادرنا الفقيرة بأنه استشاط غضبا من هذا العمل ، وقتل ممفيتيس فى سورة من الجنون ، بل قطعه اربا ، وأرسل أشلاءه الى أمه كليوبترة الثانية هدية فى يوم عيـد ميلادها ، رغبة منه فى الانتقام منها لاعتقاده أنها هى التى دفعت الأهالى الى ما أقدموا عليه (٢) .

وعندما فر يورجتيس وكليوبترة الثالثة الى قبرص وانفردت كليوبترة الثانية بالملك ، اعتبرت ذلك العام بداية لحكمها على انفراد . ويبدو أن هذا الحكم دام عامين حملت الملكة أثناءهما لقب « الالهة فيلومتـور سوتيرا » (Soteira) . وقد اعتبر لاكير (٣) عام ١٣٢/١٣١ العام الأول من حكم كليوبترة الثانية استنادا الى وثيقتين احداهما من طيبة (٤) والأخرى من قرقيوسيريس (٥) . ويؤيد فيلكن (٦) هـذا الرأى بمـا

(1) Liv., Epit. LIX ; Justin., XXXVIII, 8,11.

ويلاحظ ان المصادر القديمة لاتشير الى ان اولاد يورجتيس من كليوبترة الثالثة فروا معها لكنه لا شك لدينا فى ذلك .

(2) Diod., XXXIV-XXXV, 14 ; Liv., loc. cit. ; Val. Max., IX, 2 ; Justin., XXXVIII, 8, 11-13 Bouché-Leclercq, II, pp. 68--73; Rostovtzeff, Soc. and Ec., p. 873 ; Bevan, pp. 310-12 ; Jouguet, Nat. Eg., pp. 156-7 ; Otto-Bengtson, p. 63.

(3) Laqueur, Quaest. epigr. papyr. sel., pp. 51 ff.

(4) Wilcken, Aktenstuecke, n. 11, p. 20.

(5) P. Tebt. 72, 1. 45.

(6) Wilcken, Archiv, IV, pp. 224, 265.

جاء ببردية فى اللوفر وبأحدى قطع الاوستراقا من الفنتين ، فهو يجد فى بردية اللوفر أن العام التاسع والثلاثين من حكم يورجتيس يوافق العام الأول من حكم كليوبترة الثانية ، ويرى فى قطعة الأوستراقا تأييدا لذلك فقد جاء فيها أن العام الأربعين يوافق العام الثانى • وفى ضوء ما نعرفه وسيأتى ذكره من أن كليوبترة الثانية فرت من مصر فى عام ١٢٩ ، لعل الأرجح ان العام الأول لحكمها بمفردها كان عام ١٣١/١٣٠ والعام الثانى عام ١٣٠/١٢٩ •

عودة يورجتيس الى مصر :

وقد مر بنا أن بردية الفيوم التى ترجع الى عام ١٣١ وتتحدث عن دعوة اثنين من المزارعين للخدمة العسكرية توحى بأنه فى ذلك العام نشبت الثورة وهرب الملك ثم عاد لاستعادة عرشه بالقوة • ويؤيد أن غيبة يورجتيس فى قبرص لم تطل عقد زواج ديموتيقى (١) ، مسجل فى معبد أنوبيس بمنف بتاريخ ٣٠ من أكتوبر عام ١٣١ • ذلك أن هذا العقد مؤرخ بسنى حكم يورجتيس ويظهر فيه لأول مرة كاهن جديد يدعى المهر المقدس (hieros polos) كاهن الالهة العظمى ايزيس أم الآلهة • والرأى السائد اليوم هو أن الالهة العظمى ايزيس أم الآلهة كانت كليوبترة الثالثة ، وأن يورجتيس أنشأ لها هذه العبادة الجديدة ردا على اللقب الالهى الذى اتخذته كليوبترة الثانية (٢) • ولا يمكن أن تكون العبادة الجديدة قد أنشئت فى أثناء غيبة الملك عن البلاد ، ولذلك فان انشاء هذه العبادة والتأريخ بسنى حكم يورجتيس بعد فراره الى قبرص ينهضان دليلا على عودته الى مصر وسيطرته على منف • وذلك فى حين أن كليوبترة الثانية كانت لا تزال تسيطر على الاسكندرية وأنحاء كثيرة فى مصر ، مما يفسر تأريخ بعض الوثائق بسنى حكمها المنفرد وتأريخ البعض الآخر بسنى حكم يورجتيس ، واستمرار هذين التأريخين حتى فرار كليوبترة الثانية من مصر •

وقد صحب النضال بين يورجتيس وكليوبترة اضطرابات شديدة

(1) P. Leid. 185 ; Spiegelberg, Recueil des Travaux, XXVIII, 1906, pp. 194-5

(2) Otto u. Bengtson, pp. 71 ff.

كانت مزيجا من النزاع الأسرى والثورة القومية • وقد أطلق الاغريق على هـذه الاضطرابات وصفا (Amixia) نفهم منه أنه فى هـذه الظروف تقطعت أوصال البلاد وشاعت الفرقة والقطيعة بين مختلف أجزائها ولا سيما فى الوجه القبلى ، حيث كانت المدن والقرى تحارب بعضها بعضا (١) • وقد كان يؤيد كليوبترة الثانية الاسكندرية أو على الأقل الاغريق واليهود وجانب من الجيش ، فى حين أنه كان يناصر يورجتيس بقية الجيش وكثير من المصريين بزعامة بعض رجال الجيش (٢) •

وفى شهر كيهك عام ٤٠ (٢٥ من يناير ١٣٠) كتب جندى اغريقى يدعى استلاداس (Esthladas) الى والديه فى مدينة باثوريس (Pathyris) قرب الجبلين بين أرمنت واسنا) وكانت موالية ليورجتيس الثانى ، يقول أنه كان على وشك الزحف مع بعض الفرق الموالية للملك ضد هرمونثيس (أرمنت) ، وكانت تناصر كليوبترة الثانية ، وان أنباء قد وصلت فحواها أن باوس (Paos) حاكم منطقة طيبة سيأتى فى الشهر القادم (شهر طوبة) « على رأس قوات كافية للقضاء على أهل هرمونثيس ومعاملتهم معاملة الثوار » (٣)• ومع ذلك فانه يبدو أنه فى أكتوبر عام ١٣٠ كانت هرمونثيس لا تزال فى قبضة أنصار الملكة (٤) • وقد كانت كوم أومبو (٥) وكذلك طيبة (٦) من بين المدن التى شقت عصا الطاعة على يورجتس ،لكن القرائن تشير الى أن يورجتيس استرد فى أثناء العامين ١٣٠ و ١٢٩ أكثر أنحاء الوجه القبلى ، فقد وصلت الينا من جهات متعددة فى مصر العليا وثائق كثيرة من هذين العامين مؤرخة بسنى حكم يورجتيس (٧) • ولما كان قد وصلنا من محافظة الفيوم نقش ديموتيقى (٨) (من عام ١٣٠/١٢٩) وبردية ديموتيقية (٩) (من عـام ١٢٩/١٢٨) مؤرخان بسنى حـكم يورجتيس ، وكانت بردية اغريقية (١٠) تحدثنا بأن الملك منح اقطاعات لجنود مصريين هناك فى هذين العامين ، فان هذا كله يدل على أن الملك كان قد بسط سيطرته عندئذ على هذه المحافظة أيضا •

(1) Préaux, Chron., 1936, pp. 543 ff. (2) Cf. Rostovtzeff, p. 873.
(3) Revillout, Melanges, p. 295; Wilcken, Chrest. no. 10.
(4) P. Bad. II, 2; Cf. Strack, pp. 45-46.
(5) Wilcken, Archiv. V, pp. 411-2.
(6) Wilcken, Aktenstuecke n. 11, p. 20.
(7) Otto u. Bengtson, p. 94, fn. 5.
(8) Spiegelberg, S. B. Muenchen, 1928, n. 2. p. 32.
(9) P. dem. Cairo 30607. (10) P. Tebt. 62, ll. 158 ff., 240 ff.

ومع كل الأماكن التى استردها الملك ، يبدو أن الاسكندرية ، بوصفها أقوى معاقل كليوبترة الثانية فضلا عن شدة خوف سكانها من انتقام الملك وبطشه بسبب تأييدهم للملكة ، قاومت يورجتيس على الأقل حتى عام ١٢٧ ق٠م٠ ودليلنا على ذلك أن وثيقة (١) من قروقوديلو بوليس بتاريخ ٩ من يناير عام ١٢٧ مؤرخة فعلا بسنى حكم يورجتيس ، لكنه بدلا من أن ينص فيها على أن كهنة العبادة الرسمية كانوا يقيمون فى الاسكندرية ، قيل انهم كانوا فى معسكر الملك ٠ ولو أن الملك كان قد استرد عاصمته لكانت قد غدت ثانية بطبيعة الحال مقر كهنة العبادة الرسمية الذين كانت الوثائق تؤرخ بأسمائهم ، ولما كان هناك مبرر لأن يكون معسكر الملك مقر أولئك الكهنة على نحو ما نص عليه فى هذه الوثيقة ٠ وبالرغم من أن الصيغة المألوفة لم تظهر ثانية فى الوثائق التى وصلت الينا حتى الآن الا منذ شهر أغسطس عام ١٢٦ (٢) ، فانه يرجح أن الاسكندرية سقطت فى يد الملك قبل ٨ من أغسطس عام ١٢٧ ، وذلك استنادا الى أنه جاء فى وثيقة (٣) من هذا التاريخ أن كهنة العبادة الرسمية يقيمون فى مقرهم المألوف ٠

وقد جاء فى احدى شذرات كتاب ديودوروس (٤) أن بطلميوس الكبير (Presbyteros) أنفذ قائده هجلوخوس (Hegelochos) ضد الاسكندريين وكان على رأسهم مارزواس ، وأنه بعد احراز نصر حاسم عليهم أظهر نحو مارزواس تسامحا غير منتظر ٠ ثم يمضى ديودوروس فيقول ان الملك بدأ أخيرا يغير سلوكه محاولا الاقلال من غضب الجماهير عليه بالتصرف تصرفا انسانيا رحيما ٠ ويبدو أن الجزء الأخير من شذرة ديودوروس ينطبق على سيرة يورجتيس الثانى أكثر من انطباقه على أى ملك آخر ٠ بيد أنه لما كان الملك الذى تتحدث عنه هذه الفقرة قد وصف بالكبير ، وكان ذلك يوحى بأنه لم يوصف على هذا النحو عفوا وانما للتفرقة بينه وبين بطلميوس صغير ، وكان لا يوجد

(1) BGU III, 993, col. 2.
(2) P. Dem. Lourve 2420 ; Revillout, Chrest. dem., pp. 358 ff. ; P. Dem. Tor. 174, 23; Revillout, Nouv. Chrest. dem., pp. 103 ff.
(3) P. Leid. 376; Revillout, Rev. Eg. I, p. 130; Otto u. Bengtson, p. 99.
(4) Diod., XXXIV-XXXV, 20.

مبرر لوصف بطلميوس يورجتيس الثانى بالكبير على نحو ما جاء فى تلك الشذرة ، فان بعض المؤرخين يرى أن بطلميوس الكبير المقصود هنا هو بطلميوس التاسع فيلومتور سوتر (١) .

واذا كنا نسلم بأنه لا يوجد مبرر لوصف بطلميوس يورجتيس الثانى بالكبير ، وبأن هذا الوصف قد يكون أكثر انطباقا على بطلميوس فيلومتور سوتر ، فاننا مع ذلك نرى أن الفقرة كلها لا يمكن أن تنطبق على بطلميوس التاسع ، وذلك لأنه اذا كان قد استعاد الاسكندرية بعد أن فقدها لأخيه الأصغر بطلميوس اسكندر الأول ، فانه لم يستعدها نتيجة لانتصار حربى مثل ما فعل يورجتيس الثانى . وفضلا عن ذلك فان الملك الأخير هو الذى اتصف بالقسوة المتناهية فى معاملة رعيته الى حد أنها خلعت عليه لقب الشرير وكانت سببا فى طرده . ولعل مرد وصفه بالكبير الى أن ديودوروس أو أحد المعلقين كان يتكلم فى الجزء المفقود الذى يسبق هذه الشذرة عن أحد أبناء الملك ثم عاود الكلام عن الملك نفسه فاقتضى التمييز بينهما اضافة هذه الصفة .

ولا نجد ذكرا آخر لهجلوخوس فى الوثائق البطلمية بينما يحدثنا نقش (٢) بأن التجار الرومان بالاسكندرية أقاموا فى ديلوس تمثالا لقائد بطلمى يدعى لوخوس (Lochos) ابن قاليميديس (Callimides) « قريب الملك بطلميوس والملكة كليوبترة » ؛ تقديرا لحسن صنيعه نحوهم عند سقوط الاسكندرية فى قبضة يورجتيس . وتحدثنا نقوش أخرى عن لوخوس « قريب الملك » و « أخيه » (٣) الذى يوصف أحيانا بأنه حاكم منطقة طيبة (٤) وأحيانا بأنه هو بومنيماتو جرافوس والحاكم المطلق لمنطقة طيبة (٥) . وازاء ذلك لا نستبعد ما يذهب اليه بوشيه لكلرك من أن هجلوخوس كان لوخوس (٦) .

واذا كانت الاسكندرية لم تسقط فى يد يورجتيس الثانى الا فى عام ١٢٧ ، فانه ليس معنى ذلك أن كليوباترة الثانية كانت لا تزال فى الاسكندرية

---

(1) Otto u. Bengtson, pp. 100-101.
(2) O.G.I.S. no. 135.
(3) O.G.I.S. no. 138, 2.
(4) U.P.Z. II, 187; O.G.I.S., 137-139.
(5) O.G.I.S., 147; Mitford, Mnem., 3 Ser., VI, pp. 119 ff.
(6) Bouché-Leclercq, II, p. 74.

حتى ذلك الوقت . ويبدو أن مركزها أخذ يضعف باطراد منذ عـودة يورجتيس الى مصر ، فانتهزت فرصة عودة دمتريوس الثانى ، زوج ابنتها، من بارثيا فى عام ١٢٩ وأغرته على غزو مصر (١) .

ويحدثنا يوستينوس بأن كليوبترة الثانيـة عرضت على دمتريوس

(١) منذ انتصار دمتريوس الثانى على اسكندر بالاس (عام ١٤٥) مرت بالدولة السلوقية تقلبات مختلفة اذ أنه سرعان ما أصبح دمتريوس وجنوده المرتزقة من كريت مكروهين غاية الكره فى انطاكية ، فاستحضر قائد عسكرى ، أطلق عليه لقب تروفون (Tryphon) ، طفلا من الأعراب وزعم انه ابن بالاس ، ونادى به ملكا باسم انطيوخوس السادس ، وفتحت له انطاكية ابوابها على مصاريعها (عام ١٤٥) فاضطر دمتريوس الى اقتسام الملك معه . وفى الجنوب كانت فلسطين مستقلة فعلا تحت سيطرة اليهود ، واصطلح تروفون مع يوناتان واخيه سيمون (Simon) ، لكنه فى عام ١٤٣ دبر مقتـل يوناتان ، واشتبك مع اليهود . وازاء ذلك اكد لهم دمتريوس الاستقلال التام والاعفاء من الجزية ، واقام سيمون كاهنا اكبر ، وتخلى عن القلعة الملكيـة (عام ١٤٠) ، وترك الامارة اليهودية تتسع بالفتوحات ، فلم يستفد اذن من جراء الانقسام فى الدولة السلوقية سوى بنى اسرائيل . وفى تلك الأثناء عزل تروفون الملك الصبى انطيوخوس السادس (عام ١٤٢) لكنه استبقاه فى قبضته ، واخذ يعمل على الاستئثار بالملك وحده دون افـراد الأسرة السلوقية .

وعندما كانت سوريا مقطعة الأوصـال على هذا النحـو ، غزا بابل ميثريداتس الأول ملك بارثيا (عام ١٤١) فزحف ضده دمتريوس الثانى (عام ١٤١) ، لكنه هزم وأسر فى العام التالى وبقى عشر سنوات فى قبضة اعدائه ، الذين عاملوه معاملة طيبة الى حد أن ملك بارثيا سمح له بالزواج من ابنته الأميرة رودوجونى (Rhodogune) . ونتيجة لأسر دمتريوس اصبح تروفون الحاكم الوحيد فى سوريا ، فقتل انطيوخوس السادس (عام ١٣٨) ، وهو الذى عرفنا انه كان فى قبضته منذ خلعه . لكن شقيق دمتريوس ، وكان شابا قديرا فى العشرين من عمره تمكن فى ظرف شهر أو شهرين من القضاء على تروفون واصبح ملك سوريا بمفرده وعرف باسم انطيوخوس السابع صيديتيس (Sidetes) اى الصيدى (نسبة الى مسقط راسه صيدا) وتزوج كليوبترة ثيا . وقد صمم انطيوخوس السابع على محاربة بارثيا لاسترداد بابل ، لكن صدامه مع اليهود حال فى أول الأمر دون قيامه بهذه الحملة ، اذ أن امتناع اسرة هاسمونايوس عن دفع الجزية عن المدن التى فتحتها ادى الى عراك تمخض عن سلسلة من النكبات ، الا أن انطيوخوس السابع استطاع فى عام ١٣٤ الاستيلاء على بيت المقدس . وبالرغم من النصيحة التى اسديت لهذا الملك بقطع دابر اليهود عن آخرهم ، فانه عامل المدينة برفق وترك لليهود حرية العبادة . وفى عام ١٣١ استطاع الرحيل الى الشرق ، لكنه بعد بداية موفقة هزم وقتل فى العام التالى، وفقدت الدولة السلوقيةولاياتها الشرقية الى غير رجعة . وكان ملك بارثيا قد اطلق سراح دمتريوس ليثير المتاعب فى مؤخرة اخيه . وفى عام ١٢٩ عاد دمتريوس الى انطاكية .

السيطرة على مصر لقاء تدخله العسكرى (١) • ويصعب أن نتصور حدوث هذا التفاهم بين كليوبترة الثانية ودمتريوس لو لم يكن قد تصالح قبل ذلك مع زوجته كليوبترة ثيا واستأنفا الحكم سويا • ويؤيد ذلك رواية يوستينوس (٢) ويوسف (٣) ونقود دمتريوس (٤)• ومن ثم فانه يبدو أن كليوبترة ثيا لم تختلف ثانية مع زوجها دمتريوس وتنفصل عنه الا فى عام ١٢٦ بعد أن هزمه اسكندر زابيناس (٥) •

وقد خف دمتريوس الى نجدة كليوبترة الثانية ظنا منه أن الفرصة قد سنحت أخيرا لتحقيق الأطماع التى طالما راودت أنطيوخوس الثالث والرابع لكنهما فشلا فى تحقيقها • غير أنه لم يستطع التقدم وراء بلوزيون حيث وجد يورجتيس فى انتظاره ، ورفض جيشه الاشتباك فى القتال مما اضطره الى الانسحاب • وقد استغل يورجتيس كراهية الجيش لدمتريوس وعمل بنشاط على تأليب رعيته عليه (٦) •

وازاء الفشل الذى منى به دمتريوس تحطمت آمال كليوبتره فولت هاربة فى عام ١٢٩ الى سوريا حاملة معها كنوز الدولة معللة نفسها بتكوين جيش يساعدها على استعادة عرشها (٧) • ويحدثنا يوستينوس (٨) بأن يورجتيس واجه هذا الخطر باقامة منافس لدمتريوس كان شابا ابن تاجر مصرى يدعى بروتارخوس ، لكنه زعم أنه ابن اسكندر بالاس واتخذ فعلا اسم الاسكندر (٩) • وقد رحب به أهل أنطاكية وأطلقوا عليه لقب زابيناس (Zabinas) ومعناه العبد المشترى •

وبالرغم من تأييد مصر لزابيناس ، فانه استغرق ثلاثة أعوام ليفوز بالعرش ، فقد كان نشاط دمتريوس خارقا للعادة ، لكن الأمر انتهى بهزيمته عند دمشق فحاول الالتجاء الى عكا ، غير أن كليوبترة ثيا أوصت دونه أبواب هذه المدينة ، ففر الى صور حيث لقى حتفه بأمر زوجه

(1) Justin., XXXVIII, 9, 1 ; XXXIX, 1, 2 ff.
(2) Justin., XXXIX, 1, 4, 7.
(3) Joseph., Ant. Jud., XIII, 268.
(4) Babelon, Rois de Syrie, pp. 153 ff.
(5) Justin., XXXIX, 1, 4.
(6) Justin., XXXIX, 1, 5.
(7) Justin., XXXIX, 1, 4.
(8) Justin., XXXIX, 1, 4-5.
(9) Porphyr. ap. Euseb., Chron, ed. Schoene, I. 257.

السابقة (١) (١٢٦ ق٠م٠) ٠ وترينا نقود زابيناس أن العام الأول من حكمه كان العام الرابع والثمانين بعد المائة (١٨٤) من عهد السلوقيين أى الموافق لأكتوبر ١٢٩ — أكتوبر ١٢٨ ق٠م٠ (٢) ٠

ويبدو أن يورجتيس صالح كليوبترة الثانية فيما بين ٣٠ من يناير و ٩ من يولية عام ١٢٤ ، اذ أنه لدينا من التاريخ الأول وثيقة (٣) مؤرخة بيورجتيس وكليوبترة الثالثة فقط ، ولدينا من التاريخ الثانى برديات دبموتيقية (٤) نرى فيها لأول مرة منذ عهد الاضطرابات ظهور اسم كليوبترة الثانية فى التأريخ جنبا الى جنب اسمى يورجتيس وكليوبترة الثالثة ٠

ولماذا صالح يورجتيس كليوبترة الثانية برغم استتباب الأمر له ؟ ربما كان الباعث على ذلك أمرين وأحدهما هو أن كليوبترة حملت معها كنوز الدولة حين فرت الى سوريا فأراد استعادة هذه الكنوز ٠ والأمر الآخر هو أنه كان لا يزال لكليوبترة أنصار كثيرون كانت تقع بينهم وبين أنصاره منازعات عنيفة أراد القضاء عليها ونشر الهدوء والسكينة فى البلاد ٠ لكن الصلح بين يورجتيس وكليوبترة الثانية لم يقض على العداء بين أنصارهما ، لأنه لم يكن من اليسير وضع حد فى الحال للصراع الذى كان قائما بين الفريقين فى أماكن متعددة ، وأفضى الى كثير من العنف والاضطرابات ٠ وتحدثنا وثيقة بردية (٥) عن وقوع حرب محلية فى عام ١٢٣ ق٠م٠ بين مدينة قروقوديلوبوليس (بالقرب من الجبلين) ومدينة هرمونثيس ، كما تحدثنا وثيقة بردية أخرى (٦) عن وقوع اضطرابات فى مديرية طينة فى عام ١٢٢/١٢١ ، وعن حدوث قلاقل خطيرة فى بانوبوليس (اخميم) بعد ذلك ، بدليل أن هذه المدينة استثنيت من قرار العفو العام (٧) ، الذى أصدره الملوك الثلاثة فى عام ١١٨ لوضع

---

(1) App., Syr., 68; Liv., Epit., LX.
(2) Cf. Babelon, op. cit., p. CXLIX.
(3) P. Dem. Louvre, Revillout, Chrest., p. 303.
(4) P. Berl. 3099, 3100, 5508.
(5) Wilcken, Chrest., no. 11.
(6) P.S.I., III, no. 171.
(7) Cf. P. Tebt. 5. ll. 134 ff., 147 ff.

الأمور فى نصابها فى كل أنحاء المملكة (١) • ويرى البعض أن هذا القرار يمثل ما اتفق عليه بطلميوس الثامن وكليوبترة الثانية من أجل استتباب الأمن والسلام فى البلاد • ذلك أن الاضطراب القائم كان يرجع الى حد كبير الى أنه فى أثناء فترة النزاع بينهما أعطى كل منها لأنصاره منحا ، والى أن كلا منهما كان لا يعترف بما منحه الآخر ، ولذلك فانه كان هناك كثيرون ممن يشعرون بأن ملكية الأرض التى فى حوزتهم مهددة • وقد كان ذلك أيضا حال المعابد التى ناصرت أحد الفريقين وحصلت على أرض أو امتيازات من بطلميوس أو كليوبترة • فكان غرض قرار عام ١١٨ محو آثار الخلاف والاعتراف للجميع بحقهم فى الاحتفاظ بما يملكون • وهكذا اعترف كل من بطلميوس وكليوبترة بما كان الآخر قد منحه لأنصاره ، ليطمئن الناس جميعا على ممتلكاتهم وتهدأ نفوسهم ويخلدوا جميعا الى السكينة (٢) •

وعندما تصالحت كليوبترة الثانية مع يورجتيس ، واستردت مكانتها فى الاسكندرية ، وبقيت ابنتها كليوبترة ثيا للحفاظ على حقوق أسرة السلوقيين ضد زابيناس ، كان طبيعيا بعد القضاء على دمتريوس أن يؤيد يورجتيس ابنة أخويه (فيلومتور وكليوبترة الثانية) • وبعد أن دبرت كليوبترة ثيا مقتل ابنها الأكبر سلوقس الخامس ، لأنه اتخذ لقب ملك دون استئذانها ، أشركت معها فى الملك ابنها الآخر أنطيوخوس الثامن جروبوس (Grypos) وهو الذى وعد بأن يسلس لها القياد • ولم يكن من يورجتيس الثانى الا أنه أمد أنطيوخوس بجيش وزوجه كليوبترة تروفاينا (Tryphaena) ، وكانت ابنته من كليوبترة الثالثة (٣) • وفى عام ١٢٣ استولى أنطيوخوس الثامن على زابيناس وأعدمه (٤) • ولا نعرف أن يورجتيس قام بأى عمل فى سوريا بعد القضاء على زابيناس ، ولعله قنع بتنصيب ابنته ملكة هناك • وبعد عامين لقيت كليوبترة ثيا حتفها ، اذ أنها كانت تريد أن تحكم تحت ستار اسم ابنها ، لكنه لم يسلس لها القياد

(1) Cf. Ibid., ll. 17-58.
(2) Preisigke, Archiv., V, 1913, pp. 301 ff.
(3) App., Syr., 69.
(4) Justin., XXXXIX, 2, 3-6 ; Diod., XXXIV-XXXV, 28 ; Cf. Joseph. Ant. Jud., III, 269.

كما وعد ، فصممت على أن تدس له السم ، الا أنه كشف عن المكيدة فى الوقت المناسب وأرغمها على تجرع السم الذى أعدته له (١) •

سلوك يورجتيس فى شيخوخته :

ويبدو أن الشعور الكريم الذى اظهره يورجتيس نحو مارزواس لم يكن نزوة طارئة بل بداية سياسة علمته التجارب المريرة أن يحرص على اتباعها منذ استعادته الاسكندرية فى عام ١٣٧ • فلا عجب أنه يبدو لنا فى شيخوخته فى ضوء يختلف عما عهدناه فيه ، فقد أصبح حاكما شديد الحدب على رعيتـه ، يحرص على تخفيف أعبائهم ويسهر على حمايتهم من جور الموظفين • ولا أدل على ذلك من سلسلة قرارات العفو التى أصدرها فى عامى ١١٨ و ١١٧(٢)•واذا كان قد اضطهد علماء الاسكندرية فى شبابه فانه كان يغدق عليهم فى كهولته مرتبات باهظة ، ومثل ذلـك الفليسوف بانارتوس (Panaretos) وهو الذى يحدثنـا أثينايوس (٣) بأن مرتبه كان أثنى عشر تالنتا سـنويا • ويـروى استرابون (٤) أن يورجتيس تحمل نفقات بعثة خرجت لاستكشاف الهنـد تحت اشراف الجغرافى يودوكسوس ، لكنه عند عودة البعثة استولى على كل ما أحضرته معها من عطور وجواهر •

ونتبين من نقش على أحد جدران معبد ادفو أنه فى ٢٨ من يونية عام ١١٦ ق • م • توفى يورجتيس فى الخامسة والستين تقريبا (٥) ، بعد أن خلع عليه جنونه الدموى أسوأ سمعة لصقت بأى ملك من ملوك البطالمة ولم يفلح فى محو أثر ذلك ما اتصفت به شيخوخته من المحاسن • وسنـ... فى سياق الحديث عن السياسة الداخلية كيف أنه يوجد تباين كبير بـ... الأثر الذى تتركه فينا حياته ، فى ضوء ما تصورها النصوص الأدبيـة القليلة المشوهة التى نعتمد عليها فى استخلاص سيرته ، والأثر الـذى تتركه فينا الوثائق الادارية التى وصلت الينا من عصره (٦) • وقد أعقب

---

(1) App., Syr., 69; Justin., XXXIX, 2, 7-8; Bouché-Leclercq, II, pp. 79-88; Bevan, pp. 313-4; Jouguet, Nat. Eg., p. 159; Otto u. Bengtson, pp. 113-4.
(2) P. Tebt. nn. 5; 124.
(3) Athen.,XII, 552c.
(4) II, 98-102.
(5) Otto u. Bengtson, p. 44.
(6) Bevan, p. 325; Jouguet, Nat. Eg., p. 159.

وفاة بطلميوس الثامن صراع عنيف على السلطة . واذا كانت كليوبترة الثانية قد نجحت فى الاحتفاظ بسلطتها حتى أواخر عام ١١٦ فانه لم يرد لها ذكر فى الوثائق بعد ٢٧ من نوفمبر عام ١١٦ ، ولا يبعد أن تكون قد ماتت ميتة غير طبيعية حوالى هذا التاريخ . وعلى كل حال فانه لا سبيل الى الشك فى أنها لم تكن على قيد الحياة بعد عام ١١٦ ق . م (١) .

يورجتيس يورث ابنيه المتاعب :

وقد ختم يورجتيس الثانى حياته المليئة بالأخطاء السياسية بخطأ سياسى جسيم ، قد يكون مرده الى الرغبة فى ارضاء زوجه الطموح كليوبترة الثالثة أو فى اظهار استمساكه بالمذهب الذى ورثه عن بطلميوس الأول وعمل به طوال حياته وهو المذهب القائل بأن العرش حق لأجدر الناس به وليس لأكبر الأبناء سناه وعلى كل حال فانه ترك لكليوبترة الثالثة العرش وكذلك اختيار من تشركه معها من ابنيه الشرعيين (٢) . ولم يكتف يورجتيس بأن يوجد على هذا النحو أسباب الفرقة والتنافس بين أبنيه الشرعيين ، فقد تسبب ثانية فى تقسيم دولة البطالمة بأن أوصى بقورينائية لابنه غير الشرعى بطلميوس أبيون (٣) .

بيد أنه لما كانت قد وصلت الينا من قورينائية نقود تحمل اسم بطلميوس التاسع فيلومتور سوتر وترجع الى فترة تمتد من عام ١١٦ حتى عام ١٠٧ (٤) ، فانه يبدو أن الاسكندريين — وقد كانوا يكرهون تقسيم الدولة — رفضوا الاعتراف بحق أبيون فى قورينائية بوصفه ابنا غير شرعى ليورجتيس الثانى ، وأنه لم تكن لدى أبيون القوة اللازمة ولا الفرصة المناسبة لتأييد حقه طبقا للوصية ، ولذلك استقر الرأى أن يحكم أبيون قورينائية على أن يعترف لبطلميوس التاسع بالسيادة .

وهكذا يبدو كأن يورجتيس الثانى ، الذى أشقاه النزاع الأسرى طويلا ولم يفز بحكم دولة البطالمة الموحدة الا بعد كفاح مرير ، عز عليه

(1) Rostovtzeff, Soc. and Ec., p. 875 ; Otto u. Bengtson, pp. 136, 144 ; Skeat, p. 35, n. 14.
(2) Justin., XXXIX, 3, 1.
(3) Justin., XXXIX, 5, 2 ; App., Mithrid., 121 ; Liv., Epit., LXX.
(4) Poole, p. LXXX ; Cf. Svoronos, p. 283, n. 1725.

أن يهنأ وريثه بحكم دولة موحـدة لا يضنيها الانقسـام ولا تزعجها الخلافات الأسرية • وسنرى توا كيف أنه بعد وفاة يورجتيس الثـانى وكليوبترة الثانية كان حاكم مصر الحقيقى كليوبترة الثالثة ، وهى التى أطلق عليها الاسكندريون لقب قوقى (Kokke) (١) ، أى الحمراء ، وكيف أن أطماعها الجامحة وقسوتها المتناهية تمخضت عن منازعات أسرية مستمرة أسهمت فيها أحداث سوريا (٢) •

بطلميوس التاسع فيلومتور سوتر يرتقى العرش :

وعند وفاة يورجتيس ، كان ابنه الأكبر من كليوبترة الثالثة مقيما فى قبرص ، وكان شابا يناهز الخامسة والعشرين من عمره (٣) ، وكانت كليوبترة الثالثة تضمر لهذا الابن كراهية عميقة ، اذ أن باوسانياس (٤) يحدثنا بأن التاريخ لا يعرف حالة أخرى كرهت فيها أم أبنها الى هذا الحد • فلا عجب أنها كانت تفضل تنصيب أخيه الأصغر ، الاسكندر ، ملكا اما لأنها كانت تحبه أكثر منه ، واما لاعتقادها أنه كان أضعف من أن يحد من سلطتها • لكن الاسكندريين ، وقد أدركوا ما يترتب على عدم احترام القوانين المألوفة لوراثـة العرش من بذر بـذور الشقاق والنضال ، حالوا دون تتويج الاسكندر ، وأرغموا كليوبترة على اسناد العرش الى صاحبه الشرعى ، فاضطرت الى النزول على رغبتهم ، والى أن تشرك معها ابنها الأكبر بطلميوس التاسع (٥) الذى أتخذ اللقب الالهى فيلومتور سوتر ، وأطلق الأهالى عليـه لقب لاثورس (Lathyros) ومعناه « حمص » (٦) • ويبدو أنه عندما ارتقى بطلميوس التاسع عرش مصر ، آثر أخوه الذهاب الى قبرص للاقامة فيها ، ولم يمض وقت طويل قبل اقامته حاكما على هذه الجزيرة • وبالرغم من أن لقبه الرسمى كان قائد الجزيرة ، فانه فيما يبدو كان يعتبر نفسه ملكا فى الواقع ، اذ أنه عندما ارتقى عرش مصر فيما بعد ، اعتبر أن حكمه يبدأ من العام الرابع

(1) Chronicon Paschale, p. 347 Bonn ; Strack, pp. 144-145 ; Cf. Strab. XVII, 749.
(2) Rostovtzeff, Soc. and Ec., p. 875.
(3) Bouche-Leclercq, II, p. 91.
(4) Paus., I, 9, 1,
(5) Justin., XXXIX, 3, 2.
(6) Letronne,Recueil, II, p. 78, 1.

من حكم خيه بطلميوس التاسع (عام ١١٤ — ١١٣) ، وهو التاريخ الذى يظن أنه عين فيه حاكما لقبرص (١) •

ولم يكن ملك مصر الشاب ، أول الأمر ، فى مركز يسمح له بمقاومة ارادة أمه ، حتى أنها عندما أرادت التنكيل به وطلبت اليه أن يطلق ابنتها كليوبترة الرابعة ، وكان قد تزوجها فى خلال حياة أبيه ويحبها حبا شديدا ، أذعن لارادة أمه (عام ١١٥) وتزوج الأخت الصغرى ، كليوبترة الخامسة سلينى (Selene = القمر (٢) • وازاء ما نعرفه عن طموح كليوبترة الرابعة وشدة مراسها ، يبين أن كليوبترة الثالثة لم تنشد باقصائها عن بطلميوس التاسع تعكير صفو حياته فحسب بل اخضاعه لارادتها وتجنيب نفسها متاعب كالتى لاقتها أمها على يديها •

وقد أثبتت كليوبترة الرابعة أنها جديرة بسلسلة الملكات اللائى حملن اسم كليوبترة ، اذ أنها لم تستسلم لمصيرها بل صممت على قهر أمها كما قهرت كليوبترة الثالثة أمها من قبل ، فهى لم تلبث أن ذهبت الى قبرص لتكون لنفسها جيشا من الجنود المقيمين هناك ، لكن مصادرنا لا تساعدنا على معرفة الدور الذى قام به الاسكندر فى هذه المسألة ، ولا اذا كانت كليوبترة الرابعة قد فاتحته فى الزواج منها ، والعمل على ارتقاء العرش سويا بالقوة ، كما يفترض بعض المؤرخين الحديثين (٣) ، الا أنه يبدو أن الاسكندر أيدها بعض الوقت ، ثم لم تلبث أمه أن كسبت وده بتعيينه حاكما لقبرص • وعلى كل حال فان كليوبترة الرابعة لم تقم طويلا فى قبرص بل برحتها الى سوريا لتعرض يدها وجيشها على أنطيوخوس التاسع قوزيقنوس (Cyzicenos) ابن كليوبترة ثيا من أنطيوخوس السابع صيديتيس ، وكان قد طرد من سوريا أخاه أنطيوخوس الثامن جروبوس ، ابن كليوبترة ثيا ودمتريوس الثانى ، وزوج كليوبترة تروفاينا ، الأخت الكبرى لكليوبترة الرابعة •

---

(1) Paus., I, 9, 2; Bouché-Lecl., II, pp. 91-2 ; C.A.H. IX, p. 386 ; Bevan, pp. 326-7.

(2) Justin., loc., cit. ; Bouché-Leclecq, II, p. 91.

(3) Bouché-Léclercq. II. pp. 92-3.

وتبعا لذلك فان الحرب بين الأخوين أصبحت حربا بين الأختين أيضا . وعندما خرج جروبوس من مأواه فى أسبندوس وانتصر على أخيه واستولى على أنطاكية ، كانت كليوبترة الرابعة فى هذه المدينة لكنها فرت الى معبد أبولو فى دفنة . ويقال ان الملك المنتصر كان يعتزم العفو عن شقيقة زوجه ، غير أن تروفاينا لم تشارك زوجها هذا العطف على أختها وأمرت باعدامها (عام ١١٢) . ويقال أيضا ان يدى كليوبترة الرابعة قطعت لانتزاعها من المذبح المقدس الذى تعلقت به ، وانها لفظت نفسها الأخير وهى تستمطر اللعنات على أختها ، التى لم تلبث أن لقيت حتفها فى العام التالى ، عندما وقعت فى قبضة قوزيقنوس الذى قتلها لتهدئة روح أختها (عام ١١١) (١) . وقد أخذت المملكة السورية فى الانهيار نتيجة لانقسامها بين الأخوين ، اذ أن جروبوس كان يحكم سوريا السلوقية وقوزيقنوس جوف سوريا . ووسط انهيار السلطة المركزية ، أخذت المدن الاغريقية فى سوريا تتصرف باطراد كما لو كانت دولا مستقلة وتحارب أو تتحالف مع بعضها بعضا كما يحلو لها ، وانفصلت قوماجينى (Commagene) عن الدولة . وأصبحت قيليقيا مأوى للقراصنة . وازدادت قوة النبط وكذلك امارة اليهود ، التى أخذت تتابع فتوحاتها فى كنف حاكمها وكاهنها الأكبر هورقانوس (Hyrcanos) (٢)

انفجار الصراع فى اسرة البطالمة ، طرد بطلميوس التاسع ليخلفه العاشر :

وقد أفضت أحداث سوريا الى انفجار الصراع الكامن فى أسرة البطالمة . ذلك أن قوزيقنوس حاول عبثا طرد جروبوس من دمشق والدفاع عن مدن مملكته من اعتداء اليهود عليها . وعندما حاصر اليهود مدينة ساماريا (Samaria) الاغريقية فى أواخر أيام هورقانوس ، واستغاثت بقوزيقنوس وهزمه اليهود (٣) ، ناشد مساعدة بطلميوس التاسع (عام ١٠٨) فأرسل اليه جيشا مكونا من ٦٠٠٠ رجل ، لكنه لم

(1) Justin., XXXIX, 3, 3-12 ; Bevan, p. 328 ; Jouguet, Nat. Eg., p. 161 ; C.A.H. VIII. p. 135 ; IX, pp. 386-7.

(2) C.A.H. VIII, pp. 531-2 ; Jouguet, Nat. Eg., p. 161.

(3) Joseph., A. Jud. XIII, 275-288.

يكن نصيب هذه النجدة سوى الهزيمة ، وقتل أحد القائـدين اللذين تركهما قوزيقنوس أمام ساماريا ، واشترى اليهود خدمة الآخر ، واستولوا على المدينة وذبحوا أهليها •

وقد أثار تصرف بطلميوس التاسع غضب كليوبترة الثالثة فصممت على تدبير خطة تؤدى الى أن يخلع الشعب الملك الذى فرضه هـذا الشعب عليها • وذات يوم جرى بعض خصاة القصر فى الشوارع مخضبين بالدماء وهم يتصايحون بأن الملك أراد قتل أمه وأنهم جرحوا فى أثنـاء دفاعهم عنها • وقد ألهبت هذه المسرحية عواطف الشعب فسارع الى القصر للقضاء على ذلك الملك العاق ، لكنه تمكن من الهرب بحرا تاركا وراءه زوجه وابنيه (عام ١٠٧) (١) •

وعنـدئذ استدعت كليوبترة ابنهـا الاسكـندر بطلميوس العاشر وأشركته معها (٢) • واذا كانت آخر وثيقة وصلت الينا من عهد كليوبترة الثالثة وبطلميوس فيلومتـور سوتر مؤرخـة فى ٢٣ من أكتوبـر عام ١٠٧ (٣) ، فان أول وثيقة لدينا من عهـد كليوبترة الثـالثة وبطلميوس اسكندر الأول ترجع الى ١٥ من نوفمبر عام ١٠٧ (٤) ، ومن ثم فان طرد بطلميوس التاسع يكون قد وقع بين هذين التاريخين • وتشير القرائن الى أن هذا الملك كان قد خلع مرتين قبل ذلك : احداهما لمدة بضعة شهور فى أواخر عام ١١٠ ، والأخرى لمدة بضعة شهور أيضا فى النصف الأول من عام ١٠٨ (٥) • وقد سارع الرومان الى الاعتراف بالملك الجديد (٦) ، ولا شك فى أنه كان يسرهم أن يروا الأسر المالكة فى شرق البحر المتوسط تسعى الى حتفها بظلفها •

ولا يفوتنا أن نبين هنا أن كليوبترة قد غضبت من تصرف ابنها لثلاثة أسباب : أولها ، هو أنها كانت تميل الى جروبوس وتكره قوزيقنوس ،

---

(1) Paus. I, 9, 2 ; Justin., XXXIX, 4.

(2) C.A.H. VIII, pp. 532-3 ; Bouché-Leclercq, II, pp. 93-5 ; Jouguet, Nat. Eg., pp. 161-2 ; Bevan, p. 329 ; Rostovtzeff, Soc. and Ec., p. 875.

(3) B.G.U., 996.

(4) P. Grenf. II. 23 a.

(5) Otto u. Bengtson, pp. 160-5, 173-6 ; Otto, Sitzb. Bayer. Akad., 3, 1939, pp. 28-33.

(6) Joseph., A. Jud., XIV, 250.

فهى لم تغفر له زواجه من ابنتها كليوبترة الرابعة التى خرجت على طاعتها • والسبب الثانى ، هو أنه كان ليهود بيت المقدس الذين ازدادت قوتهم زيادة كبيرة تأثير على يهود الاسكندرية ، ولا شك فى أن هؤلاء قد أغضبهم أن يخف بطلميوس التاسع الى مساعدة قوزيقنوس على بنى جلدتهم • ويظهر أن كليوبترة كانت تتطلع الى الاستعانة بيهود الاسكندرية ، لتأييدها فى الصراع الداخلى ، وبيهود بيت المقدس للتدخل فى سوريا تدخلا مثمرا ، ولذلك اقتفت كليوبترة سياسة أبويها ، فيلومتور وكليوبترة الثانية ، فى التودد الى اليهود ، ولم تتبع سياسة فيلوباتور ويورجتيس الثانى المناهضة « لشعب الله المختار » • والسبب الثالث ، هو أن اقدام الابن على سياسة تعارضها الأم ينهض دليلا على افلاته من قبضتها وتحديه لها تحديا سافرا لم يكن فى وسعها تجاهله ، الا اذا كانت مستعدة للنزول له عن سلطتها ، وهذا أمر لم يدر طبعا بخلدها •

وقد فر لاثوروس هاربا الى قبرص فأرسلت أمه قوة ضده • بيد أنه اذا صح ما يرويه يوستينوس (١) ، فان لاثوروس أبى الاشتراك فى حرب سافرة مع أمه ، وفضل على ذلك الانسحاب الى سلوقية قرب مصب نهر العاصى ، لكن أمه أبت أن تتركه فى سلام وجردت حملة لطرده من تلك المدينة • ومعلوماتنا عن هذه المطاردة محدودة ، فهى مقصورة على ما يرويه ديودوروس من أن الملك الطريد كشف أن أحد أصدقائه كان يتآمر ضده فألقى القبض عليه ولم يعد بعد ذلك يثق فى أحد (٢) • بيد أننا نعرف أن لاثوروس عاد بعد وقت قصير الى قبرص وأن أمه أخفقت فى طرده من تلك الجزيرة (٣) •

دولة اليهود :

وقد أصبحت دولة اليهود ، صديقة روما ، أقوى جزء فى سوريا ، اذ أنه فى نهاية عهد هورقانوس كان اليهود يملكون كل الاقليم جنوبى الكرمل ، فيما عدا مدن الساحل : عكا وعسقلان وغزة ودورا

(1) Justin., XXXIX, 4,2.
(2) Diod., XXXIV-V, 39 a.
(3) Joseph., A. Jud., XIII, 287 ; 331.

وستراتونوبورجوس (Stratonopyrgos) • وعندما توفى هورقانوس خلفه ابنه أريستوبولوس (Aristobolos) لكنه لم يحكم الا عاما واحدا (١٠٤ — ١٠٣) ، لأنه قتل أمه وأخاه فقضى عليه وخز الضمير ، غير أنه فى خلال حكمه القصير أرغم الجليليين بحد السيف على اعتناق اليهودية• وبعد وفاته أقامت أرملته سالومى (أو سالينا) ابنا آخر لهورقانوس يدعى يانايوس (Jannaios) اسكندر ، يبدو الآن محققا أنه كان أول من اتخذ لقب ملك فى دولة اليهود الجديدة • ويمكن تتبع اتجاهين هامين فى دولة اليهود منذ أن فازت باستقلالها حتى نهاية حكم يانايوس اسكندر ، وهما ابتعاد أسرة هاسمونايوس الحاكمة تدريجيا عن حزب القديسين ، واتساع نطاق هذه الدولة تدريجيا بالفتوحات • وقد بلغ هذان الاتجاهان ذروتهما فى عهد يانايوس ، حين امتدت حدود دولة اليهود حتى كادت تطابق حدود مملكة داود (١) •

بطلميوس التاسع والعاشر وكليوبترة الثالثة يحاولون استرداد جوف سوريا :

وعندما حاصر يانايوس اسكندر مدينة عكا ، استغاثت هذه المدينة ببطلميوس التاسع (عام ١٠٤) فرأى هذا الملك الطريد فى ذلك فرصة فريدة لدخول مصر ثانية عن طريق سوريا ، كما حاولت زوجه الأولى كليوبترة الرابعة من قبل • ولعله رأى فى ذلك أيضا فرصة لاسترداد جوف سوريا • وتبعا لذلك فانه خف الى عكا على رأس جيش جمعه فى قبرص ، يحدوه الأمل ويشجعه ما أنهاه اليه سفراء عكا من أنه سيلقى عونا من المدن الاغريقية الساحلية • لكنه فى اللحظة التى نزل فيها الى البر ، علم أن عكا قد غيرت رأيها الى حد أنها رفضت استقباله (٢) ، اذ أنه فى هذه الدولة السلوقية المقطعة الأوصال كانت المدن أو الأمراء دائما على استعداد للاستغاثة بقوى جيرانهم البطالمة ، لكن هذه القوى كانت لا تكاد تظهر حتى يثير الخوف وسوء الظن أولئك المستغيثين • وقد جرب ذلك فيلومتور ومن بعده بطلميوس التاسع • وعندئذ عمل ذلك الرجل الماهر ياناايوس على شراء خدمات بطلميوس التاسع بمبلغ كبير قدره ٤٠٠

(1) Joseph., A. Jud., XIII, 301-325 ; C.A.H. VIII, pp. 531-3 ; IX, pp. 397-9.

(2) Joseph., A. Jud., XIII, 328-322.

تالنت ، وحضه على الاستيلاء على اقليم زويلوس (Zoilos) طاغية استراتونوبورجوس لاعطائه لليهود . وفى الواقع استولى بطلميوس على شخص الطاغية ، لكنه علم أن يانايوس كان يتفاوض فى الوقت نفسه مع كليوبترة الثالثة ، فزحف ضد الملك اليهودى وأنزل به عند أسوفون هزيمة فادحة كانت عبارة عن مذبحة مروعة . وتشويها لسمعة بطلميوس نشر اليهود قصة فحواها أنه لكى يبث بطلميوس الرعب فى نفوس خصومه أمر بأن تقطع النساء والأطفال اربا ، والتهم الجنود هذه الأشلاء بعد طهيها . ولم يستح المؤرخ اليهودى يوسف أن يردد هذه القصة التى تثير السخرية (١) . وبعد ذلك استولى بطلميوس عنوة على عكا (٢) . وكان طبيعيا أن كليوبترة الثالثة شهرت السلاح ضد ابنها ، اذ لابد من أنها فطنت الى نواياه وأدركت ما قد تجنيه من وراء حملة سورية ، ولذلك فانها تحالفت مع يانايوس وجروبوس الذى زوجته كليوبترة سلينى (٣) .

ولما كانت كليوبترة الثالثة قد أودعت الجانب الأكبر من كنوزها ووصيتها وأحفادها (٤) فى حراسة معبد أسقلبيوس بجزيرة قوس (٥) ، فان هذه الاحتياطات تدل على ادراكها أنها بخروجها من مصر هى والملك والجيش والأسطول وترك مصر دون دفاع والاسكندريين طليقين من كل قيد ، كانت مقدمة على مخاطرة جسورة . ولاشك فى أنه لم يدفعها الى ذلك الا الأمل فى الفوز بجوف سوريا . وقد فطن الى هدفها أعداؤها وأصدقاؤها على السواء مما كان سببا فى شل حركتها ، فقد ضاعف أعداؤها جهودهم فى صدها ولم يتحمس يانايوس وجروبوس لتحقيق هدفها . وقد طاردت بطلميوس التاسع الجيوش المصرية بقيادة خلقياس (Chelkias) وأنانياس (Ananias) وكذلك الأسطول بقيادة بطلميوس العاشر

(1) Joseph., op. cit., 345-7. (2) Joseph., op. cit., 347.
(3) Justin., XXXIX, 4, 4.

(٤) يرجح كثيرون انهم كانوا : ابنين غير شرعيين لبطلميوس التاسع وابن بطلميوس العاشر الذى عرف فيما بعد باسم بطلميوس الحادى عشر اسكندر الثانى . لكن احدث الأبحاث تميل الى اعتبار ابنى بطلميوس التاسع ابنين شرعيين ، راجع :

P.—W., 46 Band, 1959, col. 1748.

(5) Joseph., A. Jud., XIII, 349.

الاسكندر الأول . لكن وفاة خلقياس أخرت المطاردة وأتاحت لبطلميوس لاثوروس فرصة الهرب جنوبا صوب غزة . ومـع ذلك فان كليوبترة استولت على عدة من المدن الساحلية ووصلت حتى عـكا ، حيث خف يانايوس لتحية ملكة مصر .

ويروى المؤرخ يوسف أن بعض « الأصدقاء » أوعزوا الى كليوبترة بخلع يانايوس والاستيلاء على مملكته ، لكن أنانياس نصحها بعدم الاقدام على ذلك العمل الذى كان لابد من أن يفقدها صداقة اليهود قاطبة ، فأصغت الى هذه النصيحة وعقدت مع يانايوس محالفة أطلقت يـده فى تحقيـق أطماعه . وفى تلك الأثناء كان لاثوروس قد وصـل الى غزة وعجـزت كليوبترة عن ضم هذه المدينة الى جانبها ، فقد كانت غزة خصما عنيدا لليهود ومن يحالفهم . ومن غزة تابع لاثوروس زحفه صوب مصر مؤملا مفاجأتها قبل عودة جيش كليوبترة اليها ، لكن كليوبترة ما كادت تعلم بزحفه حتى أرسلت جانبا من جيشها بحرا فبلغ بلوزيون قبل وصـول لاثوروس اليها ، مما اضطره الى الانسحاب الى غزة حيث قضى الشتاء مع جيشه الصغير . وانتهى الأمر بعودته الى قبرص ، وعودة كليوبترة الثالثة الى الاسكندرية (حوالى عام ١٠٢) ، بعد شهور طويلة من حرب لم يستفد منها الا اليهود ، الذين انقضوا بعد ذلك على المدن التى كانت لا تزال حرة ، وهى جادارا (Gadara) فى وادى الأردن ، وعسقلان وغزة على الشاطىء . وقد تبع الاستيلاء على غزة (عام ٩٦) مذابح مخيفة ، ثم عاد يانايوس الى بيت المقدس بعد أن حول هذا الشاطىء المزدهر الى صحراء بلقع (١) .

وفاة كليوبترة الثالثة :

ولم تعمر كليوبترة الثالثة طويلا بعد محاولتها السورية غير المجدية ، اذ أنها توفيت فيما بين ١٤ و ٢٦ من أكتوبر سنة ١٠١ ق.م. ذلك أنه ورد ذكر كليوبترة الثالثة بوصفها شريكة بطلميوس اسكندر فى وثيقة ترجع الى التاريخ الأول (٢) ، فى حين أنه منذ التاريخ الثانى أخذت الوثائق

---

(1) Joseph., A. Jud., XIII, 350-64 ; C.A.H. IX, pp. 387, 399 ; Bevan., pp. 330-1 ; Bouché-Lecl., II. pp. 98-103 ; Jouguet, Nat. Eg., pp. 162-4.
(2) P. Adler, G. 11.

تذكر هذا الملك مع برنيقى الثالثة ابنة بطلميوس التاسع (١) • وبوفاة كليوبترة الثالثة أصبح بطلميوس العاشر اسكندر الأول ملك مصر اسما وفعلا (٢) • ولا نكاد نعرف شيئا عن هذا الملك ، الذى يحدثنا معاصره بوسيدونيوس (Posidonios) الرودسى(٣) بأنه كان كأبيه «البطين» منتفخا من الشحم ، الى حد أنه كان يعجز عن المشى الا اذا سنده خادم من كل جانب لكنه اذا شرب حتى ثمل أظهر رشاقة فائقة فى أداء الرقصات الخليعة • ويتهمه يوستينوس (٤) وباوسانياس (٥) وأثينايوس (٦) بقتل أمه • ويروى لنا يوستينوس كيف أن هذه الجريمة أثارت غضب الاسكندريين على الملك ، الى حد أنهم ثاروا عليه وطردوه من الاسكندرية • ولسنا نعرف عن يقين اذا كانت كليوبترة الثالثة قد ماتت ميتة طبيعية أم أن ابنها عجل بموتها ، لكنه من المؤكد أن وفاتها لم يتمخض عنها طرد ابنها ، أو على الأقل أن ابنها لم يطرد عقب وفاتها مباشرة ، فقد انقضى بين الحادثتين اثنا عشر عاما تقريبا • ولا نعرف شيئا عن أحداث مصر فى هذه الفترة ، وأما عن سوريا فانه قضت على جروبوس طعنات وزيره هيراقليون وتزوجت أرملته سلينى من منافسه قوزيقنوس (عام ٩٦) ، الذى هزمه وقتله سلوقس السادس ابن أخيه ، اذ أن فرعى هذه الأسر المنكودة كانا فى حرب مستمرة • وقد أفاد الرومان من هذا الاضطراب ، فضموا قيليقيا بعد أن أصبحت مأوى للقراصنة (٧) •

بطلميوس ابيون يورث قورينائة لروما :

ويبدو أن أبيون قنع بحكم قورينائية دون الاستقلال بها الى أن انفجر الصراع بين كليوبترة الثالثة وبطلميوس التاسع ، فأعلن أبيون استقلاله فى عام ١٠٧ عندما طرد من الاسكندرية بطلميوس التاسع وهو الذى كان أبيون قد تعهد بالاعتراف له بالسيادة • ويبدو كذلك أنه لكى

---

(1) P. Adler, G. 12, (26 Oct.) : P. Tebtunis, no. 106, (31 Oct.) ; Cf. Strack, pp. 54-5 ; Otto und Bengtson, p. 134, fn. 3.
(2) C.A.H. IX, p. 387.
(3) Posidonios ap. Alhen., XIII, 550 b.
(4) Justin., XXXIX, 4, 5.
(5) Paus., I, 9, 3.
(6) Athen., XII, 530 a.
(7) Bouché-Leclercq, II, pp. 106-7 ; Jouguet, Nat. Eg., p. 164.

يؤمن أبيون استقلاله ويفوز بتأييـد روما ، اقتفى أثر أبيه فى عام ١٥٥ فأوصى بقورينائية لروما من بعده (١) . وتبعا لذلك فانه عندما توفى فى عام ٩٦ آلت مملكته الى روما ، فكـانت قورينـائية أول جزء من ارث البطالمة يقع فى قبضة روما ، غير أنها لم تباشر فى الحال حكم قورينائية ، بل سمحت لمدنها الخمس بأن تتولى بنفسها ادارة ، أو على الأصح ، سوء ادارة شئونها . وقد اكتفت روما بالاستيلاء على أملاك التاج هناك ، وبفرض ضريبة على النبات الطبى سـيلفيون (Silphion) وكان محصول قورينائية الرئيسى . ولم تصبح قورينائية ولاية رومانية الا فى عام ٧٤ ق . م (٢) .

طرد بطلميوس العاشر :

وفى عام ٨٩ ق . م كان بطلميوس العاشر ، بسبب سلوكه وخـوار عزيمته ازاء ضياع قورينائية ، قد أصبح شخصية كريهة ، الى حـد أن الاسكندريين (٣) ثاروا عليه ، وانضم الجيش (٤) الى الثوار فرأى نجاته فى الفرار من البلاد . وعندما اسـتطاع بعـد ذلك بقليـل اسـترداد الاسكندرية بمساعدة قوة من المرتزقة ، ثار عليه الاسكندريون وطردوه ثانية . فقد انفجر مرجل غضبهم عليه ، لأنه سطا على مقبرة الاسكندر الأكبر واستولى على التابوت الذهبى الذى دفن فيه (٥) ، لكى يتمكن من دفع أجور جيشه الجديد . وقد فر بطلميوس العاشر الى لوقيا ومعه زوجه الملكة برنيقى الثالثة وابنته ، لكنه لم يلبث أن هلك فى معـركة بحرية (٦) وهو يحاول ، فى رأى البعض ، الوصول الى قبرص (٧) ، وفى رأى البعض الآخر ، استعادة مصر من جديد (٨) (عام ٨٨) .

---

(1) Liv., Epit., LXX ; Cf. Justin., XXXIX, 5, 2 ; Appian., B. Civ.,I, 111 ; Mithrid., 121.

(2) Bouché-Leclercq, II, pp. 108-9 ; Bevan, p. 332.

(3) Justin., XXXIX, 5, 1 ; Paus., I, 9, 3.

(4) Strabo, XVII, 794.

(5) Porphyr., F.H.G., 722 = Euseb., I, p. 164 Schoene.

(6) Porphyr., loc. cit.

(7) Bouché-Leclercq, II, pp. 109-10 ; Rostovtzeff, Soc. and Ec., p. 876; Jouguet, Nat. Eg., p. 164 ; Bevan, pp. 322-4.

(8) C.A.H. IX, p. 387.

بطلميوس التاسع يسترد عرشه :

وبوفاة بطلميوس العاشر خلا الجو لأخيه الأكبر بطلميوس التاسع ، الذى استدعاه الاسكندريون ليتولى ثانية حكم مصر وقبرص (١) . ولما كانت آخر وثيقة مؤرخة باسم بطلميوس اسكندر ترجع الى ٦ من سبتمبر عام ٨٨ (٢) ، وكانت قد وصلت الينا من منطقة طيبة وثيقة بتاريخ ٤ من أكتوبر عام ٨٨ ومؤرخة باسم بطلميوس فيلومتور سوتر (٣) ، فان هذا يدل على أنه فى خلال الفترة الواقعة بين هذين التاريخين طرد الأول واستعاد الثانى عرشه .

ولما كان بطلميوس التاسع قد بلغ عندئذ الرابعة والخمسين تقريبا ، وكانت الأحداث قد ملأت نفسه مرارة ، فانه للوفاء بمقتضيات التقاليد التى كانت تحتم وجود زوجين على العرش لم يفكر فى الزواج من جديد وانما استدعى من لوقيا ابنته برنيقى الثالثة (٤) وهى التى كانت زوجة بطلميوس العاشر ، وأشركها معه فى الملك وعرفا سويا باسم الالهين فيلادلفوى فيلومتورس سوترس .

وفى الحال أقلق بال بطلميوس التاسع فى خلال الفترة الثانية من حكمه ثورات المصريين ، فزحف (عام ٨٨) على طيبة ، معقل الثورة ، واشتبكت قواته معها فى حرب دامت ثلاث سنوات وانتهت بتخريبها (عام ٨٥) (٥) . وفى ذلك الوقت كانت الحرب مستعرة بين روما وميثريداتس يوباتور ملك بونتوس ، وكانت سياسة مصر تؤثر السلامة والعافية ، فقد كانت تنطوى على الحياد الى أن تتبين لها نتيجة هذا الصراع العنيف . وكان لساسة الاسكندرية بعض العذر فى ترددهم ، فقد كان لا يتيسر لأحد عندئذ أن يتنبأ بالمستقبل ، ويعرف أكانت روما

---

(1) Bouché-Leclercq, II, pp. 110-111.

(2) P. Amh. 51.

(3) P. Dem. Strass., 8.

(٤) لا يمكن الجزم هل كانت برنيقى الثالثة ابنة بطلميوس التاسع من زوجته الأولى كليوبترة الرابعة ام من زوجته الثانية كليوبترة سلينى . وفى الحالة الأولى تكون قد ولدت قبل عام ١١٥ ، وفى الحالة الثانية بين عامى ١١٣ ، ١٠٨ . ولعل الأرجح انها كانت ابنة كليوبترة الرابعة .

(5) Paus. I, 9, 3 ; C.A.H. IX, p. 388 ; Bevan, pp. 335-7.

أم بونتوس هى التى ستصبح أقوى دولة فى الشرق الأوسط • ذلك أنه فى عام ٨٨ قهر ميثريدتيس جيشا رومانيا فى آسيا الصغرى ، واستولى على ولاية آسيا الرومانية ، وأرسل قوة الى بلاد الاغريق ، حيث ثارت أثينا على روما ، ومع ذلك فان روما كانت لا تزال قوة يخشى بأسها • وفى خلال تقدم ميثريداتس غربا ، استولى على قوس (١) ، فوقع فى قبضته أحفاد كليوبترة الثالثة والكنوز المصرية ، وكانت كليوبترة الثالثة قد أرسلتها الى هذه الجزيرة مع أحفادها لتكون الكنوز وهؤلاء الشبان فى مكان أمين فى أثناء حربها مع بطلميوس التاسع • وقد كان هؤلاء الشبان ابنى بطلميوس التاسع وكذلك ابن بطلميوس العاشر من زوجة لا نعرف من كانت ، وان كان البعض يظن أنها كليوبترة الرابعة اذا صح أنها تزوجت بطلميوس العاشر مدة وجيزة فى الفترة بين انفصالها عن بطلميوس التاسع وزواجها من أنطيوخوس التاسع فوزيقنوس ، ولكننا نستبعد ذلك لأننا لا نعقل اقدام بطلميوس العاشر على تحدى أمه بالزواج من أخته بعد أن طلقها أخوه الأكبر بأمر الأم • ويفسر بقاء ابن بطلميوس العاشر طوال هذه المدة فى جزيرة قوس بعدم اطمئنان أبيه الى مركزه على عرش مصر فى تلك الأثناء (٢) ولعل هذا يفسر أيضا الاحتفاظ بالكنوز المصرية فى قوس • وعقب وفاة بطلميوس العاشر ، كان ابنه هذا وابنا عمه هم الورثة الشرعيون لعرش مصر بعد بطلميوس التاسع ، ولذلك فانه كان يقلق بال الاسكندرية وقوعهم فى قبضة ملك بونتوس •

وعندما تولى النبيل الرومانى صلا قيادة الحرب ضد ميثريداتس ، وأخذ يضيق الخناق على قوات ميثريداتس فى بلاد الاغريق ، كان ميثريداتس لا يزال قوة يخشى بأسها ، هذا الى أن مقاليد الأمور فى

(1) App., Milwrid., 23; B.C. I, 102; Strab. ap. Joseph., A. Jud., XIV. 112; Bouche-Leclereq, II, pp. 111-12; Bsvan, p. 333; C.A.H. VIII, pp. 243-388.

لا يشير ابيانوس ولا استرابون الى استيلاء ميثريداتس على ابنى بطلميوس التاسع ، لكن سير الحوادث لا يدع مجالا للشك فى ذلك ، ولا سيما أنه لا يوجد ما يدل على أنهما لم يكونا فى قوس عند وقوعها هى والكنوز المصرية وابن بطلميوس العاشر فى قبضة ميثريداتس •

(2) Bouché-Lleclercq. II, p. 117.

روما لم تلبث أن انتقلت الى الشعبيين خصوم صلا الذين اعتبروه عدوا للدولة . ولما كان يتعذر عندئذ التنبوء سواء بنتيجة الصراع الراهن بين ميثريداتس وصلا أم بنتيجة الصراع المقبل بين صلا وخصومه الرومان ، فان مصر وغيرها من الدول الموالية لروما كانت لا تميل الى توريط أنفسها بتقديم مساعدات كبيرة الى صلا خشية اغضاب ميثريداتس من ناحية والحكومة الرومانية المناهضة لصلا من ناحية أخرى . وتبعا لذلك فانه فى شتاء عام ٨٧/٨٦ ، حين كان صلا يحاصر أثينا ، وجاء رسوله لوقولوس (Lucullus) الى الاسكندرية يطلب امدادا من السفن (١) ، أحسن بطلميوس التاسع استقباله ، لكنه لم يعطه الا عددا قليلا من السفن لتصحبه حتى قبرص (عام ٨٦) ، وان كان قد عرض عليه عدة هدايا لم يقبل منها لوقولوس الا حجرا كبيرا من الزمرد عليه صورة للملك ، رأى من الحكمة ألا يرفضه خشية أن يغضب الملك فيوعز بقتله فى عرض البحر ، مما يشير الى الفكرة التى كونها المبعوث الرومانى عن أخلاق الملك . بيد أن الأثينيين أفاضوا فى امتداح بطلميوس التاسع بسبب سخائه فى مساعدتهم على اعادة بناء مدينتهم ، بعد الأهوال التى أنزلها صلا بأثينا انتقاما من خروجها على طاعة روما . وقد شهد باوسانياس بعد ذلك بقرنين التمثالين اللذين أقامهما الأثينيون لبطلميوس التاسع فيلومتور سوتر وبرنيقى الثالثة عندمدخل الأوديوز (Odeon) (٢) . وقد توفى هذا الملك فى الثانية والستين تقريبا من عمره ، فى أواخر عام ٨١ أو أوائل عام ٨٠ ق . م ، وكان يشوبه شىء من الضعف وميل الى القسوة ، لكنه كان بريئا من الأطماع الجامحة (٣) .

مصرع برنيقى الثالثة وبطلميوس الحادى عشر :

وعندما توفى بطلميوس التاسع فيلومتور سوتر دون أن يوجد فى مصر من سلالته الشرعية سوى ابنته برنيقى الثالثة ، آل الملك اليها بمفردها (٤) . ولم يعترض الاسكندريون على ذلك ، لأنهم كانوا يحبونها

(1) Plut., Lucull., 2-3 ; App., Mithrid. 83.
(2) Paus., 1, 9, 3.
(3) Porphyr., 2, 9 ; Bouché-Leclercq, II, pp. 110-5 ; Bevan, pp. 338-341 ; Nat., Eg., p. 165 ; Skeat, pp. 36-7, nn. 18 and 19.
(4) Porphyr., F.H.G., III, p. 722.

حبا جما (١) ، ويخشون تجدد الخلافات الأسرية اذا أثاروا مشكلة حق امرأة لا زوج ولا وريث لهـا فى التربع على العرش بمفردها ، فآثروا الهدوء والسكينة على مراعاة التقاليد مراعاة دقيقة .

ويحدثنا باوسانياس (٢) بأن برنيقى كانت الذرية الشرعية الوحيدة التى أنجبها بطلميوس التاسع . ومعنى ذلك أن ابنيه اللذين كانا فى قوس ، وأصبح أحدهما ملك مصر بطلميوس الثانى عشر والآخر بطلميوس ملك قبرص ، لم يكونا شرعيين . لكن يوستينوس (٣) يحدثنا بأن بطلميوس التاسع أنجب ولدين من كليوبترة سلينى . وفى نقش من قورينائية (٤) ورد ذكـر ابن بطلميوس التـاسع من كليوبترة سلينى . ويحدثنـا شيشرون (٥) بأن بطلميوس الثانى عشر كان ابنا شرعيا لبطلميوس التاسع. وازاء هذه القرائن نرجح أن ابنى بطلميوس التاسع (وهما اللذان كانت كليوبترة الثالثة أرسلتهما الى قوس حوالى عام١٠٣ محافظة على سلامتهما ثم وقعا فى قبضة ميثريداتس) كانا ابنين شرعيين (٦) . ويبدو لنا أنهما لو كانا غير شرعيين لما عنى ميثريداتس بأن يخطبهما لابنتيه على نحو ما سنرى ، ولما عنيت كليوبترة الثالثة بارسالهما الى قوس مع الابن الشرعى لعمهما . واذا كان من الواضح أنها أرسلت ابن بطلميوس العاشر محافظة على سلامته ، فلعل الغرض الظاهر من ارسال ابنى بطلميوس التاسع كان أيضا المحافظة على سلامتهما ، لكنه لعل الغرض الحقيقى كان الخوف من أن ينتهز خصومها فرصة تغيبها عن مصر فيتآمروا على اقامة أحدهما ملكا .

وقد مر بنا أنه عندما استولى ميثريداتس على قوس (عام ٨٨) وقع فى قبضته أولئك الشبان الثلاثة ، لكن ابن بطلميوس العاشر تمكن من الفرار والانضمام الى صلا الذى أخذه معه الى روما (عام ٨٣) . وعندما توفى بطلميوس التاسع ، كان صلا قد أصبح دكتاتور روما وسيد العالم الرومانى . ولا أدل على مدى ما وصل اليه النفوذ الرومانى فى مصر

(1) Cicero, De rege Alex. (Caram acceptamqoe populo).
(2) I, 9, 3.
(3) XXXIX, 4, 1.
(4) S.E.G., XI,, 5.
(5) Cicero, Pro Sestio, 57.
(6) Otto u. Bengtson, p. 177, n. 1 ; P.—W., 46 Band, 1959, col. 1748.

من أنه عندما قرر صلا أن يقيم على عرشها صنيعة له يلوذ بحمايته ، وأرسل بعد وفاة بطلميوس التاسع ببضعة شهور بطلميوس اسكندر الثانى، الى الاسكندرية مزودا بأمر منه ، لم يكن فى وسع الاسكندريين مناهضته ، فنودى بهذا الشاب ملكا (١) « بطلميوس الحادى عشر اسكندر الثانى » وتزوج برنيقى الثالثة ابنة عمه ، وكانت أيضا زوج أبيه فيما مضى . ولسنا نعرف اذا كان هذا الزواج قد تم بناء على توصية صلا بقصد التوفيق بين فرعى الأسرة ، أو أن الاسكندريين هم الذين فرضوه على الملك الجديد ، فقد جرت التقاليد بأن يتخذ الملك لنفسه زوجه من الأسرة المالكة ، ولم تبق فى مصر سيدة من نسل البطالمة الشرعى سوى برنيقى . وفضلا عن ذلك فانه وفقا لأحكام القانون الخاص الاغريقى كان يجب على الوريثة أن تتزوج أقرب أقاربها حفاظا على الارث فى الاسرة .

ويبدو أن برنيقى لم تعبأ بهذا التغيير ، لاعتقادها بأنها متستطيع السيطرة على زوجها الصغير ووضع كل السلطة الفعلية فى قبضتها ، اذ أنه لم يكن معقولا ولا ممكنا أن تتنزل تلك الملكة طائعة عن السلطة التى تمتعت بها مدة طويلة ، لكن بطلميوس الحادى عشر ، برغم صغر سنه ، كان مصمما على أن يكون ملكا اسما وفعلا . ولذلك فانه سرعان ماضاق ذرعا بزوجه وقتلها فى اليوم التاسع عشر من زواجه منها ، دون أن يدخل فى حسابه الاسكندريين الذين أثارهم مقتل ملكتهم المحبوبة الى حد أنهم انقضوا على القصر فى الحال ، وجروا الملك منه وقتلوه فى الجومنازيوم ، فلم يدم حكمه أكثر من تسعة عشر يوما (٢) .

ضياع امبراطورية البطالمة وتغلغل النفوذ الرومانى فى مصر :

ويتضح بجلاء مما مر بنا أنه منذ أن فقد البطالمة امبراطوريتهم على عهد بطلميوس الخامس ، اقتصرت سياستهم الخارجية — بقدر ما سمحت لهم الثورات القومية والمنازعات الأسرية والسياسة الرومانية — على محاولة بطلميوس السادس والتاسع والعاشر وكليوبترة الثالثة استرداد

(1) App., B. Civ., I, 102.
(2) Cicero, De rege Alex. ; Porphyr., loc. cit. ; Appian., B.C., I, 102 ; Bouché-Leclercq, II, pp. 119-20 ; Bevan, p. 342 ; C.A.H., IX, p. 388 ; Jouguet, Nat Eg., 190 ; Cf. P. Oxyr., 2222.

جوف سوريا ، لـكنهم باءوا بالفشل وفقدوا أيضـا قورينايئة • وقبل فشل بطلميوس السـادس فى استرداد جوف سوريا ، نكب بهجـوم أنطيوخوس الرابع الذى لم ينقذ مصر من براثنه الا تدخل روما ، لا حبا فى استقلال مصر ، وانما خوف من ازدياد قوة الدولة السلوقية اذا ضمت اليها مصر ، ومن ثم فان البطالمة أصبحوا يدينون لروما بعرشهم • ولا أدل على ذلك من اعتمـاد كل من بطلميوس السادس والثـامن على روما لتأييد قضيته فى أثناء نزاعهما ، فلا عجب أن أفضى ذلك كله الى ازدياد نفوذ روما فى مصر • وينهض دليلا على هذا النفوذ اقامة بطلميوس الحادى عشر على عرش مصر بأمر صلا • واذا كانت روما قد انتهزت كل الفرص لتسيطر على السياسة المصرية فى الداخل وفى الخارج ، فان مصر كانت لا تزال تحتفظ باستقلالها على الأقل فى الظاهر • وعندما وقع الشرق تدريجيا فى قبضة الجمهورية الرومانية ، أصبح مصير مصر مثل مصير باقى العالم الهلينيسى متوقفـا على مصير الصراع بين الأحزاب فى روما ، على نحو ما سنرى •

٤ ــ بطلميوس الثانى عشر (نيوس ديونوسوس Neos Dionysos)
استقلال مصر الاسمى فى كفة القدر أو فى كفة الصراع
بين الأحزاب الرومانية (عام ٨٠ ــ عام ٥١ ق• م•)

ازمات روما فى بداية القرن الأول :

اجتازت روما أزمات خطيرة جدا فى بداية القرن الأول قبل الميلاد •[1] ذلك أن سياسة الأنانية التى اتبعتها أحفظت قلوب الايطاليين الى حد أنهم قاموا بثورة مسلحة ينشدون استقلالهم ، بعد أن فشلوا فى تحقيق المساواة التامة فى الحقوق السياسية مع الرومان • ولم تنجح روما فى اخضاعهم فى عام ٨٨ ، الا بعد أن اضطرت الى الاذعان لـكل مطـالب الايطاليين التى رفضتها من قبل • وفى العام نفسه شهدت روما اضطرابات دموية بسبب الخراب المالى ونزاع ماريوس وصلا على قيادة الحرب فى الشرق • وقد كان يتعين انقاذ الامبراطورية التى أسستها روما فى آسيا الصغرى وبحر ايجة وبلاد الاغريق من ميثريداتس يوباتور ملك بونتوس

(١) انظر ابراهيم نصحى ، تاريخ الرومان ، الجزء الثانى ص ٢٥٦ وما بعدها .

الذى اجتاح آسيا الصغرى ، واستولت قواته على ديلوس وبلاد الاغريق الجنوبية والوسطى . وعندما حالف النصر صلا فى صراعه مع ماريوس ، وجه عنايته الى درء خطر ميثريداتس . وما كاد صـــلا يخرج الى بلاد الاغريق لتحقيق هـــذا الهدف حتى وقعت فى روما اضطرابات عنيفـــة واستولى الشعبيون على مقاليد الأمور واعتبروا صـــلا عـــدوا للدولة (عام ٨٧) . بيد أن ذلك لم يفت فى عضد صلا ، فقد تابع الصراع الى أن تمكن فى عام ٨٥ من ارغام ميثريداتس على عقد الصلح ورده الى حدوده الأولى ، ولكن دون القضاء على قواته المعادية (١) ، مما كان من شأنه تجدد المتاعب وعدم استقرار الأوضاع فى الشرق الأوسط . وساعد على ذلك قيام دولة جديدة قوية هناك . ذلك أن تيجرانس ، ملك أرمينيا وحليف ميثريداتس ، أسس امبراطورية مترامية الأطراف ، اذ أنه بعدما أصبح سيد أرمينيا وأرتوباتنس (Artopatenes) وأوسروينس (Osroenes) وبلاد ما بين النهرين الشمالية وجوف قيليقيا ، توغل فى سوريا الشمالية — حيث اتخذ أحد ولاته أنطاكية مقرا لـــه (عام ٨٥) — واصطـــدم مـــع كليوبترة سلينى ، مطلقة بطلميوس التاسع وأرملة أنطيوخوس الثامن وأنطيوخوس التاسع وأنطيوخوس العاشر على التتابع . لـــكن هـــذه الأرملة لم تتنزل عن حقوق ابنيها فى عرش سوريا بل ولا فى عرش مصر . ولم يلق صلا بالا الى الخطر المتمثل فى ازدياد قوة تيجرانس ، اذ أنه بعد عقد الصلح مع ميثريداتس ، بادر الى هزيمة القوة التى كانت الحكومة الشعبية المناهضة له قد أرسلتها ضد ميثريداتس وتوجد عندئذ فى آسيا الصغرى ، ثم عكف على وضع الأمور فى نصابها فى ولاية آسيا ، وعاد الى ايطاليا حيث تغلب على أعدائه الذين كانوا قد استولوا على السلطة فى أثنـــاء غيـــابه ، وأصبح فى عام ٨٢ دكتاتور روما وســـيد العـــالم الرومانى (٢) .

بطلميوس « الزمار » يرتقى العرش :

وعندما أفاق الاسكندريون من سورة غضبهم ، وهى التى دفعتهم الى الثأر لدم ملكتهم المحبوبة برنيقى الثالثة بقتل بطلميوس الحادى عشر

(1) Cary, History of Rome, pp. 319-35.
(2) Jouguet, Nat. Eg., pp. 189-90.

اسكندر الثانى ، وجدوا أنفسهم فى مأزق حرج ، لأنه لم تعد لأسرة البطالمة سلالة شرعية الا كليوبترة سلينى ملكة سوريا وابنا بطلميوس التاسع اللذان كانا فى قبضة ميثريداتس ، ولأنهم بقتل اسكندر الثانى قتلوا صنيعة صلا وتبعا لذلك فانه كان يتعين عليهم شغل العرش الشاغر قبل أن تتدخل روما فى هذه المسألة • وفى هذه الأزمة الخطيرة اتجهت أفكار الاسكندريين الى ابنى بطلميوس التاسع وبادروا باقامة أكبرهما ملكا على مصر ، وأصغرهما ملكا على قبرص (١) • ولقد أتخذ ملك مصر الجديد (بطلميوس الثانى عشر) لقب الاله فيلوباتور فيلادلفوس ، لكنه لم يلبث أن أضاف الى ذلك أيضا لقب « نيوس ديونوسوس » ، أى ديونوسوس الجديدة أشارة الى ديونوسوس الآخر من أفراد أسرة البطالمة ، وهو بطلميوس الرابع • ومع ذلك فاذ. أكثر ألقابه شيوعا كان لقب أوليتيس أى « الزمار » الذى أطلقه عليه الشعب ، وهو لقب يعبر عن أبرز مواهبه (٢) • حقا قد لا يتعارض عزف أية آلة موسيقية مع الاضطلاع بمهام الملك ، كما أثبت فردريك الأكبر ، لكنه يبدو أن بطلميوس الثانى عشر كان مثل بطلميوس الرابع من حيث اللقب الالهى وكذلك من حيث الاستسلام للملاذ والشهوات (٣) •

ويحدثنا شيشرون (٤) بأن بطلميوس الثانى عشر كان « صبيا مقيما فى سوريا » ، عندما استدعى فجأة لارتقاء العرش • فما الذى أحضر ابن أو ابنى بطلميوس التاسع الى سوريا ، وكان أغلبها عندئذ فى قبضة تيجرانس ؟ مربنا أن تيجرانس كان حليف ميثريداتس ، ولا يبعد أنه فى حين أن بطلميوس اسكندر الثانى تمكن من الفرار الى صلا ، بقى ابنا بطلميوس التاسع فى بلاط بونتوس حتى عام ٨٠ ق٠م٠ واذا كان ميثريداتس قد أستولى فى جزيرة قوس على ابنى بطلميوس التاسع ، فانهما يكونان قد أرسلا الى تلك الجزيرة مع ابن عمهما اما حوالى عام ١٠٣ ، وفى هذه الحالة لا يمكن أن تكون سن أصغرهما فى عام ٨٠ أقل من ٢٢ عاما وبناء على ذلك فان وصف شيشرون لبطلميوس الثانى عشر

(1) Trog., Prol., XL.
(2) C.A.H., IX, p. 388.
(3) Bevan, pp. 350-1.
(4) De rege Alex.

بأنه كان صبيا عندما استدعى لتولى العرش لا يمكن قبوله الا على محمل المبالغة الخطابية • وأما أن يكون ابنا بطلميوس التاسع قد أرسلا الى قوس فى تاريخ متأخر عن عام ١٠٣ ببضع سنين وفى هذه الحالة يكون وصف شيشرون دقيقا • واذا صح ما رجحناه من أن ابنى بطلميوس التاسع كانا قد وقعا فى قبضة ميثريداتس وعاشا بعد ذلك ردحا من عمرهما فى بلاط بونتوس ، فان هذا يفسر قول أبيانوس أن كريمتى ميثريداتس خطبتا لملكى مصر وقبرص (١) •

وليس من المستبعد أنه عندما توفى بطلميوس التاسع فى عام ٨٠ ، رأى ميثريدائس أن ينتهز هذه الفرصة للقضاء على آمال بطلميوس اسكندر الثانى ، صنيعة غريمه صلا ، بارسال ابنى بطلميوس التاسع الى مصر ، وقبل أن يفتح أمام مضيفيه هذه الآمال ، رأى أن يدعم صلته بهما ، فخطبهما لابنتيه تمهيدا لعقد قرانهما اذا كللا بالنجاح فى ارتقاء العرش • واذا كان هذان الشابان قد برحا بونتوس الى مصر عن طريق سوريا ، لكنهما علما فى الطريق بأن بطلميوس الحادى عشر اسكندر الثانى قد سبقهما الى مصر مما أضطرهما الى البقاء فى سوريا حتى تنجلى الحالة فى مصر ، فان هذا يفسر قول شيشرون أن بطلميوس الثانى عشر كان فى سوريا عندما استدعى لارتقاء عرش مصر •

وترينا وثيقة ديموتيقية بتاريخ شهر يناير عام ٧٩ أنه كانت لبطلميوس الثانى عشر عندئذ زوجة تدعى كليوبترة تروفاينا ، وأن الزوجين كانا يحملان سويا لقب « الالهين فيلوباتورس فيلادلفوى (Theoi philopatores philadelphoi) (٢) • واذا كنا لا نعرف من كانت هذه الملكة الجديدة (كيلوباترة السادسة) ، فان أرجح الاحتمالات هو أنها كان أخت بطلميوس أوليتيس (الزمار) (٣) • رمن الغريب أن بطلميوس

---

(1) Appian., Mithr., 111.

(2) Preisigke-Spiegelberg, Prinz Joachim Ostraka, no. 1.

(٣) راجع بوشيه لكلرك جـ ٢ ص ١٢٤ الحاشية رقم ١ . ويلاحظ ان بفان (Bevan) ص ٣٤٦ يدعو هذه الملكة كليوبترة الخامسة لانه فيما يبدو أسقط من حسابه كليوبترة سلينى التى تزوجها بطلميوس التاسع عندما ارغمته امه على ترك زوجه الاولى كليوبترة الرابعة .

الزمار أجل حتى شهر مارس عام ٧٦ حفل تتويجه على نهـج الطريقـة الفرعونية (١) ، مع أن ذلك كان يكسب مركـزه صـبغة شرعية فى نظر المصريين (٢) ، وأنه لم يتوج فى منف وأنما فى الاسـكندرية ، وان كان بشرنى فتاح كبير كهنة منف هو الذى قام بتتويجه •

روما ترفض الاعتراف بالملك الجديد :

وبرغم أن بطلميوس الثانى عشر ارتقى عرش مصر بمحض ارادة الاسكندريين ورغبتهم ، فان روما رفضت الاعتراف بالملك الجـديد ، ومن ثم فانه نشأت فى السياسة الرومانية « مسألة مصرية » ، وأصبحت العلاقات دقيقة جدا بين مصر وروما • وقد سرت فى روما عندئذ أنباء خطيرة ، فحواها أن بطلميوس الحادى عشر أورث مصر لروما بمقتضى وصيته الأخيرة • واذا صح أن هذا الملك ترك مثل هذه الوصية — مقتفيا فى ذلك أثر وصية بطلميوس ملك قورينائة فى عام ١٥٥ ، ووصيـة أتالوس الثالث ملك برجام فى عام ١٣٣ ، ووصية بطلميوس أبيون ملك قورينائة فى عام ٩٦ — فانه من المستبعد أن يكون قد وجد فرصة لعمل هذه الوصية فى خلال حكمه القصير ، ويرجح أن يكون صلا هو الذى أرغمه على ذلك قبل أن يسمح له بمغادرة روما ، ويأمر الاسكندريين بتوليه العرش • بيد أنه لما كان الكلام عن هذه الوصية لم ينقطع طوال عشرين عاما دون أن يرى أحد نصها على الاطلاق ، فان ذلك يوحى الينا بأن بطلميوس الحادى عشر لم يكتب أو يضع توقيعه على مثل هذه الوصية ، وبأن الأمر لم يتعد أخذ وعد قاطع منه باعداد مثل هذه الوصية بعد ارتقائه العرش واستقرار الأمر له ، وذلك لتكون الوصية صحيحة من الوجهة القانونية لكن الظروف لم تمهله لتنفيذ ما وعد به • واذا صح أن صلا هو الذى اقتضى هذا الوعد من صنيعته ، فان ذلك يدل على أن دكتاتور روما كان يعتزم ادماج مصر فى حظيرة الامبراطورية الرومانية، لكنه لا صلا ولا حكومة السناتو من بعده خطت أية خطوة لتثأر لمقتل

(1) Harris Stele in B.M., traduit par Brugsch, Dict. Géog. Egypt. ; Thesaurus ; Bevan, pp. 346-9.

(2) Jouguet, Nat. Eg., p. 191.

بطلميوس الحادى عشر أو تنفذ وصيته المزعومة (١) .

ولم تنته متاعب بطلميوس الزمار عند حد هذه الوصية المزعومة ، اذ أنه فى عام ٧٥ جاء الى روما ابنا أنطيوخوس العاشر وكليوبترة سلينى ينشدان المساعدة لاستعادة سوريا من تيجرانس والاعتراف بحقهما فى عرش مصر ، استنادا الى أن أمهما كانت لفترة ملكة مصر ، بوصفها ابنة ثامن البطالمة وزوج تاسعهم . لكنه لما كانت روما مشتبكة عندئذ فى ثلاثة حروب (مع سرتوريوس ، واسبارتاقوس ، وميثريداتس ثانية) ، فانها لم تكن مستعدة لخوض غمار حرب رابعة مع تيجرانس . ومن ناحية أخرى كانت تفضل أن يكون على عرش مصر ملك ضعيف لم تعترف به ، وتستطيع خلعه فى أى وقت يتراءى لها ذلك ، عن أن تمهد السبيل الى توحيد المملكتين السورية والمصرية . وعلى الرغم من أنه كان مفهوما أن السناتو لن يؤيد مطالب الأميرين السوريين ، فانه ترك المسألة معلقة الى أن نفد صبر الأميرين وعادا الى مأواهما فى قيليقيا فى عام ٧٣ (٢) . ولابد من أنه قد أزعج بطلميوس الزمار كذلك أن يرى روما تنفذ فى عام ٧٤ (٣) الوصية التى تركها بطلميوس أبيون فى عام ٩٦ ، بتحويل قورينائة عندئذ الى ولاية رومانية ، فخشى بطلميوس الزمار أن يكون ذلك توطئة لتنفيذ وصية بطلميوس الحادى عشر المزعومة .

ولا شك فى أنه فى خلال هذا الوقت ، الذى تحكمت فيه الأطماع الشخصية ، وفسدت الذمم ، وشاعت الرشوة فى روما ، حيث كان لكل شىء ثمنه ، وكان النبلاء يقبضون على دفة الحكومة الرومانية ، رأى النبلاء أنه من الخير لهم ترك المسألة المصرية معلقة ، لأنهم كانوا يدركون شدة حرص بطلميوس الزمار على الفوز باعتراف روما ، بالرغم من أن هذا الاعتراف كان ينطوى على نوع من الحماية ، وأن بطلميوس لن يدخر مالا لتحقيق أمنيته . ولما كانت ذمم النبلاء الخربة تتسع لكل خيرات مصر على كثرتها ، فان سياسة التسويف والتأجيل كانت تفيض

(1) C.A.H. IX, pp. 388-90 ; Bouché-Leclercq, III, pp. 118-25 ; Volterra, Le testament de Ptol. Alex. II Roi d'Eg., Bull. Inst. d'Eg., 21, 1938-39. pp. 67 ff.
(2) Cf. Cierco, In Verr., IV, 27-30.
(3) Appian., B. Civ., I, 111.

بالخير والبركة على النبـلاء الرومان ، وفى الوقت نفسه تمنع مصر من الانتعاش واسترداد مكانتها ، فتقع لقمة سائغة لهم فى أى وقت يريدون الاستيلاء عليها فعلا .

وقد صدق حدس النبلاء ، اذ أن بطلميوس الـزمار ـ ذلك الملك الضعيف ـ تكالب على ارضائهم ولم يفز الا بازدرائهم . ولكى يحصل على الأموال التى تشبع نهم الرومان ، اعتصر رعاياه الذين لم يكن فى وسعهم أن يحبوه على الاطلاق . ولاشك فى أن عبء الضرائب البطلمية كان يقع قبل كل شىء على كاهل جمـوع الزراع ، لـكنه كان لدى الاسكندريين أيضا من الأسباب ما جعلهم يكرهون هذا الملك ، اذ أنهم وقد أحسوا بأن مـكانة مدينتهم ، بوصف كونها أولى مـدن العالم ، أصبحت مهددة ، أخذوا يغارون من روما ويكرهون بطلميوس الزمار لجشعه وتزلفة الرومان . وهكذا يمـكن تفسير تقلبات هذا الحـكم المنكود ، الذى دام ثلاثين عاما ، وكان مقدمة خالية من المجد للمأساة التى قضت على أسرة البطالمة فى العهد التالى (١) .

منح بومبى سلطات استثنائية :

ويبدو أنه فى خلال السنوات القليلة التالية لتحويل قورينايئـة الى ولاية رومانية لم يعد أحد فى روما يتحـدث عن مصر ، لـكنه كانت تسير قدما تلك الأحداث التى جرت روما الى استكمال فتح العالم ، والى الحروب الأهلية ، والى اثارة المسألة المصرية من جديد . ذلك أن الحرب التى شنها نبلاء السناتو فى أسبانيا ضد سرتوريوس (Sertorius) ـ وكان أحد زعماء العـامة وضاق ذرعا بفشلهم فى مقاومة صـلا عند عودته من الشرق فانسحب الى أسبانيا (عام ٨٣) حيث أخذ يعد العدة للقضاء على حكومة النبلاء (عام ٨٠ ـ ٧١) ـ والاضطرابات التى قطعت أوصال ايطاليا غداة وفاة صلا ، والقضاء على ثورة العبيد ، دفعت الى الصف الأول فئة من الرجال كان أشهرهم بومبى الأكبر وليقينيوس قراسوس اللذان خرقا حرمة القواعد الدستورية وتوليا منصب القنصلية

(1) Bouché-Leclercq, II, pp. 125-8 ; Bevan, pp. 350-1 ; Jouguet, Nat. Eg., pp. 191-2.

لعام ٧٠ رغم أنف السناتو • ولما كان بومبى قد أصبح أعظم القواد الرومان وأقوى شخصية فى الجمهورية الرومانية ، فانه منح فى عام ٦٧ سلطة استثنائية لقطع دابر القراصنة الذين عاثوا فى البحار فسادا وهددوا مؤنة روما نفسها • وفى عام ٦٦ عهد الى بومبى بقيادة الحرب الثالثة ضد ميثريداتس ، وحين كان الناس يرتجون انتصاره كانوا أيضا يرهبون عودته ، خوفا من أن يحذو حذو صلا ويقيم ديكتاتورية عسكرية (١) •

حزب الشعب وضم مصر الى الامبراطورية الرومانية :

وللقضاء على بومبى اذا سولت له نفسه استغلال انتصاراته فى الشرق أحيا قراسوس حزب ماريوس القديم ، الذى انضمت اليه شخصية قوية كانت لا تزال تتلمس سبيلها الى الحياة العامة ، وهى شخصية يوليوس قيصر • وفى عام ٦٥ تولى قراسوس القنسورية وقيصر الأيديلية ، ووضعا نصب أعينهما القيام بالأعمال التى تكسبهما محبة الجماهير وتضمن لهما نفوذا كبيرا فى الدولة • وقد كان من أهم مشروعات قراسوس ضم مصر الى الامبراطورية الرومانية وتكليف قيصر بالقيام بذلك (٢) ، وهكذا يضمن الحزب المناوىء لبومبى أن تكون تحت امرته دولة غنية ،يستطيع الدفاع عنها قائد قدير ضد قوات كبيرة ، كما أثبت البطالمة الأوائل • ولم تعوز قراسوس الحجج التى تبرر الاستيلاء على مصر فقد كان شائعا أن بطلميوس الحادى عشر أورث مصر لروما ، بمقتضى وصية لم ترتفع فوق مستوى الشبهات الا أنه لم يثبت بطلانها • ولاغراء الشعب على تنفيذ شروط هذه الوصية المزعومة ، كان من اليسير على قراسوس أن يفيض فى القول بأن البطالمة كانوا أغنى ملوك عالم البحر الأبيض المتوسط ، وبأن قمح مصر الفائض عنها سيتدفق على الأسواق الرومانية • وتبعا لذلك قدم مشروع قانون بضم مصر الى

(1) C.A.H. IX, pp. 313-49 ; Cary, op. cit., pp. 346-58, 363-70 ; Jouguet, Nat. Eg., p. 192.

انظر أيضا ، ابراهيم نصحى ، تاريخ الرومان ، الجزء الثانى ، ص ص ٣٨١ — ٤٦٤ •

(2) Plut., Crass., 13 ; Suetonius, Caesar, 11.

انظر أيضا ، ابراهيم نصحى ، المرجع السابق ذكره ، ص ص ٤٦٥ — ٤٦٦ •

الامبراطورية الرومانية ، لكن المشروع رفض بفضل معارضة شيشرون ـ صديق بومبى ـ ومعارضة النبلاء ، لا حبا فى مصر ، ولا انتصارا للحرية ، وانما لكى لا يحرموا خيرات مصر التى كانت ولابد من أن تذهب ، مادامت الأمور تسير على هذا النحو ، الى خصومهم رجال حزب الشعب . فوقف النبيل قاتولوس (Catulus) ، زميل قراسوس فى منصب القنسورية ، عقبة كأداء فى سبيل زميله ، واستقال القنسوران من وظيفتهما دون القيام بأى عمل من مهامها (١) .

ولم يخرج بطلميوس الزمار من هذه الأزمة الا ليواجه أزمة جديدة ، اذ أنه فى ديسمبر عام ٦٤ تقدم نقيب العامة رولوس (Rullus) بشروع قانون للأراضى ، يرمى فى ظاهره الى تخفيف الأزمة الاقتصادية التى يعانيها عامة روما ، لكنه يرمى فى الحقيقة الى تقوية حزب الشعب استعدادا لمواجهة عودة بومبى (٢) . وكان المشروع يدور حول انشاء مستعمرات لعامة روما فى الأراضى التى تملكها الدولة فى ايطاليا وبخاصة فى اقليم قابوا (Capua) ، وشراء أراض أخرى اذا لم تكف هذه الأراضى لسد حاجة العامة ، على أن يؤخذ المال اللازم لهذا الغرض من بيع جانب من أملاك الدولة التى اكتسبت فى الولايات منذ عام ٨٨ ، ويعهد الى لجنة مكونة من عشرة أعضاء بتنفيذ هذا المشروع . لكن شيشرون ، صديق بومبى ، ما كاد يتولى قنصلية عام ٦٣ حتى هاجم هذا المشروع منذ اليوم الأول ، فقد أخافه أو تظاهر بالخوف من السلطة التى كانت ستوضع فى قبضة لجنة العشرة فيصبح فى وسعها أن تتصرف فى كافة أقاليم الامبراطورية ، وأكد أن رولوس لم يكن الا ألعوبة فى قبضة شخص قدير ، وأن هذا المشروع لم يقصد به الا مناوءة بومبى والاستيلاء على مصر . وقد قال شيشرون فى الخطبة التى ألقاها فى السناتو :

« ان ما كانوا يستهدفونه صراحة يسعون اليه الآن خفية وسيقول أعضاء لجنة العشرة ما قاله وما يزال يردده الناس كثيرا وفى مقدمتهم

(1) C.A.H., IX, pp. 475-80 ; Cary. op. cit., p. 370 ; Bouché-Leclercq, II, pp. 128-30 ; Jouguet, Nat. Eg., p. 192.

(٢) ابراهيم نصحى ، المرجع السابق ذكره ، ص ص ٤٧٢ ـ ٤٧٥ .

القنصلان ، انه بمقتضى وصية الملك اسكندر قد أصبحت المملكة المصرية ملكا للشعب الرومانى • وهكذا ستسلمون الاسكندرية الى أولئك الرجال أنفسهم الذين يطمحون اليها الآن بدهاء ، فى حين أنكم أنكرتموها عليهم عندما كانوا يكافحون من أجلها فى وضح النهار » (١) • وبعد ذلك ببضعة أيام عدد شيشرون أمام الشعب الأقاليم التى كان يمكن أن تدخل فى نطاق نصوص هذا المشروع الفضفاضة ، وذكر أن من بين هذه الأقاليم « الاسكندرية ومصر بأجمعها التى يخفونها ويسدلون الستار عليها ، ويسلمونها لأعضاء لجنة العشرة دون أن يظهر ذلك » • وقد وفق شيشرون فى مهاجمة هذا المشروع الى حد أن رولوس اضطر الى سحبه • وهكذا خرج « الزمار » من أزمة تلو أزمة بفضل خصوم الشعبيين الرومان ، ومع ذلك فانه لم ينج كلية من الخطر ، اذ أن الذين أنقذوه لأغراضهم الخاصة أو لأغراض السياسة الرومانية الداخلية ، لم ينزلوا له عن حق روما فى مصر ولم يعترفوا به ملكا شرعيا • واذا كان فى روما من وقف حائلا دون ضم مصر اليها ، فقد كان فيها أيضا الذين يعملون جاهدين على تحقيق ذلك • ويدل هذا كله على أن المسألة المصرية كانت ماثلة على الدوام فى عقول الساسة الرومان ، الى حد أنها أصبحت سلاحا تتنازع الأحزاب على استغلاله (٢) •

وحين كان خصوم بومبى يحاولون على هذا النحو تقوية أنفسهم ، كان بومبى يحرز انتصارات باهرة فى الشرق • ذلك أنه أنزل بميثريداتس هزيمة فاصلة فى عام ٦٦ فر بعدها الى القرم حيث غدر به ابنه فارناقس (Pharnaces) ، وأصبحت مملكة بونتوس وبقية آسيا الصغرى خاضعة لروما • وفى العام التالى أرغم تيجرانس على الارتداد الى أرمينيا ، وفى عام ٦٤ حول بومبى سوريا الى ولاية رومانية (٣) ، وفى عام ٦٣ فتح فلسطين • ولما كان بطلميوس الزمار يخشى قوة بومبى ويريد كسب جانبه ، فانه أرسل فرقة مؤلفة من ٨٠٠٠ فارس لتساعده على فتح

---

(1) Cicero, Leg. agr., I, 1.

(2) C.A.H., IX, pp. 484-6 ; Bouché-Leclercq, II, pp. 130-3 ; Cary, op. cit., p. 371; Jouguet, Nat. Eg., p. 194.

(٣) مما يجدر بالذكر ان كليوبترة سلينى كانت قد وقعت فى قبضة تيجرانس وأعدمها فى عام ٦٩ •

فلسطين ، ذلك الاقليم الذى كان البطالمة يطالبون به ، لكن هذا العمل أوغر صدر الاسكندريين ضد مليكهم ، فاستبد به الخوف من جراء ذلك مما حدا به الى أن ينشد مساعدة بومبى لرد العاصمة الى صوابها . ولذلك فانه أمطر بومبى وجيشه بوابل من الهدايا ودعاه الى زيارة مصر[1]. لكن بومبى قبل الهدايا ورفض الدعوة . ومع ذلك فان خوف الاسكندريين من تدخل الرومان كان كافيا لتهدئة روعهم . ولا أدل على خوف الاسكندريين من الاشتباك مع روما مما يرويه ديودوروس ، الذى زار مصر حوالى عام ٦٠ ق٠م٠ فهو يؤكد أن الاسكندريين كانوا يبالغون فى الحفاوة بكل زائر من ايطاليا [2] .

قيصر يستصدر قانون الاعتراف ببطلميوس الزمار :

وفى ديسمبر عام ٦٢ ما أن وصل بومبى الى برونديسيوم حتى سرح قواته جميعا ، وذهب الى روما حيث أظهر استعداده للتفاهم مع السناتو ، وكان كل ما يبتغيه بومبى هو المصادقة على النظم التى وضعها للشرق ، ومنح جنوده المسرحين اقطاعات زراعية وفقا للتقليد المألوف . وبدلا من أن يقدر السناتو مسلك بومبى منذ عودته من الشرق ، ويسارع الى احتضانه واتخاذه سندا قويا يدرأ عنه وعن النظام الجمهورى الرومانى عاديات المشاغبين والقواد ذوى الأطماع الجامحة، ركب السناتو رأسه واتخذ موقفا عنتا ازاء بومبى ، وبذلك قذف به فى أحضان التحالف مع قراسوس وقيصر [3] . وكانت أولى نتائج هذا التحالف الذى يعرف فى التاريخ باسم « الحكومة الثلاثية الأولى » انتخاب قيصر قنصلا لعام ٥٩ ق٠م٠ وقد كان من بين تشريعات يوليوس قيصر قانون للأراضى قريب الشبه من مشروع قانون رولوس ، لكن قيصر كان دائما فى حاجة الى المال وكان بطلميوس مستعدا لافتداء عرشه بأى مبلغ ، ولذلك فانه ابتاع تأييد قيصر بمبلغ كبير قدره ٦٠٠٠ تالنت[4]، أى مايعادل مليون ونصف مليون جنيه استرلينى ، فلم يمس القانون الزراعى مصر .

(1) App., Mithrid, 114.
(2) Diod., 1, 83, 8 ; Bouché-Leclercq, II, pp. 134-5 ; Bevan, p. 351 ; Jouguet, Nat. Eg., pp. 194-5.
(٣) انظر ، ابراهيم نصحى ، المرجع السالف الذكر ، ص ص ٤٩٤ — ٤٩٨ .
(4) Suetonius, Caesar, 54.

وأخيرا بفضل قيصر ، على نقيض موقفه السابق ازاء هذه المسألة ، وعلى الرغ م من معارضة النبـلاء هـذه المرة ، صـدر قانون خاص بملك الاسكندرية (de rege alexandrino) اعترف ببطلميوس الزمار ملكا ، وفى الوقت نفسه صديقا وحليفا للشعب الرومانى ، جزاء ما قدمه من الخدمات للجيش الرومانى فى آسيا (فبراير عام ٥٩) . وتنفيذا لهذا القانون ، عقدت معاهدة تحالف مع مصر ووضعت نسخة منها فى سجلات القابيتول (١) . وهكذا أتت النجاة الى بطلميوس من الجانب الذى أقض مضاجعه مدة طويلة (٢) .

روما تضم قبرص :

ومع ذلك كله وبعد ذلك كله ، لم يظفر بطلميوس الزمار بالطمأنينة التى كان ينشدها ، اذ أن القانون الذى اعـترف بالزمار ملكا لم يذكر شيئا عن قبرص ، وكان أخوه يحكمها منـذ عام ٨٠ ق.م. ولمـا كان بطلميوس الزمار قد علق مصيره بمصير الصراع الحزبى فى روما ، وكان ذلك الصراع عنيفا مضطربا ، فانه كان من الممكن أن تتمخض الحوادث عن نتائج أبعد مدى مما كان يتوقعه أحد . وفى عام ٥٨ قصد قيصر بلاد الغال تاركا روما ظاهرا فى كنف حليفيه بومبى وقراسوس ، وحقيقة فى قبضة صنيعته نقيب العامة قلوديوس (Clodius). وكان من بين قوانين قلوديوس قانون تقرر بمقتضاه ضم قبرص الى روما ، ومصادرة أملاك التاج هناك لصالح الخزانة الرومانية (٣) لكى تعوض ثروة قبرص روما شيئا ما عن التضحية التى تحملتها بنزولها عن مصر ، وتغطى نفقات قانون شعبى خاص بتوزيع منح من القمح دون مقابل .

ويقال ان قلوديوس انتقم لنفسه على هذا النحو من بطلميوس ملك قبرص ، لأنه عندما وقع فى قبضة القراصنة فى عام ٦٧ رفض هذا الملك أن يفتديه بأكثر من مبلغ صغير لم يعتبره القراصنة فدية كافية(٤). ولما كان قاتو

---

(1) Cicero. Pro Rabirio Postumo, 3; Caesar, B. Civ., III, 108.
(2) Bouché-Leclercq, II, pp. 135-7; Bevan, pp. 352-3; Cary, op. cit., p.376; Jouguet, Nat. Eg., pp. 195-6.
(3) Liv., Epit., CIV; Dio Cass., XXXVIII, 30.
(4) Strabo, XIV, 684 ; App., B. Civ., II, 23.

من أقوى خصوم الحكومة الثلاثية ، وكان قيصر قد أوعز الى قلوديوس بابعاده عن روما لكى لا يهدم فى غيبة قيصر ما بناه فى أثناء قنصليته ، فانه لاقصاء قاتو عن روما وتحميله جانبا من تبعة ضم قبرص ، عهد اليه بوصفه أكثر رجال روما نزاهة باقناع ملك قبرص بالنزول عنها لروما ، لقاء اعتراف روما به كاهنا أكبر لمعبد أفروديتى فى بافوس (Paphos) لكن ملك قبرص فضل على ذلك تناول السم (١) . ولم يكن استيلاء روما على قبرص الا عملا من أعمال السطو الظالمة ، ليس له أى مبرر الا غنى هذه الجزيرة وجشع روما ، وان كان قلوديوس لم تعوزه الحيلة لتبرير هذه الجريمة ، اذ أنه اتهم الملك باطلا بعدائه للرومان وتحالفه مع القراصنة ، واستند الى وصية بطلميوس الحادى عشر التى اذا كان قد أبطل مفعولها ، فيما يخص مصر ذاتها ، قانون قيصر الذى اعترف ببطلميوس الزمار ملكا وحليفا ، فان هذا القانون لم يتضمن أية اشارة الى قبرص . وبضم قبرص الى روما بعد قورينائية لم يبق من دولة البطالمة الا مصر (٢) .

فرار الزمار لاستعداء روما على شعبه :

وضاعت قبرص دون أن يحرك بطلميوس الزمار ساكنا ، مع أنه كان يتعين عليه الا يدخر وسعا فى الاحتفاظ بهذه الجزيرة ، فقد كانت آخر ممتلكات مصر الخارجية وفى حوزتها منذ عهد بطلميوس الأول . وازاء خوار عزيمة بطلميوس الزمار ، وانهماك هذا الملك التافه فى ارهاق رعاياه بشتى التكاليف ليدفع الرشوة التى اشترى بها اعتراف روما به ملكا ، تذمرت الاسكندرية تذمرا شديدا . ويحدثنا ديون قاسيوس (Dio Cassius) بأن الاسكندريين طلبوا الى بطلميوس اما أن يسترد قبرص من الرومان واما أن يقطع علاقاته بمثل هؤلاء الأصدقاء . ولما لم يستطع الملك تهدئة ثائرة الاسكندريين لافتقاره الى الجنود المرتزقة ، فر هاربا الى روما حيث اتهم رعاياه بأنهم طردوه (٣) .

---

(1) Plut., Cato Minor, 34, 36.
(2) Bouché-Leclercq, II, pp. 137-8; Bevan, p. 353; Jougue, Nat., Eng., p. 196.
(3) Dio Cass. XXXIX, 12; Bouché-Leclercq, II, pp. 142-3.

ويتبين من المصادر القديمة أن روما صدقت هذه المزاعم (١) . ومما يجدر بالملاحظة أن رواية بورفوريوس (٢) بوجه خاص لا تترك مجالا للشك فى أن الملك برح الاسكندرية بمحض ارادته ، وتؤيد ذلك رواية بلوتارخ التى سنعرضها بعد قليل . وعلى كل حال فانه عندما غادر الملك الاسكندرية فى خلال عام ٥٨ (٣) ، لم يذهب الى روما مباشرة وانما ذهب أولا الى رودس ليستطلع رأى قاتو فى أمره . ويصف بلوتارخ (٤) هذه المقابلة وصفا مفصلا لاتنقصه الصراحة ، فهو يحدثنا بأن بطلميوس أبلغ قاتو بوصوله ، على أمل أن يخف الأخير اليه ، لكنه اتفق أن قاتو كان عندئذ متوعكا ، ودعا الملك الى زيارته اذا شاء . وعند مجيء الملك كان قاتو جالسا على كرسى يزيل ضرورة فلم يتقدم للقائه أو ينهض من مكانه وحيا الملك كأى زائر عادى ودعاه للجلوس ، فضايق بطلميوس مثل هذا اللقاء ، وبقى مشدوها من بساطة حال قاتو ، وكبريائه وطباعه الجافة . وعندما بدأ الكلام عن شئونه سمع اقتراحات كلها روية وصراحة ، ذلك أن قاتو أظهر له أنه بذهابه لاستعداء روما على رعيته ، قد هجر حياة سعيدة ليعرض نفسه للعبودية والمتاعب والرشوة والجشع بين الرومان الأقوياء الذين لا يمكن مصر أن تشبع نهمهم ، وان تحولت كلها ذهبا ، ونصحه بأن يعود ادراجه ويتفق مع مواطنيه ، وأبدى استعداده لمرافقته ، والتوفيق بينه وبين رعيته . ويبدو أنه كان لهذه العبارات أثر بين فى نفس الملك ، فكاد أن يتبع نصيحة قاتو ، الا أن رفاقه حولوه عن هذا السبيل السوى .

(1) Cicero, Pro Rabirio Postumo 2; Liv., Epit., CIV; Strabo, XII, 558; XVII, 796.
(2) F.H.G. III, 723.

(٣) يقول سكيت (Skeat, fnn. 20-22) ان آخر وثيقة مؤرخة باسم (الزمار) قبل هربه ترجع الى ١١ من اغسطس ٥٨ (Theb. Ostr. 14) . وهذا لا يستتبع أن الزمار لم يكن قد هرب قبل هذا التاريخ ، فمن ناحية هذه الوثيقة من طيبة والأنباء كانت تستغرق مدة طويلة للوصول من الاسكندرية الى طيبة ، ومن ناحية أخرى استمرت على الأقل بعض مناطق مصر ولا سيما فى الوجه القبلى تستخدم فى تأريخها عهد هذا الملك حتى بعد هروبه ، كما سنرى فيما بعد .

(4) Plut., Cato Minor, 35; Bouché-Leclercq, II, p. 143; Bevan, p. 353; Jouguet, Nat. Eg., pp. 196-7.

ويدل تفكير بطلميوس فى العودة الى مملكته على أن رعيته لم تطرده . ويؤكد تيماجنيس (Timagenes) الاسكندرى أن بطلميوس الزمار لم يغادر مصر مكرها وانما بتأثير ثيوفانيس (Theophanes) صديق بومبى، وكان يعمل على اشعال لهيب حرب تنقذ صديقه من سأم الراحة وتضفى عليه مجدا جديدا . واذا كنا لا نستبعد قيام ثيوفانيس بهذا الدور ، فاننا نرى مع بلوتارخ (١) أن أخلاق بومبى كانت تسمو عن الاشتراك فى مثل هذه المناورات . لكنه اذا كان بطلميوس قد هجر عاصمته تلقائيا بقصد العودة لاقتحامها عنوة فكيف أنه ترك خلفه كل أسرته فى وسط رعيته ؟ من الجائز أن بطلميوس لم يخرج من الاسكندرية وقد اختمرت فى رأسه تلك الفكرة الطائشة ، بل أن ثيوفانيس أغراه أولا بترك الاسكندرية فترة من الزمن حتى تهدأ ثائرتها ، ثم أخذ يزين له فكرة استعداء الرومان على الاسكندريين ليلقنوهم درسا لا ينسونه فينعم بعد ذلك بالسكينة والهدوء . ويؤيد هذا الاحتمال أن بطلميوس لم يقصد روما مباشرة وانما ذهب أولا الى رودس ليستطلع رأى كاتو ، وأنه كاد أن يقتنع بنصيحة ذلك الرجل الحكيم ويعود ادراجه الى عاصمته لولا تأثير بطانة السوء .

وفى روما أحسن بومبى وفادة بطليموس الزمار وأنزله فى قصره على تل ألبانوس (Albanus) ، وبقى بطلميوس فى العاصمة الرومانية ،من أواخر عام ٥٨ الى أواخر عام ٥٧ ، يعمل بغير كلل على شراء ذمم رجال السناتو بالرشاوى والوعود لتحقيق بغيته ، وقد قيل فيما بعد انه اشترى ذمم جميع رجال السناتو . ولما كانت موارد مملكته قد انقطعت عنه ، فانه استدان مبالغ كبيرة من الممول الرومانى رابيريوس بوستوموس (Rabirius Postumus) (٢) . وقد استولت الدهشة على الاسكندريين لمبارحة الملك دولته ، ولم يستطيعوا اقتفاء أثره بسبب ذهابه الى رودس .

(1) Plut., Pomp. 49, 7.
(2) Strabo, XVII, 796; Dio Cass., XXXIX, 14; Cicero. Pro Rabir. Post., 3; Bouché-Leclercq, II, pp. 146-7; Bevan, p. 355; Jouguet, Nat. Eg., p. 197.

برنيقى الرابعة وكليوبترة تروفاينا :

ووفقا لما يرويه ديون قاسيوس لم يعرف الاسكندريون أنه التجأ الى ايطاليا بل ظنوا أنه توفى ولذلك أقاموا مكانه على العرش ابنته برنيقى الرابعة (١) ويصفها استرابون (٢) بأنها كانت أكبر بناته الثلاث وابنته الشرعية الوحيدة . ويذكر بورفيريوس (٣) أن الاسكندريين لم يقدموا على اقامة خلف لبطلميوس الزمار الا بعد أن طالت غيبته فى ايطاليا حتى أنهم أصبحوا لا يتوقعون عودته . ولم تحكم برنيقى وحدها بل شاركتها كليوبترة تروفاينا ، ويصفها بورفوريوس بأنها كانت أختها ، لكن أغلب المحدثين يميلون الى اعتبارها أمها ، وان كان بعضهم يرى أن كليوبترة تروفاينا الأم توفيت حوالى أواخر عام ٦٩ ق . م . لأنه لم يرد لها ذكر فى الوثائق بعد ذلك الوقت ، ومن ثم فان أكثر أولاد بطلميوس الثانى عشر اما يكونون قد ولدوا قبل ذلك،وهذا لا يتفق مع مانعرفه عن أعمارهم، واما يكونون غير شرعيين ، اللهم الا اذا كان « الزمار » قد تزوج بعد ذلك سيدة لم يرد لها ذكر فى الوثائق . لكن هذا غير مقبول لأنه يثير المشكلة نفسها التى يثيرها عدم ذكر كليوبترة تروفاينا بعد عام ٦٩ . ونستبعد أيضا أن أكثر أولاد بطلميوس الثانى عشر كانوا غير شرعيين ، لأنهم لو كانوا كذلك لاستغل الرومان هذه الحقيقة أو على الأقل أشاروا اليها فى خلال محاولتهم القضاء على أسرة البطالمة من عام ٤٢ الى عام ٣٠ ق.م. ويضاف الى ذلك أن بطلميوس الثانى عشر ، وقد قاسى الأمرين حتى اعترف الرومان به ملكا شرعيا ، لابد من أنه كان يدرك ما ستصادفه ذرية غير شرعية من قبل الرومان الذين كانوا منذ مدة طويلة يمهدون السبيل الى ضم مصر الى حظيرة الامبراطورية وكادوا ينقضون عليها فى بداية عهده ، وتبعا لذلك فانه لم ينجب سفاحا . وأما عدم ذكر كليوبترة تروفاينا الأم فى الوثائق بعد عام ٦٩ ، فهو دليل سلبى قد يقضى عليه الكشف عن وثيقة جديدة أو أكثر (٤) . وبالفعل يحدثنا نقش على مدخل معبد أدفو المصرى ، بتاريخ ٥ من ديسمبر عام ٥٧ ، عن اتمام المعبد فى

---

(1) Dio Cassius, XXXIX, 13.
(2) XVII, 796.
(3) F.H.G. III, 723.
(4) Bouché-Leclercq, II, p. 145, fn. 1; Bevan, pp. 353-5.

عهد بطلميوس الثانى عشر « أوزيريس الصغير وزوجه الملكة كليوبترة تروفاينا » . فلو أن كليوبترة كانت قد توفيت أو طلقت منذ عام ٦٩ لما ورد ذكرها فى هذا النقش . ورب معترض يقول ان هـذا النقش غـير دقيق (١) بدليل أن بطلميوس الزمار نفسه لم يكن عنـدئذ متربعا على العرش . لكن هذا الاعتراض مردود لأنه اذا جاز القول بأن هذا النقش لا يعبر عن الواقع ولا عن وجهة نظر الاسكندرية ، فانه يجـوز القول كذلك بانه يعبر عن وجهـة النظر المصرية ، بل هـو فى الواقع يعـبر عن وضع « الزمار » من الناحية القانونيـة ، لأنه اذا كان « الزمـار » لا يمارس عندئذ الحكم فعلا ، فانه كان لا يزال صاحب العرش الشرعى، فهو لم يمت ولم يعزل ولم يخلفه زوجان وفقا للعرف والتقاليد . وازاء ذلك نعتقد أن هذا النقش ينهض دليلا على أنه اذا كانت الاسكندرية قد اعترفت بابنته وشريكتها ، فان بقية البلاد كانت لا تزال فى عام ٥٧ تعترف ببطلميوس وزوجه كليوبترة تروفاينا ، وعلى أن تروفاينا كانت لا تزال على قيد الحياة ، وهذا يتفق وما يحدثنا به بورفوريوس من أن تروفاينا توفيت بعد عام واحد من حكمها مع برنيقى . والقول بأن أكثر أبنـاء « الزمار » كانوا غير شرعيين معناه اعتبـار كل عبـارات اسـترابون صحيحة ، لكننا نلاحظ أنه حين وصف برنيقى بأنها ابنة الزمار الشرعية الوحيدة ، قال ان الاسكندريين أقاموها ملكة بمجرد طرد أبيها ، أى أنه يعزو الى الاسكندريين طرد الملك ولا يشير الى اشتراك أحد مع برنيقى فى الحكم . وهذان الأمران ينقصان من قيمة رواية استرابون ، فقـد رأينا من القرائن ما يرجح أن الاسكندريين لم يطردوا «الزمار» ، وعرفنا من بورفوريوس أن برنيقى لم تحكم بمفردها، وتحدثنا بردية غير مؤرخة نشرت حديثا (٢) عن حكم الملكتين. وأما عن قول استرابون بأن برنيقى الرابعة هى وحدها من بين ذرية الزمار التى كانت شرعية ، فلعل منشأه أن يكون استرابون قد خلط بينها وبين عمتها برنيقى الثالثة وهى التى استخدم باوسانياس فى وصفها هذه العبـارة نفسها « البنت الشرعيـة الوحيدة »(٣) . ومن المرجح كذلك أن يكون بورفوريوس قد أخطأ فى

(1) Strack, p. 210, 43.
(2) B.G.U., 1762, 3-4.
(3) Paus., I, 9, 3.

وصف كليوبترة تروفاينا شريكة برنيقى الرابعة بأنها أختها ، اذ أن أدنى الاحتمالات الى صحة هو أن هذه السيدة كانت زوجة « الزمـار » ، وأنها لسبب نجهله لم يرد لها ذكر فى الوثائق بين عام ٦٩ وعام ٥٧ق٠م٠ وأما سبب عدم مرافقتها لزوجها حين برح الاسكندرية فى عام ٥٨ ، فمن اليسـير تفسـيره ولا سيما أن ابنته برنيقى وباقى أولاده لم يصحبوه كذلك • ولعل مرد ذلك الى توقعه العـودة سريعـا الى مملكته ، كما مر بنـا •

ويحدثنا بورفوريوس بأن تروفاينا توفيت بعد عام واحد من الحكم المشترك ، وبأن برنيقى استمرت تحكم بمفردها مدة عامين • وهذا يتفق مع ما يرويه ديون قاسيوس من أن برنيقى حكمت ثلاثة أعـوام ، بينما تحدثنا احدى الوثائق البردية (١) بأن غيبة الزمار عن مصر دامت عامين • ولعل سبب الاختلاف بين هذه المصادر يرجع الى شىء من التجـوز فى التعبير ، لأن هذه الفتـرة كانت سنتين وبضعة أشـهر (٢) ، فأعتبـرها بورفوريوس وديون قاسيوس ثلاث سنوات وكاتب البردية سنتين فقط• وينهض دليلا على أن مدة حكم برنيقى زادت على سنتين ما جاء فى بردية ديموتقية بمتحف اللوفر من أنها « كتبت فى العام الثالث من عهد الملكة الموافق للعام الخامس والعشرين من عهد الملك » (٣) •

وهذه الوثيقة تثير مشكلة جديدة، ذلكأن العام الثالث من عهد برنيقى (٥٦/٥٥) لا يوافق العام الخامس والعشرين وانما العام السادس والعشرين من عهد الزمار ، ولعل مرد ذلك الى خطأ غير مقصـود وقع فيه كاتب الوثيقة أو ناشرها • وعلى كل حال فان هذه الوثيقة تؤيد ما رجحناه من أنه خارج الاسكندرية كان « الزمار » لا يزال يعتبر بعد هروبه ملك مصر الشرعى ، وتـدل على أن بـرنيقى لم تعتبـر ، على الأقل فى نظر المصريين ، أكثر من شريكة الزمار •

---

(1) P. Oxy., 2222.
(2) Skeat, p. 38, fn., 9.
(3) RevllIout, Rev. Eg., V, pp. 95-6; Strack, pp. 207-9.

الاسكندريون يرسلون بعثة الى روما :

وعندما علم الاسكندريون بأن بطلميوس فى روما ، قرروا ارسال بعثة الى السناتو تتألف من مائة عضو لتبرر تصرفاتهم وتدحض مزاعم الملك ، وتولى الفيلسوف ديون (Dion) رياسة هذه البعثة [١] . وقد رأى بطلميوس أن الوسيلة المثلى للحيلولة دون سماع الرومان وجهة نظر الاسكندرية أن يحول دون وصول سفرائها الى روما ، فأوعز الى بعض الأشقياء بقتلهم عند وصولهم [٢] ، وفعلا قتل بعضهم فى الطريق الى روما ، والبعض الآخر فى العاصمة نفسها ، واشتريت ذمم بقيتهم . واذا كان ديون قد نجا بحياته أول الأمر ودعى للادلاء بأقواله أمام السناتو ، فان بطلميوس أقنعه بوسائله الخاصة بألا يلبى الدعوة[٣] ، ثم دبر مقتله فى بيت مضيفه لكى يضمن ألا يفتح ديون فاهه على الاطلاق [٤] .

الصراع فى روما على الفوز بمهمة اعادة الملك :

وقد كان كل من بومبى [٥] وقراسوس [٦] يتمنى الفوز بمهمة اعادة بطلميوس الى عرشه ، لكن السناتو عهد بهذه المهمة الى القنصل سبينثر (P. Cornelius Lentulus Spinther)[٧] وكان على وشك الذهاب الى قيليقيا ليتولى حكمها فى العام التالى . ولما كان سبينثر هو الذى تولى أمر استدعاء شيشرون من منفاه ، فان شيشرون رد هذا الجميل بتأييد تولية المهمة السالفة الذكر بخطبة رنانة وصلت الينا بعض فقراتها [٨] . وأفضى قتل رسل الاسكندرية الى سلسلة من المحاكمات والفضائح . ويحدثنا ديون قاسيوس بأنه « اتهم كثيرون لكنه أدين قليلون لأن الرشوة كانت فاشية ، ولأن الخوف دفع الشركاء فى الجريمة الى معاونة بعضهم بعضا » .

وقد كان بطلميوس يفضل قيام صديقه بومبى بمهمة اعادته الى

(1) Strabo, XVII, 796 ; Dio Cass., XXXIX, 13-14.
(2) Cicero, Pro Caelio, 10.
(3) Dio Cass., XXXIX, 14.
(4) Cicero, Pro Caelio, 10, 22.
(5) Cic., Ad Fam., I, 1, 3.
(6) Cic., Ad Q. fratr., II, 3, 2.
(7) Dio Cass., XXXIX, 13.
(8) Cicero, De Rege Alex.

عرشه ، لكنه كان أيضا يخشى أن بقاءه فى روما — وسط ذلك الجو المضطرب الذى كان يسودها عندئذ — قد يؤدى لسبب أو آخر الى حدوث ما يدفع السناتو الى العدول عن مساعدته على اعادته الى عرشه ولا سيما أن بعض النبلاء كانوا يعارضون التدخل فى هذه المسألة على الاطلاق . وازاء ذلك كله غادر بطلميوس روما الى أفسوس (١) ، تاركا عميله أمونيوس فى روما للسهر على صوالحه وتوزيع الرشاوى (٢) ، أملا فى تعديل قرار السناتو لصالح بومبى ، أو على الأقل قيام سبينثر بتنفيذ قرار السناتو سالف الذكر . وبرغم أنه كانت قد منحت لبومبى فى سبتمبر عام ٥٧ سلطات واعتمادات مالية لا حد لها ضمانا لامداد روما بالمؤنة (٣) فانه كان يفضل أن يضم الى هذه المهمة مهمة اعادة بطلميوس ، اذ أنه كانت تواتيه على هذا النحو فرصة أخرى لقيادة جيش رومانى ، غير أنه لم يجرؤ على أن يذيع علنا هذه الرغبة التى كانت تختلج فى نفسه ، وأحتفظ بالموقف المبهم الذى اعتاده ، تاركا أصدقاءه يعملون على تحقيق رغبته .

ولم يخف أمونيوس أن مليكه كان يفضل بومبى ، لكنه اصطدم بمعارضة النبلاء وأصدقاء كل من سبينثر وقراسوس . وللرد على مناورات بومبى ، لجأ معارضوه الى حيلة بارعة لابطال قرار السناتو الخاص بمهمة اعادة بطلميوس الى عرشه ، أو على الأقل لانقاص قدر هذه المهمة فيزهد فيها بومبى . ذلك انه عندما حدث فى بداية شهر يناير عام ٥٦ أن صاعقة أصابت تمثال يوبيترلاتياريس (Jupiter Latiaris) انتهزت هذه الفرصة لترويج شائعات بأن حدوث ذلك وسط الشتاء نذير سوء من السماء ، وتبعا لذلك فانه وفقا لعادة الرومان فى مثل هذه الأحوال كان لا بد للجنة الخمسة عشر القائمة على حراسة وتفسير كتب الوحى السيبيولية (Sibyllae) المقدسة عند الرومان من أن تستطلع هذه الكتب بحثا عن الوسيلة الملائمة لاسترضاء الآلهة . وعند قيام

(1) Dio Cass., XXXIX, 16 : Bouché-Leclercq II, pp. 147-9 ; Jougmet. Nat. Eg., pp. 197-8 ; C.A.H., IX, p. 531.
(2) Cicero, Ad Fam., I, 1, 1.
(3) Cicero, Ad Att., IV. 1, 7., Dio Cassius, XXXIX, 9 ; Plut., Pomp., 49, 4.

اللجنة بهذه المهمة زعمت أنها وجدت نبوءة هذا نصها : « اذا جاءكم ملك مصر يسأل المعونة فلا ترفضوه صداقتكم ، ولكن لا تذهبوا لمساعدته بالقوة والا حاقت بكم المتاعب والأخطار » .

وقد بادر أحد نقباء العامة الى مخالفة القواعد المتبعة من عدم اذاعة مثل هذه الأسرار قبل أن تبلغ الى السناتو ويتخذ قرارا بشأنها ، وأرغم لجنة الخمسة عشر على اذاعة نص هذه النبوءة (١) . فكان يجب اذن مراعاة شعور الجماهير الدينى ، غير أن أولئك الذين كانت لهم صوالح فى اعادة بطلميوس قالوا انه لم يحظر سوى استخدام القوة ، وانه يمكن اعادة هذا الملك بالوسائل السلمية . وبقى اذن أن يتقرر من يكون المبعوث الرومانى الذى يضطلع بهذه المهمة ، أهو سبينثر أم بومبى أم قراسوس ؟ لكنه لم تكن لبطلميوس ثقة الا فى بومبى ، وقد أوضح ذلك فى خطاب عنى نقيب العامة بلاوتيوس (Plautius) بأن يقرأه على الشعب (٢) . واذا كانت مهمة اعادة بطلميوس قد فقدت كثيرا من أهميتها بعد حظر استخدام القوة ، فانه بقيت الفوائد المادية التى كان يمكن أن يجنيها من يضطلع بهذه المهمة .

وقد احتدمت المناقشة فى الجلسات التى عقدها السناتو فى الثانى عشر والثالث عشر والرابع عشر من يناير حول ثلاثة اقتراحات ، كان أحدها ينادى بتنفيذ القرار الذى سبق أن اتخذه السناتو ، أى بقيام سبينثر بالمهمة وكان أبرز أنصار هذا الاقتراح هورتنسيوس ولوقولوس وشيشرون . وأما الاقتراح الثانى فانه كان يدعو الى اسناد المهمة الى بومبى الذى تظاهر سواء فى أحاديثه الخاصة أم فى السناتو بتأييد سبينثر ، بينما نشط أصدقاؤه فى الترويج لاختياره .

وكان الاقتراح الثالث يدور حول اسناد المهمة الى ثلاثة مبعوثين بدلا من مبعوث واحد (٣) . وكان قراسوس صاحب هذا الاقتراح ، وكان هدفه من وراء تقسيم المهمة بين ثلاثة أشخاص جعل بومبى يزهد

---

(1) Dio Cass. XXXIX, 15-16.
(2) Dio Cass., XXXIX, 16.
(3) Cicero, Ad Fam., I, 1, 3.

فيها بعد الاقلال من شأنها الى هذا الحد . ولم تتفق الآراء الا على عدم استخدام القوة فى اعادة بطلميوس فصدر بذلك قرار من السناتو (١) . وفى السابع عشر من يناير تمكن النبلاء وسط اجتماع انقسمت فيه الآراء من الحصول على قرار من السناتو يحظر اعادة بطلميوس ، ولكن ذلك كان دون جدوى ، فقد صادر بعض نقباء العامة هذا القرار (٢) ، وأجلوا المسألة الى ما بعد شهر فبراير ، وكان السناتو يخصص هذا الشهر لاستقبال البعثات الدبلوماسية . وفى أواخر شهر يناير تقدم أثنان من نقباء العامة الى جمعية القبائل بمشروع قانون يعهد الى بومبى باعادة ملك مصر (٣) . ولا نعرف كيف حيل دون اقرار هذا القانون ، وان كنا نعرف أنه كان يسود جلسات جمعية القبائل شغب عنيف واضطرابات شديدة ، وأن قلوديوس كان يدعو الى اختيار قراسوس (٤) .

وفى اليوم السادس من فبراير ، عندما كان بومبى يتحدث مؤيدا ميلون (Milo) ، رئيس العصابات التى واجه النبلاء بها عصابات قلوديوس، عدوهم وعدو بومبى ، طغت الضوضاء على صوته . وما كاد بومبى يختتم خطبته حتى وقف قلوديوس ، فارتفعت الجلبة من ناحية معارضيه ليردوا له التحية بأحسن منها ، وانطلقت الألسنة تقذف قلوديوس وأخته المتهتكة قلوديا بالشتائم والأشعار الجارحة حتى فارقته شجاعته وضاع صوته وفقد ثقته بنفسه . ووسط هذا الشغب ، الذى دام من الساعة السادسة مساء الى الساعة الثامنة ، سأل قلوديوس أعوانه ، وقد تملكه الغضب وشحب لون وجهه ، « من الذى يريد هلاك العامة جوعا ؟ » فأجابته عصابته « بومبى » ، « ومن الذى يريد الذهاب الى الاسكندرية ؟ » — « بومبى » ، « ومن الذى تريدون ارساله الى هناك ؟ » — « قراسوس » (٥) لكن النبلاء استخدموا كل الوسائل للحيلولة دون ذلك . واتخذ السناتو قرارا بألا يعيد أحد بطلميوس ، لكن أنصاره من نقباء العامة صادروا هذا القرار (٦) .

(1) Cicero, Ad Fam., I, 2.
(2) Cicero, Ad Fam., I, 7. 4.
(3) Cicero, Ad Quint. fratr., II, 2, 3 ; Ad Fam., I, 5.
(4) Cicero, Ad Q. fratr., II, 3, 2 ; Plut., Pomp., XLVIII.
(5) Cicero, Ad Quint. fratr., II, 3, 2 ; Plut., Pomp., XLVIII.
(6) Cicero, Ad Fam., I, 7, 4.

ويحدثنا ديون قاسيوس (١) عن قانون أصــدرته جمعية القبائل فى هذا المعنى . لكن شيشرون ، وهو الذى نستمد منه أكثر معلوماتنا عن هذه المسألة ، لا يذكر شيئا عن مثل هذا القانون . ولو صح أن جمعية القبائل كانت قد أصدرت هذا القانون لصادره أنصار بطلميوس من نقباء العامة مثل ما صادروا قرار السناتو المماثل . وعلى كل حال فانه فى شهر يولية عام ٥٦ لم يكن قد تم أى شىء فى المسألة المصرية .

وفى آخر شهر يولية كتب شيشرون (٢) الى سبينثر ينهى اليه أنــه هو وبومبى يريان أن السناتو لم يقرر حرمانه حق اعــادة الملك ، وأنه اذا ترك الملك فى عكا أو فى أى مكان آخر قريب، وتوجه الى الاسكندرية على رأس أسطول وجيش وسيطر عليها ثم دخلها الملك بعد ذلك ، فانه يكون على هذا النحو قد نفذ قرار السناتو لأنه أعاد الملك الى عرشه واحترام النبوءة السيبولية لأنه لم يستخدم القوة فى ذلك . وأوضح له أنه وهو وبومبى متفقان على أن تقدير عمله ســيتوقف على النتيجة النهائية ، فاذا حالفه التوفيق فان الكل سيجمع على أنه تصرف بحكمة وشجاعة ، وأما اذا صادفه أدنى فشل فان أولئك الأشخاص أنفســهم سيصفون تصرفه بالجشع والتهور . وتبعا لذلك فانه يجب أن يقدر جيدا مالديه من فرص النجاح ، واذا تبين أنه فى وسعه الاستيلاء على مصر فانه يجب ألا يتردد ، وأما اذا خامره الشك فى نجاح هــذه المغامرة . فانه يجب عدم الاقدام عليها . وقد أثبتت الأيام أنه حين رفض سبينثر الاقدام على تلك المغامرة كان حكيما بعيد النظر ، لأنه عندما أقــدم عليها جابينيوس ونجح فيها لم تهلل له روما ، وكان شيشرون أول من هاجمه وقــذف فى وجهه المثــل الطيب الذى ضربه سبينثر . ولم تؤد المعارضة الخرقاء التى شنها النبلاء على كل ما من شأنه خدمة صوالح بومبى الا الى تقربه ثانية الى قيصر وقراسوس ، واعادة توكيد أواصر الحكومة الثلاثية الأولى أو بعبارة أدق التحالف الثلاثى الأول (أبريل عام ٥٦) (٣) .

(1) XXXIX, 55. (2) Ad Fam., I, 7, 4-5.
(3) Bouché—Leclercq, II, 150-8 ; Jouguet, Nat. Eg., pp. 198-200 ; C.A.H. IX, pp. 531-5.
انظر ابراهيم نصحى، المرجع السالف الذكر، ص ص ٥٢٤ وما بعدها

البحث عن زوج لبرنيقى الرابعة :

واذا كان الاسكندريون لم يطردوا بطلميــوس الزمار ، فانهم فى خلال المناورات التى شهدتها روما عملوا على جعل عودته أمرا متعذرا ، وذلك باختيار ملك آخر يتزوج برنيقى الرابعــة ويتولى الدفاع عن مصر • ولما كان لا يستطيع أحد من أخوى برنيقى الاضطلاع بذلك ، بسبب صغر سنهما ، فان الاسكندريين اتجهوا الى أسرة السلوقيين • وقد قبل ذلك أحــد ابنى كليوبترة سلينى ، ويحتمل أنه كان أصــغر الاثنين اللــذين ذهبــا الى روما فى عام ٧٥ ، لــكنه توفى فى أثنــاء المفاوضات (١) • وعندئذ اتجه الاســكندريون نحو أحــد أحفــاد أنطيوخــوس الثامن جــروبوس ، لكن جابينيوس الحــاكم الرومانى لولاية سوريا حظر عليه مغادرة هذه الولاية (٢) •

وأخيرا عثر الاسكندريون على شخص اسمه سلوقس ، كان يدعى أنه من سلالة ملوك سوريا ، فاستدعى الى الاسكندرية حيث تزوجته برنيقى وأشركته معها على العرش (٣) ، لكنه سرعان ما تبين أنه شخص خشن فى مظهره وطباعه الى حــد أن الاســكندريين خلعوا عليه لقب « السماك » (Kybiosaktes) (٤) • ويحدثنا استرابون بأن برنيقى لم تطق معاشرته الا بضعة أيام ، فلقى حتفه خنقا • وعندئذ استدعى الاسكندريون شخصا كان يزعم أنه ابن ميثرايداتس السادس ، لكنه كان على الأقل أمام الناس ابن قائد اغريقى خدم هذا الملك وقام بأعمال باهرة فى خلال حرب ميثريداتس الأولى (٨٨ – ٨٥ ق • م •) وأسند الملك اليه أمر التفاوض مع صلا على الصلح • ولم تلبث الشــكوك أن ساورت ميثريداتس حول وجود تفاهم مريب بين قائده وصــلا جعلته متساهلا أكثر مما يجب فى المفاوضات التى انتهت بصلح عام ٨٥ • وازاء هذه الشكوك فر القائد الى روما قبيل بدء حرب ميثريداتس الثــانية

---

(1) Porphyr., F.H.G. 716.
اما وفقا لديودوروس (Diod., XL., 1 b) فان هذا الأمير كان قد قتله صاحب حمص قبل عام ٦٣ •

(2) Porphyr. loc. cit.
(3) Strab., XVIII, 796 ; Dio Cass. XXXIX, 57.
(4) Sueton., Vesp., 19.

(عام ٨٣) ، وساعد القائد الرومانى لوقولوس فى أثناء حرب ميثريداتس الثالثة .

وكان زوج برنيقى الجديد يدعى كأبيه الرسمى أرخلاوس (Archelaos) وكان بومبى قد أقام هذا الشاب حاكما على قومانا (Comana) . ويمضى استرابون فيروى كيف أن هذا الشاب كان فى سوريا للاشتراك مع جابينيوس فى حملة ضد البارثيين عندما اختفى من هناك فجأة وأقيم ملكا فى الاسكندرية . وأما ديون قاسيوس فيؤكد أن جابينيوس هو الذى سمح لأرخلاوس بالذهاب الى الاسكندرية ليزداد الموقف تعقيدا ويرتفع الثمن الذى يدفعه بطلميوس لقاء خدماته (١) . وعلى كل حال فانه فيما بين ٧ من مارس و ١٦ من أبريل عام ٥٦ تزوج أرخلاوس من برنيقى ، وتربع على عرش البطالمة (٢) .

جابينيوس يعيد الزمار الى عرشه :

ولما لم يعد لدى بطلميوس الزمار أمل فى استرداد عرشه بتأييد السناتو أو بمساعدة سبينثر والى قيليقيا ، فانه أخذ يعقد آماله على جابينيوس حاكم سوريا ووعده بمبلغ ضخم ، اذا حقق أمنيته بالقوات التى كانت تحت امرته (٣) .

وقد كان قيام جابينيوس بهذه المهمة ينطوى على مخالفتين خطيرتين ، وهما خروجه من ولايته دون تصريح ، واشتباكه من تلقاء نفسه فى حرب حظر السناتو خوض غمارها ، حين قرر عدم استخدام القوة فى اعادة بطلميوس . بيد أن جابينيوس استهان بالأخطار التى ستترتب على ارتكاب هاتين المخالفتين بسبب الفوائد التى سيجنيها من اعادة بطلميوس وبسبب تفاهمه مع بومبى واعتماده على تأييده ، وكان بومبى قنصلا فى عام ٥٥ وأقوى شخصية فى روما عندئذ . وقد انتحل جابينيوس عذرا لقيامه بتلك المهمة خوفه من أن يعتدى على ولايته أسطول

(1) Dio Cass., loc. cit.
(2) S.B. 6156 (Wilcken, Chrest., 70) (7 March, 56) ; P. Grenfell II. 38 (16 April, 56) ; Cf. Bouché-Leclercq, II, pp. 159-62 ; Bevan, pp. 355-6 ; Jougnet, Nat. Eg., pp. 200-1.
(3) Cicero, Pro Rabir. Post., 8 et 11 ; Plut., Anton, 3.

ارخلاوس والقراصـــنة التى قيل له أن البحـــر كان يعج بهم (١) ، ومن ثم فانه وجد نفسه فى حالة الضرورة القصوى التى ينص القانون عليها وتبيح له التصرف كما يتراءى له •

وقد غزا جابينيوس مصر فى ربيع عام ٥٥ ، ومعه بطلميوس الزمار • وعلى رأس فرســانه الشاب القــدير مارقوس أنطونيــوس (Marcus Antonius) (٢) • وكانت مهمة جابينيوس سهلة اذ أن الحامية اليهودية فى بلوزيون سلمت هذه المدينة للجيش الرومانى (٣) ، فزحف بعد ذلك فى طابورين على الاسكندرية ، حيث حاول أرخلاوس صد الغزاة ، لكن أنطونيوس أفلح فى تطويقه ومهاجمتــه من الخلف بينما انقض عليــه جابينيوس من الأمام فباء بالفشل وخر صريعا فى ميدان القتال • وبعد أن تفانى أنطونيوس فى قتال أرخلاوس ، بادر بعد مصرعه الى اكرام مثواه واقامة جنازة ملكية له (٤) • ولســنا نعــرف عن يقين التاريخ الذى استعاد فيه الزمار عرشه ، وان كنا نعرف أن أقدم بردية وصلت الينا مؤرخــة باســمه بعــد عــودته ترجــع الى ٢٢ من أبريل عام ٥٥ ق٠م (٥) • وازاء ما وقع فى سوريا من اضطرابات فى أثنــاء غياب جابينيوس فانه لم يتوان فى مغــادرة مصر تاركا وراءه حاميــة يتألف أكثرها من قوات غالية وجرمانية (٦) سيتردد ذكرها فيما بعد •

وقد كانت تتملك بطلميوس الزمار رغبتان قاهرتان : وهما الانتقام من ابنته وأنصارها ، وامتصاص دماء رعــاياه للوفاء بديونه للمرابين الرومان ، ولذلك فانه ما كاد يستعيد عرشه حتى بادر الى اعدام ابنته وعدة من أنصارها وعدد كبير من الأغنياء ومصادرة أملاكهم (٧) •

الزمار يشرك اثنين من اولاده معه فى الملك :

ولما كان قد جــاء فى بردية اغــريقية (٨) « فى الثانى والعشرين من

(1) Cicero, Pro Rabir. Post., 8.
(2) Cicero, Pro Rabir. Post., 8; Plut., Anton, 3.
(3) Joseph., Ant. Jud., XIV, 98.
(4) Dio Cass., XXXIX. 58; Plut., Anton, 3; Bouché-Lieclٍ., II, pp. 162-3; C.A.H. IX, p. 604; Bevan, p. 356; Jouguet, Nat. Eg., pp. 201-2.
(5) B.G.U. 1820.
(6) Val Max. IV, 1, 15; Caes., B. Civ., III, 4, 103, 110.
(7) Dio Cass., XXXIX, 58. (8) B.G.U. 1002.

شهر بؤونة فى العام السادس والعشرين (= ٢٤ من يونية عام ٥٥) من عهد الملك (الكبير) بطلميوس نيوس ديونوسوس فيلوباتور فيلادلفوس » ، فان هذا يوحى بأنه كان لبطلميوس الثانى عشر شريك واحد أو أكثر أصغر منه سنا • ويتأيد هذا بأننا نجد ان أبناء هذا الملك أو على الأصح اثنين من أبنائه قد ورد ذكرهما معه أولا : فى نصب ديوتيقى ، فقد جاء فى هذا النصب « فى العام الثامن والعشرين من عهد الملوك الأحياء الى الأبد •• (عام ٥٣) » (١) ، وثانيا : فى نصب اغريقى ، فقد جاء فى هذا النصب « باسم الملك بطلميوس الاله نيوس ديونوسوس وأبنائه الآلهة نيوى فيلادلفوى ••••• ٢٩ من شهر بشنس فى العام التاسع والعشرين (= ٣١ من مايو عام ٥٢) (٢) ، وثالثا : فى نقش اغريقى غير مؤرخ من جزيرة فيلة ، فقد جاء فى هذا النقش « باسم الملك بطلميوس الآله نيوس ديونوسوس فيلوباتور فيلادلفوس وأبنائه ••• » (٣) • وازاء ذلك نرجح أن يكون بطلميوس الثانى عشر — عندما استعاد عرشه وأعدم ابنته برنيقى الرابعة — قد أشرك معه فى الملك أكبر أولاده اللذين أوصى بأن يخلفاه على العرش وهما كليوبترة السابعة وبطلميوس الثالث عشر •

تعيين رابيريوس وزيرا للمالية :

وقد كان أكبر دائنى بطلميوس الممول الرومانى رابيريوس ، وهو الذى بدأ باقراضه مبلغا كبيرا جدا عندما اشترى من قيصر الاعتراف به « صديقا وحليفا » للشعب الرومانى فى عام ٥٩ • ولما كان بطلميوس قد فر من مملكته فى العام التالى ، فانه لم تكن لديه فرصة لسداد ذلك الدين • ولكى ينقذ رابيريوس دينه الأول فتح خزائنه أمام بطلميوس ليغترف منها كما يشاء من أجل أن يبتاع ذمة كل من يستطيع مساعدته على استرداد عرشه • وما كاد بطلميوس يسترد عرشه حتى بادر رابيريوس الى الحضور الى الاسكندرية ليحصل على أمواله وفوائدها وكذلك ليوافى جابينيوس بالمكافأة التى وعد بها ، فعينه بطلميوس وزيرا

(1) Brugsch. Z.A. Sp., XXIV, 1886, no. 53, p. 37.

(2) Botti, B.S.A.A., IV, 1902, no. LXIII, p. 96 ; Strack, Archiv., II, 4, 1903, no. 40, p. 558 ; Bouché-Leclercq, II, p. 164, fn. 1.

(3) C.I.G., III, no. 4899 ; Strack, no. 150, p. 270.

للمالية (١) . وقد أستغل رابيريوس مركزه ووجـود الحامية الرومانية التى تركها جابينيوس لحماية الملك فى اعتصار دافعى الضرائب . وازاء وجود حامية رومانية فى مصر وتربع وزير رومانى فى دست المالية ، لم تكن حال مصر أسوأ مما لو كانت قد ضمت نهائيـا الى الامبراطورية الرومانيـة . وقبـل أن ينتهى العـام كان رابيريوس قد أثار نقمـة الاسكندريين عليه الى حد أن بطلميوس اضطر الى أن يسجنه هو وعماله لتهدئة ثائر الاسكندريين وحماية رابيريوس ورجاله من الاعتداء عليهم . ويبدو أن الاسكندريين لم يقنعوا بذلك ، وأنهم هددوا باقتحام أبواب السجن ، اذ أن رابيريوس — على حد قول محاميه — هرب عاريا خالى الوفاض بعـد أن ظن أكثر من مرة أنه كان قاب قوسـين أو أدنى من الهلاك . لكنه لا بد من أنه قبل هـروبه كان قد اسـتولى على مبالغ كبيرة سربها الى الخارج — وهذا هو ما قيل على الأقل فى روما — ثم أتخذ مما حدث له ذريعة لكى لا يـدفع شيئا لدائنيه أو شركائه (٢) .

وقد أثارت اعادة بطلميوس الى عرشه عدة محاكمات ، اذ أنه ما كاد يتأيد فى روما نبأ ما قام به جابينيوس ، وكان قد حرص على عدم موافاة السناتو بتقرير عن حملته (٣) ، حتى تلقفه خصومه بالهجوم الشديد ، وذهبت أدراج الرياح كل محاولات بومبى وقراسوس لتهدئة الضـجة التى أثيرت حول هذا الموضوع .

ولما كان جابينيوس أحد قنصلى عام ٥٨ اللذين كانا قد باعا شيشرون الى قلوديوس فنفاه دون أن يتيح له فرصة الدفاع عن نفسه ، فان رغبة شيشرون فى ارضاء بومبى ، صاحب اليد الكبرى فى استدعائه من منفاه فى عام ٥٧ ، تلاشت أمام رغبته فى الانتقـام من جابينيـوس ، فأطلق لفصاحته العنان فى مهاجمته . وعندما عاد جابينيوس الى روما فى سبتمبر عام ٥٤ قدم للمحاكمة مرتين ، احداهما بتهمة الخيانة العظمى لخروجه من ولايته وتدخله بالقوة فى مصر دون اذن من السناتو أو الجمعيـة

(1) Cicero, Pro Rab., 8 and 10.
(2) Bouché-Leclercq, II, pp. 168-70 ; Bevan, p. 357 ; Jouguet, Nat. Eg., p. 202.
(3) Cicero, In Piso., 21 ; Dio Cass., XXXIX, 59.

الشعبية ، والأخرى بتهمة الرشوة بسبب المبلغ الكبير الذى وعده بـه بطلميوس • وعندما صدر الحكم بتبرأة جابينيوس من التهمة الأولى • وكانت أشد خطرا من التهمة الثانية ، ملك شيشرون فزع شديد حدا به الى الاصغاء الى طلب بومبى والدفاع عن غريمه فى المحاكمة الثانية • وأما جابينيوس ، فانه وقد أحس بالطمأنينة ، ارتكب خطأ فادحا أثار عليه نقمة المحلفين فى المحاكمة الثانية ، ذلك أنه لم يسخ فى شراء ذممهم قدر سخائه فى شراء ذمم المحلفين فى المحاكمة الأولى • وتبعا لذلك فانه بالـرغم من دفاع شـيشرون ، ومما شـهد به كتـابة بومبى وقيصر وبطلميوس ، ومما ادلى به سفراء الاسكندرية من أن جابينيوس لم يأخذ شيئا على الاطلاق ، فانه صدر ضده حكم بالادانة وبدفع غرامة قدرها ١٠٫٠٠٠ تالنت ، وازاء عجزه عن الدفع لم يكن له مصير الا النفى (١) • ولما كان المألوف فى مثل هذه القضايا هو دفع ضعف الأموال المبتزة ، فان مقدار الغرامة التى فرضت على جابينيوس يـدل على أن مقـدار الرشوة التى اتفق عليها مع بطليموس كان ٥٠٠٠ تالنت •

وقد حوكم رابيريوس أيضا بتهمة حصوله على جانب من رشـوة جابينيوس وهى التى مر بنا أنه كلف بتحصيلها • ولاتصال موضوع هذه التهمة بموضوع تهمة الرشوة التى وجهت الى جابينيوس ، فان قضية رابيريوس نظرت أمام الهيئة ذاتها التى فصلت فى قضية جابينيوس • واذا كان شيشرون قد دافع عن جابينيوس ارضاء لبومبى ، فانه اضطر الى الدفاع عن رابيريوس ارضاء لقيصر • وليس فى مصادرنا شىء عن الحكم الذى صدر فى هذه القضية ، مما أفضى الى انقسام آراء المحدثين بصدد ذلك ، اذ أن البعض يرجح أنه أدين وفرضت عليه غرامة كبيرة عجز عن دفعها فنفى هو أيضا (٢) ، فى حين أن البعض الآخر يرجح أنه برىء وعاش فى روما مستظلا برعاية قيصر (٣) • غـير اننـا لا نستبعد أن يـكون رابيريوس قد أدين ونفى الى أن استدعاه قيصر من المنفى فيما بعد مثل ما استدعى جابينيوس •

(1) Cicero, Pro Rabir. Post, 8, 11 - 13 ; Dio Cass., XXXIX, 62-63.
(2) Bouché-Leclercq. II, pp. 168-171 : Jouguet. Nat. Eg., p. 202.
(3) C.A.H. IX, p. 622 ; Scullard, Hist. Rome from Gracchi to Nero, 3rd ed. 1970, n. 24, p. 425.

وأما بطلميوس الزمار فانه توفى بين ١٥ من فبراير و٢٢ من مارس عام ٥١ مكروها من شعبه ومحتقرا من الرومان (١) .

ويحدثنا استرابون (٢) بأن كل البطالمة الذين أتوا بعد بطلميوس الثالث كانوا ملوكا عابثين أفسدتهم الرذائل ، وبأن أسوأهم جميعا كان رابعهم ويورجتيس الثانى وبطلميوس الزمار ، وبأن الأخير أضاف الى عبثه وفجوره ولعا شديدا بلعب المزمار ، وبأنه كان فخورا بمواهبه الموسيقية الى حد أنه كان لا يخجل من الاشتراك فى المسابقات الموسيقية التى كان يقيمها فى قصره . ويقول أثينايوس (٣) ان بطلميوس الزمار لم يكن رجلا وانما زمار متلاف استنفد كل الثروة التى ادخرتها مصر منذ عهد بطلميوس الثانى .

واذا كانت تصرفات هذا الملك تدل على أنه كان شخصا عابثا مستهترا فظا غليظ القلب ، أهلته صفاته الوضيعة ليقوم بدور العبد الذليل الخاضع للرومان ، فان الانصاف يقتضينا أن نسجل أنه لم يستنفد كل مدخرات مصر فى الانفاق على مباهجه ، فقد اضطرته الظروف الى أن يشترى حقه فى الملك من الرومان الذين تقاضوا ثمنا مرتفعا لقاء ذلك . ولم يلبث بسوء تصرفه ونزقه أن اضطر الى تبديد جانب كبير آخر من ثروة مصر فى استرداد عرشه الذى لم يطرده أحد منه .

٥ — كليوبترة السابعة

فشلها فى بناء امبراطورية جديدة وتصبح دولتها ولاية رومانية

النزاع على السلطة فى الاسكندرية :

ترك بطلميوس الزمار خلفه ابنتين ، هما كليوبترة وأرسينوى ، وولدين ، هما بطلميوس الثالث عشر وبطلميوس الرابع عشر . وكانت كليوبترة تبلغ عندئذ الثامنة عشرة تقريبا (٤) ، وتصغر عنها أرسينوى

(1) Skeat, pp. 40-41 : Cf. Cicero, Ad Fam. VIII, 4, 5 ; Bouché-Leclercq, II, pp. 171-2.

(2) XVII, 795.

(3) V, 206 d.

(٤) يحدثنا بلوتارخ (Plut., Anton., 86, 4.) بأن كليوبترة كانت فى التاسعة والثلاثين من عمرها عندما توفيت فى عام ٣٠ ق . م .

بفترة تتراوح بين سنة وأربع سنين (١) ، وكان أحد الأبنين يبلغ العاشرة تقريبا (٢) والآخر الثامنة (٣) • وقد أوصى بطلميوس الزمار بأن يخلفه على العرش أكبر ولديه (بطلميوس الثالث عشر) ، على أن يتزوج كبرى أختيه (كليوبترة السابعة) ويشتركا فى الحكم سويا (٤) • ولما كان الزمار يعرف مقدار كراهية الاسكندريين له ويخشى عدم احترامهم وصيته فانه عهد الى الشعب الرومانى فى الاشراف على تنفيذ الوصية التى أنفذ بعثة الى روما لتودع صورة منها فى السجلات العامة لكن الاضطرابات فى روما حالت دون ذلك فأودعت لدى بومبى ، كما أودعت صورة أخرى فى الاسكندرية (٥) لكيلا يتصرف الرومان فى تنفيذ الوصية كما يشاءون • وكان أوسع رجال الدولة نفوذا عندئذ الخصى بوثاينوس (Potheinos) وكان وزير المالية ومربى الملك ، ونظرا لحداثة سن الملك كان أيضا الوصى عليه • وكان يتمتع بنفوذ كبير كذلك ثيودوتوس (Theodotos) ، أستاذ الخطابة ومعلم الملك الصغير ، وأخيلاس (Achillas) قائد الجيش (٦) ، ويصفه بلوتارخ بأنه مصرى لكن الأرجح أنه كان من نسل مختلط • وقد كان الأول والثالث ينتميان الى طبقة الخدم ، غير أنه لم تكن هذه حالة شاذة ، اذ أنه منذ عهد بطلميوس السادس تلاشت عادة اناطة شئون الدولة الى موظفين محنكين ممن عركتهم التجربة فى ممارسة هذه الأمور طويلا ، مثل ما كان شأن سوسيبيوس ، وأصبح الأوصياء والوزراء يختارون من بين خدم القصر أى من أنسب الأوساط للدسائس • ولم يكن البلاط عامرا بالدسائس فحسب بل كذلك بالشخصيات التى تتطلع الى المجد والسيطرة ، اذ أن بوثاينوس وأخيلاس وثيودوتوس كانوا يريدون الاستئثار بالسلطة ، فى

---

(١) راجع اشتراك (Strack) ص ٢١٠ — ٢١١ •

(٢) يحدثنا ابيانوس (B. Civ., II, 84) بأن بطلميوس الثالث عشر كان يبلغ الثالثة عشرة من عمره عندما قتل بومبى فى عام ٤٨ ق • م •

(٣) يحدثنا المؤرخ يوسف (A. Jud. XV, 4, 1.) بأن بطلميوس الرابع عشر كان فى الخامسة عشرة من عمره عندما توفى فى عام ٤٤ ق • م •

(4) Dio Cass., XLII, 35, 4.

(5) Caes., B. Civ. III, 108.

(6) Caes., B. Civ. III, 108 ; Plut., Pomp., 77 ; Caes., 48-9 ; Brut. 33 ; Appian., B. Civ. II, 84.

حين أن كليوبترة كانت تتوق الى التمتع بالحكم، وتبعا لذلك فانه كان من المحتم وقوع النزاع بين الفريقين (١) .

الحروب الأهلية فى روما :

وقد حدث ذلك النزاع العنيف فى الاسكندرية فى خلال الوقت الذى كانت روما تجتاز فيه أزمة حروبها الأهلية ، اذ أنه منذ أن أعاد جابينيوس « الزمار » الى عرشه لم تنقطع الفوضى عن الازدياد باطراد فى روما . عرى التحالف الثلاثى وفاة يوليا زوج بومبى وابنة يوليوس قيصر فى عام قلوديوس والمكانة المتزايدة التى اكتسبها قيصر نتيجة لانتصاراته فى بلاد الغال أبعدا بومبى تدريجا عن حزب الشعب . وقد ساعد على فصم عرى المحالفة الثلاثية وفاة يوليا زوج بومبى وابنة يوليوس قيصر فى عام ٥٤ ، ومصرع قراسوس فى خلال محاربة البارثيين فى عام ٥٣ ، فكان يتعين على بومبى أن يعد نفسه على أن يواجه وحيدا منافسة قيصر فى القريب العاجل ، عقب انتهاء مدة حكمه فى الخارج (أول مارس عام ٤٩) . ولم يكن فى وسع قيصر الاحتفاظ بنفوذه الا اذا استبقى جيشه وحصل على منصب القنصلية ، ولكنه كان لابد من أن تنقضى بين انتهاء مدة حكمه فى الخارج وبين الانتخابات لمنصب القنصلية بضعة أشهر ، كان من الممكن أن تقع فيها لقيصر أحداث خطيرة . وازاء ذلك طلب قيصر السماح له بترشيح نفسه لقنصلية العام التالى عام ٤٨ ، وكذلك بالبقاء فى ولايته حتى تتم الانتخابات ، لكن السناتو رفض اجابة ما طلبه قيصر ، وعهد الى بومبى بالدفاع عن سلامة البلاد . فكان أمام قيصر أن يختار بين أحد أمرين ، اما الانتحار السياسى واما محاربة بومبى والسناتو ، ولم يتردد دون شك فى اختيار الأمر الثانى . وفى ١١ من يناير عام ٤٩ (٢) (= ٢٤ من نوفمبر عام ٥٠ وفقا للتقويم الرومانى بعد أن صححه قيصر) (٣) وقعت الواقعة بزحف قيصر على روما .

وهكذا بدأت الحروب الأهلية التى دامت أكثر من عشرين عاما

(1) Bouché-Leclercq. II, pp. 179-181 ; Bevan, pp. 361-2 ; Jouguet, Nat. Eg., p. 203-4 ; C.A.H., IX, pp. 268.
(2) Cary, op. cit., pp. 393-7.
(٣) ابراهيم نصحى ، المرجع السالف ذكره ، ص ٦١٥ .

وجرت الى الحرب مصر وعالم البحر المتوسط بأجمعه ، وخرجت منها روما سيدة امبراطورية أوسع من امبراطوريتها الأولى ، ولديها أخيرا نظم أكثر تناسبا مع سيادتها العالمية . لكنه قبل ذلك هددت المخاطر قوة روما فى أثناء هذه الأزمة ، عندما أصبحت الاسكندرية مقر امبراطورية تنافس امبراطورية روما ، وذلك بعد أن كادت مصر منذ برهة وجيزة أن تصبح ولاية رومانية ، ووصلت مكانة أسرة البطالمة الى الحضيض ، حتى بدا محققا أنها ستزول فى ظرف سنين قلائل ، كما زالت من قبل أسرة السلوقيين . غير أن القدر شاء أن تشرق شمس البطالمة اشراقا يخطف الأبصار قبل أن تغيب الى الأبد ، فكان اشراقا يشبه صحوة الموت . اذ أنه عندما كانت دولة البطالمة تعالج سكرات الموت وجدت كليوبترة السابعة سلطانها لا يمتد على ممتلكات البطالمة القديمة فحسب ، بل كذلك على أقاليم لم يحلم بها أحد من البطالمة الثلاثة الأوائل . ولما كان أولئك البطالمة الأوائل رجالا ، فانهم أقاموا دعائم امبراطوريتهم على قوة سواعدهم . ولكن الآن عندما لم تعد لقوة مصر الحربية قيمة تذكر الى جانب قوة روما ، وعندما لم يعد فى وسع أى ملك متربع على عرش مصر انقاذ دولته المتداعية بأية قوة يملكها ، كان القابض على صولجان مصر امرأة (١) ، وضعتها ظروف قاسية فى قبضة ذئبين من عمالقة ذئاب روما ، ولكنها بفضل ذكائها وسحر فتنتها تمكنت من أن تتخذ من قوة روما أداة لتنفيذ أغراضها . فلا عجب أن استرعى تاريخ كليوبترة السابعة أكثر من تاريخ أى فرد آخر من أسرة البطالمة أفكار أجيال من الأدباء والشعراء .

صفات كليوبترة :

وكانت كليوبترة تشبه باقى الملكات والأميرات المقدونيات ، من حيث قوة الارادة والتعطش الى الحكم وحب المجد والسيطرة والكبرياء التى لا تغلب ولا تترفع عن الدنايا وارتكاب الجرائم ، وان كانت قد بعثت فى كليوبترة أحيانا شهامة لم تخل من العظمة . لكنه يبدو أن كليوبترة أضافت الى ذلك صفات افتقرت اليها الأخريات ، فقد جمعت الى نشاط

(1) Bevan, pp. 269-70 ; Jouguet, Nat. Eg., pp. 204-5.

الرجال وقوتهم جمال الجسم وصفاء الذهن وزلاقة اللسان • وعند ارتقائها العرش كانت فى زهرة جمالها ، وكانت تعنى به ويبدو أنها احتفظت به مدة طويلة ، لكنه يبين أن سر فتنتها التى كانت لا تقاوم لم يكن جمالها وحده ، اذ أن بلوتارخ يؤكد أنه لم يوجد فى جمال كليوبترة نفسه شيء لا يبارى (١) ، وتؤيد صورها على نقودها هذا الرأى •

واذا كان من الممكن أن تتخيل فى هذه الصور شيئا من الحيوية الكامنة فى نظرات هذه الملكة ، فان هذه الصور ترينا أن ملامح «ايزيس الجديدة» ، كما كانت تدعى كليوبترة (٢) ، كانت ملامح حادة لا يمكن أن تكتسب شيئا من الجاذبية اذا لم تنعشها الابتسامة وبريق العينين • وفى الواقع يبدو أن سر فتنتها الفتاكة التى أسرت قيصر فأنطونيوس كان رقة أخاذة وعذوبة مغرية فى حديثها ، يزيدهما أثرا فى النفس رخامة الصوت والدلال فى النغم • ويبدو أن كليوبترة كانت تتقن تماما فن استهواء من تريد اكتسابهم ، فقد كانت لديها قدرة فائقة على مجاراة سلوكهم والاندماج فى طباعهم • ولا أدل على ذلك من أنها شاركت ماركوس أنطونيوس عبثه ومجونه ونافسته فى فكاهاته البذيئة • ويزعم بلوتارخ أنها على نقيض أجدادها ، وهم الذين يبدو أنهم لم يتعلموا لغة رعاياهم ، لم تتعلم كليوبترة اللغة المصرية فحسب بل كذلك الأرامية والعبرية والعربية والفارسية والبارثية و « الأثيوبية » والصومالية (٣) • ويحدثنا أحد المصادر القديمة بأنها تعلمت تعليما عاليا وكانت مولعة بالدراسات الأدبية (٤) • وعلى الرغم من أنها لم تكن مصرية على الاطلاق بل كانت مقدونية متأغرقة ، فانها تأثرت بالبيئة المصرية ، اذ أنها كانت ترتدى غالبا ثياب ايزيس وتحمل شاراتها ، وتضم حاشيتها عرافين وسحرة مصريين • واذا كانت كليوبترة تدين لمصر بالشيء الكثير ، فانه يبدو أن مصر لم تدن لها الا بالقليل ، فقد كان الدافع الى سياستها

(1) Plut., Anton., 27,2.
(2) Plut., Anton., 54, 6.
(3) Plut., Anton., 27.
(4) Philoctratus, Vit. Soph., I, 5.

كالدافع الى سياسة أجدادها العظام المجد الشخصى أكثر منه سعادة الشعب ، لكننا سنرى أن المصريين على الأقل لم يكرهوها ، على الرغم مما يراه كثيرون من المؤرخين الحديثين . أما الرومان فانهم كرهوها وتظاهروا باحتقار « المصرية » « الملكة الغانية » ، ومع ذلك فقد تسرب اعجابهم بها الى قدحهم فيها ! ومنذ عهد بعيد طغت شهرتها بدون استحقاق على شهرة ملوك وملكات الأسرة ، الى حد أنه منذ القرن الرابع كان يعزى اليها الكثير من منشآت الاسكندرية (١) .

وفى بداية هذا العهد ، كانت كليوبترة وأصحاب النفوذ فى البلاط من القوة بحيث استطاعوا حفظ السلام فى الاسكندرية ، وهى التى أضيف الى عوامل الاضطراب فيها جنود جابينيوس المرتزقة ؛ وكان أغلبهم من الجرمان أو الغال . وقد صادفت اقامتهم فى الاسكندرية هوى فى نفوسهم ، ولم يعودوا يعتبرون أنفسهم جنودا فى الجيش الرومانى ، فاتخذوا زوجات لأنفسهم ووطدوا النفس على الاستقرار فى البلاد .

ولم تكن علاقة هؤلاء النزلاء الجدد مع الأهالى طيبة على الدوام ، فقد كانوا يؤيدون فى عهد بطلميوس الزمار ذلك الرجل الكريه رابيريوس ، ويبدو أنهم حاربوا الاسكندريين عندما ثاروا عليه . وقد اختلطوا فى الاسكندرية مع كل الجنود الذين كون منهم أخيلاس بعد قليل جيشه ، وكان يضم بين أفراده لصوصا وعبيدا قدموا هاربين من ايطاليا وأحسنت الاسكندرية وفادتهم . ويقول قيصر ان جيش الاسكندرية بقى على عادته القديمة ، اذ أن العناصر الخليطة التى تكون منها كانت دائما متأهبة للثورة واتهام الوزراء والمطالبة بزيادة المرتبات ، مما كان يسبب الحكومة أعظم المضايقات . وفى ذلك الوقت ، كان يحكم سوريا نبيل رومانى يدعى بيبولوس (M. Calpurnius Bibulus) ، كان زميل قيصر فى قنصلية عام ٥٩ ولكنه كان عدوه وعدو جابينيوس ، ومن المعارضين فى اعادة بطلميوس الزمار .

(1) Bouché-Leclercq, II, pp. 180-1; Bevan, p. 360 ; Jouguet, Nat. Eg., pp. 205-6.

وعندما زحف البارثيون فى عام ٥١ حتى أسوار أنطاكية ، كان بيبولوس فى حاجة ملحة الى الجنود ، فطلب جنود جابينيوس من مصر وأرسل ابنيه لقيادتهم الى سوريا ، لكن أولئك الجنود تمردوا وقتلوا هذين الشابين (١) ، فألقت كليوبترة القبض على المجرمين وأرسلتهم الى بيبولوس ، لكن هذا ردهم اليها قائلا ان توقيع العقوبة عليهم ليس من حقه وانما من حق السناتو (٢) . ومن المحتمل أن تكون كليوبترة قد فقدت بهذا التصرف محبة الاسكندريين ، فقد كان يؤذيهم كل ما يمكن أن يستشف منه الخضوع للنفوذ الرومانى (٣) .

كليوبترة تساعد بومبى فتثور الاسكندرية عليها :

وازاء تقدم قيصر السريع فى ايطاليا وافتقار بومبى الى قوات كافية ومدربة لمواجهة جيش قيصر ، استقر الرأى آخر الأمر على أن ينسحب بومبى بقواته والقنصلان والسناتو الى بلاد الاغريق . وقد تم ذلك فى ١٧ من مارس (= ٢٦ من يناير) عام ٤٩ . وهكذا أصبح قيصر سيد ايطاليا فى خلال حوالى شهرين منذ بداية حملته الخاطفة . وقبل أن يغادر بومبى ايطاليا أنفذ الرسل ليجمع حوله قوى تراقيا وقابادوقيا وجالاتيا التابعة لروما ، بل ألتمس دون جدوى مساعدة بارثيا . وكان طبيعيا أن يفكر بومبى ، حامى جابينيوس والمدبر الحقيقى لاعادة بطلميوس الزمار ، فى طلب العون من مصر ، ولذلك فان ابنه جنايوس (Gnaius) بومبى جاء يطلب مساعدة مصر (عام ٤٩) . ويقول بلوتارخ ان كليوبترة — وكانت لا تزال عندئذ فتاة غير مجربة — سبرت غور تأثير فتنتها على الرجال بتسليطها على جنايوس (٤) . وسواء أصح ذلك أم لا ، فانه من المؤكد أن كليوبترة أعطت جنايوس خمسين أو ستين سفينة ومددا من القمح وقوة قوامها ٥٠٠ رجل من حامية جابينيوس (٥) .

وازاء ما كانت تدين به أسرة بطلميوس الزمار لبومبى ، لا نرى

---

(1) Caes., B. Civ. III, 110 ; Seneca, Consol. Ad Marc., 14 ; Val. Max., IV, 1, 15.
(2) Val. Max., loc. cit.
(3) Bouché-Leclercq, II, pp. 181-2 ; Jouguet, Nat. Eg., pp. 206-7.
(4) Plut., Anton., 25, 3.
(5) Caes., B. Civ. III, 4; 5; 40; 111 ; Appian. B. Civ. II, 49, 71.

كيف كانت كليوبترة تستطيع أن تتصرف نحوه تصرفا شريفا أقل مما تصرفته . واذا كان هذا التصرف هو الذى جلب عليها كراهية الاسكندريين وعداء بوثاينوس وأخيلاس وثيودوتوس ، فان ذلك فى رأى المنصفين ظلم بين . ومن المحتمل أنه عندما ازدادت كليوبترة خبرة ونشاطا ولم تسلس القياد لأولئك الرجال مثل أختها وزوجها الملك الصغير ، انتهزوا هذه الفرصة لايغار صدور الاسكندريين ضدها باتهامها بأنها تحاول اغتصاب الملك من أخيها ، فثاروا عليها واضطرت الى الفرار من مملكتها . وعلى كل حال لا جدال فى أنه قبل معركة فارسالوس كانت كليوبترة قد طردت من الاسكندرية (١) ، ولكنها لم تكن بالمرأة المستسلمة التى تنزل عن ملكها بمثل هذه السهولة (٢) .

كليوبترة تعمل على استرداد عرشها :

وقد كان طبيعيا اذن أن كليوبترة ، عندما اضطرت الى الفرار من مملكتها ، لم تركن الى الهدوء بل عملت على تجنيد فرق من الأعراب المتاخمين للحدود الشرقية ، وكانت تتكلم لغتهم ، وأسرعت الى دخول مصر ثانية على رأس جيشها ، فجمع أوصياء الملك قوة وخفوا شرقا ومعهم الملك الصغير لصد كليوبترة . وفى صيف عام ٤٨ حين كان الجيش الملكى بقيادة أخيلاس معسكرا عند رأس قاسيون شرقى بلوزيون ، ومعسكر كليوبترة على مسافة يسيرة من معسكر أخيها ، شوهد وصول السفينة التى تحمل بومبى (٣)،اذ أنه عقب هزيمته فى موقعة فارسالوس (Pharsalus) فى العام نفسه فقد ثقته بنفسه وفر هاربا ، تاركا قيصر يتم انتصاره على ما تبقى من فرقه (٤) .

مصرع بومبى :

وقد أستبقى بومبى سفينته والسفن التى ترافقه بعيدا عن الشاطىء ، وبعث رسلا يلتمسون ضيافة الملك ، لكنهم ارتكبوا خطأ فاحشا بالتحدث

(1) Caes., B. Civ. III, 103 ; Liv., Epit., CXI.
(2) Bouché-Leclercq, II, pp. 183-4 ; Bevan, p. 362 ; Jouguet, Nat. Eg., pp. 207-8.
(3) Caes., B. Civ. III, 103 ; Plut., Pomp., 77, 1.
(4) Bouhé-Leclercq, II, pp. 184-5 ; Bevan, p. 362 ; Jouguet, op. cit., pp. 208-9.

انظر ابراهيم نصحى المرجع السابق ذكره ص ص ٦٣٠ — ٦٣٧ .

الى بعض جنود جابينيوس وحثهم على « أداء واجبهم نحو بومبى وعدم ازدراء سوء حظه » (١) ، فأقلق ذلك بال بوثاينوس وعقد مجلسا للتشاور فى هذه المسألة . وقد برم بلوتارخ بأن مصير بومبى العظيم أصبح متوقفا على القرارات التى يتخذها مجلس يضم خدما وحشما والخصى بوثاينوس ومعلم الخطابة المأجور ثيودوتوس و « المصرى » أخيلاس (٢) .

وقد انقسمت الآراء فى المجلس بين تحقيق رغبة بومبى ورفضها الى أن تكلم ثيودوتوس وأقنع المجتمعين برأيه ، ومؤداه أن تحقيق رغبة بومبى يؤدى الى اتخاذ قيصر عدوا وبومبى سيدا لهم ، وأن رفض هذه الرغبة يجلب عليهم غضبه وغضب قيصر الذى سيضطر الى مطاردته ، وأن الخطة المثلى هى أن يأتوا به ويجهزوا عليه . وقد أردف ذلك بقوله مبتسما « ان الميت لا يعض » (٣) .

ويصف لنا بلوتارخ (٤) خاتمة بومبى وصفا مؤثرا ، نخشى أنه لا يخلو من بعض الاصطناع الذى قصد به دون شك أن تترك هذه المأساة أثرا عميقا فى النفس، ومع ذلك فانه يبدو لنا أن الوقائع الرئيسية صحيحة فى جوهرها . وعلى كل حال فانه عندما عهد الى أخيلاس بقتل بومبى ، استقل زورقا ومعه ثلاثة أو أربعة من خدمه ، وسالفيوس (Salvius) قائد احدى الكتائب ، وسبتيميوس (Septimius) وكان من رجال جابينيوس وخدم تحت قيادة بومبى ، واتجه الزورق صوب سفينة بومبى . وعند وصولهم حيا سبتيميوس بومبى باللاتينية ، وحياه أخيلاس بالاغريقية ودعاه لركوب الزورق معتذرا بأن الشواطىء رملية ولا تسمح للسفن الثقيلة بالاقتراب منها .

وقد دهش بومبى لهذه الاستعدادات المتواضعة ، لكنه قنع بها وقبل زوجه وابنه ونزل الى الزورق ، مع اثنين من قادة الكتائب ومعتوقه

---

(1) Caesar, Bell. Civ., III, 103.

(2) Plut., Pomp., 77, 2.

(3) Plut., Pomp. 77, 3-4 ; Bouché-Leclercq, II, pp. 185-6 ; C.A.H., IX, p. 668 ; Jouguet, op. cit.. p. 209.

(4) Plut., Pomp., 78-80 ; Cf. Caes., B. Civ., III, 103-4 ; Liv., Epit., CXII ; Val. Max. 1, 8, 9 ; Lucan., Phars., VIII, 460-872 ; Appian., B. Civ. II, 84-6.

فيليب وتابعه. وهو يردد همسا هذا البيت من شعر سوفوقليس (Sophocles) « اذا دخلت بيت طاغية أصبحت عبده وان جئته حرا » (١) • وفى أثناء اقترابهم من الشاطىء ، حاول بومبى أن يقطع حبل صمت كان شديد الوطأة ، فاتجه الى سبتيميوس وسأله « ألم نحارب سوريا ؟ » ولما لم يجبه الا باحناء رأسه ، فانه عكف على قراءة الخطاب الذى أعده لالقائه على مسامع الملك • وفى لحظة مغادرة الزورق أمسك بيد فيليب ليقف ، وعندئذ طعنه سبتيميوس وسالفيوس وأخيلاس (٢) من الخلف بخناجرهم ، فجذب بومبى بكلتا يديه ذيل عباءته فوق وجهه ، دون أن يقول أو يفعل شيئا غير جدير به ، سوى الأنين الذى صدر عنه فى اللحظة التى طعن فيها • وقد قطعت رأسه وألقيت الجثة عارية على الشاطىء ، حيث حرقها فيليب ، وجندى رومانى عجوز كان قد خدم فى شبابه تحت قيادة بومبى• وفى اليوم التالى مر قرب الشاطىء لوقيوس لنتولوس (Lentulus) وكان أحد أتباع بومبى وجاء هاربا من قبرص ، ورأى الدخان يتصاعد وعلى مقربة منه فيليب ، فقال : « من يا ترى ذلك الذى ختم حياته هنا واستراح ؟ » ثم قال بعد ذلك وهو يتأوه : « أيمكن أن تكون أنت بومبى الأكبر ؟ ! » • وبعد قليل نزل الى الشاطىء وألقى القبض عليه وأعدم •

وصول قيصر الى الاسكندرية :

وفى ٢ من أكتوبر عام ٤٨ (٢٨ من يوليه بحسب تقويم قيصر) وصل قيصر الى مياه الاسكندرية ، قبل أن يبلغه خبر المأساة التى وقعت منذ ثلاثة أيام عند قاسيون ، ولذلك فانه حرص على أن يستطلع الحالة قبل المخاطرة بالنزول الى البر • فقد كانت مصر رسميا حليفة بومبى وتبعا لذلك عدوة قيصر ، وكان من المنتظر أن يقوم بومبى باعداد خطة للدفاع عن الاسكندرية بعد التجائه الى مليكها ، فى حين أنه لم تكن مع قيصر الا قوة صغيرة تتألف من ٣٤ سفينة و ٨٠٠ فارس و ٣٢٠٠ من المشاة • وقد اعتقد رجال البلاط دون شك أنهم بقطع رأس بومبى قد أثبتوا

---

(1) Nauck, Trag. Graec., Frag. 2, p. 316.

(٢) يقول قيصر (B. Civ., III, 104) ان أخيلاس وسبتيميوس هما اللذان قتلا بومبى •

لقيصر أنهم قطعوا علاقاتهم بأعدائه ، فلا يوجد داع لغزو مصر باعتبارها نصيرتهم . وما أن علم رجال البلاط بمقدم قيصر حتى خف ثيودوتوس الى سفينته حاملا رأس عدوه وخاتمه . ويقال أن عينى قيصر تنـدت بالدموع عندما تأكد أن الرأس رأس بومبى (١) ، لكنه لم يبرح الميـاه المصرية كما كان رجال البلاط يرجون ويتوقعون . وليس هناك ما يبرر اتهام قيصر بالرياء والنفاق لبكائه على رأس بومبى ، وهو ما يذهب اليه لوقانوس وديون قاسيوس (٢) . فأكثر المؤرخين يعتقدون أن هـذا البكاء كان صادرا عن شعور صادق ، لأن قلب قيصر كان رحيما الى حد أنه أغضب أعوانه بعفوه عن خصومه ورفعهم الى درجات كبيرة . ويقال ان قيصر سكب عطورا ثمينة على رأس بومبى ثم أحرقها وأودعها هيكلا أقامه لآلهة الانتقام نمسيس (Nemesis) (٣) . ويشبه بكاء قيصر على رأس بومبى بكاء أنتيجونوس جوناتاس على رأس بورروس (٤) وبـكاء أوكتافيانوس عندما أتاه نبأ وفاة أنطونيوس (٥) . وقـد لمس قيصر فى قتل بومبى الأثر العميق الذى تركه فى النفوس انتصاره عند فارسالوس ، فبدلا من أن يحقق آمال رجال البلاط وينصرف عن الاسكندرية ، دخلها بعد قليل وسار فى طرقاتها تحفه شارات الحكم الرومانية بوصفه قنصلا ، واتخذ قصر البطالمة مسكنا له . ولم يكن هذا التصرف من جانب قيصر تصرفا حكيما ، اذ أنه كان بمثابة اعتبار مصر ولاية رومانية والاسكندرية مدينة مقهورة ، ولا سيما أن أهالى تلك المدينة الفخورة لم ينسوا أن قيصر كثيرا ما طالب بضم مصر الى الامبراطورية الرومانية ، وأنه فى انتظار الفرصة المواتية لتحقيق ذلك استنزف موارد البلاد فى عهد الحكم السابق . ولابد من أنه زاد فى حنق الأهالى اعتقادهم أن قيصر جاء مصر دائنا ، ليرغم ملكهم على دفع ما تبقى له فى ذمة أبيه ، ومعنى ذلك أن يتحمل الأهالى ضرائب جديدة الى جانب ما أثقل به كاهلهم ، فنشأت

---

(1) Liv., Epit., CXII ; Plut., Caes., 48 ; Appian., B. Civ., 89-90.
(2) Lucan., Phars., IX, 1036 ff. ; Dio Cass. XLII, 8.
(3) Appian., B. Civ., II, 90.
(4) Plut., Pyr., 34, 4.
(5) Plut., Anton., 78, 1-2.

اصطدامات عنيفة بين الاسكندريين وجنود قيصر (١) .

قيصر يستدعى كليوبترة وأخاها للفصل فى نزاعهما :

واذ غلى مرجل الفتنة فى المدينة ، رأى قيصر أنه من الحكمة أن يعتكف فى القصور الملكية . ولما كان بطلميوس الزمار قد التمس من روما تنفيذ أحكام وصيته ، فانه أمر الملك والملكة بتسريح جيوشهما والحضور الى الاسكندرية للفصل فى نزاعهما . ولم يطع بوثاينوس الأمر كاملا ، اذ أنه حوالى منتصف أكتوبر (أوائل أغسطس — بحسب تقويم قيصر) أعاد الملك الصغير الى الاسكندرية ، لكنه ترك الجيش عند بلوزيون بقيادة أخيلاس .

وأما كليوبترة فانها أعربت عن رغبتها فى اطاعة أوامر قيصر لأن التحكيم كان أيسر السبل لاسترداد الحقوق لمن كان فى مثل حالتها ، ولا سيما أن الوسطاء الذين كانت تتفاهم عن طريقهم مع قيصر أكدوا لها ، ان لم تكن تعرف من قبل ، أنه فى قلب الدكتاتور مكانا رحيبا للجنس اللطيف ، وأنها لن تجد مدافعا عن حقوقها لدى سليل فينوس خيرا من شخصيتها الفاتنة (٢) .

ولما كان يتعذر عليها أن تتخطى الحدود جهرا وعلانية وتصل الى الاسكندرية سالمة آمنة دون أن يدبر رجال البلاط قتلها ، فانها ركبت البحر خفية ومعها كاتم أسرارها أبولودوروس (Apollodoros) الصقلى . وذات مساء حملها زورق صغير الى القرب من القصر الملكى وكان يطل على البحر ، وهربها أبولودوروس داخل القصر ملفوفة فى سجادة ، وما أن ظهرت كليوبترة فجأة من سجادتها أمام قيصر ، حتى أستولت عليه منذ تلك اللحظة .

كليوبترة تكسب قيصر :

ويقول ديون قاسيوس ان كليوبترة كسبت قضيتها لأنه لم توجد

(1) Plut., Caes., 48 ; Appian, B. Civ., II, 89 ; Caes., B. Civ. III, 106 ; Bouché-Leclercq, II, pp. 190-1 ; Bevan, p. 363 ; Jouguet, Nat. Eg., p. 211 ; Graindor, La Guerre d'Alex., p. 31 ; C.A.H. IX, pp. 669-70.

(2) Dio Cass., XLII, 34.

فى العالم حجة أقوى من جمالها الفاتن وصوتها العذب . بيد أن الانصاف يقتضينا أن نقرر أن قضية كليوبترة كانت عادلة ، فهى لم تنشد أكثر من اعادة الوضع الذى اقتضاه تنفيذ وصية أبيها وقضت عليه الاضطرابات التى أفضت الى طردها . واذا كان ديون قاسيوس ، وهو من أكثر المؤرخين القدماء انصافا واتزانا ، قد عالج على هذا النحو هذه المسألة الواضحة ، فان هذا يعدنا لتوقع الأهوال منه ومن غيره من المؤرخين القدماء عندما يتناولون مشاكل أجل شأنا وأكثر خطرا ويكتنفها ظلام دامس .

وفى اليوم التالى ، أرسل قيصر فى طلب بطلميوس الصغير للتوفيق بينه وبين أخته ، لكن الصبى ما كاد يرى أخته حتى استولت عليه عاصفة من الغضب ، وقذف بتاجه الى الأرض وجرى فى الشوارع يصرخ من الخيانة . وقد أعاد جنود قيصر الملك الصغير الى القصر ، لكن صرخاته أثارت اضطرابا كبيرا بين الجماهير فحاصروا أسوار القصر ، وكان لا يوجد الا قليل من الجنود للدفاع عنها ، فاضطر قيصر الى الظهور أمام الجماهير والتحدث اليهم ، واعدا اياهم بأن يعقد اجتماعا عاما للشعب ، ويقرأ لهم بحضور بطلميوس وكليوبترة وصية أبيهما . وبعد بضعة أيام دعى الشعب للاجتماع فى الجومنازيوم ، وقرأ قيصر وصيـة بطلميوس الزمار ، وكانت تقضى بأن تحكم مصر كليوبترة وأكبر أخويها ، وبأن ترعى روما تنفيذ هذه الوصية ، وعلى هذا النحو أوضح قيصر حقه فى التدخل فى هذا النزاع وانطباق قراره على رغبات الملك الراحل . ولكى يخلد الاسكندريون الى السكينة ، وعدهم قيصر باعادة قبرص الى مصر ، ليتولى حكمها أرسينوى وأصغر أبناء بطلميوس الزمار . وهكذا هدأت الاسكندرية وتم الوفاق بين كليوبترة وأخيها وفقا لرغبة قيصر وتنفيذا لوصية أبيهما ، وأقيم حفل كبير بهذه المناسبة (١) .

---

(1) Dio Cass., XLII, 34-35 ; Plut., Caes., 49 ; Lucan., Phars., X, 56 ff., 105, 107-172 ; Bouché-Leclercq, II, pp. 191-3 ; Bevan, pp. 363-4 ; Jouguet Nat. Eg., p. 211.

حرب الاسكندرية :

وقد كان من الممكن أن تدوم هذه الحال ، لو أن بوثاينوس وعصابته أذعنوا للفشل الذى أصابهم بالتوفيق بين الأخوين ، لكنهم لم يذعنوا وأخذوا يلهبون مشاعر الاسكندريين ، وكانوا يرمين بتدخل قيصر فى مشاكلهم التى اعتادوا منذ مدة طويلة على حلها بطريقتهم الخاصة ، وبمجيئه اليهم دائنا يريد اقتضاء ديونه .

وفى الوقت نفسه عمل بوثاينوس على مضايقة الجنود الرومان بعدم اعطائهم سوى القمح القديم الفاسد ، وعلى اثارة الملك والرأى العام باستخدام صحاف من الخشب والفخار فى المآدب العامة بحجة أن قيصر استولى على كل الصحاف المصنوعة من الذهب والفضة وفاء لدينه (١) . وذهب بوثاينوس فى متابعة سياسته الى حد نهب المعابد زاعما أنه لم تضطره الى ذلك الا الاستجابة الى مطالب قيصر الملحة بعد أن أصبحت الخزانة العامة خاوية على عروشها ، وكان قصد بوثاينوس من ذلك اثارة عواطف المصريين الدينية لعدم اهتمامهم بالمشكلة السياسية (٢) .

وعندما استوثق بوثاينوس من مشاعر المدينة ، طلب الى أخيلاس الزحف على الاسكندرية بجيشه ، فترك أخيلاس فى بلوزيون حامية كافية لمنع جنود قيصر فى آسيا من دخول مصر ، وزحف على العاصمة بقوة تتألف من ٢٠٫٠٠٠ من المشاة و ٢٠٠٠ من الفرسان . وسرعان ما وجد قيصر وجنوده القليلون أنفسهم محاصرين فى عاصمة كبيرة (٣) معادية لهم ، فطلب قيصر الى بطلميوس الثالث عشر أن يأمر بوقف تقدم الجيش ، وكان يزيد كثيرا على قواته القليلة . وقد استجاب الملك الى هذا الطلب وكلف رسولين بابلاغ هذا الأمر الى أخيلاس ، لكن هذا القائد أمر بالاجهاز على الرسولين ، فقتل أحدهما وجرح الآخر جرحا خطيرا (٤) . وهكذا بدأت – فيما نعتقد فى أواخر أغسطس أو فى أوائل أكتوبر عام

---

(1) Plut., Caes., 48.

(2) Dio Cass., XLII, 34 ; Oros., VI, 15, 29.

(٣) يقدر ديودوروس (XVII, 52) عدد سكان الاسكندرية بثلاثمائة الف نفس .

(4) Caes., B. Civ. III, 109, 1-7 ; Plut., Caes., 49, 2 ; Dio Cass., XXXVI, 2, 4 : XXXVII, 1-2 ; Oros., VI, 15, 30.

٤٨ — الحرب التى عرفت فيما بعد باسم « حرب الاسكندرية » (١) وكاد قيصر أن يكفر فيها بحياته عن اطالة اقامته فى الاسكندرية لينعم بصحبة كليوبترة ، اذ أنه يصعب تصديق ما يزعمه قيصر من أن الرياح الشمالية هى التى أستبقته فى الاسكندرية لتعذر مبارحة الميناء فى أثناء هبوبها (٢) .

حريق المكتبة الكبرى :

وازاء الأخطار التى أحدقت بقيصر ، حصن نفسه فى القصور الملكية الفسيحة والشوارع المجاورة لها ، القريبة من الزاوية الجنوبية الشرقية للميناء الكبير (ويعرف اليوم بالميناء الشرقى) . وعندما وصل جيش أخيلاس واستولى على باقى المدينة التهب حماس الأهالى وأصبح هدف الجميع الهجوم على القصر لانقاذ الملك وابادة المعتدين الأجانب ، لكنهم وجدوا قيصر محصنا تحصينا قويا وعجزوا عن الاستيلاء على مواقعه فحاصروها . ولما كان يهم قيصر فى هذه الأزمة الخطيرة المحافظة على مواصلاته البحرية ، وكان للاسكندريين فى الميناء الكبير ٧٢ سفينة ، وفى الأحواض ٣٨ سفينة أخرى على الأقل، فانه أحرق هذه السفن جميعا (٣) ، اذ أنه لم يكن فى استطاعته ، بسبب قلة رجاله ، استخدامها ولا حمايتها من الوقوع فى قبضة العدو .

وقد ارتفع اللهب بشدة ، حتى امتد الى رصيف الميناء وأحرق المكتبة الكبرى ، على نحو ما سنرى عند الكلام عن مكتبة الاسكندرية . ولكى يضمن قيصر السيطرة على الميناء الكبير ، بادرت احدى كتائبه الى احتلال الصخرة الصغيرة ، التى كان يقوم عليها فنار الاسكندرية الشهير شرقى جزيرة فاروس (٤) ، وقابل ضغط العدو بتحسين وسائل دفاعه من كل ناحية . ولما كان يدرك جيدا أنه لا يستطيع الصمود طويلا فى مواقعه الضيقة أمام عدو متفوق عليه فى العدد ، فانه أنفذ الرسل الى كريت

---

(1) Bouché-Leclercq, II, pp. 193-6 ; Bevan, p. 364 ; Jouguet, Nat. Eg., pp. 211-2.

(2) Caes., B. Civ., III, 107.

(3) Caes., B. Civ. III, 111 ; Bell. Alex., 12.

(4) Caes., B. Civ., III, 112.

ورودس وقيليقيا وسوريا بل الى بلاد العرب يطلب النجدة والمؤنة (١) . وفى خلال ذلك كان كل أبناء بطلميوس الزمار فى قبضة قيصر ، وكانت عواطف بطلميوس الثالث عشر وأخته أرسينوى مع الفريق الآخر ويريدان الانضمام اليه ، لكن الرقابة لم تكن دقيقة بحيث تحول دون فرار أرسينوى . ويحتمل أن يكون قيصر قد أغمض عينيه عن هربها ، لتوقعه أن وجود هذه الأميرة فى معسكر أعدائه سيؤدى الى وقوع الاضطراب فيه. وقد تحقق ما توقعه قيصر، اذ أنه ما كادت أرسينوى ترحل حتى دبت الغيرة بين مربيها الخصى جانومديس (Ganymedes) وبين أخيلاس . وحين أعطت قيصر المراسلات السرية بين بوثاينوس وجيش العدو الفرصة للتخلص من أخطر أعدائه الداخليين باعدامه (٢) ، علم بأن الخلاف نشب فى معسكر أخيلاس ، وبأن أرسينوى أمرت باعدام هذا القائد بتهمة تسليم الأسطول (٣) ، فآلت قيادة الجيش الى جانومديس (٤) .

الاسكندريون يقطعون المياه عن قيصر :

ومع ذلك فان مركز قيصر الحرج سرعان ما ازداد حرجا ، عندما عمد الاسكندريون الى قطع مياه النيل عن القنوات التى كانت تغذى الحى الذى احتله الرومان ، والى ايصال مياه البحر الى تلك القنوات بقصد هلاك المحاصرين عطشا ، اذ أنه لم يكن لديهم مصدر آخر للمياه العذبة غير تلك القنوات . وعندما لوحظ أن الماء أصبح غير صالح للشرب ، استولى القنوط على جنود قيصر وأخذوا يتساءلون عما يبقيهم فى الاسكندرية وعما يمنع قائدهم من ركوب البحر ثانية . لكن قيصر عرف كيف يواجه هذه الأزمة ، فقد أبان لجنوده خطر الانسحاب بحرا فى الوقت الذى يهاجمهم فيه عدو قوى ، وقال لهم ان المراكب تستطيع امدادهم بالماء من بارايتونيون (Paraetonion) (مرسى مطروح الحالية) أو من أية جزيرة قريبة ، وذلك اذا تعذر الحصول على الماء فى الاسكندرية نفسها بحفر آبار فيها . وفى الحال نشط رجاله ليلا ونهارا فى حفر آبار

(1) B. Alex., 1, 7 ; Dio Cass., XLII, 37.
(2) Caes., B. Civ., III, 112 ; Plut., Caes. 49.
(3) B. Alex., 4 ; Dio Cass., XLII, 40.
(4) Bouché-Leclercq, II, pp. 196-201 ; Bevan, pp. 364-5 ; Jouguet, Nat. Eg., pp. 212-3 ; Graindor, op. cit., p. 52.

أمدتهم بحاجتهم من الماء (١) . وبعد هذا الفزع بقليل ، لاحت من بعيد الفرقة السابعةوالثلاثون التىأرسلها قالفينوس (Cn. Domitius Calvinus) بحرا من آسيا ، استجابة الى نداء قيصر ، ومعها مدد من المؤنة والأسلحة ومعدات القتال .

الاسكندريون يتحدون قيصر فى البحر :

ولما كانت الريح قد دفعت السفن التى تحمل الامدادات بعيدا عن الاسكندرية وتعذر عليها دخول الميناء بسبب هياج البحر ، فانه تعين علىقيصر أن يعمل علىقيادتها الى بر السلامة، وتبعا لذلكفانه ترك جنوده وراء التحصينات لحماية مواقعه واجترأ على الخروج من الميناء بسفنه دون أن يكون عليها سوى بحارتها . وعندما علم الاسكندريون بأن قيصر خرج بأسطوله دون أن يصحب معه جنوده ، جمعوا كل ما تبقى لهم من سفن فى ميناء يونوستوس (الميناء الغربى) وذهبوا يتحدونه حين كان فى طريق العودة مع الامدادات ، فنشبت بين الفريقين معركة هزم فيها الاسكندريون ، ولكن حلول الظلام أنقذهم من كارثة شاملة ، ووصل قيصر ورفاقه الميناء الشرقى سالمين (٢) .

قيصر يستولى على فاروس والهبتاستاديون :

وعندما استشعر جانومديس حاجته الملحة الى أسطول ، أحضر من مصاب النيل المختلفة مراكب الجمارك ، وأصلح ما كان لدى الاسكندريين من سفن قديمة ، وبذلك توافر لديه عدد من السفن استطاعت على الأقل مناوءة مواصلات قيصر البحرية . وقد زاد مركز قيصر حرجا سيطرة جانومديس علىجزيرة فاروس وجسر الهبتاستاديون — وكان يربط الجزيرة بالمدينة وبه عند طرفيه معبران يصلان بين الميناءين الشرقى والغربى — مما أتاح للاسكندريين ازعاج سفن قيصر الراسية فى الميناء الشرقى بالقاء قذائف ملتهبة عليها .

وازاء ذلك قرر قيصر مهاجمة أسطول الاسكندريين والاستيلاء على

(1) B. Alex., 5-9.
(2) B. Alex., 9-12.

فاروس وجسر الهبتاستاديون ليرد الاسكندريين على أعقابهم الى داخل المدينة. وتبعا لذلك فانه خرج بأسطوله ونخبة من جنوده ودار حول جزيرة فاروس ، وهاجم الأسطول الاسكندرى فى الميناء الغربى ، وأحرز عليه نصرا حال دون جعله حاسما انسحاب الاسكندريين الى البر حيث احتشد الأهالى على الجسر وعلى قمم المنازل المطلة على الميناء وحالت قذائفهم دون مطاردة المنسحبين (١) . وفى اليوم التالى نجح قيصر فى الاستيلاء على جزيرة فاروس (٢) . وقد ترتب على ذلك النصر أن أقرب معبرى الجسر الى الجزيرة سقط فى قبضة قيصر ، اذ أن الأهالى ، وقد أفزعتهم الهزيمة التى حلت بهم ، تركوا هذا المعبر دون دفاع ، فاستولى عليه قيصر وحصنه ووضع عنده حامية .

وقد دافع الاسكندريون عن المعبر الثانى ، وكان أحسن تحصينا من الأول وأقرب منه الى المدينة ، لكنه فى اليوم التالى هاجم قيصر هذا المعبر واستولى عليه وسده بحيث قطع كل اتصال بين الميناءين . وعندما شرع فى تحصين مدخل الجسر ذاته من ناحية المدينة انقض الاسكندريون على هذه التحصينات واقتربت سفنهم من الجسر وأصلت القوات الرومانية بوابل من قذائفها ، فخف جانب من الأسطول الرومانى الى نجدة قيصر. وعندما نجح فريق من الاسكندريين فى تسلق الجسر نشب قتال عنيف بين الفريقين انجلى عن انسحاب الرومان من الجسر وفقدهم بين قتيل وغريق ٤٠٠ جندى وعددا من البحارة يفوق ذلك . ولم ينج قيصر نفسه الا بالسباحة الى زورق صغير (٣) .

قيصر يطلق سراح الملك :

وكان فقد هذا العدد من قوات قيصر القليلة خسارة فادحة ، ومع ذلك فان الاسكندريين أنفذوا الرسل الى قيصر يبلغونه ضيقهم بسوء حكم أرسينوى وطغيان جانومديس واستعدادهم للتسليم اذا رد اليهم ملكهم وأمرهم الملك بذلك . وقد تظاهر قيصر بتصديقهم ووافق على

---

(1) B. Alex., 13-16.
(2) B. Alex., 17-18.
(3) B. Alex., 19-21.

اطلاق سراح الملك مقدرا أنهم اذا كانوا صادقين فلن يضيره تحقيق رغبتهم ، واذا كانوا كاذبين فانه من ناحية كان أكرم له أن يحارب ملكا من أن يحارب طغمة من الغرباء والعبيد ، ومن ناحية أخرى فانه لن يكون من شأن وجود الملك مع أرسينوى وجانومديس بين الاسكندريين أن يؤدى الى تقويتهم وانما الى نشوب خلاف يضعفهم ويقسم صفوفهم . وعندما استدعى قيصر الملك وأبلغه بأنه حر طليق ، بكى وادعى أنه لا يريد أن يتركه ، لكنه لم يكن بكاء الفراق وانما بكاء الفرح ، لأنه ما كاد ينضم الى الاسكندريين حتى جعل همه الأول متابعة القتال ضد الرومان بحماس شديد . غير أننا لا نسمع بعد ذلك شيئا عن جانومديس مما يدل على حدوث ما توقعه قيصر نتيجة لاطلاق سراح الملك . وعندما حاول الاسكندريون اعتراض طريق الامدادات المرسلة بحرا الى الرومان ونصبوا لها كمينا عند المصب القانوبى ، تصدى لهم الأسطول الرومانى وهزمهم (١) .

انتصار قيصر :

وحوالى الوقت نفسه وصل الى بلوزيون ميثريداتس البرجامى على رأس الامدادات التى كان قيصر قد أرسله فى بداية الحرب لجمعها من سوريا وقيليقيا . وقد انضم الى جيش النجدة قوات من اليهود بقيادة أنتيباتروس وقوات من الأعراب بقيادة يامبليخوس (Iamblichos) (٢) . ويعزو المؤرخ يوسف (٣) الى أنتيباتروس فضلا كبيرا فى النصر الذى أحرزه ميثريداتس عند استيلائه على بلوزيون فى يوم واحد بعد قتال مرير (٤) . وليتفادى ميثريداتس فروع النيل وقنواته التى تنتشر فى الدلتا ، سار بمحاذاة فرع النيل البلوزى حتى منف ، حيث عبر ذلك الفرع وانحدر مع الفرع القانوبى صوب الاسكندرية (٥) . وعندما علم الاسكندريون بما حدث أنفذوا جانبا من جيشهم ليمنعوا جيش النجدة

---

(1) B. Alex., 23-25 ; Cf. Dio Cass., XLII, 42 ; Bouché-Lleclercq, II, pp. 201-9 ; Jouguet, Nat. Eg., pp. 213-5 ; C.A.H. IX, p. 671
(2) B. Alex., 26 ; Strabo XIII, 625 ; Dio Cass., XLII, 41 ; Joseph. A. Jud., XIV, 127-129.
(3) A. Jud., XIV, 130.
(4) B. Alex., loc. cit. : Dio Cass, loc. cit.
(5) Joseph., op. cit., XIV, 131-136.

من اجتياز فرع النيل على مقربة من العاصمة ، لكن ميثريداتس هـزم مهاجميه بالرغم من تفوقهم عليـه فى العـدد • وازاء ذلك خف كل من بطلميوس وقيصر على رأس القوة التى كان يمـكن الاستغناء عنها فى الاسكندرية ، فقد كان الأول يستهدف القضاء على ميثريداتس والثانى الاتصال به •

وقام قيصر بمناورة ماهرة مكنته من الاتصال بميثريداتس قبل أن يهاجمه بطلميـوس (١) • وبعـد ذلك قاد كل القـوات فى مهاجمـة الاسكندريين ، وكانوا متحصنين فى مكان منيع يحميه النيل من ناحية ومستنقع من ناحية أخرى ، وقناة من الناحية الأمامية المواجهة للرومان ، الا أن قيصر هزم الاسكندريين فى موقعة حامية لم تلبث أن تحولت الى مذبحة مروعة قضى فيها على الجانب الأكبر من جيشهم ، كما أن الكثيرين ممن سلموا من القتل هلكوا غرقا فى أثناء تقهقرهم ، وكان بطلميوس فى عداد هؤلاء الغرقى (٢) • وأمكن التعرف على جثته بفضل درعه الذهبى وقد أرسله قيصر الى الاسكندية لاقناع أهلها بأن مليكهم لقى حتفه وأن الوقت قد حان للتسليم (٣) •

وعندما عاد قيصر مظفرا الى العاصمـة (٢٧ مارس = ١٥ ينـاير بحسب تقويم قيصر) (٤) جنى ثمار انتصاره الحاسم السريع ، فقد ألقى الاسكندريون أسلحتهم وهجروا معاقلهم وخفوا لاسـتقباله متشحـين بملابس الحداد ومعهم تماثيل الآلهة ، على نحو ما كانوا يفعلون عنـد التوسل الى ملوكهم واستعطاف الأرواح التى أغضبوهـا بسلوكهم ، فقبل قيصر استسلامهم وعفا عنهم (٥) • وبعد أن أصبح قيصر على هذا النحو سيد الاسكندرية ومصر ، نفذ الوصية التى أتمن بطلميوس الزمار الشعب الرومانى على تنفيذها دون ادخال أى تعديل عليها ، اذ أنه أقام على العرش كليوبترة وأخـاها الأصغر بطلميوس الرابع عشر ، وأقصى

(1) B. Alex., 27-8 : Dio Cass., XLII, 43.

(2) B. Alex., 28-31 ; Dio Cass., XLII. 43.

(3) Flor., IV, 2, 60 : Oros. VI, 16, 2 : Eutrop., VI, 22 ; C.I.L.. I; 2; pp. 223, 314.

(4) Skeat, p. 41.

(5) B. Alex., 32.

عن مصر أختها الصغرى أرسينوى (١) ، تفاديا لنشوب صراع جديد قبل دعم مركز كليوبترة وأخيها • ولما كان قيصر يدرك أنه يتعذر عليهما اكتساب محبة رعيتهما وأنهما لا يتمتعان بأية مكانة بسبب وفائهما له وحداثة عهدهما بالحكم ، فانه قبل أن يبرح مصر ترك ثلاث فرق لشد أزرهما (٢) •

وبرغم بقاء قيصر طوال هذه المدة فى مصر ، وبرغم أن الحالة فى الامبراطورية الرومانية كانت تحتم عليه الرحيل فورا ، فانه عز عليه ألا يستمتع بقضاء الربيع مع كليوبترة بعد ما لاقاه من أهوال حرب الاسكندرية•ولذلك فانه بقى الى جانب كليوبترة ثلاثة أشهر أخرى تقريبا قام معها فى أثنائها برحلة نيلية الى أقاصى الصعيد (٣) • وبعد أن استولى دون شك على كل ديونه غادر مصر بحرا حوالى منتصف يونية (=بين١٥ من أبريل و ٥ من مايو بحسب تقويم قيصر) عام ٤٧ الى سوريا قاصدا آسيا الصغرى (٤) •

كليوبترة تعتبر نفسها زوجة قيصر :

ولم تحاول كليوبترة على الاطلاق اخفاء ثمرة علاقاتها مع قيصر • ويعجب المحدثون من أنها بالرغم من الأزمات الطاحنة التى مر بها العرش وكادت أن تدكه بسبب سلوك أبيها وتصرفاته ، وبالرغم من أنها حتى يناير عام ٤٧ كانت شرعا زوجة أخيها بطلميوس الثالث عشر ، أطلقت على ابنها الذى أنجبته من الدكتاتور فى عام ٤٧ اسم قيصر (٥)،وهو الذىأطلق عليه الاسكندريون اسم التصغير قيصرون (٦) • ونحن نعتقد أن مرد ذلك الى أن كليوبترة لم تعتبر نفسها خليلة قيصر وانما زوجته ، وآية

---

(١) أرسلت ارسينوى الى روما حيث عرضت فى مهرجان النصر الذى اقامه قيصر فى عام ٤٦ • وبعد ذلك نقلت الى معبد افسوس حيث لقيت مصرعها فى عام ٤١ بأمر كليوبترة فيما يبدو • راجع :

Dio Cass., XLIII, 19.

(2) B. Alex., 33.

(3) Suet., Caes. 52 ; Appian., B. Civ. II, 90.

(4) B. Alex., 65-66 ; Joseph., A. Jud., XIV, 137 ; Lord, J.R.S., 28., 1938, pp. 19-38 ; E. Badian, J.R.S., 1968, pp. 258 ff.

(5) Stèle dem Musée Louvre no. 335 ; Revillout, Rev. Eg., II, p. 100, no. 3 ; VII, p. 168.

(6) Plut., Caes., 49 ; Cf. Dio Cass., XLVII, 31.

ذلك أنها بمناسبة ميلاد ابنها أقامت أو أمرت بزخرفة معبد أرمنت وبأن يسجل على جدرانه أنها أنجبت قيصرون من آمون — رع الذى خالطها فى صورة قيصر (١) • ومعنى ذلك بجلاء أن كليوبترة أذاعت على الملأ أن قيصر زوجها الشرعى ، وأنها جريا على معتقدات المصريين الدينية أنجبت طفلها من الاله آمون — رع الذى خالطها فى صـورة زوجهـا الشرعى قيصر (٢) •

ونحن نعتقد كذلك أن التفسير الحقيقى لنوع العلاقة التى قامت بين قيصر وكليوبترة يجب أن يستمد قبل كل شىء من الأهداف التى كانت كليوبترة تتوخاها من وراء هذه العلاقة • لقد مر بنا أن دولة البطالمـة كانت قد بلغت درجة شديدة من الضعف حتى كادت أن تصبـح ولاية رومانية قبل عهد كليوبترة ، وأنه لم يعد فى وسع أى جالس على عرش مصر عندئذ انقاذ دولته المتداعية بأية قوة يملكها ، وأن كليوبترة كانت فتاة جميلة ذكية طموحا تشبه من سبقنها من أميرات وملكات البطالمة من حيث الكبرياء وقوة الارادة والتعطش الى الحكم وحب المجد والسيطرة• وذات فجأة ، وسط الأزمة الطاحنة التى اكتنفت كليوبترة ، تدخل لحل هذه الأزمة أقوى رجل فى العالم يومئذ ، رجل طبق فى الآفاق صيته فى ميدان القتال وكذلك فى ميدان الفسق والفجور • وحسبنا ما يحدثنا به سويتونيوس من أن قوريو الكبير وصف قيصر فى احـدى خطبه بأنه « امرأة كل رجل ورجل كل امرأة » (٣) • ولا جدال فى أنه اذ أمر قيصر كليوبترة وأخاها بتسريح قواتهما والحضور الى الاسكندرية ، لم يغب عن فطنة كليوبترة أن رفضها هذا الأمر كان يستتبع حتما ضـياع كل آمالها فى استرداد العرش بل ضياع حياتها ، ولا فى أن اطاعة هذا الأمر كان يجر وراءه عدم الافلات من براثن ذئب كاسر مثل قيصر • ولا جدال كذلك فى أنه اذا كان عسيرا على ملكة من طراز كليوبترة ، سليلة تلك الملكات اللائى استبد بهن حب المجد والسيطرة ، أن تضحى بعرشها بل

(1) Maspero. Ann. Ecole Hautes Etudes, 1897, p. 22 ; Lepsins. Denk. IV, 60-65, text, IV, pp. 2-11 ; Brugsch, Thesauros, p. 879.
(2) Maspero, Bib. Eg., XXVIII, p. 278 ; Cf. Moret, Du Caractére religieux, Paris, 1902 p. 68.
(3) Sueton., Div. Jul., LII, 3.

من المحتمل أيضا بحياتها ، فانه كان طبيعيا أن تحاول كليوبترة الافادة من ظروفها الى أقصى حد لاشباع أطماعها عبر مكمن الضعف فى قيصر ، وذلك باستغلال كل ما حباها به الله من فتنة وذكاء ليشعر قيصر بالا غنى له عنها ، ويرى فيها خير من تشاركه حكم الامبراطورية الرومانية ، فيتخذها زوجة له • وهل يعقل أن تقنع أية امرأة طموح مغامرة على أى قدر من الذكاء بأن تكون مجرد خليلة حين تدرك مدى سلطانها على خليلها ومدى ما تجنيه من وراء تصحيح وضعها معه ؟ أليس طبيعيا أن ترغب هذه الخليلة ، ولا سيما اذا كانت ملكة طموحا ذكية مثل كليوبترة، فى أن تغدو حليلة ؟ ولقد رأينا فيما مر بنا من القرائن ما يدل على المكانة العزيزة التى احتلتها كليوبترة لدى قيصر ، ولكن أبلغت هذه المكانة الى حد أنه قرر الزواج منها ؟ واذا صح ذلك فلماذا اذن لم يعلن نبأ زواجه منهـا ؟

اتفاق كليوبترة وقيصر على الزواج :

من البديهى أن كليوبترة لم تذع على الملأ فى مصر نبأ زواجها من قيصر الا بعد اتفاقها معه على الزواج وعلى اذاعة نبأه فى مصر ، والا لما اجترأت على الذهاب الى روما فى العام التالى (٤٦) لرحيل قيصر من مصر وبدعوة منه • ولو أنه كان لدى كليوبترة أدنى شك فى نوايا قيصر لما كان أيسر عليها من اخفاء ثمرة معاشرتها له معاشرة الأزواج بأن تنسب طفلها الى زوجها بطلميوس الثالث عشر وهو الذى توفى قبل ميلاد قيصرون بستة شهور•وفضلا عن ذلك فانه حتى اذا أغفلنا من اعتبارنا ما أعلنه أنطونيوس من أن قيصر اعترف بأبوته لقيصرون (١) فان هناك قرينة أخرى على صدق نية قيصر فى الزواج من كليوبترة ، ذلك أن قيصر أقام فى معبد فينوس جنتريكس (Genetrix) وكانت تعتبر أم الرومان جميعا — تمثالا من

(1) Suet., Caes., 52, 2.
لا يدلى سويتونيوس برأى فى مسألة أبوة قيصر لطفل كليوبترة لكنه يحدثنا بأن قيصر سمح للطفل بحمل اسمه ، وبأن بعض كتاب الاغريق زعموا ان قيصرون كان يشبهه . ويضيف سويتونيوس ان جايوس اوبيوس نشر كتابا ينفى فيه ابوة قيصر لطفل كليوبترة . واذا كان سويتونيوس يحدثنا بأن أنطونيوس أنهى الى السناتو ان قيصر اعترف فعلا بابوته لهذا الطفل ، فان ديون قاسيوس لا يعتقد أن الطفل كان ابن قيصر (XLVII, 31).

الذهب لكليوبترة (١) ، فقد كان ذلك ينطوى على جعل أم طفله الهة شريكه لأم الرومان تمهيدا لزواجه منها واقامة ملكية هلينيسية ، أو بعبارة أخرى ملكية تقوم على حق الملوك الالـهى . ومن ثم يبين أن قيصر وكليوبترة اتفقا على الزواج ، وعلى أن تعلن كليوبترة هذا الزواج بادىء ذى بدء فى مصر بينما يرجىء قيصر اعلان زواجه من كليوبترة فى روما . وما سر اختلاف التوقيت فى اعلان كل منهما هذا الزواج ؟ لقد كان هناك عامل حاسم يستوجب مبادرة كليوبترة باعلان الزواج فى مصر ، وهو انجاب طفلها من قيصر ، فى حين أنه كان هناك على الأقل سببان يضطران قيصر الى ارجاء اعلانه الزواج فى روما . وأحد هذين السببين هو ضرورة استصدار تشريع خاص قبل ذلك ، لأنه بمقتضى الشرائع الرومانية كا نلا يستطيع أى مواطن رومانى أن يعقد زواجا صحيحا على سيدة أجنبية . والسبب الآخر مستمد مما توحى به القرائن من أن قيصر كان ينوى اقامة نفسه ملكا ومن أن الرومان كانوا يكرهون النظام الملكى(٢) ويبغضون الزواج من أجنبيات . وازاء ذلك فان الحكمة كانت تملى على قيصر الا يثير مشاعر الرومان باتخاذ أى اجراء رسمى لاشهار زواجه من ملكة أجنبية قبل أن يقيم الملكية ، أى قبل أن يتخذ خطوة كان يعتبرها ضرورية لاصلاح نظام الحكم فى الامبراطورية الرومانية وكذلك فيما يبدو تمهيدية لزواجه من ملكة . فزواج قيصر الملك من ملكة كان لا يمكن أن يثير فى الرومان من الغضاضة ما كان يثيره فيهم زواج قيصر الدكتاتور من ملكة . وفى ضوء هذا يمكننا أن نفسر زيارة كليوبترة لروما وبقائها هناك من سبتمبر عام ٤٦ حتى مقتل قيصر فى مارس عام ٤٤ ، انتظارا لليوم الموعود الذى ترتقى فيه عرش امبراطورية عالمية لا تكون مصر الا احدى ولاياتها ، ويصبح ابنها قيصرون ، ابن قيصر الأوحد ، وريث هذه الامبراطورية .

وهذا يقتضينا أن نناقش هنا تلك الوصية (٣) التى أودعها قيصر

---

(1) Appian., B.C. II, 102 ; Dio Cass., LI, 22.

(٢) سنتناول فيما بعد ص ص ٣٢١ — ٣٣١ مسألة « قيصر والملكية » .

(3) Dio Cass., XLIV, 35 ; T. Rice Holmes, Roman Republic, III, pp. 317—8, 346 ; C. A. H., IX, pp. 724—5 ; Deutsch, Caesar's Son and Heir. Un. Calif., Class. Phil., IX, 1928, no. 6.

لدى الكاهنات العذارى فى منتصف سبتمبر عام ٤٥ ، أى قبيل الحملة التى كان ينوى القيام بها ضد بارثيا . وكان من أهم ما تضمنته هذه الوصية أن قيصر تبنى أوقتافيوس ، حفيد أخته الصغرى ، ووزع تركته بين أوقتافيوس وبين بيناريوس (Pinarius) وبديوس (Pedius) ، وكانا حفيدى أخت قيصر الكبرى . وتضمنت الوصية كذلك قائمتين من الأسماء تشمل احداهما أولئك الذين تؤول اليه تركة قيصر اذا ما أصاب أحفاد أخته مكروه ، وتشمل القائمة الأخرى أسماء الذين يقامون أوصياء على من قد ينجبه قيصر من أبناء .

ولما كان قيصر لم يقدم بعد على أن يطلق قالبورنيا ويعلن زواجه من كليوبترة ، وذلك انتظارا لتحويل الجمهورية الرومانية الى ملكية على نحو ما نرجح ، وكان قيصر يدرك تماما أنه اذا توفى فى أثناء الحملة ضد بارثيا فانه سيعقب ذلك صراع مرير على السلطة قد يذهب ضحيته أقرب أقاربه بدليل أن قيصر لم يكتف بأن يضمن وصيته أحفاد أختيه بوصفهم ورثته الشرعيين بل ذكر أيضا فئة أخرى من الورثة فى حالة موت أولئك الأحفاد ، وكان أكثر الباحثين يرون أن تلك الوصية ليست الا اجراء اقتضته الحيطة لمواجهة احتمال وفاة قيصر فى أثناء حملته ضد بارثيا ، وأن هذه الوصية لا تنهض دليلاً على ما كان قيصر يعتزم أن يفعله فى حالة عودته سالما من بارثيا ، وأنه من المستبعد أن قيصر كان يعتبر الشاب غير المجرب أوقتافيوس جديرا بأن يخلفه فى مركزه ، فانه لا يأخذنا العجب من أن قيصر لم يشر اطلاقا فى وصيته الى قيصرون سواء بوصفه وريثه أم بوصفه الطفل الذى أورد ذكر الذين يقامون أوصياء عليه .

وفى ضوء هذه الاعتبارات جميعا ليس هناك ما يبرر اتخاذ وصية قيصر دليلا على أنه لم تكن فى نيته اتخاذ كليوبترة زوجة له والاعتراف بأبوته لقيصرون .

واستكمالا لبحث هذه المسألة لابد من الاشارة هنا الى ما عزى الى أحد أنصار قيصر ــ التريبون جايوس هلفيوس قينا ــ من أنه اعترف بعد مقتل الدكتاتور بأنه كان قد عهد اليه بأن يقترح فى أثناء غيبة قيصر قانونا أعد له نصه ليبيح لقيصر الزواج ممن يشاء واتخاذ أى عدد من

الزوجات من أجل أنجاب الأولاد (١) . وقد قيل أن هذا التشريع كان يستهدف تحقيق رغبة قيصر فى الزواج من كليوبترة . ولا ريب فى أن هذا الزواج كان بغيضا الى الرومان ، ولكننا نعتقد أن اصدار مثل هذا التشريع كان يزيد هذا الزواج بغضا الى الرومان ويجعل الوزر وزرين باباحة تعدد الزوجات لقيصر ، فقد كان ذلك ينطوى على مجافاة شديدة للعرف والتقاليد والشرائع الرومانية . غير أنه لما كان القانون الرومانى لا يسمح لأى مواطن رومانى بأن يعقد زواجا صحيحا على سيدة أجنبية، فان قيصر لم يكن فى حاجة الى أكثر من الشق الأول من هذا التشريع ليتزوج من كليوبترة بعد أن يطلق قالبورينا وكذلك بعد أن يحول النظام الجمهورى الرومانى الى نظام ملكى . وتبعا لذلك اذا كنا لا نستبعد أن تريبون العامة هلفيوس قينا كان قد كلف باستصدار تشريع يمهد لقيصر الزواج من كليوبترة فى الوقت المناسب ، وأن تكون رغبة قيصر فى انجاب الأولاد قد اتخذ مبررا لاستصدار مثل هذا التشريع ، فاننا نستبعد أن هذا التشريع كان يتضمن الشق الذى يبيح لقيصر تعدد الزوجات . ونعتقد أن خصوم قيصر هم الذين زيفوا هذا الشق امعانا فى تصوير قيصر على أنه ازاء سيطرة كليوبترة عليه لم يعد رومانيا وانما أصبح شرقيا يتطلع الى اقامة نفسه ملكا والى اتخاذ أى عدد من الزوجات. واذا سلمنا جدلا بأن كل ما عزى الى هلفيوس قينا كان من ابتكار خصومه ، فانه يجب التسليم كذلك بأن هذا الابتكار كان وليد شعور الرومان بمدى وقوع قيصر تحت تأثير كليوبترة وبأنه كان فى سبيله الى الزواج منها .

قيصر واليهود :

ويحدثنا المؤرخ يوسف — فى مجال سرده مظاهر اكرام الرومان لليهود — بأن قيصر قضى باقامة نصب من البرونز أثبت عليه أن يهود الاسكندرية مواطنون اسكندريون (٢) . واذا كان من الجائز أن يكون يهود الاسكندرية قد ساعدوا قيصر فى أثناء « حرب الاسكندرية » ، اذ

(1) Sueton., Caes., 52.

(2) Joseph., A. Jud., XIV, 188.

أن حيهم كان يجاور الحى الملكى الذى حوصر فيه قيصر ، وأن يكون قيصر قد كافأهم لقاء ذلك بتوكيد تمتعهم بالامتيازات التى منحهم البطالمة اياها ، فاننا نشك فى أن يكون قيصر قد ذهب الى حد منحهم حقوق المواطنة ، لأنه كان من شأن ذلك أولا اثارة عواطف الاسكندريين فى وقت كان قيصر ينشد فيه تهدأتهم ، وثانيا أن تحترم كليوبترة ومن بعدها أغسطس ارادة قيصر . ولكننا نعرف أنه عندما كانت الاسكندرية تعانى قحطا وأمرت كليوبترة بتوزيع منح من القمح على مواطنى الاسكندرية لم يكن لليهود نصيب من هذه المنح لأنهم لم يكونوا فى عداد هؤلاء المواطنين (١) . ونعرف كذلك انه اذا كان أغسطس وخلفاؤه قد أكدوا ليهود الاسكندرية امتيازاتهم القديمة ، فانهم لم يمنحوهم حقوق المواطنة مما حدا باليهود الى الالحاف فى مطالبة الرومان بمنحهم هذه الحقوق وحدا كذلك بيوسف الى القيام بدعاية واسعة لمناصرتهم من أجل الفوز بمطلبهم .

ويحدثنا يوسف أيضا بأن قيصر كافأ يهود فلسطين على المساعدة التى قدموها لجيش النجدة بانقاص جزيتهم واعفائهم من الخدمة العسكرية والالتزامات الاضافية ، كما كافأ هورقانوس بأن قرر اقامته كاهنا أكبر وحاكما عاما لليهود وبأن يخلفه أولاده من بعده وبأن يعتبروا جميعا أصدقاء الرومان وحلفاءهم (٢) ، وكذلك كافأ أنتيباتروس بمنحه حقوق المواطنة الرومانية (٣) .

قيصر يجهز على فارناقس :

ولما كان فارناقس ملك القرم قد انتهز فرصة الحروب الأهلية وحرب الاسكندرية لنشر نفوذه فى آسيا الصغرى (٤) ، فان قيصر شن عليه حملة خاطفة لم تستغرق أكثر من خمسة أيام للقضاء عليه ، مما حدا بقيصر الى وصفها بعبارته المشهورة : جئت ورأيت وانتصرت (٥) . ولم يلبث

(1) C.A.H., X, p. 36.
(2) Joseph., A. Jud., XIV, 190 ff.
(3) Joseph., op. cit., 137.
(4) Bell. Alex., 34-40, 45, 3 ; Sueton., Caes., 35-36 ; Dio Cass., XLII, 45-46.
(5) Plut., Caes., 50 ; Sueton., Caes., 37.

فارناقس أن لقى حتفه ، فأسند قيصر مملكته (القرم) الى ميثريداتس البرجامى مكافأة له على خدماته • وأخيرا سارع قيصر الى ايطاليا حيث قضى على القلاقل التى كانت روما تعانيها وعلى الفتنـة التى وقعت بين فرق قمبانيا •

قيصر يقضى على اعدائه فى شمال افريقيا :

وعندما وضع قيصر الأمور فى نصابها فى ايطاليا ، جرد حملة للقضاء على القوات المعادية له ، التى أعيد تكوينها فى شمال أفريقيا • وقد دامت هذه الحملة حتى صيف عام ٤٦ ، واكسبت قيصر مجدا جديدا وساطات جديدة ، بفضل انتصـاراته على أعـدائه وحليفهم يوبا (Juba) ملك نوميديا ، اذ أن قيصر كان لا يزال فى أفريقيا عندما منح الدكتاتورية لمدة عشر سنوات ، ومنصب المشرف على الأخلاق ، « ووضعت عجلته الحربية فوق الكابيتول فى مواجهة يوبيتر ، وأقيم تمثاله على شكل من البرونز يمثل العالم ويحمل نقشا يدعوه نصف اله » (١) •

كليوبترة فى روما :

وعندما أصبح قيصر على هذا النحو سيد العالم ، خفت ملكة مصر الى روما ومعها أخوها الصغير بطلميوس الرابع عشر ، وأدمجهما قيصر فى عداد حلفاء وأصدقاء الشعب الرومانى (٢) • ومن المحتمل أن كليوبترة كانت فى روما فى شهر سبتمبر عام ٤٦ (يونية بحسـب تقويم قيصر) ، عندما احتفل قيصر بانتصاراته الأربعة على بلاد الغـال والاسكنـدرية وفارناقس ويوبا ، فكان فى وسعها أن تسمع الأشعار اللاذعة التى سخر فيها الجنود من مغامرتها الشخصية مع قيصر ، ومما اتهـم به قيصر ـ المشرف على الأخلاق ـ من الهوى المحظـور مع نيقومدس (٣) ، ولئن تشهد فى موكب النصر الأول زعيم الغال التعس ، وفى الموكب الثـانى صورتين لبوثاينوس وأخيلاس وتمثالا للنيل ، ونموذجا للفنار وهو مضاء ،

(1) Dio Cass., XLIII, 14 ; Cic. Ad Fam., IX, 15, 5 ; Bouché-Leclerq, II, pp. 216-8 ; Jouguet, Nat. Eg., pp. 216-7 ; C.A.H., IX, pp. 675-90.

(2) Dio Cass., XLIII, 27.

(3) Suet., Caes., 49 ; 52 ; Dio Cass., XLIII, 20.

وأختها أرسينوى مكبلة بالقيود (١) • ويحدثنا ديون قاسيوس بأنه طاب للشعب مشاهدة الأشياء الباقية ، لكنه أغضبه رؤية عدد غير مألوف من الحشم ، وكذلك الأسلاب التى أخذت من الرومان الذين هزموا فى أفريقيا ، كما أن الشفقة أخذته على أرسينوى ، لأنها امرأة ومكبلة بالقيود بعد أن كانت فيما مضى أميرة ملكية ، اذ أن الرومان لم يروا مثل هذا المشهد من قبل على الاطلاق •

وقد أسكن قيصر كليوبترة وأخاها وحاشيتها فى قصره عبر نهر التيبر، لكن الظروف أرغمت قيصر على الابتعاد عن كليوبترة ثانية بضعة شهور• ذلك أنه ازاء اضطراب الأحوال فى ولاية اسبانيا القاصية نتيجة لسوء تصرفات حاكمها ونشاط آخر أعوان بومبى الذين تجمعوا فى أسبانيا ، اضطر قيصر الى ترك ايطاليا (أوائل نوفمبر ٤٦) وخوض آخر معاركه عند موندا (مارس ٤٥) وقضاء بضعة شهور هناك بعد ذلك لوضع الأمور فى نصابها (٢) ، فلم يعد الى روما قبل أكتوبر عام ٤٥ • ويحق لنا أن نعجب من أن كليوبترة ، وهى التى كانت تتقن فن استهواء من تريد اكتسابهم وتعرف كيف تندمج فى يسر وسهولة مع طباعهم ، أغضبت بصلفها وكبريائها النبلاء المتكبرين الذين أذل الحرص والخوف أعناقهم، فلم يكتفوا بالسعى الى قيصر بل أخذوا أيضا يترددون على مجالسها • ويصف شيشرون فى أحد خطاباته الطريقة المشينة التى عاملته بها كليوبترة وأتباعها ، وحاول أن يبرر زيارته لها بدعوى رغبته فى استعارة بعض الكتب النادرة من مكتبتها !! (٣) •

ويبين لنا أن مرد سلوك كليوبترة الى أنها ، وقد أسكرتها سيطرتها على سيد العالم وتزلف أولئك النبلاء اليها ، أعمتها نشوة النصر عن كسب ودهم ، ولا سيما أن الزلفى لا توحى بالاحترام ، وكم أفسد الناس حكامهم بنفاقهم وزلفاهم • ويجب ألا ننسى أن كليوبترة ، برغم ذكائها

(1) Dio Cass., XLIII, 19-25 ; Sueton., Caes., 37-39 ; Plut., Caes., LV ; App., B.C., 101-2, 108.

(2) Bellum Hispanienis ; Dio Cass., XLIII, 29-43 ; App., B. C., II, 103-105.

(3) Cic., Ad Att., XV, 15.

وأطماعها ، كانت قليلة الخبرة بأساليب الحكم ، ولا دراية لها بطباع الرومان ، وكان خضوعهم لقيصر يؤذى نفوسهم وتكبرها عليهم يدمى أفئدتهم ، فكرهوها أشد الكراهية واعتبروها حظية وضيعة متكبرة ، واعتقدوا أنه بتأثيرها أخذ قيصر يفكر فى تحويل الجمهورية الرومانية الى مملكة هلينيسية يحكمها ملك مؤله •

قيصر والملكية :

يسود الاعتقاد بين الباحثين بأن قيصر لقى مصرعه قبل الانتهاء من اصلاحاته واقامة نظام الحكم الملائم بعد أن أثبتت الأحداث والتطورات السياسية عدم صلاحية النظام القائم ، وبعد أن صدر عن قيصر ما ينم بجلاء عن أنه كان لا ينوى الابقاء على النظام الراهن ولا اعتزال الحكم ، فالكل يقبل ما عزى الى قيصر من التصريح بأن الجمهورية الرومانية لم تعد الا اسما لا جسد له ولا شكل ، وبأن صلا باعتزاله الحكم أثبت جهله بأوليات السياسة (١) •

ويسلم بعض الباحثين بأن المبررات الفلسفية للملكية الهلينيسية باصرارها على واجبات الملك نحو رعاياه من حيث رعاية صوالحهم والنهوض بمرافق بلادهم والزود عن حياضها كانت تروق لأفضل الجوانب فى خلق قيصر • بيد أن هذا البعض من الباحثين يرى أنه بالرغم مما أدته الممالك الهلينيسية من خدمات للحضارة وتطوير الحياة الاقتصادية قد أثبتت آخر الأمر فشلها فشلا ذريعا ، على حين أن نظام الحكم الرومانى برغم أنه لم يعد صالحا لحكم عالم البحر المتوسط فانه نجح نجاحا كبيرا بالقياس الى نظم الحكم فى الممالك الهلينيسية ، وأن أحداث الحرب الأهلية قد أثبتت أنه من الناحية العسكرية كانت ايطاليا هى مركز الثقل فى عالم البحر المتوسط • ويرى هؤلاء الباحثون أيضا ان الملكية الهلينسية غدت شبحا ، وأن رجلا واقعيا مثل قيصر كان لا يمكن أن يضحى بجوهر القوة من أجل الشبح •

ولا جدال فى أن الممالك الهلينيسية ضعفت ضعفا شديدا فى النصف الثانى من العصر الهلينيسى بيد أن مرد هذا الضعف فى أعظم هذه الممالك ،

(1) Sueton., Caes., LXXVII.

وهى مملكة البطالمة ، لم يكن الى النظام الملكى نفسه وانما الى ثلاثة عوامل رئيسية • وأحد هذه العوامل هو أن ملوك البطالمة لم يكونوا ملوكا قوميين وانما ملوك أجانب استهدفوا تحقيق مجدهم الشخصى وصوالحهم الشخصية وصوالح أعوانهم الأجانب على حساب أهالى البلاد ، مما دفع هؤلاء الأهالى الى القيام بثورات عارمة ضد مغتصبى بلادهم ومستعبديهم • وزاد فى خطورة هذه الثورات القومية احتدام النزاع بين أمراء البطالمة أنفسهم منذ عهد بطلميوس السادس فيلومتور • والعامل الثانى هو أنه بعد بطلميوس الثالث آل العرش الى ملوك ضعاف أو صبية صغار تحت وصاية أشخاص لم يرتفعوا الى مستوى المسئولية ، مما شجع المصريين وكذلك الاسكندريين على الثورة فى وجه أولئك الحكام الفاسدين • والعامل الثالث هو أنه منذ عهد بطلميوس الخامس تعرضت امبراطورية البطالمة بل مصر ذاتها لأطماع ثلاث دول فتية هى دولة السلوقيين فى عهد أنطيوخوس الثالث والرابع ، ودولة مقدونيا فى عهد فيليب الخامس ، والدولة الرومانية منذ خروجها مظفرة من صراعها مع قرطجنة بانتصارها فى معركة زاما عام ٢٠٢ • وأما فى عهد البطالمة الثلاثة الأوائل ، أى على مدى أكثر من قرن ، حين كان على عرش مصر ملوك أقوياء ، فان دولة البطالمة كانت أقوى الدول الهلينيسية وأغناها وصاحبة امبراطورية بحرية واسعة • ومعنى ذلك أن العلة لم تكمن فى الملكية الهلينيسية ذاتها ، لأن حالها من قوة أو ضعف كان رهنا بمن كانت مقاليد الأمور فى قبضته •

ألم يكن من شأن ذلك أن يستهوى رجلا قوى الشكيمة مثل قيصر ، وهو الذى يسلم الجميع بأن كل الشواهد فى السنة الأخيرة من حياته تشير الى أنه كان مصمما على أن يمارس سلطة أوتقراطية ؟ ولاشك فى أنه لو أتيحت لقيصر فرصة اقامة ملكية فى روما لكانت هذه الملكية القومية التى تساندها أعظم قوة حربية عندئذ فى منأى عن أخطر العوامل التى أدت الى تدهور مملكة البطالمة • وبتأليه عاهل المملكة الرومانية كانت تتكمل لهذه الملكية أهم مقومات البقاء • ويدل على صدق هذا

التقدير ما كان من أمر الملكية التى أقامها أغسطس وسترها بقناع شفاف من الرياء السياسى .

ويعزز ما نرجحه من اتجاه قيصر الى اقامة نظام ملكى فى روما على غرار النظام الملكى الهلينيسى أن الباحثين جميعا ، بما فيهم القلة المعارضة لاتجاه قيصر الى الملكية ، يرون أنه ليس هناك أدنى شك فى أن علاج وجوه الضعف الكامن فى نظام الحكم الرومانى لعالم البحر المتوسط كان نوعا من الحكم الأوتقراطى ، أى اسناد مهمة حل مشاكل الدولة الى شخص واحد . ويرون كذلك أنه منذ جيل أخذ الفكر السياسى الرومانى يتجه على الأقل نظريا نحو هذا التغير الدستورى ، وان كانت ذكرى الزمن الذى كان فيه السناتو يضطلع بهذا الدور ظلت تداعب الأفكار باستمرار . وفى رأى بعض الباحثين أنه اذا كان أغسطس قد عمل على التوفيق بين هذين الاتجاهين - حكم الفرد المطلق وحكم السناتو - بالوصول الى حل وسط ، فانه من المستبعد أن قيصر كان ينحو هذا النحو لأنه لم يكن من طراز أصحاب الحلول الوسط ، لكنه من الجائز أنه فى خلال الفترة الأخيرة من حياته كان بصدد الوصول الى نوع دائم من الأوتقراطية يوفق بين تقاليد الشرق والغرب . وهنا يتملكنا العجب من المصارحة بهذا الرأى الذى لا يكاد أن يستبعد على قيصر أن ينحو نحو أغسطس فى الوصول الى حل وسط ، حتى يعود فيعزو الى قيصر احتمال الوصول الى حل وسط ، اذ أنه من الواضح أن ذلك النوع الدائم من الأوتقراطية الذى يوفق بين تقاليد الشرق والغرب لا يمكن الا أن يكون حلا وسطا . ثم ما هو هذا النوع من الأوتقراطية الذى يوفق بين تقاليد الشرق والغرب ؟ الا يكون ذلك نظام حكم يتمتع قيصر فى كنفه بسلطة مطلقة مع السماح للأجهزة الدستورية الرومانية بممارسة نشاط صورى أو مقيد فى ظل هذه السلطة المطلقة ؟ وهل يختلف هذا النظام عن النظام الملكى البطلمى مثلا حيث كان الملك صاحب السلطة العليا المطلقة وكانت المجامع الدستورية فى الاسكندرية ونقراطيس وبطولميس تمارس نشاطا محليا مقيدا ؟

وعلى كل حال فانه لا خلاف اذن على أن علاج مشاكل روما عندئذ أصبح يتطلب اقامة حكم الفرد المطلق ، وانما وجه الخلاف هو التسمية التى تطلق على هذا النوع من نظم الحكم . وللوصول الى هذه التسمية ليس أمامنا الا أن نستهدى بأمرين : وأحدهما هو السلطات التى كان قيصر يمارسها ، والآخر هو القرائن التى توحى بنظام الحكم الذى كان قيصر يستهدفه .

وأما عن الأمر الأول فانه لا جدال فى أن قيصر كان يتمتع بسلطات مطلقة لا تستقيم بأى حال مع نصوص الدستور الجمهورى ولا مع السوابق والتقاليد المألوفة . ذلك أنه لم يكن هناك حد لسلطانه ولا رقيب على تصرفاته ولا سبيل الى الحد من مشيئته ، وأنه لم يكن للنظم القائمة أى وزن أو قيمة فى نظره . واذا كان قيصر لم يلغ نصوص هذا الدستور أو يعطل أى جهاز من أجهزته ، فان هذه النصوص وهذه الأجهزة لم تعد الا أدوات صورية لتنفيذ مشيئة الحاكم بأمره ، السيد الأوحد للدولة الرومانية ، الذى لم يكتف بالاعتماد على مجده العسكرى وولاء محاربيه القدماء والفرق العاملة تحت امرته ، بل عمد الى حشد السناتو بالموالين له . ويعطينا فكرة عن كيفية صدور القرارات فى مجلس السناتو ما يذكره شيشرون فى خطاب أرسله فى أكتوبر عام ٤٦ الى صديقه بايتوس (Paetus) . فقد جاء فى هذا الخطاب أن اسم شيشرون أدرج فى عداد أعضاء السناتو الذين شاركوا فى اصدار قرارات فى موضوعات لا علم له بها فى اجتماعات لم يحضرها (١) . واذا كان هذا قد حدث مرارا فى حالة رجل بارز مثل شيشرون ، فانه يمكننا أن نتصور أن هذه لم تكن الحالة الوحيدة من نوعها . وأهم من ذلك ما تنطوى عليه شكوى شيشرون من دلالة وهى أنه كان يعتبر أمرا مفروغا منه موافقة السناتو على ما أوصى به قيصر . فلا عجب أن بعض الباحثين يرون بحق أن قرارات السناتو لم تكن أكثر من تسجيل قرارات قيصر نفسه (٢) . والى أى اتجاه يشير ذلك كله ؟ وهل كان هناك فارق بين

---

(1) Cic., Ad Fam., IX, 15, 4.

(٢) ابراهيم نصحى ، المرجع السابق ، ص ص ٦٩٠ وما بعدها .

موقف قيصر من السناتو وموقف أى ملك بطلمى من الأجهزة الدستورية فى المدن الاغريقية فى مصر ؟

وأما عن الأمر الآخر فان القرائن متعددة على الاتجـاه الذى كان قيصر فى سبيله اليه . وتأتى فى المقدمة مظاهر التشريف التى أغدقت عليه ورفعته الى مرتبة كبير الآلهة يوبيتر فأصبح الرومان يدعـونه يوبيـتر يوليوس (Jupiter Julius) ، وعين أنطونيوس كاهنـا لقيصر بذات اللقب الذى كان يميز كهنة يوبيتر (Flamen Dialis) (١) . وتحدثنا المصادر القديمة عن اقامة معابد كثيرة لقيصر وعن اقامة تماثيله جنبا الى جنب التماثيل المقامة للآلهة فى المعابد ، وعن حمل تمثال قيصر وسـط تماثيل للآلهة فى كل مهرجـانات الألعـاب الكبرى (٢) . ومـع تسليم الباحثين جميعا باقامة تماثيل لقيصر فى المعابد وتعيين كاهن خاص له ، الا أن البعض يرفض أنه أقيمت لقيصر نفسه معابد فى أثناء حياته ، ويرى أن كل ما حظى به قيصر لم يكن أكثر من مظاهر المداهنة والتكريم التى لا ترقى الى التدليل على تأليه قيصر فى حياته . ونحن نسلم جدلا بأنه من الجائز انه لم تشيد معابد لقيصر فى حياته ، وبأن اقامة تماثيل البشر فى المعابد لا تنهض دليلا قاطعا على تأليههم ، ولكنه يجب أن نأخذ فى الاعتبار هنا أمرين : وأحدهما هو أن قيصر ، بسبب مكانته وسلطاته فى الدولة الرومانية لم يكن كسائر البشر . والأمر الآخر هو أن الكهنـة كانوا لا يعينون الا لاقامة شعائر عبادة اله أو آخر ، وأنه عين لقيصر كاهن خاص فى أثناء حياته ، وهو أمر لم يسبق له مثيل . فما كانت اذن مهمة كاهن قيصر ؟ وما كان مبرر تعيين هذا الكاهن الخاص الا اذا كان قيصر قد رفع فعلا الى مرتبة الألوهية فى حياته ؟

وثمة قرينة أخرى نعتقد أنها بليغة فى دلالتها . ذلك أنه فى الدول الهلينيسية كانت لا تنقش على العملة الرسمية عادة الا صـور الآلهـة والملوك ، وأنه فى روما كانت لا تنقش عليها عادة الا صور الآلهة . بيد أنه فى عام ٤٥ نقشت — بأمر السناتو — لأول مرة على العملة الرسمية

(1) Sueton., Caes., LXXVI ; Cic., Phil., II, 43, 110.
(2) App., B.C., II, 106 ; Sueton., loc. cit. ; Dio Cass., XLIII, 45, 3 ; XLIV, 6, 4 ; Cf. Plut., Caes., LVII, 3 ; L.R. Taylor, The Divinity of the Roman Emperor, p. 69.

الرومانية صورة بشر على قيد الحياة هو يوليوس قيصر (١) . والباحثون المعارضون للفكرة القائلة بأن قيصر كان فى سبيله الى اقامة نظام ملكى يحاولون فى حرج واضح التقليل من شأن هذه القرينة بضرب من العنت فى الجدل لا يقل عن العنت فى تفسير ما ينم عن تأليه قيصر فى أثناء حياته .

واذا سلمنا جدلا بأن ما حظى به قيصر لم يكن أكثر من مظاهر تشريف ومداهنة جعلته على الأقل شبه اله وشبه ملك ، أو بعبارة أخرى شبه ملك هلينيسى مؤله ، فهل الأصح أن قيصر لم يفعل أكثر من أنه تقبل راضيا مظاهر تعبر عن ولاء المتحمسين من أنصاره ، أم أن ذلك كان وليد سياسة رسمها قيصر ؟ فلنستعرض بعض الأحداث فى ايجاز يسير لنتبين وجه الحقيقة .

من المعروف أن عصبة الرأس (diadema) كانت تعتبر كالتاج رمزا مميزا للملوك الهلينسيين منذ أن أخذ الاسكندر الأكبر هذا التقليد عن ملوك الفرس . وعندما حدث أن شخصا مجهولا وضع عصبة الرأس على تمثال قيصر المقام على منصة الخطابة فى الفوروم وبادر تريبونا العامة فلافوس ومارولوس الى نزع العصبة ، غضب قيصر من تصرف التريبونين بحجة أنهما لم يعطياه الفرصة لينزع العصبة بنفسه (٢) . وذات وضع العصبة على تمثال قيصر أمر بليغ فى دلالته سواء أكان الذى وضعها من أنصاره أم من خصومه ، لأنه اذا كان من الأنصار فأغلب الظن أن عمله لم يكن تلقائيا وانما موعز به لجس النبض فيما اذا كان الوقت قد حان لاعلان الملكية . وأما اذا كان من الخصوم فانه ينم عن احساس المخلصين للنظام الجمهورى بأن قيصر كان فى سبيل اقامة نفسه ملكا وكذلك عن رغبتهم فى اثارة المشاعر ضد نواياه لاحباطها قبل فوات الأوان .

ولعل أن ما حدث فى يوم ٢٦ من يناير عام ٤٤ كان ضربا آخر اما من الترويج لاقامة قيصر ملكا واما من المناهضة لهذا الاتجاه . ذلك أنه حين كان قيصر عائدا يومئذ من الحفل اللاتينى وارتفعت أصوات منادية اياه

(1) Dio Cass., XLIV, 4, 4 ; C. A. H., IX, p. 727 ; Plates, vol. II, f, g, h.
(2) Sueton., Caes. LXXIX, I ; Dio Cass., XLIV, 9 ; Plut., Caes., LXI, 4 ; Liv., Ep., 116 ; App., B.C., II, 108.

« ملك » لم يثر قيصر أو يكفهر وجهه وانما قابل النداء بابتسامة رقيقة وبقوله « لست ملكا وانما قيصر » • بيد أن تريبونى العامة سالفى الذكر سارعا الى القاء القبض على الرجل الذى قيل أنه كان أول من جرى النداء على ألسنتهم • ولا يقل عن هذا النداء أهمية فى دلالته غضب قيصر من تصرف التريبونين لأنه كان معناه اعتبار وصف قيصر بأنه ملك جرما يستحق العقاب • وبايعاز من قيصر تقرر حرمانهما عضوية السناتو وعزلهما من منصبيهما قبل انتهاء المدة القانونية (١) •

وفى النصف الثانى من شهر فبراير عام ٤٤ أقيم فى الفوروم حفل لوبرقاليا (Lupercalia) • وفى خلال هذا الحفل قدم القنصل ماركوس أنطونيوس عصبة الرأس الى قيصر باسم الشعب ، ولكن قيصر تمنع عن قبول العصبة تمنعا ظاهرا مرة بعد أخرى ، وأمر بأن يثبت فى السجلات الرسمية أنه استجابة الى رغبة الشعب عرض القنصل ماركوس أنطونيوس الملكية على يوليوس قيصر ، الدكتاتور لمدى الحياة ، ولكن قيصر رفضها • ويحدثنا بلوتارخ وأبيانوس فى هذا الصدد بأنه كلما قدم أنطونيوس العصبة الى قيصر كانت قلة من الحاضرين تصفق على حين أنه كلما رفض قيصر العصبة كان كل من فى الفوروم يصفقون (٢) • ومن الجلى أن هذه المسرحية التى مثلت أمام حشد كبير من الرومان كانت — على حد قول المصادر القديمة — أمرا متفقا عليه • وأنها لم تكن الا احدى الخطوات التمهيدية لبلوغ الهدف المنشود الذى اعتبره قيصر العلاج الأوحد لمشاكل روما ، ولكنه ازاء كراهية كثيرين من الرومان للنظام الملكى كان يتعين على قيصر أن يخطو نحو هدفه بخطى وئيدة القصد منها اظهار عزوف قيصر شخصيا وتعففه عن الملكية •

واذا أغفلنا أمر ما بدر من أشخاص مجهولين وليست لهم صفة رسمية ، وأمعنا النظر فيما صدر عن رجال مسئولين فى الدولة كانوا طوع بنان قيصر ولا يمكن أن يصدر عنهم شيء الا استجابة الى مشيئته، فانه يتضح لنا أنه لو أن قيصر لم يكن حقا يفكر جديا فى اقامة النظام

(1) Dio Cass., XLIV, 10 ; App., B. C. II, 108 ; Sueton., LXXIV, 1 ; Plut., Caes., LXI, 4-5 ; Liv., Ep., 116.
(2) Dio Cass., XLIV, 11 ; App., B.C., II, 109 ; Sueton., LXXIX ; Plut., Caes., LXI ; Liv., Ep., 116.

الملكى ، لما قرر السنانو نقش صورته على عملة الدولة ، ولما اجترأ ربيب قيصر وزميله فى القنصلية ، مارقوس أنطونيوس ، على أن يعرض عليه الملكية . واذا أغرقنا فى السذاجة الى مدى التسليم بأنه لم تكن لقيصر يد فى شىء من ذلك كله ، وبأن فكرة الملكية لم تدر بخلده قبل أن يلوح بها أمامه ويعرضها عليه المتملقون من أنصاره ، وبأنه كان جادا فى رفض الملكية عندما عرضت عليه ، فانه لابد من التسليم أيضا بأنه لم يكن هناك ما هو أيسر من أن ينتهى الأمر عند ذلك . بيد أن هذا لم يحدث على نحو ما سنرى توا .

ذلك أنه فى شهر فبراير عام ٤٤ أصبح شائعا معروفا أولا أن قيصر رفض الملكية عندما عرضها عليه أنطونيوس باسم الشعب ، وثانيا أن قيصر يعتزم محاربة البارثيين وأعد العدة لذلك . ولا جدال فى أن الانتقام من بارثيا لهزيمة قراسوس فى عام ٥٣ كان أمرا طال أمد انتظاره بيد أن استكمال الاصلاحات ، التى أدخلها قيصر على أوضاع الدولة الرومانية ، بوضع نظام دائم للحكم يخلف النظام الدكتاتورى غير الدستورى فيكفل بذلك خدمة صوالح الدولة على المدى الطويل ، كان أكثر الحاحا من القيام بحرب لم تكن هناك حاجة ملحة الى خوض غمارها ، بدليل أنه بعد ذلك بأربع عشرة سنة عندما قضى أغسطس على أنطونيوس وكليوبترة وضم مصر الى الامبراطورية الرومانية فى عام ٣٠، فضل العودة الى ايطاليا لوضع أمور الدولة فى نصابها على محاربة البارثيين ، وأنه انقضى على مصرع قيصر حوالى ربع قرن قبل أن يولى أغسطس عنايته الى البارثيين . ولما كنا نستبعد على رجل من طراز قيصر أن يكون قد سمح فى هذا الوقت بالذات لرغبته فى تتويج انتصاراته العسكرية بقهر البارثيين بأن تعميه عن حاجات الدولة وأشدها الحاحا وأكثرها أهمية ، فلابد من أن تكون اعتبارات سياسية بالغة الأهمية هى التى أملت على قيصر ضرورة تقديم محاربة البارثيين على كل ما عداها . ولسنا فى حاجة الى الذهاب بعيدا للتدليل على ذلك ، اذ أنه ما أن انتشر خبر اعتزام قيصر محاربة البارثيين وما صاحب ذلك من دعاية لتبرير هذه الحملة بضرورة الثأر للشرف الرومانى وتأمين الحدود الشرقية

للامبراطورية حتى قيل انه وجدت فى كتب الوحى السيبوليه نبوءة غامضة بادر لوقيوس قوتا (أحد أعضاء اللجنة المنوطة برعاية هذه الكتب المقدسة وتفسيرها) الى تفسير هذه النبوءة بأن الرومان لن يهزموا البارثيين الا اذا قادهم ملك ، والى تدبير اذاعة سر هذه النبوءة (١) •

ويجب ألا تغرب عن البال هنا ثلاثة أمور : وأحدها هو أن العرف جرى على أن تفسير النبوءات السيبولية كان يعتبر سرا خطيرا من أسرار الدولة الى أن يبلغ هذا التفسير الى السناتو ويأمر اما بتنفيذ هذا التفسير فيذاع ، واما باغفال أمره على أساس أنه خرافة لا وزن لها فيبقى طى الكتمان تفاديا لما يترتب على عدم العمل بالنبوءة من اثارة المشاعر الدينية لدى الجماهير • والأمر الثانى هو أن أغلب أعضاء السناتو كانوا من أنصار قيصر وعلى أتم استعداد لتنفيذ رغباته جميعا ، غير أنه كان يوجد كذلك فى السناتو بل بين أقرب المقربين الى قيصر أعضاء يؤمنون ايمانا قويا بالنظام الجمهورى • والأمر الثالث هو أن استخدام حيل النبوءات لتحقيق أهداف سياسية كان أمرا معروفا ، وحسبنا أن نذكر على سبيل المثال النبوءة التى زعم أنه عثر عليها فى الكتب السيبولية فى عام ٥٦ لانقاص قدر مهمة اعادة بطلميوس الزمار لكى يزهد بومبى فى هذه المهمة •

ولابد لنا من أن نلغى عقولنا لنتصور أنه لم تكن لقيصر يد فى العثور على هذه النبوءة الغامضة وفى تفسيرها على نحو ما مر بنا وفى اذاعة السر قبل ابلاغه الى السناتو • ولو صح حقا أن قيصر كان بريئا من ذلك كله، وأنه كان لا يتطلع الى اقامة النظام الملكى ، لما اجترأ قوتا على اذاعة سر النبوءة ، ولما كان هناك أيسر على قيصر من أن يصرح بعدوله عن القيام بحرب يقتضى النصر فيها هدم النظام الجمهورى واقامة النظام الملكى الكريه على أنقاضه ، وبأنه بدلا من القيام بهذه الحرب سيولى عنايته الى استكمال اعادة بناء الدولة •

ويبدو لنا أن قيصر قد هدف من وراء تدبير مسألة النبوءة المزعومة واذاعة سرها الى تحقيق هدفين ينيران له معالم الطريق نحو ضالته

(1) App. B.C., II, 110 ; Sueton., LXXXIX, 3 ; Dio Cass., XLIV, 15, 3 ; Plut., Coes., LX, I.

المنشودة . وأحد هذين الهدفين هو أن يدخل فى روع الجماهير أنه بعد أن رفض الملكية عندما عرضها عليه البشر لم يعد فى وسعه الا الاضطرار الى الاستجابة الى ما أوحت به الكتب السيبولية المقدسة من أجل أن يؤدى للدولة واجبا يقتضيه تطهير الشرف الرومانى من الدنس الذى لحقه بهزيمة قراسوس ، وتستوجبه حماية الحدود الشرقية ، وبذلك يسترد الرومان كرامتهم وتنعم الامبراطورية بالسلم والرخاء . ألا يذكرنا ذلك ببعض المبررات الفلسفية التى كانت الملكية الهلينيسية تستند عليها ؟ والهدف الآخر هو أن يتعرف على نوايا الجمهوريين بعد النبوءة .

ويبدو أن حيلة النبوءة لم تنطل على أولئك المستمسكين بالنظام الجمهورى ، وأن ذلك لم يثن قيصر عن المضى قدما نحو هدفه ولكن على مهل . ذلك أنه عجل استعداداته لمحاربة بارثيا ، وفى الوقت نفسه أخذ عملاؤه يدعون الى ضرورة المناداة به ملكا على الشعوب الخاضعة لروما . ومعنى ذلك أنه تنفيذا للنبوءة كان لابد من أن يحارب قيصر البارثيين بوصفه ملك الشعوب التابعة لروما ولكن دون أن يكون ملك الرومان مراعاة لمشاعر الجمهوريين . بيد أن مجىء هذه الدعوة فى أعقاب ما سبقها من النذر على اتجاه قيصر نحو الملكية أقنع الجمهوريين بأنه اذا كان قيصر قد رأى من الحكمة أن يتمهل فى اقامة الملكية فى روما يومئذ ، فانه سيفعل ذلك حتما ، ان عاجلا أو آجلا ، بعد الفراغ من قهر البارثيين ، ولذلك فانهم دبروا المؤمرة التى أجهزت على قيصر فى منتصف مارس عام ٤٤ قبل خروجه لمحاربة البارثيين بأربعة أيام (١) .

وانه لاشتراك رجلين مثل تربونيوس ودقيموس بروتس فى مؤامرة اغتيال قيصر دلالة بالغة تفسر لنا سبب الحذر الذى توخاه قيصر فى تحقيق غايته المنشودة وكذلك ماهية هذه الغاية . ذلك أن هذين الرجلين كانا أكثر المقربين الى قيصر ومن أكثر الذين أفادوا من صلتهم به وكذلك من أكثر المتحمسين للنظام الجمهورى . وعندما تكشف لهما بحكم صلتهما الوثيقة بقيصر تصميمه على تحويل النظام الجمهورى الى نظام ملكى هان عليهما كل شىء فى سبيل الحفاظ على النظام الجمهورى .

(1) Cf. App., B.C., II, 110-111 ; Sucton., LXXIX-LXXX.

وفى ضوء ما عرضناه يبدو لنا أن قيصر سعى سعيا حثيثا فى السنة الأخيرة من حياته الى أن يقيم فى روما ملكية من الطراز الهلينيمى ، أى ملكية تقوم على حق الملوك الالهى (١) .

وعندما أجهز الجمهوريون على قيصر أجهزوا كذلك على الآمال التى كانت كليوبترة تعقدها عليه ، ومن ثم فان مركزها فى روما أصبح محفوفا بالمخاطر . فقد كان يكفى صدور قرار من السناتو بضم مصر الى الامبراطورية الرومانية لتعتبر كليوبترة فى حكم الملوك المقهورين وعرضة لأن تودع فى غياهب السجن . فلا عجب أن استبد بها الخوف وفرت فجأة الى مصر فى أوائل شهر ابريل . فقد كتب شيشرون الى صديقه أتيقوس فى منتصف ذلك الشهر وأعرب له عن ابتهاجه بفرار الملكة (٢) . وفى هذا أبلغ تفنيد لمزاعم سويتونيوس بأن قيصر أعاد كليوبترة الى مملكتها وسط مظاهر الاعزاز وفيض من الهدايا (٣) .

كليوبترة تشرك معها ابنها :

ويقول ديون قاسيوس انه بعد عودة كليوبترة من روما بقليل ، أشركت ابنها معها فى الملك وعملت على أن يعترف به الرومان أو على الأقل أنصار قيصر ملكا شرعيا ، اذ أنها فى أثناء مفاوضاتها مع دولابلا أصرت على ذلك لقاء حصوله على محالفتها (٤) والعون الذى كان أنصار قيصر فى حاجة اليه لمحاربة الفريق الآخر ، على نحو ما سنرى . ويرينا معبد دندرة كليوبترة فى صورة الالهة المصرية حتحور ، ومعها ابنها قيصرون فى شكل فرعون (٥) ، ومع ذلك فان كليوبترة لم تؤرخ الوثائق بسنى حكم ابنها (٦) . ويقول المؤرخ يوسف ان بطلميوس الرابع عشر توفى فى الاسكندرية مسموما فى الخامسة عشرة من عمره ، فقد كان لا يتورع أحد من أفراد أسرة البطالمة عن ارتكاب جريمة مفيدة (٧) . ويعزو بورفوريوس الى تدابير كليوبترة وفاة هذا الصبى فى العام الرابع من حكمه الموافق لعامها الثامن (٨) ، ولذلك اذا كان يبدو من وثيقة

(١) عن قيصر والملكية ، انظر : ابراهيم نصحى ، تاريخ الرومان ، الجزء الثانى ، ص ص ٦٩٠ - ٧١٦ ، بما فى ذلك من مصادر ومراجع .
(2) Cic., Ad Att., XIV, 8.
(3) Suet., Caes., 52.
(4) Dio Cass., XLVII, 31, 5.
(5) Lepsius, Denkm., V. 53-4.
(6) Cf. P. Ryl. IV, 582.
(7) Joseph., A. Jud. XV, 4, 1.
(8) Porhyr. ap. F.H.G., III, 724.

بردية (١) بتاريخ ٢٦ من يوليو سنة ٤٤ أنه كان لا يزال عندئذ على قيد الحياة ، فلابد من أنه لم يعمر بعد هذا التاريخ طويلا (٢) •

تكوين الحكومة الثلاثية الثانية :

وازاء الهلع الذى دب فى نفوس الناس عقب مقتل قيصر ، وازاء ما أظهره المتآمرون من التردد ، تمكن القنصل أنطونيوس من السيطرة تدريجيا على ناصية الحال فى روما • ولما كانت وصية قيصر وأوراقه فى قبضة أنطونيوس ، فانه كان فى وسعه أن يتكلم باسم الدكتاتور ، لكنه كان عليه أن يتفق مع أوقتافيانوس ، وكان حفيد الأخت الصغرى لقيصر ، وبمقتضى وصيته ابنه بالتبنى ووريثه (٣) • ولما كان من العسير التوفيق بين أطماع أنطونيوس وآمال أوقتافيانوس ، فان العلاقات بينهما فسدت الى حد الاصطدام بالسلاح ، وكان النصر لأوقتافيانوس عند موتينا (Mutina) فى أبريل عام ٤٣ • لكنه بعد هذا النجاح ، ارتكب السناتو مع أوقتافيانوس الخطأ نفسه الذى ارتكبه فيما مضى مع بومبى وقيصر ، اذ أنه لم يسمح للشاب المنتصر بترشيح نفسه لمنصب القنصلية ، وكان من جراء ذلك أن أوقتافيانوس زحف على روما بجيشه وانتخب قنصلا فى ١٩ من أغسطس عام ٤٣ ، وأنه لم يلبث أن تقرب الى أنطونيوس وحليفه لبيدوس (Lepidus) ، حاكم ولايتى الغال واسبانيا القريبة ، وأفضى هذا التقرب الى تكوين الحكومة الثلاثية الثانية • ويمتاز تكوين هذه الحكومة بانه كان تكوينا رسميا بقانون (٢٧ من نوفمبر عام ٤٣) ، وبأنه تقرر دوام هذه الحكومة حتى شهر يناير عام ٣٧ • وقد تبع ذلك سيل جارف من اعدام المغضوب عليهم ، وكان شيشرون بين أوائل ضحايا هذا السيل (٧ من ديسمبر عام ٤٣) جزاء دفاعه الحار عن الجمهورية وهجومه العنيف على أنطونيوس الذى اتهمه بمحاولة اقامة دكتاتورية عسكرية • ولما كان شيشرون قد نصب نفسه للدفاع عن الحرية الفردية والقيم الانسانية النبيلة ضد بطش

---

(1) P. Oxyr., XIV, 1629.

(2) Cf. Bouché-Leclerq, II, pp. 218-223, 227-8 ; Bevan, pp. 368-9 ; Jouguet, Nat. Eg., pp. 217-8.

(3) Dio Cass., XLIV, 35.

الدكتاتورية العسكرية على نحو ما فعل الزعيم الأثينى دموسثنيس من قبل ازاء فيليب المقدونى ، فانه أطلق على خطب شيشرون ضد أنطونيوس اسم « الفيليبيات » (Philippica) ، وهو الاسم الذى عرفت به خطب دموسثنيس ضد فيليب .

وقد بادر أكثر أنصار الجمهورية الى مغادرة روما ، واستولى اثنان منهم وهما تربونيوس (C. Trebonius) وقاسيوس (C. Cassius) على ولايتى آسيا وسوريا . ولم يلبث أن جاء يمثل أنصار قيصر فى الشرق ويطرد منه تربونيوس وقاسيوس رجل أحمق ضعيف يدعى دولابلا (Dolabella) . وقد كان جليا أن كلا الحزبين سيطلبان النجدة من الاسكندرية ، وكان لديها أسطول كبير وكذلك الفرق الثلاث التى تركها قيصر هناك منذ عام ٤٧ .

وكان دولابلا أول من استنجد بالاسكندرية ، اذ أنه أرسل يناشدها الاستعانة بأسطولها والفرق الرومانية ضد قاسيوس . ولم يكن فى وسع كليوبترة الا أن تنحاز الى جانب أنصار قيصر ، لكنها لم تكن متأكدة بعد من نتيجة الصراع بين الفريقين ، ولذلك فانها استجابت الى هذا الطلب غير أنها لم ترسل الا الفرق الرومانية ، وهى التى ما كادت تصل الى سوريا حتى انضمت الى قاسيوس بدلا من دولابلا (١) . وقد حالف التوفيق دولابلا ضد تربونيوس ولكنه فشل فى صراعه مع قاسيوس ودفع حياته ثمنا لذلك . واذا كانت كليوبترة قد ضنت بأسطولها على دولابلا ، فانها لم تكن أكثر سخاء به مع قاسيوس حين طلب اليها الاستعانة به على خصومه (٢) .

ان كليوبترة ، على عكس ما كان ينتظر منها ، لم تمد أنصار فقيدها المحبوب بأية مساعدة من قوتها ومواردها — جنود أو سفن أو مؤنة (٣) . وما سبب اتباع كليوبترة هذه السياسة ؟ السبب هو أنها لم تحب الا مملكتها ولم ترع الا مصلحتها ، فهى لم تشأ الزج بنفسها وتبديد قواتها ومواردها والمقامرة بمصيرها ومصير مملكتها فى حرب لم يكن فى

(1) Cicero, Ad Fam., XII, 11.
(2) Appian., B.C. IV, 61-62.
(3) App., B.C., IV, 108.

وسع أحد التنبؤ بنتيجتها النهائية . فما أشبه سياستها هذه بسياسة أجدادها الفاتحين العظام بطلميوس الأول والثانى والثالث .

واذا كانت هذه السياسة التى اتبعتها كليوبترة قد بدت حكيمة طوال الوقت الذى لم يكن فى وسعها التنبؤ فيه بالنتيجة النهائية ، فانها — بعد انتصار أنطونيوس وأوقتافيانوس آخر الأمر على الجمهوريين فى موقعة فيليبى (خريف عام ٤٢) — قد عرضت كيلوبترة لعقاب القائدين المنتصرين . وبعد موقعة فيليبى ، عهد الى أنطونيوس بتنظيم شئون الشرق ، وذهب أوقتافيانوس الى ايطاليا ليوزع الأراضى بين جنوده القدماء (١) .

انطونيوس :

وقد كان آنطونيوس ينتمى الى أسرة شعبية قديمة أنجبت للجمهورية الرومانية بعض الرجال الممتازين ، لكننا لا نعرف شيئا عنه الا من ناقديه ، وخاصة من المثالب التى ضمنها شيشرون خطبه العنيفة المشهورة ضده . وقد نال التاريخ الرسمى فى عهد أغسطس من قيمة كل ما يتصل بكليوبترة فيما عدا قيصر ، ومن المؤكد أن آداب العصور التالية تأثرت الى مدى بعيد بهذا التاريخ . ومع ذلك فانه من المحقق أن حياة أنطونيوس الخاصة كانت معيبة ، وأنه لم يكن له ميل حقيقى الا الى الفجور . وقد بلغ به الاستهتار الى حد أنه وضع كتابا عن مغامراته الفاسقة ، لكنه كان شجاعا وقديرا على عقد أواصر الصداقة وكريما مع أصدقائه . وقد كانت حياته فى الجيش خيرا من حياته الخاصة ، ومن الدور السياسى الذى لعبه فى التاريخ الرومانى ، اذ أنه كان فى شبابه ضابطا نابها فى فرق الفرسان ، ميز نفسه فى الأعمال الحربية التى انتهت باعادة تنصيب هورقانوس الثانى كاهنا أكبر فى بلاد اليهود . ويحتمل أنه ميز نفسه الى درجة أكبر فى الحملة التى أعادت بطلميوس الزمار الى عرشه . وبعد ذلك اشترك مع قيصر فى عدة حملات ، وكان قائد الجناح الأيسر لجيشه فى موقعة فارسالوس . وفى دكتاتورية قيصر

(1) C.A.H., X, pp. 1-27 ; Bouché-Leclercq, II, pp. 228-32 ; Bevan, pp. 372-3 ; Jouguet, Nat. Eg., pp. 218-20.

الثانية عين قائدا للفرسان ، لكنه استأنف فى روما حياته العابثة ، وأثارت علاقاته باحدى الراقصات (Cytheris) فضيحـــة كبيرة ، الى حد أن قيصر العابث اعتبر سلوكه مشينا ولم يختره زميلا له فى قنصلية عام ٤٦ ، ولا قائدا للفرسان فى دكتاتوريته الثالثة ، ولم يأخـــذه معه الى أفريقيا ولا أسبانيا • فبقى فى ايطاليـــا ، حيث تزوج فولفيا (Fulvia) ، أرملة الشرير قلوديوس ، وكانت امرأة شرســة عنيفة حقودا ، لكنه يبـــدو أنها كانت تحمل لأنطونيوس حبا حقيقيا • وبعـــد ذلك اكتسب عطف قيصر ثانية ، فانتخب قنصلا معه فى عام ٤٤ ثم قام بالأدوار التى مر بنا ذكرها (١) •

والآن عندما أصبح هذا الرجل المحب للملاذ سيد الشرق ، وهو فى الأربعين من عمره ، سولت له نفسه ان يستغل مركزه وظروفه ليفترس كليوبترة ولكن فريسته هى التى افترسته على نحـــو ما سنرى • ومن الانصاف لكليوبترة ، يجب أن نقرر أنه للمرة الثانيـــة وضعتها ظروف قاهرة تحت رحمة ذئب كاسر ، وأن الدافع الأساسى الى علاقاتها مع قيصر ثم أنطونيوس لم يكن ارضاء شهواتها الجنسية ، بل اشباع أطماعها السياسية (٢) عبر مكمن الضعف فيهما ، وأنها لم تكن خليلة لهمـــا بل اعتبرت نفسها رسميا زوجة للاول ، وفقا للأوضاع المصرية ، وكادت أن تصبح زوجته وفقا للأوضاع الرومانية ، وسنرى كيف أن الثانى اتخذها فعلا زوجة له •

انطونيوس يصل افسوس لتنظيم شئون الشرق :

وعندما وصل أنطونيوس الى أفسوس بعد موقعة فيليبى ببضـــعة شهور ، استقبل كأنه صورة حية للاله ديونوسوس (٣) • ويرى البعض أن الأهالى ، وقد كانوا يعرفون ميله الى المجون ، آملوا أن يلهوه بذلك عن شئونه الجدية • ولعل أن أنطونيوس قد انغمس فى هذا التنـــكر الديونوسى ، الذى صاحبه عشر سنوات حتى نكبته فى عام ٣١ ، مدفوعا

(1) Plut., Ant., 3-11.
(2) C.A.H., X, 35.
(3) Plut., Anton., 24, 3.

بميوله الشخصية ، فضلا عن ادراكه أن صفة الحكام السماوية فى الشرق هى التى كانت تبرر سلطانهم ، فلم يظهر لرعاياه الشرقيين على هيئة ممثل عظمة روما ، بقدر ما ظهر لهم على هيئة صورة حية لديونوسوس . ولماذا اختار أنطونيوس ديونوسوس بدلا من هرقل ، وكان يكن له حتى هذه اللحظة اخلاصا خاصا يتناسب معه بوصفه جنديا ؟ حقا أن ديونوسوس كان اله «الاستعمار الأسيوى»، الذى اقتفى الاسكندر أثره بل تجسده برهة ، لكنه كان أيضا أقرب آلهة الاغريق الى الاله أوزيريس المصرى ، وكانت أسرة البطالمة تزعم أنها من سلالة ديونوسوس ، مما حدا ببعض الباحثين الى التساؤل اذا لم يكن مشهد أفسوس قد دبر بأكمله فى بلاط كليوبترة . وعلى كل حال فان كليوبترة سرعان ما قامت بالدور الذى يلائمها فى الدراما التى بدأت على هذا النحو فى آسيا الصغرى (١) .

انطونيوس الصائد يقع فى شباك الصيد (كليوبترة) :

ومن أفسوس أرسل أنطونيوس يستدعى الحكام ، الذين حامت حولهم الشبهات فى خلال الصراع مع الجمهوريين ليبرروا تصرفاتهم ، لكن كليوبترة لم تلب الدعوة أول الأمر . وبينما كان أنطونيوس ينظم شئون الشرق ، انتظر فى قلق ملكة مصر . وعندما طال به الانتظار ، أرسل اليها على عجل رفيق مجونه دليوس (Q. Dellius) ليستحثها على لقاء أنطونيوس فى قيليقيا . وهكذا وجدت كليوبترة نفسها مرة ثانية فى موقف يضطرها الى الاختيار بين أمرين : اما أن ترفض الذهاب الى صاحب الأمر والنهى فتجلب على نفسها نقمته وما يستتبعه ذلك من ضياع عرشها وتبديد كل آمالها ، واما أن تقبل الذهاب وما يستتبعه ذلك حتما من استباحة عرضها . ولما كان عرشها عزيزا عليها وآمالها واسعة ، وكانت تعرف مدى فعالية أسلحتها الذرية الشخصية وكذلك مكمن الضعف فى أنطونيوس ، فانها قررت أن تلبى أمره وأن تحاول معه ما حاولته مع قيصر من قبل . ولم تلبث « أفروديتى الجديدة » أن ذهبت

---

(1) Bouché-Ieclercq, II, p. 232 ; Jouguet, Nat. Eg., pp. 224-2 ; C.A.H., X, p. 38.

تزور « ديونوسوس الجديد » وسط العطور العبقة والموسيقى الشجية وبين غوان تمثلن آلهات الحب وعرائس البحر ، وتحت خوان فخم أقيم على متن سفينة مقدمها من الذهب ، وقلاعها من القماش الأرجوانى اللون ، ومقاذيفها من الفضة ، سارت بها حتى طارسوس • وقد سحر لب أنطونيوس كل هذا التبرج والجمال ، وتلك المآدب الليلية الرقيقة التى أقامتها له كليوبترة ، فوقع فى الحال أسير هواها ، وقبل وهو مغمض العينين ما قدمته له تفسيرا لتصرفاتها (١) •

وقد ساعد على ذلك ضعف أنطونيوس الخلقى وما توافر لكليوبترة من أسباب الفتنة التى سلفت الاشارة اليها • ولا يبعد أنه قد جعل هذه الفتنة أشد فتكا بأنطونيوس أن كليوبترة كانت ملكة ، فى حين أن كل حظياته وحتى زوجاته الثلاث كن نساء من عامة الشعب • وسارعت كليوبترة الى استغلال وده لاشباع أحقادها ، اذ أنها أقنعته باعدام أختها أرسينوى ، وكانت لاجئة فى معبد أفسوس (٢) ، مع أن أنطونيوس كان قد اعترف بحق هذا المعبد فى حماية اللائجين اليه وأكد ذلك الحق واحترمه حتى تلك اللحظة • وعندما ثأرت كليوبترة لنفسها ، ووطدت مركزها على هذا النحو ، كان فى وسعها أن تعود الى الاسكندرية لتنتظر فى اطمئنان وصول مطيتها الجديدة •

انطونيوس يخف الى الاسكندرية :

وقد سارع أنطونيوس الى انجاز تنظيم شئون سوريا ، وترك أحد مساعديه فى هذه الولاية التى كان البارثيون يتهددونها ، وخف الى الاسكندرية (٣) ليستمتع بتلك الحياة البهيجة ، التى شدت وثاق قلبه وعقله الى كليوبترة والاسكندرية على الدوام • ومثل ما وجدت فى عهد فيلوباتور رابطة « اخوان الأنس » ، وجدت منذ ذلك الوقت (شتاء عام ٤١ — ٤٠) حول أنطونيوس وكليوبترة جماعة « الحياة الفريدة » ، وهى التى بقيت ذكراها فى الآداب وفى النفوس (٤) • لكنه لا شك فى أن الناس

(1) Plut., Anton., 25-27 ; Cf. Appian., B.C., V, 8 ; Dio Cass., XLVIII, 24
(2) Plut., Anton., 29 ; Joseph., A. Jud., XV, 4, 1 ; C. Apion., II, 5.
(3) Appian., B. Civ., V, 9-10 ; Dio Cass., XLVIII, 24 ; Cf. Liv., Epit., CXXVII.
(4) Plut., Ant., 28 ; O.GLS., 195.

قد بالغوا فى وصف حياة هذين العاشقين ، اذ أنه لا يعقل مثلا أن كليوبترة فى عبثهـا ودلالهـا كانت تذيب اللؤلؤ فى الخل وتشربه ، وذلك لسبب بسيط جدا وهو أن الخل لا يذيب اللؤ لؤ • ومع ذلك فانه من المؤكد أن كليوبترة لم تدخر وسعا فى جعل أنطونيوس لا يستطيع الاستغناء عنها ، لتضمن بقاء حكمها فى مصر وتمهد السبيل الى ما هو أعظم من ذلك ، فكانت رفيق أنطونيوس الأنيس فى كل ما يفعله ، سواء فى الصيد أم القنص أم سهر الليالى ، الا أنها كانت لا تفتأ تذكره بأن هذا العبث لم يكن خليقـا بشخص مثـله يجب ألا يعنى الا بالمجـد والسـلطان وبنـاء الامبراطوريات (١) • ولو أنه كانت لأنطونيوس أخلاق غير تلك التى عرفت عنه ، لربما بدت لنا كليوبترة فى صورة مختلفة تمام الاختلاف ، وما عرفنا عن حياتها الخاصة الا أنها كانت صديقة العلماء مثل العالم الرياضى فوتينـوس والطبيب المشـهور ديوسقوريديس (٢) والفلـكى سوسيجنيس • بيد أنه لمـا كان أنطونيوس رجـلا عابثا ماجنا ، وكانت سياسة كليوبترة قد فرضت عليها أن تلازمه كخياله ، فان حياته العابثة ألقت ظلا قاتما على هذه الملكة ، التى تعزو اليها القصص أنها ألفت كتابا عن تصفـيف الشـعر وأصـباغ الوجـه • ومن المحتمـل أن تـكون كليوبترة قد أوحت الى أنطونيوس بالزواج منها ليضع فى قبضته ثروة مصر وكل مواردها ، لكنها لم تفلح عندئذ لا فى الزواج منه ولا فى جعله عاجزا عن الاستغناء عنها ، اذ سرعان ما انتزعته من بين أحضانها الحوادث الخارجية التى وقعت فى الشرق وفى الغرب • ومن المؤكد أن أنطونيوس لم يحصل اذ ذاك على شىء من أموال كليوبترة ، وكانت تحتفظ بهـا لهـدف معين لم تشر اليه بطبيعة الحال عنـدئذ ، لأن أنطونيوس كان لا يزال وفيا لاتفاقه مع أوقتافيانوس (٣) •

انطونيوس يهجر كليوبترة اربع سنوات :

وعندما غادر أنطونيوس مصر فى ربيع عام ٤٠ ، تغيب عنها أربع

(1) Cf. Plut., Anton., 29.
(2) Weigall, Life and Times of Cleop., 1924, pp. 23-4.
(3) Bouché-Lectercq, II, pp. 232-9 ; Bevan, p. 373 ; Jouguet, op. cit., pp. 222-3 ; C.A.H., X, pp. 39-41, 51.

سنوات ، لم تعرف كليوبترة أخباره فى خلالها الا عن طريق فلكى مصرى فى حاشية أنطونيوس . وقد حرص هذا الفلكى — اما بايحاء من كليوبترة واما بوازع من نفسه — على أن يستحث أنطونيوس على الانفصال عن أوقتافيانوس لتفوز شخصيته الرفيعة بالمجال الخليق بها (١) . ومن المحتمل أن كليوبترة كانت تعتقد أن الأحداث السياسية ستدفع أنطونيوس الى العودة اليها ثانية ، لكن الناس لم يروا عندئذ أى سبب يبرر ذلك ، ولم يروا فى كليوبترة الا حظية أخرى ألقى بها أنطونيوس جانبا . وقد برح أنطونيوس مصر عندما علم بأن البارثيين غزوا آسيا الصغرى وسوريا ، فذهب الى صور بحرا حيث علم بأن قوات حاكم سوريا الرومانى قد ثارت عليه ، ولذلك فانه سارع الى آسيا الصغرى لاستقدام أسطوله . وهناك علم فى صيف عام ٤٠ بأن أخاه لوقيوس وزوجه فولفيا قد تشاحنا مع أوقتافيانوس الى حد الاشتباك المسلح ، وبأن أوقتافيانوس انتصر عليهما وأسر أخاه ، لكن فولفيا تمكنت من الهرب ، فقرر أن يعود الى ايطاليا فى الحال (٢) . وفى طريقه التقى بزوجه فى أثينا ، فصب عليها جام غضبه (٣) ، ولا سيما أنه علم بأنها لم تلق بنفسها فى تلك المخاطرة الا لتنتزعه من كليوبترة (٤) . ولم يفلح فى تهدئة غضب أنطونيوس دفاع فولفيا بأنها لم تفعل ما فعلته الا لتكسبه سيادة العالم ، ولم يقبل أيضا نصيحتها بمحالفة سكستوس (Sextus) بومبى ، عدو أوقتافيانوس ، لأن أوقتافيانوس كان لا يزال يحترم اتفاقيته معه . وقد عامل أنطونيوس زوجه معاملة قاسية وتركها غاضبا فى سيقوون ، حيث خرت مريضة وتوفيت (٥) ، فزالت عقبة كبيرة من سبيل التفاهم مع أوقتافيانوس (٦) .

صلح برنديزى ، تقسيم العالم الرومانى ، انطونيوس يتزوج اوقتافيا :

وقد علم أنطونيوس بعد ذلك بأنه عندما توفى قائده فى بلاد الغال ،

(1) Plut., Anton., 33.
(2) Appian., B. Civ., V, 51.
(3) Appian., B. Civ., V, 52 ; Dio Cass., XLVIII, 27.
(4) Appian., B. Civ., V, 19.
(5) Appian., B. Civ. V, 55 ; 59 ; Dio Cass., XL VIII, 29.
(6) Appian., B. Civ., V, 62 ; Plut., Anton., 30, 3.

تسلم أوقتافيانوس فرق أنطونيوس هناك ، فبدا عندئذ أن أوقتافيانوس قد اعتدى على الاتفاقية ، ولذلك فانه لم يكن هناك مفر من الحرب . غير أنه لما كان يسوء الجنود والضباط وقوع حرب بين رجلى الحكومة الثلاثية ، وكان أنطونيوس أكثر ميلا الى القاء التبعة على أخيه وزوجته لخوض غمار الحرب دون استشارته منه على أوقتافيانوس ، فانه قبل تفسير زميله بأنه لم يتصرف على نحو ما فعل الا دفاعا عن نفسه ، ونجحت مساعى التوفيق بين أنطونيوس وأوقتافيانوس ، وفعلا تم الصلح بينهما فى برنديزى وتنفس العالم الرومانى الصعداء (أوائل أكتوبر عام ٤٠) (١) . وبمقتضى هذا الصلح أعطى الشرق لأنطونيوس — على أن تنتهى منطقته عند شاطىء البانيا — وكان الغرب من نصيب أوقتافيانوس واحتفظ لبيدوس بشمال أفريقيا (٢) . وقد تزوج أنطونيوس أوقتافيا أخت اوقتافيانوس لتوكيد أواصر هذا الاتفاق (نوفمبر عام ٤٠) (٣) .

كليوبترة تنجب توءمين من انطونيوس ، انطونيوس منهمك فى مشاغله :

وفى تلك الأثناء أنجبت كليوبترة من أنطونيوس توءمين ، شبها فيما بعد بالتوءمين السماويين : الشمس والقمر ، ولذلك سميا اسكندر هليوس (Helios = الشمس) وكليوبترة سلينى (Selene = القمر)(٤) لكنه ازاء زواج أنطونيوس من أوقتافيا ، بدا أن ستار النسيان قد أسدل على كليوبترة ، ولا سيما أن أنطونيوس عندما برح ايطاليا حوالى أغسطس أو سبتمبر عام ٣٩ — بعد أن وضعت له أوقتافيا ابنة دعتها أنطونيا (Antonia) — واتخذ أثينا مقرا له مدة عامين ، رافقته زوجته الى هناك . وازاء مشاغله المتعددة لم يتيسر له أن يخف الى آسيا الصغرى وسوريا ، اللتين هجرهما وقت الخطر ، واكتفى بايفاد أحد رجاله ، فنتيديوس باسوس (Ventidius Passus) (٥) ،

(1) Carcopino, Virgile et le mystère de la IV Eglogne, ed., 3, Paris, 1930, pp. 111-23.
(2) Plut., Ant., 30 ; Cf. App. B.C., V, 64-65 ; Dio Cass., XLVIII, 28.
(3) Plut., Ant., 31 ; Bouché-Leclercq, II, pp. 239-45 ; Bevan, p. 347 ; Jouguet, Nat. Eg., III, pp. 223-5 ; C.A.H. X, pp. 41-5, 51.
(4) Plut., Ant. 36 ; Dio Cass., XLIX, 32 ; Bouché-Leclercq, II, p. 283 ; Jouguet, Nat. Eg., pp. 223-5 ; C.A.H. X, pp. 41-5, 51.
(5) App., B. C., V, 65 ; Plut., Ant., 33.

وهو الذى رد البارثيين على أعقابهم بعد أن أنزل بهم هزيمتين ، احداهما فى عام ٣٩ والأخرى فى عام ٣٨ . وفى شتاء عام ٣٨ جاء أنطونيوس نداء حار من أوكتافيانوس يناشده فيه بمدد بحرى يشد أزره فى صراعه مع سكتوس بومبى ، فذهب اليه أنطونيوس فى ربيع عام ٣٧ ومعه أوكتافيا وكل أسطوله . لكنه وجد أن أوكتافيانوس ، وقد بنى لنفسه أسطولا جديدا فى الشتاء ، لم يعد فى حاجة الى مساعدته . وقد كان أنطونيوس فى حاجة ملحة الى استكمال حملاته ضد بارثيا ولم يكن فى وسعه الحصول على حاجته دون مساعدة أوكتافيانوس ، وكان يأمل أن يستبدل بسفنه ما يحتاج اليه من فرق رومانية . ولما كان أوكتافيانوس قد سمع أن أنطونيوس يتفاوض سرا مع لبيدوس ، فانه غضب منه وخامره الشك فى نواياه ورفض مقابلته .

معاهدة تارنتم ، تجديد مدة الحكومة الثلاثية :

وعندما أخذت الأيام تمر بطيئة دون حدوث شيء ، قابلت أوكتافيا أخاها وفندت كل شكواه وشكوكه من ناحية زوجها وأفلحت فى ازالة ما بينهما من خلاف كان ينطوى على خطر اندلاع حرب أهلية ، والتقى الرجلان بالقرب من تارنتم حيث عقدت معاهدة جديدة جددت بمقتضاها الحكومة الثلاثية لخمسة أعوام أخرى ، دون استشارة الشعب الرومانى هذه المرة (صيف عام ٣٧) (١) . لكن هذه المعاهدة لم تكن الا هدنة مؤقتة ، ذلك أن أنطونيوس عندما ترك ايطاليا فى خريف عام ٣٧ الى بلاد الاغريق ، كان قد أعمل رأيه على أنه لم يعد هناك مفر من القطيعة بينه وبين أوكتافيانوس ، اذ شعر بأنه برغم احترامه كل اتفاقياته مع أوكتافيانوس فان أوكتافيانوس لم يحترم هذه الاتفاقيات . وكان آخر مثل لذلك اتفاقهما فى تارنتم على ان يمد أنطونيوس زميله بحوالى ١٢٠ سفينة لقاء الحصول على أربع فرق عسكرية ، وقيام أنطونيوس بتنفيذ ما وعد به ونكوص أوكتافيانوس عن الوفاء بوعده . ويضاف الى ذلك أن أنطونيوس سئم عفاف أوكتافيا ، وأخذ يتحرق شوقا الى كليوباترة ، فقد

(1) Appian., B. Civ., V, 93-5 ; Dio Cass., XLVIII, 54 ; Plut., Ant., 35 : C.A.H. X, pp. 47-59 ; Jouguet, op. cit., pp. 225-6.

كان فى وسعها مجاراته والانحطاط الى درك حياته • ولذلك فانه ، عندما وصل الى جزيرة قورقورا ، رد أوقتافيا الى ايطاليا بحجة اقتراب موعد وضعها ، وعدم رغبته فى تعريضها لمخاطر الحملة ، التى كان ينتوى القيام بها ضد البارثيين (١) •

أنطونيوس يتزوج كليوبترة ويعترف بالتوءمين :

وما كاد أنطونيوس يصل الى أنطاكية حتى استدعى كليوبترة الى جانبه ، وتزوجها فى الحال (خريف عام ٣٧) ، واعترف بالتوءمين وأطلق عليهما : اسكندر هليوس ، وكليوبترة سلينى (٢) • وقد أصبحت كليوبترة فى نظر الجميع ، شرقى الأدرياتى ، زوجة أنطونيوس الشرعية ، لكن الرومان لم يعتبروها كذلك ، لأن أنطونيوس لم يطلق بعد أوقتافيا ، ولأن كليوبترة كانت أجنبية ، وبمقتضى القانون الرومانى كان لا يستطيع أى مواطن رومانى أن تكون له زوجتان فى وقت واحد ، ولا أن يعقد زواجا صحيحا على أجنبية • ويعتبر زواج أنطونيوس من كليوبترة نقطة التحول فى مجرى حياته ، وبداية القطيعة مع الغرب ، لكنه لم ينو عندئذ مهاجمة أوقتافيانوس ، فقد كان هدفه الأول حينذاك محاربة البارثيين ، اذ أن انتصاره عليهم كان يجعله وريث قيصر الحقيقى ، ويكسبه مكانة تفوق كل ما كان يمكن أن يفوز به أوقتافيانوس • واذا كان البعض يعتقد أن أنطونيوس لم يتزوج كليوبترة الا لاستخدام ثروة مصر ومواردها فى محاربة البارثيين ، فاننا نميل الى الرأى القائل بأنه لم يتزوجها الا بدافع الحب ، لأنه لم يستخدم موارد مصر فى هذه الحرب ، وهى التى كانت كليوبترة لا توافق عليها • واذا قيل انه لم يحل دون استخدامه موارد مصر الا عدم موافقة كليوبترة على محاربة البارثيين ، فهذا قول مردود ، لأنه اذا كان الدافع الى زواجه من كليوبترة هو استخدام ثروة مصر ، واذا كانت كليوبترة هى التى أبت عليه استخدام

(1) Dio Cass., XLVIII, 55. (وفقا لرواية بلوتارخ (Anton., 35) وابيانوس (B. C. V. 35) ترك انطونيوس أوقتافيا مع أخيها لترعى اولاده منها ومن فولفيا) .

(2) Dio Cass. XLIX, 32 ; Plut., Ant., 36 ; Tarn, Alex., Helios and the Golden Age, J.R.S., XXII, 1932, pp. 144 ff. ; C.A.H., pp. 54-5, 68-9 ; Cf. Holmes, the Architect of the Rom. Emp., pp. 227-31.

ثروة بلادها فى هذه الحرب ، فانه لم يكن هناك أيسر على أنطونيوس من خلع كليوبترة والفوز لا بثروة مصر فحسب بل كذلك بتهليل العالم الرومانى . ومن ثم فانه يتضح بجلاء أنه لو كانت ثروة مصر هى كل ما يرجوه أنطونيوس ، لما كان فى حاجة حتى الى الزواج من كليوبترة ، ولذلك نعتقد أن أنطونيوس لم يتزوج كليوبترة الا بدافع الحب . وأما كليوبترة فانها لم تنشد الزواج من أنطونيوس ولم تتفان فى الاخلاص له بدافع الحب وانما بدافع استخدامه فى تحقيق الحلم الذى مر بمخيلتها ، فى أثناء علاقتها مع قيصر . وفى رأى بعض الباحثين أن حب أنطونيوس لكليوبترة دفعه الى ان يسلس لها القياد ، ويتبعها الى الهاوية مغمض العينين ، فأضاع فى سبيل الحب نصف العالم الرومانى . وسوف يفضح سرد الأحداث التالية مدى ما فى هذا الرأى من اسراف ومجافاة للحقيقة وهى التى بذل خصوم كليوبترة جهدهم لطمس معالمها .

كليوبترة تستعيد جانبا كبيرا من امبراطورية فيلادلفوس :

واذا كانت كليوبترة قد طلبت ، بمجرد زواجها من أنطونيوس،أن تكون هدية الزواج اعادة بناء امبراطورية البطالمة ، فان أنطونيوس لم يستطع أن يمنحها الاماكانت الظروف تسمح به.ذلك أنه منحها امارة خالقيس (Chalcis وكل الأقاليم الممتدة بين هذه الامارة وبين مملكة هرود (يهوذا وجاليلى) ، وكانت تلك الأقاليم تشمل كل سوريا الوسطى ، وأعطاها أيضا قيليقيا — تراخيا (Cilicia-Tracheia) وقبرص ، والجانب الأكبر من شواطىء فلسطين وفينيقيا ، فيما بين مصر ونهر اليوثروس .

واذا كان أنطونيوس قد أبى على كليوبترة كل مملكة هرود ، وكان تابعه وصديقه الوفى ، فانه أعطاها أفضل جزء من هذه المملكة ، وهو غابات البلسم حول أريحة ، وكانت ذات أهمية تجارية كبيرة ، وكذلك فيما يبدو الأراضى الواقعة شرقى البحر الميت ، مع حق احتكار قطران هذا البحر . ونتيجة لذلك كله ، استعادت كليوبترة جانبا كبيرا من امبراطورية بطلميوس الثانى فيلادلفوس ، فلا عجب أنها عندما أنجبت لأنطونيوس ولدا فى عام ٣٦ — فى أثناء وجوده فى ميديا — دعت هذا الطفل بطلميوس فيلادلفوس ، تخليدا لذكرى استعادة امبراطورية هذا

الملك . وقد أجرت كليوبترة الى هرود حق استغلال غابات البلسم ، والى مالخوس أمير النبط حق استغلال القطران (١) .

ومنذ عام ٣٦ ق.م. نجد الوثائق البردية والعملة فى مصر وكـذلك فى سوريا مؤرخة بسنى عهدين (٢) لاشك فى أن أحدهما هو عهد كليوبترة منذ اعتلائها عرش مصر . وأما العهـد الآخر فان أكثر الباحثين اليوم يأخذون برأى بورفوريوس (٣) ، ويرون أنه عهد كليوبترة باعتبارها ملكة خالقيس وغيرها من الأقاليم الأسيوية التى حصلت عليها فى العام السادس عشر من حكمها (عام ٣٦) . ونحن نعتقد أن كليوبترة — وقد استعادت على هذا النحـو جانبا كبيرا مـن أمبراطورية بطلميوس فيلادلفوس — خلدت هذه المناسبة الهامة باطلاق اسم هذا الملك على ابنها الذى أنجبته فى عام ٣٦ ، وباعتبار هذا العام بداية عهد جديد فى حكمها . وقد دام هذا التاريخ المزدوج حتى القضاء على أنطونيوس وكليوبترة فى عام ٣٠ ق.م. وهو السنة الثانية والعشرين من عهد حكمها مصر المقابلة للسنة السابعة من عهد حكمها ممتلكاتها الأسيوية (٤) .

انطونيوس يقود حملة فاشلة ضد بارثيا :

وقد قضى أنطونيوس شتاء عام ٣٧ — ٣٦ فى تنظيم آسيا الصغرى والاستعداد للحملة ضد باثيا . وعندما ترك سوريا فى ربيـع عـام ٣٦

---

(1) Plut., Ant., 36; Joseph., A. Jud., XV. 4. 1-2 ; B. Jud., I, 18, 5 ; Strabo, XIV, 669 ; 671 ; Bouché-Leclercq, II, pp. 253-5 ; C.A.H. X, pp. 66-7; Jouguet, op. cit., pp. 226-7.

(2) P. Ryl. II, no. 69 (18 = 3) ; O. G. I. S. 195 (19 = 4) ; O. G. I. S. 196 (20 = 5) ; S.B. 6234 ; P. Wurzb. 5; Tait, Gr. Ostraca, Bodleian no. 222; Coins of Berytus, Svoronos, II, p. 364, nos. 1886-9; Hill, Phoenicia, B.M. Cat., p. 53, no. 14, p. 54, no. 15, Pl. XL, 2 (21 = 6) ; P. Oxy. XII, 1453 (22 = 7).

(3) Porhyr. — Euseb., F.H.G. III, 724; Euseb., I, p. 170 ; Holmes, p. 228; Skeat, p. 42.

(٤) اننا نستبعد ان التاريخ الثانى يمثل سنى حكم انطونيوس ، فهو لم يكن يوما ملك مصر ولم يحمل هذا اللقب على الاطلاق . وفضلا عن ذلك فانه لا يوجد ما يبرر اتخاذ عام ٣٦ بداية لمثل هذا الحـكم ولا سـيما انه فشل فى ذلك العام فى غزو بارثيا . ونستبعد أيضا ان هذا التاريخ يمثل سنى حكم قيصرون اذ أنه لا يوجد مبرر لاتخاذ هذا العام بداية لعهـده فلا هو عام ارتقائه العرش ولا عام عيد ميلاده ولا عام بلوغه سن الرشد .
Cf. Bouché-Leclercq, II, p. 257, fn. 1 ; Wilcken, P. Wuerzb. 5, introd., ; Dobias, La Donation d'Antoine a Cleop., Mélanges Bides, I, pp. 287-314.

لينضم الى جيشه ، صحبته كليوبترة حتى نهر الفرات ، ثم عـادت الى الاسكندرية لتضع طفلها . وفى الطريق مرت بهرود ، وكان يبادلها كراهية شديدة لكنه حرص على أن يدفع لها حقها كاملا عن استغلال غابات البلسم ويغرقها بالهدايا الثمينة ويرافقها حتى الحدود المصرية (١) .

وقد كانت الحرب البارثية نكبة على أنطونيوس ، فهو وان كان قد أعد جيشا عرما كان أكبر جيش تولى قيادته قائد رومانى،الا أنه أهمل اتخاذ الاحتياطات اللازمة لتأمين سلامة مثـل هذه الحملة ، مما أتـاح للعدو أن ينقض على قوات المؤخرة التى كانت تحمى المؤنة ومعدات الحصار ، وأن يفنى تلك القوات ويحرق تلك المعدات ، مما اضطر أنطيوخوس آخر الأمر الى القيام بانسحاب مشئوم كلفه خسائر فادحة . وفى أثناء ذلـك الانسحاب أرسل الى كليوبترة يناشدها أن توافيه فى سوريا بمـلابس وأموال يستعين بها على الترفية عن رجاله بعد كل ما عانوه . وبالرغم من صعوبة الملاحة فى الشتاء ، فان كليوبترة خفت الى لقاء أنطونيوس عند القرية البيضاء بالقرب من صيدا حاملة كميات وفيرة من الملابس والأموال. وبعد أن يروى بلوتارخ ذلك ، يمضى فيقول :

« بيد أن بعض الناس يقولون ان أنطونيوس لم يأخذ من كليوبترة الا الملابس ، وأما الأموال فانه أخذها من أمواله الخاصة لكنه وزعها على الجنود باعتبارها هبة من كليوبترة » .

ويقول ديون قاسيوس ان الأموال التى قدمتها كليوبترة لم تـكن كافية فسد أنطونيوس النقص من أمواله الخاصة وعزا الفضل كله الى كليوبترة ، وبعد ذلك عاد أنطونيوس مع كليوبترة الى مصر فى أوائل عـام ٣٥ (٢) .

وقد أبلغ أنطونيوس رومـا أنه انتصر على البـارثيين ، فاحتفلت العاصمة الرومانية بهذا النصر ، لكن أوقتافيانوس وأخته كانا يعرفان الحقيقة . وكانت أوقتافيا ترى أن زواج أنطونيوس من كليوبترة لم يغير

(1) Joseph., A. Jud., XV, 4, 4.
(2) Plut., Ant., 37-51; Dio XLIX, 24-32, C.A.H. X, pp. 69-75; Bouché-Leclercq, II, pp. 258-62 ; Jouguet, Nat. Eg., pp. 227-8 ; Bavan, pp. 375-6.

مركزها بوصفها زوجته • وعندما علمت أنه فى حاجة الى المساعدة ، برحت ايطاليا فى مارس عام ٣٥ ومعها مقادير كبيرة من المال والملابس ، وغير ذلك من حاجات الجيش ،و٢٠٠٠ جندى من الجنود المختارين • ويقول بلوتارخ أن أوقتافيانوس لم يسمح لأخته بالسفر الى زوجها ارضاء لها ، وانما لكى يتخذ سببا للحرب ماقد يلحق بها من الاهانة والازدراء • بيد أنه لعل أوقتافيانوس كان يقصد بذلك دعوة أنطونيوس ليترك كليوبترة ويعود الى أوقتافيا • وعلى كل حال فانه عندما وصلت أوقتافيا الى أثينا ، وجدت رسالة من أنطونيوس يأمرها فيها بعدم الشخوص اليه ، فكان مسلك أنطونيوس مع أوقتافيا قاسيا أشد القسوة ، ومع ذلك فانها أطاعت أوامر زوجها كأية زوجة فاضلة وأنفذت اليه مبعوثا ليسأله عن الجهة التى يريد أن ترسل اليها ما أعدته له من امدادات (١) •

وبطبيعة الحال أثار مسلك أنطونيوس غضب أوقتافيانوس ، فأمر أخته بترك بيت أنطونيوس لكنها رفضت وظلت فى بيت زوجها ترعى أولاده ، سواء أكانوا منها أم من فولفيا • فلا عجب أن كان تجردها عن الأنانية ، وهو الذى لمسه الرومان عن كثب ، قد آذى الى حد بعيد مكانة أنطونيوس فى نفوسهم ، وان كان الحاق الأذى به آخر ما كانت أوقتافيا تفكر فيه أو تتمناه (٢) •

كليوبترة توحى الى أنطونيوس بضرورة محاربة أوقتافيانوس :

وحين باء أنطونيوس بهذا الفشل المزرى ،ابتسم الحظ لأوقتافيانوس، ذلك أن أحد قواده ، أجريبا ، هزم سكستوس بومبى وأعاد الأمن ثانية الى البحر اللاتينى (سبتمبر عام ٣٦) • وبعد ذلك مباشرة حاول لبيدوس، العضو الأشل فى الحكومة الثلاثية ، أن يثبت وجوده فأخضعه أوقتافيانوس وأرغمه على الاستقالة من الحكومة الثلاثية • وتبعا لذلك فان لبيدوس حرم أفريقيا — وهى التى ضمها أوقتافيانوس الى منطقة نفوذه — ونفى الى قرقى حيث قضى بقية أيامه فى هدوء (٣) •

ويبين أن هذا النجاح المزدوج ، الذى أحرزه أوقتافيانوس ، قد ملأ

(1) Plut., Ant., 53; Dio Cass., XLIX, 32-33.
(2) Plut., Ant., 54.
(3) C.A.H. X, pp. 60-3; Bouché-Leclercq, II, p. 262; Jouguet. op. cit., p. 228.

نفس أنطونيوس الكليمة حزنا وأسى ، فانتهزت كليوبترة هذه الفرصة لاقناع أنطونيوس بمشروعاتها • ويدل مجرى الحوادث على أنها أفلحت فى ذلك ، ولكن بعد فوات الأوان ، حين كان مركز أوقتافيانوس لا يزال مزعزعا ، وحين كان أنطيونيوس لم يرتكب بعد الحماقات التى سيأتى ذكرها واستغلها غريمه لصالحه • ولابد من أن حجة كيوبترة فى اقناع أنطونيوس كانت تتلخص فى أن القضاء على بارثيا لم يكن واجبه الأول ، لأن عدوه الحقيقى كان أوقتافيانوس ، وبما أن الحرب بينهما كانت واقعة لا محالة ، عن قريب أو بعيد ، فانه كان ينبغى اذن على أنطونيوس اعداد كل قواته للقيام بالحملة العظمى ، بينما لا يزال هناك أمل فى النجاح ، حتى اذا ما قهر أوقتافيانوس ، سهل عليه بعد ذلك كل شىء آخر • ولاشك فى أنه كان يدفع كليوبترة الى فتح روما عاملان رئيسيان : وأحدهما هو حب الثأر للمعاملة السيئة الى كالتها روما لوطنها وآلها ، الى حد أن روما حطمت الروح المعنوية فى أجداد كليوبترة ، والآخر هو حب المجد والسيطرة• ولو أنأنطونيوس لم يتلكأ فىالأخذ برأى كليوبترة وبادر الى تنفيذ هذا الرأى حين كانت الظروف مواتية له ، لربما تغير وجه التاريخ •

وهل كان كل ما يدور بخلد كليوبترة أطماع جامحة فقط ، أم أنه كان وراء ذلك أيضا هدف أسمى وأنبل ؟ أو بعبارة أخرى،هل كانت تشارك خيال أحد أنصارها ، الذى تصور فيها الزعيم الذى قيض له أن يقود ثورة الشرق ضد روما ، ثورة المظلوم على الظالم ، لا للانتقام فحسب ، بل لانشاء عالم جديد أفضل من العالم القديم ، بانزال روما من عليائها الى الحضيض ، لتأخذ بيدها ثا نية وقد طهرتها الهزيمة من أوضارها ، فتشترك فى عصر ذهبى يتخلص فيه العالم من الشرور والحروب ، وتنتهى الى الأبد العداوة بين الشرق والغرب ، فيقفان على قدم المساواة فى كنف العدالة ، وفى ظلال المحبة والاخاء ؟ ليس هناك أمل فى أن نقف على كل نوايا كليوبترة ، لكنه اذا اصح أنها بلغت فى نبل تفكيرها الى حد محاولة تحقيق آمال الاسكندر الأكبر (١) ، فان هذا يكسبهادون شك كل تقدير واجلال، الا انه لم يكن مقدرا لها النجاح فى هذه المحاولة على كل حال •

(1) C.A.H. X, pp. 82-3; Tarn, J.R.S. XXII, 1932, pp. 132 ff.

وقد كانت هناك وسيلتـان لمحاربة روما واحـداهما هى استخدام الرومان أنفسهم ، والأخرى هى اثارة حرب مقدسة اغريقية — أسيوية ضد روما ، وهذا هو أشد ما كانت روما تخشاه . لكننا لا نعرف اذا كانت كليوبترة قد فكرت فى هذه الوسيلة ، وعلى كـل حـال فانها لم تعن الا بالوسيلة الأولى . ولو كان أنطيونيوس يرغب حقا منـذ أول الأمر فى التخلص من أوقتافيانوس ، لما أتاح له الفرصـة للتخلص من لبيدوس ولأنهاك قوى سكستوس بومبى . ويدل خمول أنطونيوس طوال عام ٣٥ على أنه لم يكن يعتنق مشروع كليوبترة قلبا وقالبا لكنه كان يدفعه الى ذلك شخصيتان أقوى من شخصيته ، وهما من ناحية شخصية كليوبترة ومن ناحية أخرى شخصية أوقتافيانوس . ولا ريب فى أنكليوبترة لم تدخر فتيلا من مواهبها العقلية والجسدية للفوز بموافقة أنطونيوس ، لكنه رأى أنه يجب أولا معاقبة ملك أرمينيا على خيانته فى أثناء الحملة الماضية (١) .

انطونيوس يغزو ارمينيا :

ولم يغز أنطيونيوس أرمينيا فى خـلال عـام ٣٥ ، لأنه ازاء نشاط سكستوس بومبى فى آسيا الصغرى ، اضطر أنطونيوس الى ارسال قواته ضده ، فضيقت الخناق عليه ثم أسرته وأعدمته (٢) . وفى بداية عام ٣٤ ، غزا أنطونيوس أرمينيا وأخضعها واستولى على ملكها واثنين من أبنائه ، فأصبحت ولاية رومانية لمدة عامين (٣) ، وخطب ابنة ملك ميديا لابنـه اسكندر هليوس (٤) وهو الذى اعتزم منحه أرمينيا،على نحو ما سنرى بعد قليل .

انطونيوس يحتفل بانتصاره فى الاسكندرية :

وبعد عودة أنطونيوس من فتح أرمينيا ، شهدت الاسكنـدرية فى خريف عام ٣٤ مشهدين غير عاديين . ذلك أن أنطونيوس أقام مهرجان

(1) Plut., Anton., 39, 1 ; 50, 2 ; Dio Cass., XLIX, 25, ; C.A.H., X, pp. 76-7.
(2) Appian., B. Civ., V, 134-142; Dio Cass., XLIX, 18.
(3) Liv., Epit., CXXXI; Dio Cass., XLIX, 39; Tac., II, 3 ; Joseph., A. Jud., XV, 4, 3.
(4) Dio Cass., XLIX, 40 ; C.A.H., X, pp. 77--9 ; Bouché-Leclercq, II, pp. 264-74 ; Jouguet, op. cit., pp. 220-9.

انتصاره فى الاسكندرية ، على خلاف ما جرى عليه العرف ، بألا يحتفل القواد الرومان بانتصاراتهم الا فى روما ، فى كنف الاله العلى العظيم يوبيتر ، الذى كان يقيم على تل القابيتول ويعتبر صورة مجسدة لروما . ويبدو أن كليوبترة لعبت دور يوبيتر ، وأن السرابيوم قام بدور القابيتول. ويحدثنا ديون قاسيوس (١) بأن كليوبترة جلست وسط جمع حاشد ، فوق عرش طلى بالذهب وأقيم على منصة طليت بالفضة . وعندما دخل أنطونيوس الاسكندرية ، راكبا عربة النصر ويتبعه الأسرى الأرمينيون ، اتجه الى كليوبترة وقدم اليها الأسرى الملكيين ، وكانوا مكلبين فى سلاسل من الذهب ، وعلى الرغم من الوعود والتهديدات ، فانه لم يتيسر اقناعهم بالتوسل الى كليوبترة والركوع أمامها ، اذ أنهم حيوها باسمها فقط . وقد كان ذلك موقفا مشرفا ، أكسبهم قدرا من الاجلال ، لكنه عرضهم فيما بعد لسوء المعاملة .

ويرى البعض فى اقامة أنطونيوس مهرجان انتصاره فى الاسكندرية، دليـلا على أنه كان ينوى نقـل عاصمة الامبراطورية من رومـا الى الاسكندرية،لكننا نرى أنه اذا كان عزم أنطونيوس قد صح على فتح روما، فانه لم يكن هناك داع الى نقل العاصمة منها الى الاسكندرية . ولا نعتقد أن كليوبترة كانت تفضل هذا التغيير ، اذ لا شك فى أنه كان يروقها أن تتربع على عرش الامبراطورية الرومانية فى عاصمتها الأصلية ، « روما الخالدة » (٢) ولا سيما أنه يعزى اليها أنها كانت لا تفتأ تؤكد عباراتها بقولها أنها متأكدة منها قدر تأكدها من أنها « سوف تصدر الأحكام يوما فى القابيتول الرومانى » (٣) . وفى تقديرنا أن اقدام أنطونيوس على اقامة هذا المهرجان كان ضربا من الحماقة أعطى خصومه أحد المعاول التى دكت شعبيته بين الرومان .

(1) XLIX, 40.

(2) C.A.H., X, pp. 79-80 ; Bouché-Leclerq, II, pp. 274-7; Jouguet, op. cit., p. 229; Bevan, pp. 376-7.

(3) Dio Cass., L, 5, 4.

انطونيوس يقسم الولايات الرومانيـــة فى الشرق بين كليوبترة وابنائها :

وبعد ذلك ببضعة أيام شهدت الاسكندرية فى الجمعية الشعبية ، وفقا لديون قاسيوس ، أو فى الجومنازيوم ، وفقا لبلوتارخ (١) ، حدثا فريدا كان أبلغ فى دلالته من المشهد الأول . فقد أقيم على منصة عرشان مرتفعان ، جلس عليهما أنطونيوس وكليوبترة . وعلى مستو أوطأ من مستوى هذين العرشين جلس على عروش أخرى قيصرون فاسكندر هليوس فبطلميوس فيلادلفوس فكليوبترة سلينى . وتحدثنا المصادر القديمة بأن كليوبترة كانت فى زى الالهة ايزيس ، واسكندر هليوس فى زى الملـــوك الأخمينيين ، وفيلادلفوس فى الزى المقدونى . وقـــد بدأ أنطونيوس الحفل بمخاطبة الحاضرين ، فأنهى اليهم أن كليوبترة كانت زوج قيصر ، وأن قيصرون ابن قيصر الشرعى ، وأن الدافع الى ما سيفعله هو اظهار اجـــلاله لذكرى قيصر . ولا شـــك فى أن أنطونيوس رمى بالاعتراف بأن قيصرون ابن قيصر الشرعى الى اظهار أوقتافيانوس فى ثوب الشخص الذى اغتصب مكان غيره ولقبه ، ولذلك فانه كان لا يحق له التمتع بولاء الجنود له .

وبعد ذلك نادى أنطونيوس بكليوبترة ملكة الملوك ، وبقيصرون ملك الملوك ، على أن يحكما سويا مصر وقبرص ، وتمتد سيادتهما على ممالك أبناء كليوبترة الآخرين . ونادى باسكندر هليوس ملـــكا على أرمينيا وكذلك على ميديا وبارثيا اللتين لم يفتحهما بعد ، وببطلميوس فيلادلفوس ملكا على ممتلـــكات مصر فى ســـوريا وفينيقيا وقيليقيا (ويضيف ديون قاسيوس الى ذلك كل الأقاليم الممتدة من غرب الفرات حتى الدردنيل) وبكليوبترة سلينى ملكة على قورينائيـــة . وتخليدا لذكرى هذا الحفل سك أنطونيوس عملة (٢) ، نقشت على أحد وجهيها صورة رأسه وصورة تمثل أرمينيا المقهورة.وعلى الوجه الآخر صورة رأس كليوبترة مصحوبة بنقش نصه :«ملكة الملوك وملكة أولادها الذين هم أيضا ملوك » . وهكذا كانت كليوبترة صاحبة السيادة على كل أبنائها بما فيهم

(1) Dio Cassius, XLIX, 41 ; Plut., Anton., 54.
(2) C.A.H., Plates IV. 198 f.

قيصرون • وأما مركز أنطونيوس فى هذه الامبراطورية ، فانه حرص على ألا يحدده ، بل فضل أن يتركه مبهما ليبقى فى نظر أنصاره وجنـوده الرومان ماركوس أنطونيوس الحـاكم الرومانى ، وفى نظـر الاغريق والشرقيين ، الملك الهلينيسى المؤله أنطونيوس ، الذى هو ديونوسوس المشبه بأوزيريس ، زوج كليوبترة ملكة مصر المؤلهة ، التى هى ايزيس • واذا كان أنطونيوس لم يناد بنفسه ملك الملوك ، لكى لا يغضب الرومان، فانه كان يعتبر نفسه أكبر من ذلك ، فهو الذى أقام كل هؤلاء الملوك ، أى أنه كان سيدهم جميعا ويعتبر نفسه فى الواقع مليكهم الأكبر كافة • ذلك أنه فى أول يناير عام ٣٤ ، سك عملة [1] نقشت على أحد وجهيها صورة رأسه ، وعلى وجهها الآخر صورة رأس ابنه الأكبر الذى أنجبته له فولفيا • ومعنى ذلك أنه اعتبر نفسه صاحب عرش ، وأوضح بجلاء وريثه من بعـده •

وفى تقديرنا أن أنطونيوس باقدامه على هذه التصرفات قد أغرق فى ارتكاب حماقة سياسية بعد أخرى ، فهو لم يكتف باقامـة مهـرجان انتصاره على أرمينيا فى الاسكندرية ، ولا بتوزيع ولايات رومانية على كليوبترة وأبنائها ، بل أوضح أنه لم يعد يقنع بالنصف الشرقى فى العالم الرومانى ، أى أن أهدافه أصبحت لا تقف عند حد تكوين امبراطورية شرقية تناهض امبراطورية روما فى الغرب ، بل كان يعتزم أن يصبح سيد كل العالم الرومانى بشقيه الشرقى والغربى ، أى أن يصبح امبراطورا رومانيا • وحيثما وجد أنطونيوس كان يجب أن توجد كليوبترة الى جانبه ، وتحكم هى أيضا العـالم الرومانى كله ، أى تصبح امبراطورة هذا العالم • وهكذا بدا لكليوبترة بعد عشر سنين من تبديد أحلامها بمقتل قيصر ، أنها أصبحت قاب قوسين أو أدنى من أن تصبح امبراطورة العالم • ولكنه شتان ما بين الأمانى العذبة والواقع الأجاج ، فقد كان لدى أوقتافيانوس عندئذ جيش وأسطول أكبر مما لدى أنطونيوس وكليوبترة، وكان يدرك نياتهما تماما ، غير أنه كانت تنقصه الأموال وتأييد الرأى

(1) C.A.H., Plates IV, 198. G.

العام ، فأخذ يعمل جاهدا لكسب الرأى العام فى الغرب بحملة نكراء من الدعاية السياسية ضد أنطونيوس وكليوبترة (١) .

أوقتافيانوس وأنطونيوس يتراشقان بالرسائل :

وقد بدأ الشجار بين أنطونيوس وأوقتافيانوس بالرسائل ، اذ أنه فى عام ٣٣ — بعد أن بلغت روما أنباء مهرجان النصر الذى أقامه أنطونيوس فى الاسكندرية — بعث اليه أوقتافيانوس برسالة آخذه فيها على سوء معاملته لأوقتافيا وعلاقته بملكة أجنبية وتأييده لابنها . وقد رد أنطونيوس بأنه اذا كان قد تزوج « مصرية » ، فان أوقتافيانوس كان مستعدا لتزويج ابنته من أجنبى (٢) فضلا عن طول باعه فى العلاقات الغرامية (٣) ثم سرد له كيف أنه لم يحترم شروط اتفاقية برنديزى واعتدى مرارا على حقوقه . وعاد أوقتافيانوس فبرر تصرفاته فى رسالة أخرى بعث بها الى أنطونيوس ووصلته فى خريف عام ٣٣ حين كان فى أرمينيا (٤) وكان قد خف اليها فى أوائل ذلك العام ، وتحالف مع ملك بونتوس ومنحه الجزء الغربى من أرمينيا ، كما تحالف مع ملك ميديا على أساس أن يرد لأنطونيوس الأعلام الرومانية التى فقدت فى أثناء الحملة البارثية المنكودة ، وأن يقدم لأنطونيوس امدادات من رماة السهام الفرسان ، وذلك لقاء حصول ملك ميديا على جانب من أرمينيا وبعض فرق المشاة الرومانية وزواج ابنته من الاسكندر ابن كليوبترة وأنطونيوس (٥) . وقد كان ذلك كله استعدادا للصراع المقبل ليس مع البارثيين وانما مع أوقتافيانوس (٦) .

---

(1) Bouché-Leclercq, II, pp. 277-9; Bevan, pp. 376-8; Jouguet, op. cit., pp. 229-30 ; C.A.H., X, pp. 80-2, 93.

(2) Cf. Suetonius, Aug. 63.

الاشارة هنا الى قوتيسو امير قبائل تراقية تدعى الجيتاى

(3) Cf. Suetonius, Aug. 69.

يؤكد سويتونيوس ان اصدقاء اوقتافيانوس انفسهم لا ينكرون اتساع نطاق علاقاته الغرامية ، وان كانوا يبررونها بأن الباعث عليها لم يكن الهوى وانما دواعى السياسة ، ذلك انه عن طريق علاقاته بنساء خصومه كان يتيسر له الوقوف على نواياهم لكنه يبدو أن اوقتافيانوس كان حريصا كذلك على معرفة نوايا اصدقائه . ولم يفت سويتونيوس الاشارة الى ما اتهم به اوقتافيانوس من الشذوذ الجنسى حين كان فتى غض الاهاب .

(4) Plut., Anton., 55-56 ; Dio Cass., L, 1, 2-5.

(5) Dio Cass., XLIX, 44.

(6) Bouché-Leclercq, II, p. 281 ; Holmes, op. cit., p. 137.

ولم يخطط أنطونيوس عندئذ أية خطوة نحو الاشتباك المسلح لأنه كان يريد قبل كل شيء الاتصال بالسناتو والفوز بتأييده فى الصراع المقبل المحتوم . ولذلك فانه بعث الى أصدقائه برسالة موجهة الى السناتو يلتمس فيها ابرام أعماله فى الشرق ، ويعرض استعداده للنزول عن سلطاته بوصفه أحد أعضاء الحكومة الثلاثية ، اذا فعل أوقتافيانوس ذلك فى الوقت نفسه (١) . ومنذ ذلك الحين ، بدأ كل من أوقتافيانوس وأنطونيوس حملات لاذعة ضد الآخر ساهم فيها أنصارهما . ولا يبعد أن جمعيات ايزيس ، وكانت ذائعة الانتشار عندئذ فى ايطاليا ، كانت مراكز للدعاية المصرية . ووسط هذا النشاط ، انتهى عام ٣٣ وانتهت معه المدة الثانية للحكومة الثلاثية الثانية،ورأى أوقتافيانوس أنه من الحكمة أن ينسحب من روما (٢) . وفى أول يناير عام ٣٢ تولى القنصلية اثنان من أنصار أنطونيوس وهما سوسيوس (C Sosius) وأهنوباربوس (Cn. D. Ahenobarbus) وبدا أن أنطونيوس سيستطيع أخيرا ابلاغ السناتو رسالته دون أى عقبة ، لكن القنصلين لم يجرؤا على قراءة هذه الرسالة ، خوفا من اضعاف قضية أنطونيوس بتذكير السناتو والشعب الرومانى بمنح أنطونيوس لكليوبترة ولأبنائها،ولذلك فان سوسيوس اكتفى بالقاء خطبة فى مديح أنطونيوس ومهاجمة أوقتافيانوس، ولو لم يمنعه أحد ترابنة العامة لاستصدر فى الحال قرارا ضده (٣) . ولم يتوان أوقتافيانوس طويلا فى مجابهة هذا الموقف ، اذ أنه عاد الى روما ، ودعا السناتو الى الاجتماع وأحاط نفسه بحرس من أصدقائه وجنوده ، قبل أن يتخذ مقعده فى السناتو ويدافع عن نفسه ويهاجم أنطونيوس وسوسيوس هجوما عنيفا ، واعدا بأن يقدم فى يوم معين الوثائق التى تبرر قضيته ، فلم يحر أحد جوابا وانفض الاجتماع (٤).

انطونيوس وكليوبترة يحشدان قواتهما :

وقبل اليوم الذى حدده أوقتافيانوس لابراز وثائقه ، كان القنصلان

(1) Dio Cass., XLIX, 41, 6.
(2) Dio Cass., L, 2, 4.
(3) Dio Cass., L, 2, 3.
(4) Dio Cass., L, 2, 5-6.

وعدد غير قليل من أعضاء السناتو قد غادروا روما (١) الى أفسوس ، حيث كان يتجمع جيش أنطونيوس منذ نوفمبر عام ٣٣ ، وحيث أخذت تتجمع قواته البحرية ، وحيث قضى أنطونيوس وكليوبترة شتاء عام ٣٣/٣٢ (٢) . وقد أهدى أنطونيوس الى كليوبترة مكتبة برجام (٢٠٠,٠٠٠ مجلد) (٣) ، تعويضا لها عن الكتب التى ذهبت طعما للنيران فى أثناء حرب الاسكندرية ، كما أهدى اليها كثيرا من التحف التى كانت تزدان بها مدن آسيا الصغرى ومعابدها (٤) .

وفى أفسوس انقسم أنصار أنطونيوس بين مطالب بابعاد كليوبترة عن أنطونيوس وبين معارض لذلك . وكاد الفريق الأول يتغلب على الثانى ، اذ أن أنطونيوس طلب الى كليوبترة الرحيل الى مصر ، لكنها رفضت لأنها كانت مصممة على الاشتراك فى حربها ، وسرعان ما استخدمت كل وسائلها فى اقناع أنطونيوس بوجهة نظرها . وفى أبريل عام ٣٢ نقل أنطونيوس مركز قيادته الى ساموس ، حيث نعم أنطونيوس وصحبه بسلسلة من الحفلات الموسيقية والتمثيلية والمآدب الفاخرة التى سيبقى ذكرها خالدا أبد الدهر . وفى مايو انتقلت القيادة الى أثينا حيث أغدقت على كليوبترة كل مظاهر التشريف ، وأعلن أنطونيوس طلاق أوقتافيا (٥) . ويحدثنا ديون قاسيوس بأنه عندما علم أنطونيوس بما قرأه وقاله أوقتافيانوس فى السناتو ، دعا من كان معه من أعضاء السناتو الى الاجتماع ، وبعد التباحث فى الأمر قرر اعلان الحرب وطلاق أوقتافيا (٦) .

وعندما ضاق بعض أنصار أنطونيوس باستسلامه لكليوبترة ، وشعر البعض الآخر بأن قضيته خاسرة ، أخذ الكثيرون ينفضون من حوله وينضمون الى أوقتافيانوس (٧) .

---

(1) Dio Cass., L, 2, 6; 20, 6.
(2) Plut., Anton., 56.
(3) Plut., Anton., 58, 5.
(4) Plin., XXXIV, 58; Strabo, XIII, 495 ; XIV, 637; C.A.H., X, pp. 90-5; Bouché-Leclercq, II, pp. 282-8; Jouguet, op. cit., p. 230.
(5) Plut., Anton., 56-57.
(6) Dio Cass., L, 3, 2.
(7) Plut., Anton., 85, 2 ; Dio Cass., L. 3, 1-2 ; Vell, Pat. II, 83.

اوقتافيانوس يستعد للحرب :

وفى تلك الأثناء ، عمل أوقتافيانوس على تقوية مركزه فى روما وجمع المال اللازم للحرب • وفى النصف الثانى من عام ٣٢ ، علم من بعض الذين هجروا أنطونيوس أنه أودع وصيته عند الكاهنات العذارى ، فاستولى عليها عنوة وقرأها للسناتو • وقد كان من بين ما قيل ان الوصية تتضمنه: اقرار بأن كليوبترة قد أنجبت بطلميوس قيصر (قيصرون) من يوليوس قيصر ، واغداق منح عظيمة على أبناء كليوبترة من أنطونيوس ، ورغبة أنطونيوس فى أن يدفن فى الاسكندرية حتى اذا توفى فى روما (١) • وقد أغضبت هذه الرغبة الشعب الرومانى غضبا شديدا ؛ لأنه رأى فيها دليلا على أن أنطونيوس لم يعد رومانيا وانما أداة فى قبضة امرأة أجنبية ، وأنه كان ينوى نقل العاصمة الى الاسكندرية ، واقامة كليوبترة ملكة عليهم (٢) • وقد استغل خصوم أنطونيوس وكليوبترة هذه الفرصة وكالوا لهما ولاسيما لكليوبترة التهم جزافا ، فقد رموها بكل موبقة يمكن أن يصورها الحقد والضغينة • ومنذ ذلك الحين لم ينقطع الناس عن ترديد هذه التهم التى لم يفطنوا الى أنها ثمرة منكرة لحملة من أسوأ حملات الدعاية التى عرفها التاريخ •

ووسط سورة الغضب التى تأججت فى صدور الرومان ضد أنطونيوس وكليوبترة ، فاز أوقتافيانوس بتأييدهم فلم يأت شهر أكتوبر حتى كان التذمر ، الذى ترتب على فرض ضرائب جديدة لمواجهة نفقات الحرب وأفضى فى بعض الأقاليم الى كثير من الاضطراب وأعمال الشغب والعنف ، قد زال تقريبا وأخذت الأموال تتدفق على الخزانة العامة (٣) • وما أن أشرف الخريف على نهايته حتى كانت ايطاليا وكذلك الولايات الغربية (صقلية وسردينية وأفريقيا وبلاد الغال وأسبانيا) (٤) قد أقسمت له يمين الولاء ، فاستمد من هذا التأييد القوة ليذهب الى آخر الشوط ، فقرر حرمان أنطونيوس سلطته وحقه فى تولى منصب القنصلية لعام ٣١،

(1) Dio Cass., L, 3, 3-5 ; Sueton., Aug., 17 ; Plut., Anton., 58, 3.
(2) Hor., Carm., I, 37, 6-12; Propert., III, ll. 31-2; Flor., II, 21, 2; Dio Cass., L, 4.
(3) Dio Cass., L, 10; Plut., Anton., 58.
(4) Res Gestae, V, 3-6; Suet., Aug. 17 ; Dio Cass., L, 6, 4.

وأعلن الحرب على كليوبترة لا على أنطونيوس (١) • وذلك من ناحية لأنه كان قد أعلن فى عام ٣٦ انتهاء الحروب الأهلية ، ومن ناحية أخرى ليضمن وحدة الرأى العام ضد عدو أجنبى ، ويثبت أن روما كانت تدافع عن نفسها ضد الشرق (٢) • ويبدو أنه لم يشك أحد من المعاصرين فى أن ذلك كان المعنى الصحيح للصراع • ويصور لنا فرجيليوس أنه فى موقعة أقتيوم كانت ايطاليا والسناتو والآلهة العظمى خلف أوقتافيانوس حين كانت الآلهة الوحشية — آلهة مصر — تحارب الآلهة الرومانية الجليلة نبتونوس ومينرفا ومارس (٣) •

انطونيوس يتخذ موقف الدفاع :

وحين كان أنطونيوس يقضى شتاء عام ٣١/٣٢ مع جيشه وأسطوله فى بلاد الاغريق ، كانت أساطيل أوقتافيانوس تتجمع عند برنديزى وتارنتم (٤) • واذا كانت الاتصالات الدبلوماسية قد انقطعت بين الفريقين ، فان حملات الدعاية التى كان يشنها كل منهما استمرت على أشدها • فقد كان الموقف القانونى لكل من الخصمين ضعيفا ، ولذلك لم يدخر كل منهما وسعا فى اكتساب الأنصار له ، فاستمر التراشق بالتهم ودخلت حملات الدعاية أشد مراحلها نكرا • وبينما عيب على أنطونيوس قيامه بدور ديونوسوس واتهم بأنه معتوه ومخمور وقذف فى حق كليوبترة ومستشاريها ، عيب على أوقتافيانوس قيامه بدور أبولو واتهم بالجبن وقذف فى حق آله وذويه ، ونسب كل من الفريقين الى الآخر ارتكاب جرائم سياسية وجنسية • ولا يجوز اغفال هذه الحملات من تاريخ هذه الفترة فقد كان لها تأثير واضح فى التواريخ التى كتبت عن هذا الصراع فى خلال المائة والخمسين عاما التالية ، وكذلك فيما كتبه المحدثون لاعتمادهم على هذه التواريخ التقليدية المشوهة تشويها يبعدها عن الحقيقة • وليس من الاسراف فى الرأى القول بأن هذه الحملات هى المسئولة عن تلك الصور التى يرينا بعضها أنطونيوس فى شكل رجل

---

(1) **Dio Cass., L, 5 ; C, 1 ; Plut., Anton., 60, 1.**
(2) C.A.H., X, pp. 96-9; **Bouché-Leclercq, II, pp. 287-96 ; Jouguet, op. cit.**, p. 231 ; Bevan pp. 378-9.
(3) Verg., Aen., VIII, **696 ff.**
(4) **Plut., Anton., 62, 2.**

ماجن مخمور لا يترك أحضان كليوبترة أحيانا الا للقيام بحملات فاشلة، ويرينا بعضها أوقتافيانوس فى شكل رعديد فظ شيمته الغدر ، ويرينا بعضها كليوبترة فى شكل غانية مستهترة لا هم لها الا اشباع رغبـاتها الجنسيـة •

وقد كانت القوات التى جمعها أنطونيوس ، ليجابه بها أوقتافيانوس، تتألف من أسطول كبير يزيد عدد سفنه على ٥٠٠ ، كان بينها ٦٠ سفينة مصرية ، ومن جيش قوامه حوالى ٧٠ر٠٠٠ من المشـاة و ١٢ر٠٠٠ من الفرسان (١) • وقد وصلت هذه القوات الى ساحل البحر الأيونى ، وهو حدود أنطونيوس الغربية ، حوالى سبتمبر عام ٣٢ ، وقضى جيشه الشتاء فى معسكرات تمتد من قورقورا الى مثونى (Methone) فى مسينيا • وقد كان الجانب الأكبر من الأسطول فى خليج ضيق ، خليج آرتا (Arta) والجانب الأكبر من الجيش فى شبه جزيرة أقتيوم ، وهى الرأس الجنوبى من الرأسين اللذين يكونان مدخل خليج آرتا المؤدى من ناحية الشرق الى خليج كبير داخلى هو خليج أمبرقيا ومن ناحية الغرب الى البحر الأيونى • وكان مركز قيادة أنطونيوس فى باتراى (Patrac) ، عند مدخل خليج قورنثة ، وكانت كل قواته تعتمد على المؤنة التى كانت تصل اليها من مصر وآسيا •

ومن الغريب أن يهب أنطونيوس ليتحدى أوقتافيانوس من أجـل سيادة العـالم ، ثم يقف موقف الدفاع ، اذ أنه من الطبيعى أن يـلام أنطونيوس على عدم غزو ايطاليا فى أوائل خريف عام ٣٢ ، عندما كان مركز أوقتافيانوس لا يزال مزعزعا هناك • ويرى بعض الباحثين أنه ربما يكون أنطونيوس قد أرغم على ذلك ، لأنه كان لا يستطيع الذهاب الى ايطاليا مع كليوبترة ولا بدونها ، اذ أن اصطحابها كان يفضى الى وقوف كل ايطاليا ، بما فى ذلك أصدقاؤه ، جبهة واحدة ضد الملكة الأجنبيـة الغازية • ومن ناحية أخرى كانت كليوبترة لا تسمح له بالذهاب بمفرده، خشية أن تتمكن أوقتافيا من التوفيق بين زوجها وأخيها على حسابها هى• ولما كان أنطونيوس لا يستطيع الذهاب الى أوقتافيانوس فانه لم يكن

(1) Cf. Tarn, Class, Quart., XXVI, 1932, p. 75.

هنـاك بد من أن يأتى اليه أوقتافيانوس ، لأنه كان يفتقر الى الأمـوال اللازمة لخوض غمار حرب طويلة ، ومن ثم فانه كان يود الوصول الى نتيجة حاسمة سريعة .

وعندنا أن هذا الرأى ليس الا اجتهادا غير مقبول لتفسـير موقف أنطونيوس الدفاعى . ذلك أنه من المسلم به أن أنطونيوس لم يحشـد قواته الا من أجل السيطرة على الغرب بما فى ذلك أيطاليا بطبيعة الحال ، وأن أمر ذلك لم يخف على أحد بما فى ذلك أصدقاء أنطونيوس كما أنه لم يخف عليهم أن كليوبترة كانت زوجته وشريكته فى حربه وستكون حتما شريكته كذلك فى حكم الامبراطورية الرومانيـة اذا انتصر على غريمه . واذا سلمنا جدلا بصحة الاعتبارات التى أبديت تفسيرا لموقف أنطونيوس الدفاعى ، فان هذه الاعتبارات لا يمكن بأى حـال أن تفسر اغفال أنطونيوس اتخاذ خطوات أساسية كان يستوجبها ذلك الموقف . ذلك أن أنطونيوس عندما حشد قواته على الشاطىء الغربى للبلقان واتخذ باتراى مركزا لقيادته ووضع الجانب الأكبر من أسطوله فى خليج آرتا ، كان يجب عليه احتلال جزيرة قورقورا بوصفها مفتاح الطريق بين ايطاليا وشبه جزيرة البلقان ، كما كان يجب عليه وضع قوات كبيرة فى جزيرة ليوقاس وفى المواقع الاستراتيجية على الشاطىء الغربى للبلقان، وذلك لتأمين سلامة قواته والحفاظ على حرية الحركة لهذه القوات ولضمان وصول امدادات المؤنة من مصر وآسيا الى الأسطول الكبير الراسى فى خليـج آرتا . وأخيرا وليس آخرا كان يجب على أنطونيوس استخدام أسطوله العظيم لمهاجمة أوقتافيانيوس أغفل أمر ذلك كله مثلما أغفل غزو ايطاليا البقان . بيد أن أنطونيوس أغفل أمر ذلك كله مثلما أغفل غزو ايطاليا فى أوائل خريف عام ٣٢ ، فجنى أوقتافيانوس ثمار هذه الأخطاء العسكرية الفاحشة التى يجب أن يتحمل أنطونيوس وحده وزرها بوصفه القائد الأعلى للحملة والرجل العسكرى المحنك . ونعتقد أن أنطونيوس ما كان ليقع فى مثل هذه الأخطاء لو لم تكن حياته الماجنة قد أفقدته جانبا كبيرا من قدرته على تقدير الأمور تقديرا سليما ، وهيـأت له أنه فى وسعـه الانتصار على أوقتافيانوس فى أية معركة برية .

قنصلية عام ٣١ :

وفى أول يوم من عام ٣١ تولى أوقتافيانوس منصب القنصلية للمرة الثالثة واتخذ زميلا له فالريوس مســالا بدلا من أنطونيوس وكان قد تقرر حرمانه تولى هذا المنصب (١) ، على نحو ما مر بنا . ولكنه يبدو أن أنطونيوس ضرب بهذا القرار عرض الحائط ، ذلك أنه وصف نفسه على النقود التى سلكها فى ذلك العام بأنه « قنصل للمرة الثالثة وعضو الحكومة الثلاثية لوضع أمور الجمهورية فى نصابها » (٢) .

اوقتافيانوس ينقل قواته عبر الأدرياتى :

وكانت أولى الثمار التى جناها أوقتافيانوس من أخطاء أنطونيوس أنه تمكن من حشد قوات كبيرة تتألف من أسطول يزيد عدد سفنه على ٤٠٠ سفينة ، واستقر الرأى على أن يتولى بنفسه قيادة القوات البرية وعلى أن يتولى أجريبا قيادة الأسطول . وبما أنه كان لدى أوقتافيانوس من الرجال والسفن أكثر مما حشد لمنازلة أنطونيوس ، فلاشك فى أنه كان يعتقد فى كفاية هذه الأعداد للفوز على غريمه .

ولسنا نعرف تفاصيل الصراع الذى دار بعد أن حشــد الفــريقان قواتهما (٣) ، وان كنا نعرف أنه فى مستهل عام ٣١ عندما كانت قوات أنطونيوس لا تزال فى معسكراتها الشتوية والطريق البحرية مفتوحه أمام غريمه ليفعل ما بــدا له ، هاجم أجريبــا البلوبونيز بنصف الأسطول واستولى على مثونى ، مما أتاح له أن يتهدد خطوط امدادات أنطونيوس، وأن يغير على جهات متعددة فى بلاد الاغريق . وتحت ستار هذه المناورات نقل أوقتافيانوس قواته ومعداته الى أبيروس وأمرها بالزحف سريعا الى الجنوب أملا فى أن يسبق أنطونيوس الى احتلال رأس أقتيوم ليتسنى له محاصرة الجانب الأكبر من أسطول غريمه الراسى فى خليج آرتا ، الواقع شرقى رأس أقتيوم . وفى تلك الأثناء استولى أوقتافيانوس على جزيرة

(1) Dio Cass., L, 10, 1.
(2) Babelon, op. cit., I, 205.

(٣) عن تفاصيل المعركة والمصادر انظر :
Kromayer, Hermes, XXXIV, 1899, pp. 1-5 ; LXVIII, 1933, pp. 361-383 ; Tarn, J.R.S., XXI, 1931, pp. 173-199 ; C.A.H., X, pp. 100-106 ; Richardson, J.R.S., XXVII, 1937, pp. 153-64.

قورقورا واتخذها قاعدة لمناوءة أسطول أنطونيوس القابع فى خليج آرتا وتحديه لمنازلته ، لكن ذلك الأسطول رفض الاشتباك مع أوقتافيانوس .

ولما كان أنطونيوس قد سبق أوقتافيانوس الى احتلال رأس أقتيوم وأخذ يجمع كل جيشه هناك ، فان قوات غريمه احتلت مكانا مرتفعا على الرأس الشمالى المواجه لرأس أقتيوم ، وحصنت مواقعها ومدت الأسوار منها الى خليج قوماروس حيث رسا جانب من أسطول أوقتافيانوس . ولم يلبث أجريبا أن استولى على جزيرة ليوقاس والسفن الراسية عندها وكذلك على باتراى وفيما بعد على قورنثة (١) . ومن قورماروس وليوقاس أخذ يعمل على قفل خليج آرتا فى وجه السفن التى تحمل الامدادات لأنطيونيوس فبقى أسطوله من الناحية العملية محصورا فى ذلك الخليج (٢) . وهكذا جنى أوقتافيانوس ثمرة بعد أخرى من ثمار أخطاء أنطونيوس ، مما كان نذيرا بالنتيجة النهائية لهذا الصراع .

فشل انطونيوس فى تضييق الخناق على أوقتافيانوس :

وقد انتقل انطونيوس مع بعض قواته من أقتيوم وعسكر أمام أوقتافيانوس وحاول تضييق الخناق عليه ، لكنه فشل فى ذلك بسبب الهزيمتين اللتين نزلتا بفرسانه ، ولذلك فانه قرر وقف الأعمال البرية الحربية لعدم جدواها والانسحاب الى أقتيوم (٣) .

وقد ترتب على التوفيق الذى صادفه أوقتافيانوس والهزائم التى منى بها أنطونيوس فى البر والبحر أن هجر جانب أنطونيوس الكثيرون من رجال وأمراء الدول الخاضعة له (٤) ، فتزعزت ثقته وأصبح يتشكك فى ولاء كل الذين حوله وأنزل ببعضهم أشد صنوف العقاب . وقد زاد مركزه حرجا عاملان ، كان أحداهما هو تفشى المرض بين جنوده وبحارته لأنهم كانوا ينزلون منذ الشتاء فى منطقة واطئة حول خليج آرتا (٥) ،

---

(1) Dio Cass., L., 11-13.
(2) Richardson, J.R.S., XXVII, 1937, p. 159 ; Holmes, op. cit., p. 149.
(3) Dio Cass., L, 13-14.
(4) Dio Cass., L, 13 ; Plut., Anton., 63.
(5) Dio Cass., L, 11, 2 ; 12, 8 ; 15, 3.

والآخر هو نقص المؤنة نتيجة لنجاح العدو فى قطع خطوط امداداته (١) •
ولزاء هذا الموقف الحرج دعا أنطونيوس مجلس الحرب الى الاجتماع(٢)•

خطة أنطونيوس وكليوبترة :

ويحدثنا بلوتارخ بأن أنطونيوس كان واقعا تحت تأثير كليوبترة الى حد أنه برغم تفوقه تفوقا ظاهرا فى البر قرر أن يكون الفيصل بينه وبين أوقتافيانوس معركة بحرية وذلك لارضاء كليوبترة ، برغم افتقار سفنه الى البحارة افتقارا شديدا وبرغم تفوق أسطول أوقتافيانوس تفوقا واضحا (٣) • ويمضى بلوتارخ فيروى أن قانيديوس نصح باعادة كليوبترة الى مصر والانسحاب الى تراقيا أو مقدونيا لخوض المعركة برا ، لكن كليوبترة أصرت على خوض المعركة بحرا مع أنها كانت تعد نفسها للهرب وتصف قواتها لا حيث تساعد على احراز النصر وانما حيث يمكن استخلاصها بسهولة اذا ما انتصر العدو (٤) • ويذكر بلوتارخ فى موضع آخر أنه لم يكن لدى أنطونيوس نفسه أمل فى النصر ، لأنه عندما أراد قباطنته ترك أشرعة السفن خلفهم أرغمهم على أخذها معهم قائلا انه يجب مطاردة العدو بحيث لا يفلت من رجاله أحد (٥) •

ويمكن تلخيص رواية بلوتارخ فى ثلاث نقاط وهى :

١ ــ أن أوقتافيانوس كان متفوقا فى البحر بينما كان أنطونيوس متفوقا فى البر ، لكن انصياعه لكليوبترة جعله يقرر خوض المعركة الفاصلة بحرا •

٢ ــ أن كليوبترة غدرت بأنطونيوس ، اذ أنها حرضته على خوض معركة بحرية وبدلا من أن تساعده على كسبها أعدت نفسها للهرب •

٣ ــ أن أنطونيوس لم يكن له أمل فى النصر بدليل أنه أمر سفنه بحمل أشرعتها معها •

(1) Dio Cass., L, 14, 4.
(2) Dio Cass., L, 14, 4.
(3) Plut., Ant., 62, 1-2.
(4) Plut., Ant., 63, 3-5.
(5) Plut., Ant., 64, 2.

وتنهض الانتصارات التى أحرزها أوقتافيانوس منذ قدومه من ايطاليا دليلا على تفوقه البحرى • وأما الزعم بأن أنطونيوس كان متفوقا فى البر فيدحضه فشله فى تضيق الخناق على أوقتافيانوس برا وسوء حال جيشه الى حد أن الكثيرين من رجاله تسللوا الى العدو • واذا سلمنا جدلا بتفوق أنطونيوس البرى ، فليس معنى ذلك أن قانيديوس كان مصيبا فى تقديره • فقد كان الأخذ بهذا الرأى ينطوى على التضحية بباقى الأسطول بعد اعادة كليوبترة وسفنها الى مصر ، أو على الأصح بعد التضحية بكليوبترة وسفنها ، اذ كيف كان يتسنى لكليوبترة وسفنها القليلة أن تشق سبيلها وسط أسطول أوقتافيانوس وتصل سالمة الى مصر ، مع أن أسطول أنطونيوس بأجمعه ، بما فيه سفن كليوبترة ، لم يكن ندا لأسطول أوقتافيانوس ؟ ولما كانت حال الجيش المعنوية قبل صدور الأوامر بالانسحاب سيئة ، فانها كانت قطعا تصبح أكثر سوءا بعد صدور تلك الأوامر ويتعذر معها نجاح الانسحاب • واذا فرضنا جدلا أنه كان يمكن الانسحاب بنجاح وأن أنطونيوس كان متفوقا فى البر ، فماذا كان يضطر أوقتافيانوس الى خوض غمار معركة فاصلة مع قوات متفوقه عليه ؟ ألم يكن الأفضل لأوقتافيانوس على كل حال ، وقد أصبح سيد البحار دون منازع ، محاصرة هذه القوات فى شبه جزيرة البلقان (١) ؟

ولا بد من أن هذه الاعتبارات لم تغب عن أنطونيوس وأنها هى التى أوحت اليه بالقرار الذى اتخذه وليس انصياعه لكليوبترة ورغبته فى ارضائها • ولماذا أمر أنطونيوس سفنه بحمل أشرعتها معها ، أى باتخاذ اجراء لم يسبق له مثيل فى المعارك البحرية ؟ ان هذا الاجراء معناه اعتزام القيام برحلة طويلة • ولما كان بلوتارخ قد اعتبر ذلك الاجراء دليلا على أنه لم يكن لدى انطونيوس أمل فى النصر ، وكان بلوتارخ قد أكد تفوق أوكتافيانوس البحرى ، فانه يتبين لنا أن قول أنطونيوس بأن الغرض من هذا الاجراء هو مطاردة العدو ليس الا عذرا منتحلا يخفى وراءه الغرض الحقيقى منه •

(1) Kromayer, Hermes, XXXIV, pp. 25, 29-30 ; Holmes, op. cit., pp. 151-2.

واذا كان أنطونيوس ، وقد فقد الأمل فى النصر ، يعتزم القيام برحلة بحرية طويلة ، ولم تكن هذه الرحلة لمطاردة عدو متفوق عليه ، فلابد من أنها لم تكن الا للفرار من وجه ذلك العدو . وقد كان بديهيا أن يخفى أنطونيوس ذلك عن رجاله حتى لايفقدون ثقتهم فيه وينضمون الى خصمه فيفشل فى تحقيق هدفه ، وهو الخروج من المأزق الذى وقع فيه لينازل خصمه فى ظروف أفضل من تلك الظروف . ويجب ألا ننسى أنه فى مثل هذه الحروب الأهلية التى لم تكن من أجل مبدأ وانما من أجل تحقيق مآرب شخصية كان الناس ينتقلون أفواجا تلو أفواج من جانب الى آخر فى يسر وسهولة . واذا كان أنطونيوس قد قرر الانسحاب بحرا ، فلابد من أن يكون قد اتفق على ذلك مع كليوبترة ، وأن تكون كليوبترة بريئة من الغدر به .

ويؤيد النتائج التى وصلنا اليها وفى الوقت نفسه يفند رواية بلوتارخ المغرضة عن تصرفات كليوبترة ما يذكره مصدرنا الرئيسى الآخر ، ديون قاسيوس ، فهو يحدثنا بأنه بعد أن أدلى أعضاء المجلس بآراء مختلفة انتصر رأى كليوبترة ، وكان يوصى بوضع حاميات فى أفضل المواقع الاستراتيجية وانسحاب باقى القوات الى مصر ، أى ترك فرق انتحارية لتغطى انسحاب الجانب الأكبر من القوات . ويمضى ديون قاسيوس فيقول ان كليوبترة وصلت الى هذا الرأى لتشاؤمها من بعض النذر التى اعتبرتها فألا سيئا للمستقبل ، ولا سيما أنها أضعفت معنويات الجيش الذى تفشى المرض بين صفوفه ، فجزعت هى وأنطونيوس واستقر رأيهما على الانسحاب ، على ألا يحدث ذلك خفية ولا جهارا لكى لا يدب الهلع فى نفوس حلفائهما ، بل على أن يبدو كأنهما يعدان العدة لخوض غمار معركة ثم يشقان طريقهما عنوة اذا صادفا أية مقاومة . ولذلك فانهما أولا اختارا أفضل ما لديهما من سفن وأحرقا بقية السفن الأخرى لأن عدد الجنود تناقص نتيجة للموت والهرب ، وثانيا وضعا سرا أعز ما يمتلكان على ظهر السفن ليلا (١) .

(1) Dio Cass., L, 15.

ويتضح جليا مما يرويه ديون قاسيوس أن أنطيونيوس وكليوبترة قررا القيام بالانسحاب بحرا فى صفوف منتظمة كما لو كانت قد صفت لخوض معركة حقيقية ، وذلك من ناحية تفاديا لمظهر الهرب وما يستتبعه من أثر نفسى سيىء فى قواتهما تفشل بسببه حركة الانسحاب وتقضى الى فقد جانب كبير من قواتهما ، ومن ناحية أخرى ليتيسر لهما أن يشقا طريقهما عنوة اذا اعترضه أحد .

والواقع أن القرائن المتعددة التى سلفت الاشارة اليها تدل دلالة قاطعة على سوء حال قوات أنطونيوس وكليوبترة ، وعلى أنه لم يبق أمامهما سوى الانسحاب . واذا كان قانيديوس قد اقترح الانسحاب برا الى تراقيا أو مقدونيا ، فاننا رأينا الأسباب التى نعتقد أنه من أجلها رفض أنطونيوس هذا الرأى . وازاء ذلك فانه لم يبق سوى الانسحاب بحرا انسحابا منتظما كريم المظهر مع أكبر قدر ممكن من القوات البحرية وكذلك مع أفضل الفرق البرية التى يمكن أن يحملها الأسطول على أن يحاول قانيديوس الانسحاب مع باقى الجيش .

ومع ذلك فان « تارن » يرى أن أنطونيوس اتفق مع كليوبترة على خطتين : كانت احداهما هى دحر أوقتافيانوس بحرا ، والأخرى هى الهرب اذا فشلت الخطة الأولى (١) . ويبدو عجيبا حقا أن يحاول « تارن » استخلاص ذلك من رواية ديون قاسيوس التى سبق أن أوردناها ، اذ أنه لا يعقل أن يتحدث ديون عن انتصار رأى كليوبترة الذى يدعو الى الانسحاب ، وعن الأسباب التى أوحت بذلك ، وعن كيفية الانسحاب ، ثم تتصور أن قرارهما بأن يكون الانسحاب فى صفوف منتظمة كان القصد منه أولا خوض غمار معركة لدحر أوقتافيانوس وثانيا الانسحاب اذا لم يحالفهما التوفيق فى المعركة .

ويؤيد ما نذهب اليه من أنه لم يكن لأنطونيوس وكليوبترة الا خطة وحدة وهى الانسحاب :

---

(1) Tarn, J.R.S., XXI, 1931, pp. 173-199 ; C.A.H., X, pp. 100-106,

أولا ، ما ذكره بلوتارخ من أنه لم يكن لأنطونيوس أمل فى النصر ومن أن أوقتافيانوس كان متفوقا فى البحر .

ثانيا ، ما ذكره ديون قاسيوس من أن أوقتافيانوس وقد علم من دليوس بما استقر عليه رأى أنطونيوس وكليوبترة من الفرار [١] وما أفضى به الى جنوده [٢] كان يعتزم السماح لهما بالمرور ثم الانقضاض عليهما من الخلف وهما يفران لأنه بفضل هذه الخطة كان يأمل أن يمسك بهما ، وأن يصبح واضحا أنهما يحاولان الفرار فيسهل عليه الفوز بباقى قواتهما دون قتال . لكن أجريبا أقنع أوقتافيانوس بالعدول عن هذه الخطة خوفا من احتمال عدم اللحاق بهما [٣] . ولو صح أنه كانت هناك خطتان ، وفرضنا جدلا أنه لم يبلغ أوقتافيانوس الا خبر احدى هاتين الخطتين وكان لدى ديون قاسيوس علم بهما لأشار الى ذلك فى هذا المقام .

ثالثا ، ما ذكره ديون قاسيوس من أن أنطونيوس لم يشتبك فى القتال مع أوقتافيانوس فى معركة أقتيوم الا قسرا عنه [٤] ، على نحو ما سنرى .

رابعا ، ما ذكره فلوروس [٥] وأوروسيوس [٦] من أن عدد سفن أنطونيوس فى معركة أقتيوم كان أقل من مائتين ، بينما كان عدد سفن أوقتافيانوس ٤٠٠ [٧] . ويفسر نقص عدد سفن أنطيونيوس من ٥٠٠ [٨] فى بداية الحرب الى هذا العدد عند المعركة بأن أسطول أنطونيوس لم يكن كله متجمعا عند أقتيوم ، وبأن أنطونيوس فقد كثيرا من السفن فى الاشتباكات السابقة على أقتيوم ، وبأنه أحرق عددا آخر من السفن قبل المعركة لقلة عدد البحارة [٩] . وأما مايرويه بلوتارخ [١٠] ، نقلا عن مذكرات أوقتافيانوس ، من أنه استولى على ٣٠٠ من سفن أنطونيوس ، فقد فسر بأن هذا العدد يمثل ما استولى عليه أوقتافيانوس طوال النزاع وبأن بلوتارخ ظن خطأ أنه يمثل أسلاب معركة أقتيوم [١١] .

(1) L, 23, 3.
(2) L, 30.
(3) L. 31, 1-2.
(4) L, 31, 6.
(5) Florus, II, 21, 5.
(6) Orosius, VI, 19, 9.
(7) Florus, II, 21. 6.
(8) Plut., Ant., 61, 1.
(9) Richardson, op. cit., pp. 154-5.
(10) Plut., Ant., 68, 1.
(11) Kromayer, Hermes, LXVIII, 1933, p. 365.

وبرغم أن ديون قاسيوس لم يعط أرقاما،فان عباراته توحى بأن أسطول أنطونيوس كان أكبر من أسطول أوقتافيانوس (١) ، لكنه يبدو أن ديون قاسيوس أخطأ التقدير (٢) ، ومرد هذا الخطأ اما الى أنه صدق ما قاله أنطونيوس حين وقف خطيبا فى جنوده قبل الانسحاب ليشجعهم ويبث الثقة فى نفوسهم ، وكان يتعين على ديون قاسيوس ألا يأخذ ذلك مأخذ الجد ، واما الى أنه خلط بين عدد السفن فى معركة أقتيوم وعدد تلك التى حشدت أصلا .

ويؤيد قلة عدد سفن أنطونيوس ما يذكره بلورتاخ (٣) من ان أنطونيوس وضع على ظهر سفنه ٢٠٫٠٠٠ من المشاة والفين من الرماة ، فهذا العدد من الجنود أكثر تناسبا مع ٢٠٠ سفينة منه مع ٤٠٠ ، ولا سيما أن أوروسيوس (٤) يحدثنا بأن أوقتافيانوس وضع حوالى ٣٧٠٠٠ رجل على ظهر سفنه ، وكانت أصغر حجما من سفن أنطونيوس الا أنها كانت ضعفها فى العدد . ولا جدال فى أن حالة أنطونيوس المعنوية وقلة عدد سفنه فى معركة أقتيوم يقطعان بأنه لم يقرر الا الانسحاب ، ولم يكن فى نيته خوض غمار معركة لدحر أوقتافيانوس .

موقعة اقتيوم :

ولنر الآن كيف نفذ أنطونيوس وكليوبترة خطتهما : فى ٢ من سبتمبر عام ٣١ (٥) ، عندما هدأ البحر وصفا الجو بعد أربعة أيام من الأنواء والعواصف التى اضطرب معها البحر اضطرابا شديدا ، وقف أوقتافيانوس على رأس أسطوله فى عرض البحر تجاه أقتيوم فى انتظار تحرك أنطونيوس وكليوبترة . وكان أسطول أوقتافيانوس يتألف من قلب وجناحين يتولى هو قيادة أيمنهما وأجريبا أيسرهما . وعندما تحرك أسطول أنطونيوس اتخذ موقفا دفاعيا قويا ، فقد احتشدت السفن بعضها الى جانب بعض عند مدخل المضيق بحيث كان الجناحان يرتكزان الى الشاطىء ، اذ أن هذا الأسطول أيضا كان يتألف من قلب وجناحين يتولى أنطونيوس قيادة أيمنهما وسوسيوس أيسرهما . وأما كليوبترة فانها كانت تقود سفنها

(1) Dio Cass., L, 18, 4-5 ; 19, 4.
(2) Richardson, op. cit., p. 155.
(3) Plut., Ant., 64, 1.
(4) Orsos., VI, 19, 8.
(5) Dio Cass., LI, 1, 1 ; C.I.L., I, pp. 320, 324, 328.

وتقف فى المؤخرة (١) • وحين لاحظ أوقتافيانوس أن سفن خصمه لم تبتعد عن الشاطىء تقدم هو ، ليوهمها بأنه سيشتبك معها فتضطر الى ترك أماكنها اما بالانسحاب واما بالتقدم لملاقاته • ولما لم يحدث شيء من ذلك وبقيت سفن العدو حيث كانت توقف أوقتافيانوس (٢) • ولما لم يكن عامل الزمن فى صالح أنطونيوس بسبب ما أسلفناه عن سوء حال قواته ، فانه عندما انتصف النهار والعدو لا يزال أشد ما يكون يقظة واستعدادا ، فكر فى وسيلة تمكنه من الافلات مع أكبر جانب من الأسطول ، ولذلك أمر جناحه الأيسر بالتقدم للاشتباك مع جناح أوقتافيانوس الأيمن ، وبذلك يخلو الطريق جنوبا لباقى الأسطول • وقد اغتبط أوقتافيانوس بهذه الحركه وأمر جناحه الأيمن بالتقهقر ليسحب العدو مسافة أبعد عن الشاطىء المضيق ثم يطوقه (٣) • وعلى حين فجأة أصدر أمره الى جناحيه فقاما بحركة أتخذت خطوطه معها شكل الهلال ، أملا فى أن يستطيع على هذا النحو تطويق العدو أو على الأقل القاء الاضطراب فى صفوفه فيختل نظامها • وازاء ذلك يبدو أن أنطونيوس مد خطوط جناحه الأيمن ليحبط حركة التطويق واضطر الى الاشتباك مع خصمه رغم أنفه على نحو ما يحدثنا به ديون قاسيوس (٤) وهو الذى يمضى فيقول أنه بعد أن بدأت المعركة ، استمر القتال سجالا مدة طويلة ثم أتت النهاية على النحو التالى ، اذ أن كليوبترة « ازاء عجزها عن احتمال انتظار طويل مضن حتى يتقرر مصير المعركة ، وبسبب طبيعتها كامرأة ومصرية ، أضناها الانتظار الطويل وتوقع أسوأ الاحتمالات ففرت هاربة فجأة وأعطت الاشارة ليتبعها رعاياها • وهكذا عندما نصبت السفن أشرعتها وانطلقت مع الرياح التى تصادف أنها هبت عندئذ مواتية لها ظن أنطونيوس أن السفن قد ولت هاربة لا بأمر كليوبترة وانما بدافع الخوف لاعتقادها أنها هزمت ولذلك تبعها هو نفسه (٥) » • وقد لحق أنطونيوس بكليوبترة وانتقل الى سفينة قيادتها (٦) ، وأرسل أوقتافيانوس بعض سفنه لمطاردتهما ، ولكن دون جدوى (٧) •

(1) Plut., Ant., 65-66.
(2) Dio Cass., L, 31, 4-5.
(3) Plut., Ant., 65, 4-5.
(4) Dio Cass., L, 31, 5-6.
(5) Dio Cass., L, 33, 1-3.
(6) Plut., Ant., 67, 1.
(7) Dio Cass., LI, 1, 4.

ومعنى ذلك أن ديون قاسيوس بعد أن أنهى الينا أن أنطونيوس وكليوبترة اتفقا على الانسحاب واستقر رأيهما عليه ، يتهم كليوبترة بالجبن وخوار العزيمة ويقول ان أعصابها خانتها فأعطت الاشارة بالانسحاب قبل الأوان . وان ما نعرفه عن كليوبترة من الشجاعة ليدفع عنها تهمة الجبن ، وان ما قاله ديون قاسيوس من أنه تصادف عندئذ هبوب رياح مواتية لسفنها ليوحى بأنها كانت متفاهمة مع أنطونيوس على أنه اذا أرغمهما العدو على الاشتباك معه ، فانه يجب انتهاز أول فرصة تهب فيها الرياح مواتية لسفنهما من أجل تنفيذ خطة الانسحاب ، لأن كليوبترة وأنطونيوس لم يقررا الانسحاب الا لاعتقادهما اعتقادا جازما بأنه لم يكن لهما أمل فى الانتصار . ولابد من أنهما حين تحداهما أوقتافيانوس وحاول تطويقهما كانا أقل أملا فى النصر ، ولذلك فانه كان من الحمق انتظار نتيجة المعركة فقد كانت معروفة مقدما ، وكان من الحكمة انتهاز أول فرصة مواتية للهرب مع أكبر قدر ممكن من القوات ، فشقت كليوبترة طريقها على رأس سفنها الستين من الثغرة أو الثغرات التى نتجت عن تقدم ميسرة أنطونيوس وتقهقر ميمنة أوقتافيانوس ثم مد خطوطه للقيام بحركة التطويق . ولم يلبث أنطونيوس أن تبعها ومعه بعض السفن التى يقدر عددها بحوالى الأربعين (١) . ومما يجدر بالملاحظة أن مد خط جناح أوقتافيانوس الأيمن وحركة الالتفاف التى قام بها جعلا الانسحاب جنوبا أمرا عسيرا على السفن الأمامية التى كانت مشتبكة فى القتال على عكس حال سفن كليوبترة التى كانت واقفة فى المؤخرة وغير مشتبكة . ولذلك فان تقهقر السفن الأمامية الى خليج آرتا كان أيسر ، وقد فعلت ذلك بعض السفن اما عندئذ واما فيما بعد ، على حين أن سفنا أخرى كانت مشتبكة اشتباكا عنيفا حال دون فرارها أو تقهقرها فصمدت الى أن أغرقت أو أحرقت أو غلب رجالها على أمرهم (٢) ، فقد بقيت المعركة حامية الوطيس بعد فرار أنطونيوس وكليوبترة (٣) . ويحدثنا سويتونيوس بأن المعركة دامت الى ساعة

---

(1) C.A.H., X, p. 105.
(2) Richardson, op. cit., p. 363.
(3) Dio Cass., L., 33-35.

متأخرة مما اضطر أوقتافيانوس الى قضاء الليل فى البحر (١) .

ويذهب أوروسيوس الى حد القول بأن المعركة استمرت حتى صباح اليوم التـالى (٢) . ويحـدثنا بلوتارخ بأن أسـطول أنطونيوس قاوم أوقتافيانوس مدة طويلة ولم يكف عن القتال الا قبل الغروب بعـد أن سبب له هياج البحر عطبا شديدا ، لكنه لم يقتل من رجاله أكثر من ٥٠٠٠ نفس (٣) .

وقد كان جيشا الفريقين محتشدين على شاطىء البحر يشاهدان سير المعركة دون حـراك (٤) . وما كاد القتال ينتهى حتى طلب أوقتافيانوس الى جيش خصمه أن يلقى السلاح . وقد دامت المفاوضات على شروط التسليم سبعة أيام وساعد على نجاحها فرار قانيديوس الى مصر (٥) . وقد أدمج أوقتافيانوس جنود أنطونيوس فى فرقه ، وبعد ذلك أعاد الى ايطاليا قدماء المحاربين فى الجيش دون اعطائهم شيئا ، ووزع البقية الباقية من الجيش فى أماكن مختلفة تفاديا لوقوع الفتنة بينهم ، وأرسل أجريبا ليساعد ميقناس فى وضـع الأمـور فى نصـابها فى ايطاليـا ، وذهب أوقتافيانوس نفسه الى أثينا ثم ساموس . لكن الجنود القدماء ، الذين أرسلوا الى ايطاليا ، شعروا بأنهم حرموا أسلاب مصر ، فتذمروا تذمرا شديدا الى حد أن أجريبا أرسل فى يناير عام ٣٠ يستصرخ أوقتافيانوس أن يعود الى ايطاليا . وقد لبى أوقتافيانوس النـداء ، واسـتطاع أن يسترضى الجنود ، بتوزيع هبات من الأموال والأراضى بينهم وبوعدهم بنصيب من كنوز البطالمة ، ثم عاد الى آسيا مدركا أنه على هذه الكنوز يتوقف مستقبله ، بل حياته فيما يبدو(٦) .

أنطونيوس ينهار وكليوبترة تواجه الموقف بشجاعة :

واذا كانت نكبة أقتيوم قد حطمت أنطونيوس ، فانهـا لم تحطـم كليوبترة التى دخلت الاسكندرية مرفـوعة الرأس ، وقد زينت سفنها

(1) Suet., Aug., 17, 2.
(2) Oros., VI, 19, 11.
(3) Plut., Ant., 68, 1.
(4) Plut., Ant., 65, 2.
(5) Plut., Ant., 68, 3 ; Cf. Dio Cass., LI, 1, 4-5.
(6) Dio Cass, LI, 3-5 ; C.A.H., X, pp. 110-6 ; Bouché-Leclercq, II, pp. 290-315 ; Bevan, pp. 379-80 ; Jouguet, op. cit., pp. 231-2.

بالأكاليل لتوهم الناس بأنها انتصرت . وفى الحال تخلصت من كل الذين كانت تخشى أن يشعلوا لهيب الثورة ، عندما تتسرب الأخبار الصحيحة. وأما أنطونيوس فانه ذهب الى قورينائية ، حيث كان قد ترك أربع فرق لتراقب قوات أوقتافيانوس فى شمال أفريقيا ، لكن هذه الفرق رفضت الاذعان له ، وانضمت الى جالوس (C. Connelius Gallus) قائد قوات خصمه فعاد أنطونيوس الى الاسكندرية (١) . وهناك كانت كليوبترة تفكر فى طريقة للخلاص ، فقد فكرت أولا فى الانسحاب الى أسبانيا والاستيلاء على مناجم الفضة هناك وتكوين قوات لمحاربة أوقتافيانوس على نحو ما حاول سرتوريوس بناء قوة للقضاء على صلا ، لكنه يبدو أن مصير سرتوريوس أقنعها بالعدول عن ذلك . وعندئذ فكرت فى تكوين دولة جديدة على شواطىء البحار الهندية ، ولذا قررت نقل أسطولها برا من البحر المتوسط ولكنها اضطرت الى العدول عن هذه الفكرة عندما انتهز أمير النبط هذه الفرصة للثأر من كليوبترة ، وأحرق أول مجموعة من السفن تم نقلها . ولما كانت أية خطة تتوقف على مساهمة أنطونيوس فيها ، لأن كليوبترة لم تمكر فى أن تهجره ، وكان أنطونيوس فى حالة من اليأس والقنوط ، جعلته عاجزا عن أى نشاط ودفعته الى الانزواء فى منزل قريب من البحر (٢) ، فانها قررت أن تنعشه بالطريقة الوحيدة التى يأنسها ، وهى المآدب والمباهج .

وقد عاد أنطونيوس فعلا الى قصر كليوبترة ، واستأنفا حياتهما البهيجة الأنيقة ، ولكن هذه المرة تحت شبح الموت ولذلك استبدلا بجمعية « الحياة الفريدة » جمعية « رفاق الموت » (٣) ولكنه بما أنه أنطونيوس لم يحاول أن يجمع ما تبقى له من الفرق وأن يدافع عن خط النيل الحصين ، وهو الذى طالما أنقذ مصر من الغزاة القادمين من الشرق ، فلابد من أن يكون قد أخبر كليوبترة بأن أى دفاع مستحيل ، وأن الفرق لن تقوم الا بالانضمام الى الجانب الآخر ، كما فعلت فى أقتيوم وفى قورينائية وفى سوريا . وقد ظن الناس أن أنطونيوس قد ينتحر كما

(1) Dio Cass., LI, 5 ; Plut., Ant., 69, 1-2.
(2) Dio Cass., LI, 6-7 ; Plut., Ant., 69, 2-4 ; Strabo, XVII, 1, 9
(3) Plut., Ant., 71.

انتحر بقية أعداء أوقتافيانوس الذين هزمهم ، لكن مجرى الحوادث يدل على أنه كان ينوى البقاء على قيد الحياة ما بقيت كليوبترة ، لعله يستطيع أداء أى خدمة لها • وعندما بقى لكليوبترة أن تقرر هل تتولى الدفاع عن مصر ، واجهت الموقف بشجاعتها المعتادة • وقد وجدت كليوبترة نفسها ، بعد محاولتين للفوز بسيادة العالم ، حيث كانت أول الأمر ملكة تابعة لروما ، وأدركت عندئذ أنه لم يكن هناك طائل من الدفاع ، وألا مفر من أن تفقد عرشها ، وان كان من المحتمل انقاذ حياتها ،وأنها اذا حاربت فانه لابد من أن يهوى أولادها معها • وأما اذا فعلت ما يفعله الملوك التابعون لروما فى مثل هذه الأحوال ، ووضعت تاجها بين يدى أوقتافيانوس ، فانه كان هناك بصيص من الأمل فى أن يتبع أوقتافيانوس العادة الرومانية،ويعطى هذا التاج لأحد أبنائها ، وتبعا لذلك فانها قررت التضحية بنفسها فى سبيل أبنائها • وعندما عرضت عليها مصر أن تهب لتأييدها ، حظرت ذلك لكى لا يتحمل شعبها ويلات لا طائل وراءها (١) ، ولكن قبل كل شىء لكى لا يتعرض أبناؤها لمخاطر لم يكن منها مفر فى هذه الحالة •

ويبدو أن كل القصص التى تدور حول غدر كليوبترة بأنطونيوس قصص ملفقة (٢) • ذلك أنها وفقا للقـرار الذى اتخـذته أرسلت الى أوقتافيانوس تاجها وصولجانها ملتمسة منه أن يتوج مكانها أحد أبنائها • فأمرها أوقتافيانوس علانية بأن تنزع سلاحها وتنزل عن عرشها ، لكنه أكد لها سرا بأنها اذا قتلت أنطونيوس أو طردته فانه يعفو عنها ولا يمس مملكتها بسوء (٣) ، فقد كان يريد قبل كل شىء الفوز بكنوزها سليمة لسد جشع جنود جيشه والبر بوعده للمحاربين القدماء وأرباب الأراضى فى ايطاليا ، الذين انتزعت منهم أراضيهم لتوزيعها على هؤلاء المحاربين • وقد عرض أنطونيوس على أوقتافيانوس أن يقضى على حياته اذا كان ذلك ينقذ كليوبترة ، لكن أوقتافيانوس أهمل هذا العرض (٤) • وأما ما يقال من أن أنطونيوس التمس من أوقتافيانوس الابقاء على حياته (٥)

---

(1) Pseudo-Aero on Horace Odes, I, 37, 23 (ed. Keller, I, P. 133).
(2) Tarn, J.R.S., XXI, 1931, p. 196 ; C.A.H., X, p. 107.
(3) Plut., Ant., 72, 1 ; 73 ; Dio Cass., LI, 6, 5-6.
(4) Dio Cass., LI, 8, 2-3.
(5) Plut., Ant., 72 ; Cf. Dio Cass., LI, 8, 4.

فانه يصعب علينا تصوره أو قبوله .

وفى صيف عام ٣٠ عندما احتل جالوس باراتونيون زحف أنطونيوس ضده ، أملا فى استعادة فرقه بالتفاهم أو بالقوة ، لكنه عجز عن الاتصال بجنوده وفشل فى هجومين ضد جالوس ، وكان أحدهما بريا والآخر بحريا . وعندما علم بأن أوقتافيانوس استولى على بلوزيون ، عاد الى الاسكندرية (١) .

وعند اقتراب أوقتافيانوس وضعت كليوبترة كل كنوزها فى المقبرة ، التى كانت قد أمرت بتشييدها ولم يتم بعد بناؤهـا بالقرب من معبـد ايزيس ، ووضعت حول الكنوز مادة سريعة الاشتعال ، وهددت بأنه اذا رفض أوقتافيانوس اعطاء تاج مصر لأحد أبنائها ، فانها ستغلق المقبرة على نفسها وتشعل النار فيهـا ، وبذلك تعرض أوقتافيانوس لخـراب محقق (٢) .

انتحار انطونيوس :

وفى ٣١ من يولية ، وصلت طلائع فرسان أوقتافيانوس الى ضواحى الاسكندرية ، بالقرب من مضمار سباق الخيل ، فقرر أنطونيوس ألا يموت دون خوض معركة واحدة ، ولذلك فانه انقض على هؤلاء الفرسان وبدد شملهم (٣) . وفى اليوم التالى حشد قواته ، لكن الفرسان والسفن انضموا الى أوقتافيانوس ، فى حين أن المشاة بدد شملهم فعاد أنطونيوس الى القصر . ويحدثنا بلوتارخ بأن أنطونيوس هاله ما حدث وعزاه الى غدر كليوبترة التى خشيت غضبه والتجأت الى مقبرتها ومعها مصففة شعرها ايراس (Iras) وخادمة مخدعها خارميون (Charnion) وأحكمت اغلاقها وأبلغت أنطونيوس أنها قضت على نفسها . ولما كان أنطونيوس لم يبق على حياته حتى ذلك الوقت الا من أجل كليوبترة ، فانه لم يعد هناك معنى لبقائه حيا ، ولذلك أعطى سيفه الى عبده الأمـين أروس (Eros) وطلب اليه أن يطعنه به ، لكن أروس بدلا من ذلك طعن نفسه

(1) Dio Cass., LI, 9-10, 1.
(2) Dio Cass., LI, 8, 6 ; 10, 5 ; Plut., Ant., 74, 2.
(3) Plut., Ant., 74, 3 ; Dio Cass, LI, 10, 1.

وخر صريعا عند قدمى سيده ، فأخذ أنطونيوس السيف وبقر بطنه ، غير أنه لم يمت فى الحال . وبينما كان فى حشرجة الموت ، جاءته رسالة من كليوبترة ليوافيها فى المقبرة ، فالتمس أن ينقل اليها . وقد نقل فعلا الى مقبرتها ، حيث شقت ملابسها وندبته وبكته بكاء مرا وتوفى بين أحضانها كما كان يشتهى . وقبل أن يلفظ النفس الأخير أوصاها بأن تلتمس النجاة لنفسها اذا أمكنها ذلك دون أن يلحقها أى عار ، وبأن بروقوليوس خير من يمكنها أن تثق فيه من بين كل رفاق أوقتافيانوس (١) .

ان رواية بلوتارخ هنا أيضا مغرضة ومليئة بالتناقض ، اذ كيف يعقل أن يلقى أنطونيوس على كليوبترة تبعة انضمام هذه القوات الى أوقتافيانوس وهو الذى شهد من قبل انضمام فرقة فى أقتيوم وقورينايئة وسوريا الى غريمه ؟ وكيف يثور أنطونيوس ويتهم كليوبترة بالغدر ثم يسعى اليها فى القصر وبعد ذلك يطلب أن ينقل اليها وهو فى حشرجة الموت ؟ وكيف تبلغه كليوبترة أنها قضت على نفسها ثم تطلب اليه بعد ذلك أن يوافيها فى المقبرة ؟ وكيف تغدر كليوبترة بأنطونيوس ثم تبكيه ذلك البكاء المر وهو على فراش الموت ؟ يبدو لنا أن بلوتارخ قد تأثر بالتاريخ الرومانى الرسمى الى حد أن فكرة غدر كليوبترة بأنطونيوس قد سيطرت عليه سيطرة تامة فلم يدع مناسبة تمر دون أن يتهمها بالغدر . ولعل أن يكون ما حدث فى ذلك اليوم هو أنه ما أن علمت كليوبترة بهزيمة المشاة وانضمام السفن والفرسان الى العدو حتى أدركت على الفور أنها اذا بقيت فى القصر بعيدة عن كنوزها ، فانها بعد قليل ستقع حتما فى الأسر دون أن يكون فى قبضتها أى سلاح تهدد به أوقتافيانوس لقبول شروطها ، وتبعا لذلك فانها سارعت الى المقبرة . ولعلها لم تترك أية رسالة لأنطونيوس اما لأن هول الموقف بث فيها ساعتئذ من الفزع والاضطراب ما جعلها تسهو عن ترك رسالة لأنطونيوس ، واما — وهو الأرجح فى تقديرنا — أنها لم تر جدوى من ذلك لتوقعها أسوأ الاحتمالات وأقربها الى التصور فى مثل هذه الظروف ، أى انتحار أنطونيوس فى ميدان القتال بعدما فقد كل شىء ولم يعد هناك ما يمكنه أن يساعدها

(1) Dio Cass, LI, 10, 2-9 ; Plut., Ant., 76-77.

به • بيد أنها عندما بلغت المقبرة بدا لها احتمال آخر وهو أنه من الجائز أن يكون أنطونيوس قد أرجأ انتحاره الى أن يودعها الوداع الأخير ، ولذلك فانها أوفدت الى القصر رسولا لابلاغه — اذا عاد — بأنها تنتظره فى المقبرة • وقد صح حدسها الأخير لأن أنطونيوس لم ينتحر فى ميدان القتال ، اذ يبدو أنه عز عليه بالفعل أن يلقى الموت قبل أن يودعها فهرع الى القصر ، وعندما وجده قاعا صفصفا تصور بدوره أنه نتيجة لاحداث ذلك الصباح المشئوم بادرت كليوبترة الى تنفيذ ما كانت قد هددت به — أى حرق نفسها وكنوزها — فانتحر قبيل وصول رسولها ، ثم نقل اليها وتوفى بين أحضانها كما كان يشتهى • وهكذا يبدو لنا أنه اذا كانت القرائن توحى ببراءة كليوبترة من الغدر بأنطونيوس فى موقعة أكتيوم فانها ليست أقل ايحاء ببراءتها من الغدر به فى يومه الأخير •

وبعد أن يتهم بلوتارخ كليوبترة بالغدر يمضى فيحدثنا كيف أن أوكتافيانوس عندما علم بوفاة أنطونيوس بكى من فرط تأثره (١)

أوكتافيانوس يدخل الاسكندرية :

وفى اليوم نفسه — وكان أول الشهر الذى سمى فيما بعد أغسطس تخليدا لذكرى أوكتافيانوس عندما خلع عليه هذا اللقب — دخل أوكتافيانوس الاسكندرية دون أية مقاومة • وفى الحال أصدر أمره الى بروقوليوس (Proculeus) بأن يأخذ كليوبترة على قيد الحياة ، فقد كان يريد الحصول على كنوزها وكذلك على شخصها ليزدان به مهرجان انتصاره • وعندما ذهب بروقوليوس لمقابلتها ، حرصت على ألا تخاطبه الا من خلف باب المقبرة،وأصرت على ألا تسلم نفسها قبل اعطاء عرشهالأحد أبنائها • واذا كان هذا اللقاء لم يسفر عن أى تفاهم ، فانه أسفر عن أمر هام وهو أن بروقوليوس لاحظ أنه توجد نافذة فى احدى غرف الطابق العلوى فى المقبرة • ويبدو أن بروقوليوس أوهم كليوبترة بأنه سيذهب لعرض الأمر على أوكتافيانوس ويعود لموافاتها برأيه ، ولكن بروقوليوس ذهب لتدبير وسيلة الاستيلاء عليها • ذلك أنه عاد الى المقبرة ومعه آخرون

---

(1) Plut., Ant., 78, 2.

كان أبرزهم جالوس ، وحين شغلها الأخير بالحديث خلل الباب ،تسلق بروقوليوس وآخرون سلما ودخلوا من النافذة ، فحاولت كليوبترة أن تطعن نفسها ، ولكنها منعت من ذلك ونزع سلاحها ونقلت هى وكنوزها الى القصر ، فتنفس أوقتافيانوس الصعداء أخيرا .

وقد سمح أوقتافيانوس لكليوبترة بدفن أنطونيوس ، وعفا بازدراء عن الاسكندرية ، « احتراما للاسكندر الأكبر ، ومراعاة لجمال المدينة ، وارضاء لصديقه الفيلسوف أريوس (Areios) » ، لكنه أعدم آنثولوس (Anthyllus) ابن أنطونيوس ، وكذلك قيصرون ، وكانت أمه قد حاولت ارساله الى البحار الهندية ليكون فى أمان ، لكنه أصغى بسذاجة لنصائح مربيه الغادر ، وعاد الى الاسكندرية ليلقى حتفه (١) .

انتحار كليوبترة :

وقد حاولت كليوبترة الانتحار مرة ثانية بالامتناع عن الأكل لكن أوقتافيانوس لجأ الى أنجع وسيلة تحملها عن العدول عن محاولتها وهى تهديدها بقتل أولادها . وتنهض رغبة أوقتافيانوس فى الاستيلاء على كليوبترة وهى على قيد الحياة وكذلك حرصه على حياتها بعد ذلك دليلا على صدق ما تذكره المصادر القديمة من أنه كان يبتغى نقلها الى روما ليعرضها فى مهرجان انتصاره (٢) .

ويؤيد ذلك أن أوقتافيانوس — وقد حرمته كليوبترة فرصة تحقيق بغيته بانتحارها — عرض تمثالها وابنيها اسكندر هليوس وكليوبترة سلينى فى مهرجان انتصاره على مصر (٣) .

ومع ذلك فان « تارن » يقول ان روما كانت تتوقع أن تلقى كليوبترة حتفها ، لكن أوقتافيانوس كان فيما يبدو يبغض قتل امرأة بل يبغض أن يعتبر شريكا فى انتحارها ، الا أنها كانت يجب أن تموت ، فكان يجب

(1) Plut., Ant., 78-82 ; Dio Cass., LI, 11-15.

(2) Plut., Ant., 78, 3 ; Dio Cass., LI, 11, 3 ; 13, 1 ; Flor., II, 21, 10 ; Suet., Aug., 17, 4 ; Horat., Carm., I, 37, 31-2.

(3) C.I.L., I, pp. 328, 478-9 ; Macrob., I, 12, 35.

حثها على الانتحار بطريقة يتفادى معها كل لوم (١) . اذا صح ذلك فكيف أنه عندما نجح فى الوصول الى كنوزها لم يتركها تقضى على نفسها ؟ أكان يمكن أن يتهمه أحد عندئذ بالاشتراك فى انتحارها ؟ وهل يمكن أن نتصور أن الشخص الذى يقتل صبيين يبغض أن يعتبر شريكا فى انتحار امرأة لأنه لم يمنعها من الانتحار ؟ وكيف يبغض ذلك ولا يبغض أن يحثها على الانتحار ؟ ولماذا يمنعها من الانتحار ثم يحثها عليه ؟ وأى لوم كان يخشاه ومن أى مصدر ؟ ويمضى تارن فيقول انه لو كان أوقتافيانوس يريد الاحتفاظ بكليوبترة لكى يعرضها فى مهرجان انتصاره لوضعها تحت حراسة أمينة تحقق له غرضه ، لكنه بدلا من ذلك تركها فى القصر مع بطانتها فى حراسة معتوقة ابافروديتوس وكان يعرف رغباته . والرد على ذلك هين يسير ، وهو أن أوقتافيانوس أراد أن يبث الطمأنينة فى نفسها ويدخل فى روعها أنه لم يكن هناك ما تخشاه من ناحيته فلا تفتك بنفسها ومن ثم يسهل عليه تحقيق بغيته . وآية ذلك أنها عندما طلبت مقابلة أوقتافيانوس خف اليها بنفسه (٢) .

واذا كنا نتفق مع تارن فى أن أكثر ما قيل حول هذه المقابلة من نسج الخيال (٣) ، فاننا نعتقد أن أوقتافيانوس لم يدخر وسعا فى تشجيعها والتأكيد لها بأنه لن يلحقها أى سوء . لكنها عندما أيقنت أنه لن يقيم أحدا من أبنائها على العرش خلفا لها ، وأنه سينقلها الى روما ليعرضها فى مهرجان انتصاره (٤) ، صممت على حرمانه هذا الفخار وعلى النجاة من هذا الهوان . ولما لم يكن هناك سبيل الى ذلك الا بالانتحار ، فانها تظاهرت بالاستسلام لمصيرها حتى تخف الرقابة عليها فتضمن النجاح فى محاولتها الثالثة . وقد لفق كثير من التفاصيل حول الوسيلة التى اتبعتها ، لكنه لم يعد اليوم شك فى جوهرها بعد الجدل الذى احتدم طويلا بين الباحثين حول هذه الوسيلة . وكانت الخطوة التالية التى اتخذتها كليوبترة لتنفيذ خطتها هى الاستئذان فى تقديم القرابين على مقبرة أنطونيوس ، وهناك تضرعت الى الآلهة أن يجمعا فى موتهما كما اجتمعا

(1) C.A.H., X, p. 109.
(2) Plut., Ant., 83, 1 ; Dio Cass., LI, 11, 6.
(3) Cf. Plut., Ant., 83 ; Dio Cass., LI, 12.
(4) Dio Cass., LI, 13 ; Plut., Ant., 84.

فى حياتهما . وقد انتهز أحد أتباعها هذه الفرصة واتفق مع فلاح على احضار صل الى القصر ، فقد عقدت كليوبترة كل آمالها فى النجاة من الذل والهوان على ذلك الزاحف المقدس الذى كان المصريون يعتبرونه خادم اله الشمس ويضعونه رافع الرأس فى تاج ملوك مصر ليحمى سلالة رع من كل سوء . وعندما أحضر الرجل الى القصر سلة من التين بها الصل المطلوب ، كتبت كليوبترة الى أوقتافيانوس تلتمس منه أن يدفنها الى جانب أنطونيوس . وما أن خلت بنفسها حتى ارتدت ثيابها الملكية ووضعت الصل على ذراعها فلدغها لدغة قاتلة (فيما بين اليومين العاشر والتاسع والعشرين من شهر أغسطس سنة ٣٠)(١). وهكذا أنقذ الهالشمس ابنته من أن يلحق أعداؤها العار بها . ولم تشأ خادمتاها الوفيتان أن تعيشا بعد سيدتهما فحذوتا حذوها (٢) .

ومهما تكن أخطاء كليوبترة وجرائمها ، ومهما تختلف أسلحتها عن أسلحة الرجال فانها كانت ملكة طموحا شجاعة أبية وأما رءوما وفية ، لم تثر فى روما العظيمة شعور الكراهية ضدها فحسب ، بل كذلك شعور الخوف منها .

وفى الواقع ان الرومان الذين كانوا ، فى مجدهم ، يزدرون خوف أى شعب أو أمة ، لم يتملكهم الخوف الا من شخصين ، كان أحدهما رجلا وهو هانيبال ، وكان الآخر امرأة ، وهى كليوبترة ، وبذلك خلد المنتصرون أنفسهم مجد هذين الشخصين اللذين قهروهما (٣) .

ولا أدل على ما أثارته كليوبترة من هلع وخوف فى نفوس الرومان مما أثبته أغسطس فى الوثائق الرسمية أنه يوم دخل الاسكندرية أنقذ روما من أشد المخاطر هولا (٤) ، ومن أن السناتور قرر اعتبار ذلك اليوم

(1) Cf. Strabo, XVII, 1, 12 ; Skeat, J.R.S., XLIII, 1953, pp. 98-100.

(2) Plut., Ant., 84-86 ; Dio Cass., LI, 13-14.

(3) C.A.H., X, pp. 106-11 ; Bouché-Leclercq, II, pp. 315-44 ; Bevan, pp. 330-4 ; Jouguet, op. cit., pp. 233-6.

(4) C.I.L., I, p. 324 ; Fasti Fratrum Arvalium, p. 214 ; Fasti Amiterni, p. 244 ; (August 1st q.e.d. (quod eo die) Imp. Caesar Divi f. rem publicam tristissme periculo liberavit.

عيدا وطنيا وبداية للتقويم المحلى (١) • وتتجاوب فى أشعار (٢) فرجيليوس وهوراتيوس وبروبرتيوس وأوفيديوس — وكانوا فحول الشعراء فى عصر أغسطس — أصداء المشاعر التى أثارتها هزيمة كليوبترة فى صدور الرومان ، مشاعر الفرح لخلاصهم من الفزع والقلق بفضل النصر الذى أحرزه أوقتافيانوس ، ومشاعر الشماتة فى أنطونيوس وكليوبترة اللذين هوجما هجوما لاذعا لم يترفع عن فحش القول ، باستثناء فرجيليوس الذى هجا كليوبترة هجاء مرا لكنه تسامى عن الاسفاف • وأهم ما يعنينا هنا أولا بعض أبيات بروبريتوس ، فهو وان كان أقذع أولئك الشعراء هجاء وأشدهم اسفافا وأكثرهم شماتة الا أن أقواله تلقى ضوءا على أهداف كليوبترة وتكشف عن أسباب سخيمة هذا الشاعر مما يدعو على الأقل الى الحذر فى قبول ما يرمى به كليوبترة فهو يقول :

« طالبت المرأة المتبذلة زوجها الفاسق بأسوار روما واخضاع السناتو لسلطانها كثمن لزواجها منه • أيتها الاسكندرية الآثمة ، يا أخصب الأرضين مرتعا للخديعة •• » ثم يمضى فيقول « اجترأت الملكة العاهرة ، ملكة كانوب الداعرة على أن تواجه الهنا يوبيتر بأنوبيس الذى ينبح كالكلب ، وأن تتوعد باصدار الأحكام وسط تماثيل ماريوس ودروعه • ان المدينة التى تحكم الدنيا بأسرها من علياء تلالها السبعة قد فزعت من القتال وأوجست خيفة من وعيد امرأة » (٣) •

ثم بعد أن يصفها هوراتيوس بأنها ملكة مخمورة هوجاء تدبر الخراب للامبراطورية الرومانية مع فئة من الرجال دنستهم الرذيلة يقول :

« غير أنها وقد سعت الى أن تموت ميتة نبيلة لم تهلع من نصل السيف مثلما تهلع النساء ، ولم تسع بأسطولها السريع الى شطآن خفية ،

---

(1) Dio Cass., LI, 19, 6.

راجع (P. Oxy. 1453, Intr.) وكتاب عبد اللطيف احمد على سالف الذكر ص ٤١ حاشية ٣ .

(2) Verg., Aen., VIII, 685-713 (ed. Hirtzel, in O.C.T.) ; Horat, Od, I, 37 (ed. Budé) ; Propert., III, 11, 27-54 (ed. Butler, in L.C.L.) ; Ovid., Metam., XV, 826-828.

(٣) الترجمة المثبتة هنا منقولة بتصرف طفيف عن كتاب عبد اللطيف احمد على ص ٣٠ وما بعدها .

بل انها اجترأت على أن ترمق قصرها المتهاوى بعين ملؤها الهدوء . وانها لجريئة اذ امسكت بالأفاعى الشرسة لكى يمتص جسمها السم الزعاف . وقد زادها الاصرار على الموت جرأة فاستنكفت أن تحمل — وهى متجردة من أبهة الملك — على سفن القساة ، أو تساق فى موكب النصر الفاخر : فهى امرأة ذات اباء » .

وانظر الى « شوقى » كيف صور مشاعر كليوبترة قبل انتحارها ، فقد أجرى على لسانها هذه الأبيات فى روايته « مصرع كليوبترة » :

ياموت أنت أحب أسرا فاسبنى
لا تعط روما والشيوخ عقالى
سطت روما على ملكى ولصت
جواهر أسرتى وحلى آلى
فرمت الموت لم أجبن ولكن
لعل جلاله يحمى جلالى
فلا تمشى على تاجى ولكن
على جسد ببطن الأرض بالى
وقد علم البرية أن تاجى
نمته الشمس والأسر الموالى
يطالبنى به وطن عزيز
وآباء ودائعهم غوالى
أأدخل فى ثياب الذل روما
وأعرض كالسبى على الرجال ؟
وأحدج بالشماتة عن يمينى
ويعرض لى التهكم عن شمالى ؟
وألقى فى الندى شيوخ روما
مكان التاج من فرقى خالى ؟
وأغشى السجن تاركة ورائى
قصور العز والغرف الخوالى ؟

وتحــكم فى روما وهى خصمى
وتسرف فى العقــوبة والنــكال
يــرانى فى الحبــائل مترفوهــا
وقد كان القيــاصر فى حبــالى
اذن غير الملــوك أبى وجــدى
وغــير طرازهــم عمى وخــالى
ســأنزل غــير هائبــة اذا مــا
تلــمظت المنيــــة للــــنزال
أموت كمــا حييت لعرش مصر
وأبــذل دونه عــرش الجمــال
حيــاة الــذل تــدفع بالمنــايا
تعــالى حيــة الوادى تعــالى

ويجب ألا يغرب عن البال أنه عندما استفحل الخصام بين أنطونيوس وأوقتافيانوس لم يأل أنصــار أوقتافيانوس جهــدا فى تلطيخ سمعــة كليوبترة . وعندما انتصر أوقتافيانوس نال التاريخ الرسمى فى عهــده من كل مكان يتصل بكليوبترة ما عدا قيصر ، والد أوقتافيانوس بالتبنى . وعندما شاد فحول الشعراء فى عصر أغسطس بالنصر الذى أحرزه هــذا الامبراطور وأنقذهم بفضله من عار الخضوع لكليوبترة أسهموا بنصيب موفور فى حملة التشهير بكليوبترة . وحين ارتفعت الأصوات عالية مسبحة بحمد الامبراطور وناهشة سيرة خصميه ، لم يرتفع صوت واحد للدفاع عن هذين الخصمين المنهزمين ، فلم تعرف الأجيال التالية سيرتها الا مما كتبه عنه خصومها . وما أصدق قول شوقى فى هذا الصدد :

خلــق النــاس للقــوى المزايا
وتجنوا على الضعيف الذنوبا
واحتفوا فى الحياة والموت بالغا
لب فانظر هل عظموا مغلوبا
شيعوا الشاة جيفة بمــداهم
واتقوا وهو فى الرمام الذيبا

وحتى عهد قريب لم يكلف الناس أنفسهم عناء تمحيص سيرة كليوبترة ودراستها دراسة موضوعية فى اطارها الصحيح • وزاد الطين بلة أن هذه السيرة ، كما كتبها خصوم كليوبترة ، صادفت هوى من نفوس كتاب القصة والشعراء فكانت لهم يد غير مشكورة فى تخليد تلك السيرة وتنميقها ، على بعد الشقة بينها وبين الحقيقة • وان الانصاف ليقتضينا أن نقرر أن كليوبترة كانت أسمى وأجل مما صورها خصومها ومن الصورة التى ترتسم عادة فى الأذهان كلما ذكر اسمها •

تبعة روما فى انهيار العالم الهلينيسى :

وبدخول مصر — آخر مملكة هلينيسية — حظيرة الامبراطورية الرومانية تم انهيار العالم الهلينيسى • ومن الذى يجب أن يتحمل تبعة الكارثة التى منيت بها الحضارة الاغريقية من جراء ذلك ؟ أكانت الدول الهلينيسية ضحايا سياسة روما الاستعمارية ، ومن ثم يجب أن يتحمل الرومان تبعة ما أصاب العالم الهلينيسى من انحلال سياسى وثقافى وخلقى ؟ أم أن الدول الهلينيسية كانت مصابة بضعف ذاتى كامن فيها ، لم يفعل الرومان أكثر من الافادة منه لتحقيق مآربهم حين أتبعوا سياسة تكفل ذلك ، وأنقذوا الحضارة الهلينيسية بادماج الدول الهلينيسية فى امبراطوريتهم العالمية ؟

وتشير القرائن الى أنه لم توجد أسباب معقولة لتدخل الرومان فى شئون العالم الهلينيسى ، اذ أن التطور السياسى فى ذلك العالم ، مهما تكن صورته ، كان لا يهدد سلامة امبراطوريتهم فى الغرب • فقد كان فيليب الخامس وأنطيوخوس الثالث أقوى شخصيتين فى العالم الهلينيسى عندما تدخلت روما فى شئونه ، ولم يدر بخلد هذين الملكين غزو ايطاليا أو التدخل فى شئون الغرب ، اذ أن نطاق أفقهما السياسى كان لا يتجاوز بلاد الاغريق والشرق الأدنى • وفضلا عن ذلك فانه كان من المستبعد قيام تعاون دائم بين هذين الملكين ، كما كان من المتعذر اعادة توحيد العالم الهلينيسى فى كنف دولة واحدة •

واذا جاز أن روما كانت تعتقد باخلاص أن سلامتها كانت تفرض عليها

محاربة فيليب وأنطيوخوس لأن أطماعهما وما صادفاه أول الأمر من النجاح أثارت مخاوف السناتو الرومانى حين كان هذا المجلس قليل الالمام بشئون الشرق ، فانها بعد انتصارها على فيليب فى موقعة قونوسقفالاى وعلى أنطيوخوس فى موقعة ماجنسيا أصبحت تحيط تماما بالأحوال السائدة فى الممالك الهلينيسية ، ومن ثم فانه لا يمكن الادعاء بأن السناتو كان يعتقد عندئذ اعتقادا جديا أن قيام مملكة مستقلة فى مقدونيا أو مملكة لا تغشاها الفوضى فى سوريا يتهدد سلامة الامبراطورية الرومانية فى الغرب . ولذلك فان السياسة التى اتبعها الرومان وكانت تنطوى على تحطيم معنويات العالم الهلينيسى واملاء رغباتهم عليه وتأديب أى مملكة ترفض اطاعة أوامرهم لم تكن سياسة أوحى بها الدفاع عن النفس وانما حب السيطرة . ومهما تكن دوافع روما أول الأمر ، فانها منذ أن عقدت العزم على أن تصبح صاحبة الكلمة العليا فى الغرب وفى الشرق اتبعت سياسة غاشمة تنافى كل قواعد الأخلاق القويمة ، سداها الأثرة والأنانية ولحمتها اللؤم والخداع ، فلا عجب أنها عصفت بمعنويات الممالك الهلينيسية وحطت من قدر الحكام الهلينيسيين فى نظر رعاياهم . وقد دفع الرومان قدما كل العوامل التى كانت تفضى الى الانحلال السياسى فى العالم الهلينيسى ، فقد كانوا يشجعون ، أو على الأقل لم يحاولوا وضع حد للميول الانفصالية فى داخل الممالك ، ويزكون المنافسات الأسرية والحروب الأهلية والحروب بين مختلف الممالك . وفضلا عن ذلك فانهم أسهموا فى الخراب الاقتصادى الذى حل بالممالك الهلينيسية ، فقوضوا بذلك دعائم الحضارة الاغريقية فى العالم الهلينيسى، وجعلوا الاتجاه نحو الاصطباغ بالصبغة الشرقية أيسر وأسرع .

ولكن أمن الانصاف أن تتحمل روما وحدها تبعة الانحلال السياسى والخلقى والثقافى الذى أصاب العالم الهلينيسى ؟ لا شك فى أنه حتى اذا لم تتدخل روما فى شئون الدول الهلينيسية فان هذه الدول كانت ستظل نهبا للمنافسات الأسرية والحروب الأهلية ، وكانت ستمضى فى محاربة بعضها بعضا وفى انهاك قواها فى كل تلك الضروب من الصراع العقيم . وقد كان من المحتمل أن تتمكن احدى هذه الدول من الفوز بسيادة مؤقتة من حين

لآخر ، لكنه لم يكن فى وسع أى واحدة منها أن توحد العالم الهلينيسى تحت لواء واحد وبصفة دائمة . ولا تتحمل روما وحدها المسئولية عن أن النزاع الأسرى أصبح داء مستوطنا فى معظم الممالك الهلينيسية ، ولا عما أصاب الأسر الملكية الحاكمة من انحلال خلقى . ولا ريب فى أن بلاد الاغريق كانت ستستمر فى صراعها الدائم من أجل الفوز بحريتها ، ولا فى أن المدن الاغريقية كانت ستظل دواما منابت صالحة لنشوب الثورات . ومن العسير أن نتصور أن عصبتى ايتوليا وآخايا كانتا ستتمكنان من وقف تيار التفكك فى بلاد الاغريق ومن القضاء على الفوضى السياسية هناك ، وذلك فضلا عن حماية حريتها من مطامع الممالك الهلينيسية المجاورة لها .

ومع ذلك فان الأساليب التى اتبعتها روما هى التى جعلت أثر هذه العوامل فتاكا . ولا شك فى أنه لو كانت الدول الهلينيسية قد تركت وشأنها ، لعمرت فترة أطول ولكانت مقاومتها لتوسع بارثيا وأرمينيا وللاتجاه السريع نحو الاصطباغ بالصبغة الشرقية أكثر قوة وأبعد أثرا . ولولا تلك العزلة عن العالم الغربى ، التى فرضتها روما على سوريا ومصر ، لكان من المحتمل أن تبقى هاتان الدولتان مصدرا لثراء بلاد الاغريق ورخائها ، فتنقذان على هذا النحو تلك البلاد مما حل بها فى ظل الحكم الرومانى الثقيل الوطأة من الفقر المدقع ونقص عدد السكان من جراء وأد الأطفال وتحديد النسل . وقد كان من الجائز أيضا أن تعمر عصبتا ايتوليا وآخايا فترة طويلة ، فتضمنان على الأقل لنفسيهما ولبعض بلاد الاغريق التمتع بكيان سياسى مستقل .

وهكذا يتضح لنا أن روما عملت على تغذية كل العوامل التى كان من شأنها أن تفضى الى انحلال العالم الهلينيسى ، وكذلك على اسراع أثر هذه العوامل . وكان من جراء ذلك أن روما حالت دون انتشار الحضارة

الهلينية وتغلغها فى الشرق على نطاق أوسع مما وجدته عندما آل اليها آخر الأمر تراث الدول الهلينيسية . وبعد ذلك بذلت مافى وسعها طيلة قرنين لتؤمن السلام فى الشرق وتعيد صبغه بالصبغة الاغريقية . وجملة القول أنه من المحتمل أنه لولا التدخل الروماني لكان نصيب العالم الهلينيسى فى تقدم ركب الحضارة أوفر مما أسهم به فعلا . ومن المحتمل كذلك أن طريق الحضارة الرومانية فى الغرب كان يكون أقل وعورة مما كان فعلا لو أن هذه الحضارة كانت قد أعفيت من نشاطها فى الشرق تبعا لمقتضيات سياسة السيطرة الرومانية هناك (١) .

---

(1) Rostovtzeff, Soc. and Ec., pp. 69-73.

الباب الثالث

قوات البطالمة

الفصل الرابع

ولما كانت قوات البطالمة فى مقدمة الوسائل التى توسلوا بها الى تنفيذ سياستهم الخارجية ، فاننا نتناول الكلام عنها الآن بعد فراغنا من السياسة الخارجية .

١ — الجيش

تقسيم جيش الاسكندر :

عندما توفى الاسكندر الأكبر ، لم تقسم امبراطوريته فحسب بل قسم أيضا جيشه ، وكان يتكون من ثلاث مجموعات : أولاها ، الفرق المقدونية ، وكانت تحت امرة أنتيباتروس فى بلاد الاغريق ، وثانيتها ، الجيش الذى اضطلع بعبء الحملة فى الشرق ، وثالثتها ، حاميات الولايات فى طول الامبراطورية وعرضها (١) . وعندما قسم جيش الاسكندر بين قواده ، احتفظ أنتيباتروس بالقوات التى كانت تحت قيادته ، وأخذ برديقاس فيما يبدو جيش الحملة ، وآلت الى كل من القواد الآخرين حامية الولاية التى فاز بها (٢) . واذا كنا لا نعرف عدد قوات ولاية مصر ولا كيفية تكوينها فى عام ٣٢٣ ، فاننا نعرف على الأقل مما يرويه أريانوس ، أنه بعد ما فتح الاسكندر مصر ، ترك فيها جيشا وأسطولا ، وأن الجيش كان يتكون من فرق مقدونية نظامية بعضها فى منف تحت قيادة باتناليون (Pantaleon) وبعضها فى بلوزيون تحت قيادة

(1) Droysen, Hist. de l'Hellenisme, Paris, 1883-5, p. 130.
(2) Losquier, Les inst. militaires de l'Eg. sous les Lagides, p. 1.

Scanned with CamScanner

بولمــون (Polemo) ابن مجاقلس ، ومن فرق مرتزقة لهــا قائد يدعى لوقيداس (Lucidas) الايتولى ، وأمين (Grammateus) يدعى يوجنوستوس (Eugnostos) ومشرفان (episkopoi) يدعيان ايسخولوس (Aeschylos) وأفيبوس (Ephippos) •وقدكان الجيش بأجمعه تحت امرة مقدونيين ، يدعيان بيوقستاس (Peucestas) وبالاقروس (Balacros) • وأما الأسطول فانه كان يقوده بولمون (Polemo) ابن ثرامنيس (Theramenes)[1] وليس هناك ما يؤكد لنا أن نظام هذه القوات وتكوينها قد بقيا دون تغيير منذ أن برح الاسكندر مصر الى أن قــدم اليها بطلميوس فى عام ٣٢٣ ، ومن ثم فانه لا يمكننا الجزم بشىء عن الجيش الذى وجده فى مصر واليها الجديد • وعلى كل حال فان القوات التى كانت تعتبر كافية لاستبقاء مصر فى حظيرة الامبراطورية المقدونية ، فى الوقت الذى كانت فيه جيوش هذه الامبراطورية تجتاح كل شىء أمامها ، لم تكن كافيــة لتحقيق أغراض بطلميوس ، ولذلك فانه ، كأغلب القــواد الآخرين ، اتخذ من القوات التى وجدها فى ولايته نواة لبناء قوات أكبر من ذلك وأعظم (٢) •

جيش بطلميوس :

ويحدثنا ديودوروس (٣) بأنه عند وصول بطلميوس الى مصر (فى عام ٣٢٣) وجد خزائنها تفيض بالأموال مما أتاح له انفاق ٨٠٠٠ تالنت فى ابتياع خدمات جنود مرتزقة وتجهيز جيش ، وبأن وداعته أكسبته عددا كبيرا من الأصدقاء الذين التفوا حوله وأمدوه بفيض من الضباط الأكفاء • لكننا لا نعرف كيفية تكوين هذا الجيش ولا عدده وان كانت القرائن تدل على أنه كان جيشا محترما ، اذ أن بطلميوس لم يلبث فى العام التالى (عام ٣٢٢) أن فتح قورينايئة ، وفى عام ٣٢١ أن نجح فى الدفاع عن خط النيل مما أدى الى مقتل برديقاس بعد فشله فى غزو مصر ، فانضم عــدد من المقدونيين الى الجيش البطلمى (٤) •

ويحدثنا ديودوروس (٥) أيضــا بأنه فى عام ٣١٥ أنفــذ بطلميوس

(1) Arrian., Anab., III, 5, 3-6.
(2) Lesquier, op. cit., p. 2.
(3) Diod, XVIII, 14, 1.
(4) Diod., XVIII, 19-21, 33-36.
(5) Diod., XIX, 59, 2 ; 61, 5 ; 62, 3-5.

١٣٠٠٠ جندى من المرتزقة بقيادة أخيه منلاوس وضابط أثينى يدعى مورميدون (Mymidon) للعمل فى قبرص وفى قاريا ، وبأنه كان لدى بطلميوس عندئذ فى فلسطين قوة دفاعية كبيرة أرغمت على الانضمام الى أنتيجونوس •

ويحدثنا ديودوروس (١) كذلك بأنه فى موقعة غزة فى عام ٣١٢ كان جيش بطلميوس يتألف من مقدونيين ومرتزقة يبلغ عددهم ١٨٠٠٠ من المشاة و ٤٠٠٠ من الفرسان وذلك فضلا عن المصريين • ولابد من أن هذا الجيش كان لا يمثل كل قوة بطلميوس الحربية اذ لا يعقل أنه فى أثناء الصراع مع أنتيجونوس كان يترك مصر فضلا عن قبرص وقورينائية دون حاميات ، ولا سيما أنه فى ذلك العام نفسه وقعت فتنة فى كل من هاتين الولايتين استخدم بطلميوس القوة فى اخمادها • وتقدر حامية هاتين الولايتين بعشرة آلاف مقاتل على الأقل (٢) ، وهو عدد متواضع يمكن أن نضيف اليه أيضا ٥٠٠٠ بمثابة حامية واحتياطى فى مصر • ولذلك فانه لايبعد أن قوة بطلميوس كانت تبلغ عندئذ حوالى ٣٧٠٠٠ مقاتل •

ولما كانت المصادر القديمة تذكر أن الجيش البطلمى كان يتألف فى موقعة غزة (عام ٣١٢) من مقدونيين ومرتزقة ومصريين ، وكنا نتبين هذه العناصر فيما جاء فى مصادرنا (٣) عن موقعة رفح (عام ٢١٧) ، وكان ذكر هذه العناصر يتردد كثيرا فى الوثائق البردية (٤) التى تتصل بالجيش ، فانه يمكننا أن نستخلص من ذلك كله أنه بعد ماتم تكوين الجيش البطلمى كان يتألف من ثلاث فئات رئيسية : وهى الفرق النظامية ، وكانت تدعى مقدونية ، والفرق المرتزقة ، والفرق المصرية •

بيد أنه فى رأى بعض الباحثين أن ما جاء عن المقدونيين فى المصادر القديمة والوثائق البردية لا يدل على أن الجيش البطلمى كان بأكمله جيشا مقدونيا نظاميا ولا على وجود فرق نظامية فى هذا الجيش ، وأنه ربما كان المقصود بكلمة « مقدونيين » الحرس الملكى فقط • ولا جدال فى أن

(1) Diod., XIX, 80, 4.
(2) Griffith, Mercenaries of the Hell. World, 1935, p. 110.
(3) Polyb., V, 65, 9; 79, 2; 82, 6.
(4) P. Petr. II, 31 a ; III, 53 d, ll. 5-6.

الجيش البطلمى لم يكن بأكمله جيشا نظاميا مقدونيا ، لكنه لاشك فى أنه لم يقصد بكلمة « مقدونيين » الحرس فقط . وذلك لسببين : وأحدهما هو أنه لا يمكن القول بأن عدد المقدونيين فى مصر لم يزد على عدد رجال الحرس ، وهو الذى لابد من أنه كان متواضعا فى بداية عهد بطلميوس الوالى (١) . والسبب الآخر هو أن وثيقة بردية ، من عهد بطلميوس الرابع ، تحدثنا عن « مقدونيين » فى حيازة كل منهم اقطاع عسكرى مساحته ثلاثون أرورة (٢) ، وهى ، كما سنرى فيما بعد ، نفس مساحة الاقطاعات العسكرية التى كانت تمنح للمشاة العاديين ، فى حين أن مساحة اقطاع مشاة الحرس كانت تبلغ مائة أرورة .

الفرق النظامية :

ولاريب فى أن جيوش البطالمة كانت تضم فرقا نظامية ، لأن جيوش بلاد الاغريق فى العصور الكلاسيكية ، وجيش فيليب المقدونى وجيش الاسكندر ، كانت جيوشا نظامية ، ولأنه قد مر بنا أن الجيش الذى تركه الاسكندر فى مصر واتخذ منه بطلميوس نواة لجيشه كان يضم فرقا مقدونية نظامية . وفضلا عن ذلك فان عبارة ديودوروس سالفة الذكر تدل على أن فرق « المقدونيين » كانت تختلف عن الجنود المرتزقة والجنود المصريين ، مما يدل على أنها كانت الفرق النظامية فى الجيش البطلمى .

واذا كان من المؤكد أن « المقدونيين » الذين كانوا فى جيوش البطالمة لم يكونوا مقصورين على قوات الحرس فحسب ، فان القرائن توحى ، كما سنرى ، بأن كلمة « مقدونيين » كانت لا تستخدم فى أضيق ما تنطوى عليه هذه الكلمة من المعانى ، بل كانت تطلق بوجه عام على المقدونيين وكذلك على كافة الذين كانت تتألف منهم الفرق النظامية فى الجيوش البطلمية .

ولما كنا نعرف أنه كان يوجد « مقدونيون » فى جيش بطلميوس الأول فى موقعة غزة وفى جيش بطلميوس الرابع فى موقعة رفح ، وكنا نعرف أنه لم يكن دائما فى وسع البطالمة أن يجندوا الفرق لجيوشهم فى مقدونيا ، فهى لم تكن تابعة لهم بل كثيرا ما ناصبتهم العداء ، وكان يبدو

---

(1) Lesquier, op. cit., pp. 2-3.

(2) P. Lille, 4, 11., 25-6 — الارورة ٢٧٥٦ مترا مربعا

طبيعيا أن فرقهم النظامية لم تقتصر على المقدونيين الذين تركهم الاسكندر فى مصر ، وكان لا يوجد ما يستدل منه على أن الخدمة العسكرية كانت اجبارية على مواطنى المدن الاغريقية ، فانه يبدو أنه اذا كان البطالمة قد استعانوا بالمرتزقة لزيادة عدد قواتهم وتزويدها بأنواع معينة من الأسلحة – كما سنرى فيما بعد – فانهم اعتمدوا أساسا فى تكوين فرقهم النظامية على المتطوعين من المهاجرين (١) ، وهم الذين جذبتهم الى مصر من بلاد مختلفة تلك الامتيازات التى كان البطالمة يمنحونها للمتطوعين فى جيوشهم ، فقد اختصوهم بمكانة ممتازة فى البلاد وأعطوهم اقطاعات كانت بمثابة أجرهم فى وقت السلم .

ومن دراسة وثائق مديرية الفيوم،وكانت أكثر مديريات مصر ازدحاما بأرباب الاقطاعات العسكرية ، يتكشف لنا عدد من الحقائق الهامة :

أولا – وفرة عدد المقدونيين فى القرن الثالث ، وكان يليهم عن قرب جيرانهم من سكان البلاد الشمالية فى البلقان ولا سيما تراقيا . وقد استمر العنصر المقدونى قويا فى القرنين الثانى والأول ، فى حين أن عدد العنصر البلقانى السالف الذكر وان بقى وفيرا قويا فى بداية القرن الثانى فانه أخذ فى النقص منذ ذلك الوقت .

ثانيا – وفرة عدد العنصر الاغريقى فى القرن الثالث ثم نقصه فجأة بعد ذلك . وكان أكثر الاغريق يفدون من بلاد الاغريق الوسطى والبلوبونيز والجزر ، وكان بينهم عدد غير قليل من اغريق قورينائة .

ثالثا – ظهور الأسيويين بعد عام ٢٥٠ وتكاثرهم بين عام ٢٠٠ وعام ١٥٠ ، فلا عجب أنهم أصبحوا فى القرن الأول أكثر العناصر كلها عددا . وكان اليهود والادوميون يؤلفون الجانب الأكبر من الأسيويين . وكانت بعض حاميات المدن ، مثل حاميتى منف وهرموبوليس ، تتألف كلها تقريبا من الأسيويين .

---

(١) يعتقد جريفيث (ص ١٤٩) أن البطالمة استكملوا تكوين فرقهم من المرتزقة الذين منحوا اقطاعات فى مصر واصبحوا الطبقة التى يتوارث سلالتها الخدمة فى جيوش البطالمة .

وبالمقارنة بين النسب المئوية لفئات السكان فى الفيوم فى القرن الثالث وفى القرن الثانى قبل الميلاد يتضح :

أولا — أنه فى القرن الثالث كان العنصر الاغريقى يمثل أكثر من خمس أرباب الاقطاعات العسكرية لكن عدده هبط هبوطا كبيرا فى القرن الثانى فأصبح يمثل ١/١٥ منهم • ومرد ذلك الى سببين وهما : نقص المهاجرين ، وضعف الجنس نفسه •

ثانيا — أن العنصر المقدونى ، بفضل صلابته ومحافظته على سلالته ، بعد أن كان يمثل فى القرن الثالث حوالى خمس أرباب الاقطاعات العسكرية فى الفيوم أصبح يمثل نصفهم تقريبا دون تغير ملحوظ فى العدد • وهكذا يتبين أنه لم يكن مرد ذلك الى استمرار هجرة المقدونيين وانما الى قوة الجنس نفسه ومقدرته على مقاومة أثر البيئة المصرية (١) •

ولما كان المقدونيون يؤلفون أصلا نواة الفرق النظامية فى الجيش البطلمى ويكونون جانبا كبيرا من هذه الفرق ، وكان البطالمة يعتزون بأصلهم المقدونى ، فانه كان طبيعيا أن يعتز جيش البطالمة النظامى بأن يدعو نفسه الجيش المقدونى ، مع أنه كان يضم بين أفراده الكثيرين ممن لم يكونوا مقدونيين ولا اغريقا (٢) •

ويبدو انه منذ أواخر القرن الثالث كان عدد كبير من الجنود يتجنسون بجنسيات غير جنسياتهم الأصلية • ذلك أننا نعرف مثلا أن شخصا يدعى اسقليبياديس (Asclepiades) كان يوصف حوالى عام ١٤٥ بأنه مقدونى ، لكنه يوصف فى عام ١١٥ بأنه كريتى ، وأن شخصا آخر كان يوصف فى عام ١١٥ بأنه فارسى وفى عام ١٠٣ بأنه «موسى» • ومن ثم فان الشك يحوم حول كثير من الجنسيات المذكورة فى وثائق القرن الثانى قبل الميلاد (٣) •

وتدل كثرة تغيير الجنسية الأصلية على أنه لم يعد للأصل الحقيقى

(1) Launey, Recherches sur les Armées hellenistiques, pp. 88 ff., 1088-90.
(2) Lesquier, pp. 3-4, 11-12, 109-28.
(3) Lesquier, pp. 106-7, 121.

للجندى الا أهمية طفيفة • وربما حدث ذلك عندما تعذر على البطالمة استقدام متطوعين من بلاد الاغريق منذ أواخر القرن الثالث ، وتبعا لذلك تعذر عليهم ملء الأماكن الشاغرة فى الفرق القومية برجال من جنسيات تلك الفرق ، مما اضطرهم الى الاعتماد فى ذلك على رجال من جنسيات أخرى • ولا يبعد أن يكون ذلك قد أدى الى خلع جنسية كل فرقة على الرجال الذين ينخرطون فيها ولو لم يكونوا أصلا من تلك الجنسية ، على الأقل فى أثناء خدمتهم فى تلك الفرقة • وازاء انقطاع قدوم المتطوعين من بلاد الاغريق اضطر البطالمة الى الاعتماد على عنصرين رئيسيين فى تكوين فرقهم النظامية ، وهذان العنصران هما :

أولا ــ أرباب الاقطاعات وأبناؤهم، وثانيا ــ المتطوعون الأسيويون• ويبدو أنه كلما نقص العنصر الأول ازداد اعتماد البطالمة على العنصر الثانى • وينهض دليلا على ذلك ما أسلفناه من ازدياد عددهم باطراد منذ القرن الثانى •

ومما يجدر بالملاحظة أنه اذا كان صغار الضباط فى الفرق النظامية ينتمون غالبا الى جنسية الجنود ، فان كبار الضباط والقواد كثيرا ما كانوا من المرتزقة (١) •

واذا كنا نعرف أن الجيش البطلمى كان على الأقل فى عهد البطالمة الثلاثة الأوائل ، يتكون من هذه الفئات الرئيسية وهى : الفرق النظامية ، والفرق المرتزقة ، وفرق الجنود المصريين ، وأن قلب الجيش كان يتكون من الفرق النظامية ، فانه كما رأينا وكما سنرى ثانية ، كان قلب الجيش فى موقعة رفح يتألف من المصريين • ولهذا السبب اعتبر النصر فى هذه الموقعة نصرا مصريا (٢) ، ومع ذلك فان الفرق الأجنبية قد بقيت ، حتى بعد موقعة رفح ، عماد قوة الجيش البطلمى (٣) •

ويرى أحد المؤرخين أنه قد طرأ على الجيش البطلمى تغير جوهرى فى خلال القرنين الثانى والأول قبل الميلاد ، اذ أن صاحب هذا الرأى يعتقد أن قلب الجيش فى عهد بطلميوس الخامس والسادس أصبح يتكون

(1) Lesquier, p. 106,
(2) C.A.H., VII, p. 730.
(3) Bevan, p. 166.

من الفرق النظامية والفرق المرتزقة ، وأن رجال هذا الجيش المختلط أصبحوا يدعون ماخيموى (Machimoi) ، وهى كلمة كانت تطلق فى الأصل على المحاربين المصريين ، وأنه لم يعد للفرق المصرية وجود ، وأنه منذ وفاة بطلميوس السادس أصبح الجنود المرتزقة يؤلفون الجيش كله (١) . وأما الشق الأول من هذا الرأى فيبدو أنه صحيح ، لكنه لا يمكن قبول شقية الثانى والثالث. ذلك أن نصوص القرنين الثانى والأول قبل الميلاد (٢) ، التى تتحدث عن أرباب الاقطاعات من الفرق النظامية وأرباب الاقطاعات من المصريين ، تدل على وجود هؤلاء جميعا فى الجيش . ويضاف الى ذلك أن ما يرويه بوليبيوس (٣) عن عصر بطلميوس الخامس ، وما تذكره وثائق (٤) عهد بطلميوس الثامن يورجتيس الثانى وخلفائه ، وما يحويه نقش (٥) من عهد بطلميوس الثانى عشر ، ينهض دليلا على أنه كانت للجنود المرتزقة فرق خاصة بهم حتى نهاية أسرة البطالمة .

وتدل مجموعة وثائق تبتونيس (٦) على أن كل أو غالبية الذين يطلق عليهم « ما خيموى » ، سواء من المشاة أم من الفرسان ، كانوا حتى نهاية القرن الثانى قبل الميلاد من المحاربين المصريين . لكنه يبدو أنه طرأ شىء من التغير على استخدام هذا الاصطلاح منذ بداية القرن الأول ، فقد أصبح لا يطلق على المحاربين المصريين وحدهم بل كذلك على محاربين من جنسيات مختلفة ، ولذلك فانه كان يتعين ذكر جنسياتهم على وجه التحديد . فنجد احدى الوثائق (٧) تحدثنا عن دفع مبالغ لمحاربين اغريق (Hellenoi machimoi) ومحاربين مصريين (Aigytioi machimoi) ومحاربين آخرين (alloi machimoi) . ويحتمل أن هذا الاصطلاح أصبح يطلق على كل محارب مهما تكن جنسيته ، اذا كان يملك اقطاعا تعادل مساحته

---

(1) Meyer, Das Heerwesen der Griechen u. der Roemer in Aegypten, p. 64, n. 217, pp. 82, 87 ff.
(2) P. Tebt. I, pp. 546 ff. ; O.G.I.S. 4697 ll. 19 ff. ; 2623 ; B.C.H, 1896, pp. 177 ff. : 1897, p. 166 ; U.P.Z., I, 110.
(3) Polyb., XV, 29, 1-2; Lesquier, op. cit., p. 3, n. 5.
(4) Wilcken, Actenstuecke, in Abh. der. Berl. Akad., 1886, 5-7.
(5) B.C.H., XX, p. 177; XXI, p. 166; Cat. Gen., Cairo, Greek Inscriptions, n. 9296, p. 25.
(6) P. Tebt. I, pp. 551-2.
(7) P. Tebt., no. 189.

مساحة اقطاعات المحاربين المصريين (١)

أما وقد عرفنا أن الفرق النظامية فى جيوش البطالمة لم تكن فيما يبدو منذ عهد بطلميوس الأول « مقدونية » الا من حيث المبدأ فقط ، اذ أنه كان لا يجوز أن يدعى مقدونيا الا الذين كانوا من أصل مقدونى ، سواء أولدوا فى مقدونيا أم فى مصر ، فى حين أن الفرق المقدونية البطلمية كانت لا تضم مقدونيين فحسب بل كذلك اغريقا وغير اغريق (٢) ، فقد بقى أن نعرف شيئا عن هذه الفرق . وتدل الوثائق على أن الفرق النظامية كانت قسمين ، وهما : فرق الفرسان ، وفرق المشاة ، وعلى أن فرق الفرسان كانت مرتبتين ، أولاهما أرفع مكانة من الثانية . وقد كانت فرق المرتبة الأولى تميز بالأرقام ، فنجد مثلا الفرقة الأولى والفرقة الثانية الخ . وكان أفراد فرق هذه المرتبة يمنحون اقطاعات تزيد مساحتها على مساحة اقطاعات أفراد فرق المرتبة الثانية ، وكانت تميز بحسب جنسية أفرادها ، فمثلا نجد فرقة التراقيين وفرقة التساليين ، وفرقة الفرس ، لكننا نجد منذ عهد بطلميوس الرابع عدة أجناس مختلفة بين رجال الفرقة القومية الواحدة . ولعل هذا يرجع الى أن بعض رجال الفرقة الأصليين قد انقرضوا ، ولما لم يوجد من يحل مكانهم من هذه الجنسية ، ملئت الأمكنة الشاغرة برجال من جنسيات أخرى ، مع الاحتفاظ ، فيما يبدو ، بأسلحة الجنسية الأصلية وطريقة قتالها . وعلى كل حال فان القرائن تشير الى أن رجال فرق الفرسان النظامية لم يكونوا جنودا مرتزقة ولا جنودا مصريين (٣) .

وكانت فرق المشاة النظامية أقل مرتبة من فرق الفرسان النظامية ، بدليل أن مساحة اقطاعات المشاة كانت تبلغ حوالى ثلث مساحة اقطاعات الفرسان . وكانت فرق المشاة النظامية تكون كتلة قلب الجيش أو الفيلق (Phalanx) الى ما قبل موقعة رفح ، لكنه يبدو أنه عندما كون قلب الجيش فى هذه المعركة من المصريين ، وأثار فيهم انتصارهم روح الوطنية الكامن فى صدورهم مما دفعهم الى الثورة فى وجه غاصبى

(1) Lesquier, op. cit., p. 10.
(2) Lesquier, op. cit., pp. 9-10.
(3) Lesquier, op. cit., pp. 12-13; Bevan, p. 167.

بلادهم ، خشى البطالمة الاستمرار فى هذه التجربة ، ومن ثم فانهم أصبحوا يكونون قلب الجيش من الفرق النظامية والفرق المرتزقة (١) . وقد كان المشاة النظاميون ينقسمون فرقا لكل منها رقمها (٢) .

وقد بقى أن نعرف اذا كانت فرق المشاة النظامية تنتظم أيضا تلك الفرق التى يذكرها بوليبيوس (٣) ضمن جيش بطلميوس الرابع ، ويطلق على بعضها اسم بلتاستيس (Peltastes = مشاة خفيفة العدة) ، ويميز بعضها الآخر بجنسياتها . واذا كانت كلمة بلتاستيس تدل على نوع السلاح ، فانها لا تدل على هوية الجنود . ومع ذلك فان أحد المؤرخين يرى أن هذه الفرق كانت خليفة أصحاب الخوذات الفضية (Argyraspides) فى جيش الاسكندر ، الا أنها فقدت طابعها المقدونى وأصبحت فرقا مرتزقة ، وبما أنه كان يقودها فى عام ٢١٨ / ٢١٧ سقراط البويوتى ، فلا بد من أن يكون أغلبها قد جند فى بويوتيا (٤) . لكننا من ناحية ، لا نستطيع أن نستخلص من جنسية القائد جنسية الفرق التى يقودها ولا طريقة تكوينها ، والا فلا بد من أن نعتبر مشاة الحرس فى عام ٢١٨ / ٢١٧ فرقة مرتزقة من ماجنسيا (Magnesia) لأن قائدها عندئذ كان ضابطا مأجورا من هذه المدينة ، وهو اعتبار غير مقبول . ويؤيد رأينا ما سيأتى ذكره من أن البطالمة كانوا يستخدمون ضباطا كبارا أو قوادا من المرتزقة لتدريب الفرق النظامية وتولى قيادتها . ومن ناحية أخرى ، نستبعد أن البلتاستيس كانوا خلفاء أصحاب الخوذات الفضية ، اذ أن البلتاستيس كانوا فرقا خفيفة العدة ، فى حين أن أصحاب الخوذات الفضية كانوا فرقا فى الحرس ، أى فرقا كاملة العدة . ولما كنا نعرف أن فرق المشاة النظامية الخفيفة العدة فى جيوش فيليب والاسكندر كانت تسمى حملة الدروع (hypaspistes) (٥) ، وكان بوليبيوس قد ذكر مرة حملة الدروع فى جيش فيلوباتور (٦) ، وكان فى فقرات تتصل بالحروب فى بلاد الاغريق يتحدث عن البلتاستيس المقدونيين حيث يقصد

(1) Meyer, loc. cit.
(2) Lesquier, op. cit., pp. 13-14; Bevan, p. 167.
(3) Polyb., v, 65, 2, 7, 10.
(4) Meyer, op. cit., p. 14.
(5) Lesquier, op. cit., pp. 14-15.
(6) Polyb., V, 25, 8.

حملة الدروع ، فلا يبعد أن يكون ذلك هو ما حدث أيضا عندما وصف جيش بطلميوس الرابع الذى اشترك فى معركة رفح (١) • وازاء ذلك لا بد من أن فرق المشاة النظامية فى الجيش البطلمى ، شأنها شأن الفرق النظامية فى جيوش فيليب والاسكندر ، لم تكن مقصورة على المشاة كاملى العدة فحسب ، بل كانت تنتظم أيضا مشاة خفيفى العدة •

الفرق المرتزقة :

ويجب أن نميز بين فئتين رئيسيتين من الجنود المرتزقة فى جيوش الاسكندر وخلفائه • وكانت الفئة الأولى تشمل تلك الفرق القومية التى كانت تحتفظ فى الجيش الذى تنضم اليه بملابسها وأسلحتها القومية ، وتدمج فى ذلك الجيش بسبب نوع السلاح الذى اشتهرت به كل قومية بعينها • فقد اشتهر الكريتيون بأقواسهم ونشابهم ، والتراقيون بدروعهم الكبيرة وسيوفهم المستقيمة ذات الحدين ، والغال بدروعهم الطويلة الضيقة وسيوفهم الطويلة الى حد غير عادى (٢) • وفى خلال الحرب ضد أنطيوخوس الثالث كان لدى بطلميوس الرابع ٣٠٠٠ من الكريتيين و ٦٠٠٠ من التراقيين والغال فضلا عن أولئك الذين يصفهم بوليبيوس صراحة بالجنود المرتزقة (٣) •

وكانت هذه الفئة تكون فرق مشاة خفيفة العدة ، وتعرف أحيانا باسم سلاحها ، وأحيانا باسم قوميتها ، وأحيانا بالاسمين معا • واذا لم يكن فى الأصل لقومية الفرق قيمة مطلقة ، فانه منذ عهد بعيد اكتسبت القومية شهرة سلاحها الخاص وأصبح اسمها اصطلاحا حربيا فنيا يدل على ذلك السلاح •

وأما الفئة الثانية ، فانها كانت تتكون من أولئك الجنود المرتزقة الذين كان ضباط مرتزقة يقومون بتجنيدهم اما من بين مواطنيهم واما فى أسواق الجنود (مثل تاينارون (Taenaron) فى البلوبونيز وأسبندوس (Aspendos) فى بامفوليا) ويبيع خدماتهم لمن يدفع فى مقابلها أكبر ثمن • وقد كان أولئك الضباط فى

(1) Griffith, p. 119.
(2) Lesquier, op. cit., p. 15; Bevan, p. 168.
(3) Polyb., V., 65.

بعض الأحيان شخصيات كبيرة لها حظوة فى بلاط الاسكندرية ، مثل مقوباس • وكان البطالمة يبتاعون كذلك خدمات ضباط كبار أو قواد من المرتزقة لتدريب الفرق النظامية وتولى قيادتها فى ميادين القتال • ومن أبرز الأمثلة ما حدث فى الأزمة التى واجهت بطلميوس الرابع ، اذ أنه استحضر يوروولوخوس (Eurylochos) وأندروماخوس وبطلميوس وبولوقراتيس فقاموا بتدريب الفرق النظامية وتولوا قيادتها فى معركة رفح (١) •

وفى أغلب الأحيان كان جنود الفئة الثانية ينظمون من حيث السلاح والتشكيلات العسكرية على نمط فرق المشاة النظامية فى الجيش الذى ينضمون اليه (٢) • وليس معنى ذلك أن الجنود المرتزقة بوجـه عام لم تكون الا فرق مشاة ، بعضها خفيف والبعض الآخر ثقيل العدة ، اذ أن الجنود المرتزقة كانوا ينقسمون قسمين من الناحية الفنية : أحدهما مشاة والآخر فرسان • لكننا لا نعرف اذا كان هؤلاء الفرســان يكونون فرقا خفيفة أم ثقيلة ، وان كان يبدو أن فرق الفرسان الخفيفة كانت مقصورة على الفرق النظامية (٣) •

ولا نعرف عدد الجنود المرتزقة الذين حصل عليهم بطلميوس الوالى ، عند وصوله الى مصر ، لقاء ٨٠٠٠ تالنت (٤) ، ولا عدد الجنود المرتزقة الذين حاربوا معه فى موقعة غزة (عام ٣١٢) وان كنا نعرف أنه خرج من هذه الموقعة بثمانية آلاف أسـير وأنه كان يستخدم فى قاريا وقبرص فى عام ٣١٥ جنودا مرتزقة يبلغ عددهم ١٣٠٠٠ ، تحت قيادة أخية منلاوس وضابط يدعى مورميدون الأثينى (٥) ، وأن دمتريوس أسر ١٦٠٠٠ من جنـوده المرتزقة فى قبرص (٦) • ولابد من أن يكون فيـلادلفوس قد استخدم أعدادا كبيرة من الجنود المرتزقة ليضاعف عدد جيشه ، ومـع ذلك فانه لم يرد فى المصادر القديمة الا ذكر ٤٠٠٠ من الغال فى عصره (٧) • وفى عام ٢٢٠ كان بين حامية الاسكندرية ٤٠٠٠ جندى مرتزق ، ثلاثة أرباعهم

(1) Lesquier, pp. 105, 109, 133.
(2) Ibid., pp. 16-17.
(3) Ibid,, p. 19.
(4) Diod, XVIII, 14, 1.
(5) Diod., XIX, 62, 3-5.
(6) Diod., XX, 53, 1.
(7) Pausanias, I, 7, 2.

من البلوبونيزيين والربع الباقى من الكريتيين (١) . وأما فى خلال الحرب ضد أنطيوخوس الثالث ، فقد كان لدى فيلوباتور ١٠٫٠٠٠ من الجنود المرتزقة الاغريق و ٣٠٠٠ من الكريتيين و٦٠٠٠ من التراقيين والغال (٢) ، وفى عام ٢٠٠ ، كان يوجد فى مصر ٦٥٠٠ من الجنود الايتوليين (٣) ، وفى خلال القرن الأول ابتيعت خدمات الكثيرين من الجنود المرتزقة الشرقيين (٤) . والواقع أن القرائن تشير الى أن الغالبية العظمى من الجنود المرتزقة كانت تتألف فى خلال القرنين الثالث والثانى من الاغريق، وفى خلال القرن الأول من الشرقيين (٥) .

واذا كان الجنود المرتزقة لا يتعاقدون فى الأصل الا على القيام بحملة واحدة ضد عدو معين ، فانه فيما يبدو أصبح بعض الجنود المرتزقة يكونون فرقا دائمة فى خدمة البطالمة (٦) ، اذ أن بوليبيوس يفرق فى جيش فيلوباتور بين الكريتيين والكريتيين الجدد (٧) ، مما يدل على أنه كان للفريق الأول خدمة طويلة العهد تزيد على حملة واحدة ، وترجع الى ما قبل الاستعداد لمحاربة أنطيوخوس الثالث . ويضاف الى ذلك ما تحدثنا به الوثائق عن وجود جنود مرتزقة بين أرباب الاقطاعات العسكرية فى القرن الثالث ، منذ عهد يورجتيس الأول (٨) . ونعرف أنه من بين الجنود المرتزقة الكريتيين والتراقيين والغال ، الذين حاربوا فى موقعة رفح ، كان أربعة آلاف « من أرباب الاقطاعات العسكرية وسلالتهم » (Epigono) (٩) .

ويبدو أن منح المرتزقة اقطاعات كان لا يزيل عنهم صفتهم كمرتزقة ويجعل شأنهم شأن سائر أرباب الاقطاعات فيدعون مثلهم مجرد « أرباب اقطاعات » ، فقد كانوا يميزون بلقب « أرباب الاقطاعات المرتزقة » (Misthophoroi Klerouchoi) ، مما يدل على وجود فارق بينهم وبين

(1) Poiyb., v, 36.
(2) Polyb., V, 65, 3, 6, 7, 10.
(3) Droysen, op. cit., p. 162.
(4) Lesquier, op. cit., pp. 17-18.
(5) Launey, Recherches sur les armées hellenistiques, pp. 77 ff.
(6) Lesquier, op. cit., pp. 18-19.
(7) Polyb., V, 65, 7.
(8) P. Lille, 14, (243/2 B.C.) ; P. Petrie II, 31 (a) (between 260 and 224 B.C.) ; P. Petrie III, 112, (e) verso, col. 1, l. 22 ; (f) l. 16 (220/19 B. C.) ; Griffith, Mercenaries of Hellen. World, pp. 135 ff. ; Launey, op. cit., pp. 47-8.
(9) Polyb., V, 65, 10 ; Lesquier, op. cit., p. 18.

أرباب الاقطاعات الآخرين . وقد لاحظ « ماهافى » ذلك لكنه لم يحاول تفسير هذا الفارق (١) .

وأما لسكييه (Lesquier) فانه يفسر وجود أرباب الاقطاعات المرتزقة بالرغبة فى تيسير التجنيد عند الحاجة (٢) . لكن جريفيث (Griffith) يرى بحق أن هذا التفسير غير شاف لأنه يرد وجود أرباب الاقطاعات المرتزقة الى السبب نفسه الذى من أجله وجد أرباب الاقطاعات من غير المرتزقة ، ولا يفسر الفارق فى التسمية ، وأنه يجب البحث عن تفسير أتم وأوفى من ذلك . ويعتقد جريفيث أن « أرباب الاقطاعات المرتزقة » كانوا اما مرتزقة تعاقدوا على الخدمة فى الجيش البطلمى لعدة سنين وقبلوا أن يكون جانب من أجرهم اقطاعات ، واما أنهم كانوا يحصلون على الاقطاعات بمثابة مكافأة لهم على طول خدمتهم ويسمح لهم عند انتهاء مدة خدمتهم بالاحتفاظ باقطاعاتهم ويصبح شأنهم عندئذ شأن باقى أرباب الاقطاعات ، وأن هذه الميزة كانت مقصورة ، فيما يبدو، على المرتزقة الذين كانوا يبقون فى خدمة البطالمة مدة طويلة ولا يعتزمون مبارحة مصر للعمل فى خدمة بلد آخر ، ولعلها كانت وسيلة من وسائل الاغراء لاستبقائهم فى الاقليم الذى لهم فيه مصلحة دائمة (٣) . ونحن نميل الى الأخذ بهذا الرأى ، ونرد منشأ هذا النظام الى الرغبة فى القضاء على الداء الوبيل الذى كان فاشيا بين الجنود المرتزقة ، وهو استعدادهم لتغيير سيد بآخر عند ظهور أول بادرة من بوادر الهزيمة أو الاغراء .

الفرق المصرية :

وعندما أقام بطلميوس دعائم ملكه فى مصر ، كانت لا تزال توجد تلك الطبقة الوراثية من المحاربين المصريين ، وهم الذين يطلق الاغريق عليهم لقب ماخيموى ، ويرجع عهدهم الى أيام الفراعنة ، وكانوا يمنحونهم حق استغلال اقطاعات زراعية ليضمنوا تلبية ندائهم كلما أقتضى الأمر(٤) .

(1) P. Petrie I, pp. 20 ff., 40 ff. ; II, p. 14.
(2) Lesquier, pp. 46-7.
(3) Griffith, pp. 135-9.
(4) Bevan, p. 165 ; Lesquier, op. cit., p. 6

ولا شك فى أن البطالمة الثلاثة الأوائل اعتمدوا الى أقصى حد فى تكوين جيوشهم على المقدونيين والاغريق ، لثقتهم فى كفايتهم وبسالتهم فى ميادين القتال ، ولخوفهم من الاعتماد على المصريين ، اما لارتيابهم فى مقدرتهم الحربية أو فى اخلاصهم الطاعة لهم ، واما لرغبتهم ، ككل دخيل مغتصب ، فى ألا ينتشلوا الأمة المصرية من وهدة الاضمحلال التى تردت فيها . وذلك لأن الجيش ، فى كل دولة وفى كل عصر ، قلب الأمة النابض ، ورمز حيويتها ، وعنوان مجدها . بيد أنه لا بد من أن أولئك البطالمة كانوا يخشون أيضا اغفال أمر الجنود المصريين كلية ، وذلك لكى لا ينشر أولئك الجنود روح التذمر فى البلاد فيثور المصريون ، يوم كان البطالمة فى أشد الحاجة الى الهدوء والسكينة داخل دولتهم . فكيف حل البطالمة الأوائل هذه المشكلة ؟ يتعذر علينا اليوم أن نعرف على وجه التحقيق الدور الذى قام به الجنود المصريون فى جيش البطالمة قبل عصر بطلميوس الرابع ، اذ أن ديودوروس يحدثنا بأنه فى موقعة غزة (عام ٣١٢) كان جيش بطلميوس الوالى يضم عددا كبيرا من المصريين ، كان بعضهم يقوم بأعمال النقل ، والبعض الآخر مسلحا ويمكن استخدامه فى القتال « فى حالة الضرورة القصوى » (١) . وترينا بعض وثائق القرن الثالث محاربين مصريين ، فى حيازة كل منهم اقطاع مساحته خمس أرورات (٢) . ويحدثنا بوليبيوس بأن تسليح المصريين فى عهد فيلوباتور كان عملا صائبا فيما يخص الحاضر ، لكنه كان بدعة خطيرة تنهدد المستقبل (٣) . فهل تدل عبارتا ديودوروس وبوليبيوس على أن بطلميوس الأول اضطر فى أزمة عام ٣١٢ الى استخدام المصريين فى الجيش ، ثم عدل بعد ذلك عن هذه التجربة ، حتى أنه عندما اشترك المصريون فعلا فى القتال فى موقعة رفح اعتبر ذلك خروجا على التقاليد البطلمية ؟ أم أن البطالمة الثلاثة الأوائل لم يدمجوا الفرق المصرية فى صلب الجيش ، بل عهدوا الى بعضها بأعمال النقل وما أشبه ذلك من الأعمال الثانوية ، وسلحوا بعضها الآخر بالأسلحة

(1) Diod., XIX, 80, 4.

(2) Cf. Lesquier, op. cit., pp. 172 ff.

(٣) راجع بوليبيوس (Polyb., V, 107, 2) ، وعن مساهمة الجنود المصريين فى ثورات عصر بطلميوس الخامس . راجع حجر رشيد (O.G.I.S., 90, II., 12-20).

الخفيفة أو بأسلحتها المصرية العتيقة ، استعدادا للطوارىء فى حالة الضرورة القصوى ، وعندما أدمج فيلوباتور المصريين فى صلب الجيش وسلحهم بالأسلحة المقدونية اعتبر ذلك بدعة خطيرة ؟ وعندنا أن الاحتمال الثانى أدنى الى الصواب ، وذلك أستنادا الى ما تنطوى عليه عبارتا ديودوروس وبوليبيوس من المعانى ، والى صغر مساحة اقطاعات الجنود المصريين حتى موقعة رفح ، لأن ذلك يدل دلالة قاطعة على ما كان للمصريين من الأهمية الثانوية فى الجيش البطلمى .

ونحن لا نتفق مع الرأى القائل بأن بدعة فيلوباتور لم تنطو على ادماج المحاربين المصريين فقط فى صلب الجيش وتسليحهم بالأسلحة المقدونية ، بل انطوت كذلك على تجنيد المصريين كافة ، دون الاقتصار على طبقة المحاربين فحسب ، فهذا الرأى يصعب أن تنم عنه عبارة بوليبيوس التى يزعم أنها تتضمنه ، هذا وان كان القائل بذلك يرى أيضا أن المصريين لم يكونوا قبل عهد فيلوباتور الا فرقا اضافية . ولا شك فى أن الدافع الى التعديل الخطير الذى أقدم عليه فيلوباتور كان يرجع الى مواجهة الأزمة الخطيرة التى كانت تتهدده ، فى وقت نضب فيه معين الرجال فى بلاد الاغريق ، نتيجة للحروب الطاحنة ، التى شهدتها هذه البلاد فى خلال القرنين الرابع والثالث قبل الميلاد (١) ، ونقص فيه عدد الجنود الأجانب الذين كان البطالمة قد أنزلوهم فى مصر ، وضعف الروح الحربى فى البقية الباقية منهم .

وازاء ما ترتب على الانتصار فى موقعة رفح من انعاش الروح القومى بين المصريين ، ونشر روح الثورة فى البلاد ، يبدو أن البطالمة اعتمدوا على أرباب الاقطاعات الأجانب والمرتزقة لاخماد ثورات المصريين ، وأنهم زادوا عدد أرباب الاقطاعات بأن أدمجوا فى صفوفهم فريقا من المرتزقة الذين جندوا حديثا فى بلاد الاغريق (٢) . وقد كان طبيعيا أن يعدل البطالمة عن تكوين قلب الجيش من الفرق المصرية ، لكنه لم يكن فى وسعهم تسريح المصريين ، فبقوا فى الجيش يؤلفون فرقا مستقلة بهم ،

(1) Lesquier, op. cit., pp. 7-8, 28-9.
(2) Griffith, pp. 121-4.

وأستمروا يكونون جزءا مستقلا فى الجيش حتى نهاية القرن الثانى على الأقل ، بل حتى نهاية أسرة البطالمة فيما يبدو . وكان المحاربون المصريون يؤلفون فى عهد البطالمة الأواخر فرقا ، بعضها من الفرسان وبعضها من المشاة ، لكل فرقة منهـا قائد خاص يدعى لآرخيس (Larrches = قائد الوطنيين) (١) .

ويبدو أن الفرق المصرية كانت تتألف فى القرنين الثالث والثانى من المصريين وقلة من الليبيين الذين كانوا يعيشون فى ريف مصر ، لكننا لا نعرف اذا كانت هـذه الفرق أيضا تضم فى القرن الأول جنودا من جنسيات أخرى (٢) . وعلى كل حال فان بعض الأجانب من المرتزقة كانوا فى القرنين الثانى والأول قبل الميلاد يقبلون العمل فى خدمة البطالمة وفقا للقواعد نفسها التى وضعت عندئذ للمحاربين المصريين (٣) . وهذا يفسر ما سبق ذكره من أنه منذ بداية القرن الأول أصبح اصطلاح «ماخيموى» يطلق على محاربين مصريين وغير مصريين ، ويؤيد ما رجحناه من أن هذا اللقب أصبح عندئذ يطلق على كل محارب مهما تكن جنسيته ، اذا كانت مساحة اقطاعه تعادل مساحة اقطاعات المحاربين المصريين .

الجيش فى زمن السلم

الحرس الملكى :

وقد كان الجيش فى زمن السلم يتألف من فئتين رئيسيتين : واحداهما هى الحرس الملكى ، وكان بمثابـة جيش دائم يؤلف أكبر الحاميات البطلمية ، وكانت مهمته الأولى الدفاع عن الملك وبلاطه ، ولذلك فان مقره كان فى الاسكندرية .

ولا نعرف شيئا عن أصل الحرس الملكى البطلمى ، لكنه لا يبعد أنه لم يكن فى الأصل أكثر من جماعة من الفرسان وأخرى من المشاة اصطفاهم الملك من بين أفراد الفرق النظامية ليكونوا رفاقه وحرسه على نحو ما كان

(1) Lesquier, op. cit., pp. 7-8, 19-20, 28 ; Rev.. Philol., 1907, p. 207 ; Bevan, p. 166.

(2) Lesquier, p. 105.

(3) Rostovtzeff, Soc. and Ec., pp. 728-9.

حرس فيليب والاسكندر • ويحدثنا بوليبيوس بأن الحرس الملكى الذى اشترك فى معركة رفح كان يتألف من مشاة وفرسان يبلغ عـددهم على التوالى ٣٠٠٠ و ٧٠٠ (١) •

ويبدو أنه بعد « بدعة » بطلميوس الرابع التى أكسبت المحـاربين المصريين أهمية فى الجيش لم تكن لهم من قبل ، حدث فى تكوين الحرس الملكى تعديل يساير التعديل الذى أستحدث فى تكوين الجيش نفسه ، وذلك بضم جنود مختارين من المحاربين المصريين الى الحرس (٢) •

وكان الحرس يضم كذلك عنصرا ثالثا يتألف من الجنود المرتزقة ، فقد أصبحوا منذ أواخر القرن الثالث على الأقل يؤلفون جزءا أساسيا من الحرس ، اذ يبدو من حديث بوليبيوس عن أحداث عام ٢٢١ (٣) وعام ٢٠٢ (٤) أنه كان يوجد جنود مرتزقة فى خدمة البلاط فى هاتين المناسبتين • وفى رأى جريفيث أن المرتزقة كانوا فى عام ٢٢١ يؤلفون أهم جـزء فى الحرس ثم أصبح النظاميون فى عام ٢٠٢ أهم جزء فى حرس يتألف من نظاميين ومرتزقة ومصريين (٥) • بيد أنه يتضـح لنا بجلاء من رواية بوليبيوس أن النظاميين كانوا فعلا أهم جزء فى الحرس فى عام ٢٠٢ ، ومن ثم فاننا نستبعد أنهم كانوا القلة فى عام ٢٢١ ، ولا سـيما أن رواية بوليبيوس عن أحـداث ذلك العـام لا تستتبع حتمـا أن المرتزقة كانوا يؤلفون عندئذ غالبية الحرس ، وان كان يفهم منها أنهم كانوا يؤلفون جانبا كبيرا منه وأن ولاءهم لم يكن مضمونا ولذلك كانوا يشكلون خطرا لا بد من أن يحسب حسابه ، فهى تصور لنا خـوف سوسيبيوس من المرتزقة ومحاولة قليومنيس تبديد هذه المخاوف دون اشارة الى عـدد النظاميين والمرتزقة فى الحرس •

ونستخلص مما أسلفناه أنه منذ أواخـر القرن الثالث كان الحرس الملكى يتألف من ثلاثة عناصر وهى : النظاميون والمرتزقة والمصريون ، ونعتقد أنه قد بقى على هذا النحو حتى سقوط دولة البطالمة مع فارق واحد هام ، وهو زيادة عدد المرتزقة ونقص عدد النظاميين باطراد على

(1) Polyb., V, 65, 2, 5.
(2) B.S.R.A.A., IV, 1902, p. 94.
(3) Polyb., V, 36, 1 ff.
(4) Polyb., XV, 5, 23 ff.
(5) Griffith, pp. 127-9.

نحو يشابه ما حدث فى صفوف الجيش نفسه (١) •

الحاميات :

وأما الفئة الرئيسية الثانية بالجيش فى زمن السلم ، فانها كانت تتألف من عدد كبير من الحاميات الصغيرة ، وكانت موزعة على المواقع الاستراتيجية داخل مصر وخارجها فى مختلف أنحاء الامبراطورية ، وذلك لحماية مصر ودعم مركز البطالمة فيها والحفاظ على ممتلكاتهم الخارجية • ونجد فى المصادر القديمة اشارات الى وجود مثل هذه الحاميات منذ أواخر القرن الرابع قبل الميلاد ، اذ أننا نسمع عن حامية فى صور فى عام ٣١٥ (٢)، وأخرى فى أسبندوس حوالى عام ٣١٠/٣٠٩ (٣) ، وثالثة فى سيقوون فى عام ٣٠٥ (٤) ، ورابعة فى قورينايئة (٥) • وقد كانت توجد كذلك فى القرن الثالث مراكز عسكرية على شواطىء البحر الأحمر حيث كانت تصاد الفيلة من أجل استخدامها فى الجيش (٦) • ونعرف أنه فى عام ١٧٢ كان يحرس مداخل مصر الشرقية حامية عند بلوزيون (٧) • وكانت توجد أيضا حاميات أخرى كثيرة داخل مصر ، فنسمع عن جنود يؤدون عملهم فى ديوسبوليس ماجنا (Diospolis Magna) وديوسبوليس بارفا (Parva) (٨) وبطولميس (٩) وهرموبوليس (١٠) وأسوان (١١) ، وجنود يحرسون خزان ماء فى الطريق من أبولونوبوليس (Apoelonopolis) الى البحر الأحمر (١٢) •

وممن كانت تتألف كل تلك الحاميات ؟ لا يبعد أنه فى مصر ذاتها كانت الحاميات تتألف من أولئك المرتزقة (١٣) الذين عرفنا أنهم كانوا يمنحون اقطاعات • وأما فى خارج مصر فانه من المعروف أن حاميات أسبندوس وقورينايئة (١٤) والبحر الأحمر (١٥) كانت تتألف من مرتزقة • ونسمع

(1) Lesquier, pp. 21-4 ; Griffith, pp. 129-30.
(2) Diod., XIX, 61, 5.
(3) Wilhelm, S.B. Ak. Wien, 1915, p. 60.
(4) Diod., XX, 102, 2.
(5) Ferri, Alcune Inscrizione di Cirine, Abh. Preuss. Akad., 1925, p. 5.
(6) P. Grenf., I, 9.
(7) Polyb., XV, 25 ; 26 ff.
(8) Aktenstuecke, V-VII.
(9) P. Grenf., I, 42.
(10) O.G.I.S., I, 182.
(11) B.G.U., VI, 1247, 5 ff.
(12) O.G.I.S., I, 38.
(13) Aktenstuecke, V-VIII ; P. Gren f., I, 42 ; O. G. I. S., I, 132 ; Cf. P. T.e bt., III, 1, 722, 10 ff. ; 72 9, 2 ff. ; 736, 47 ff.
(14) Griffith, p. 131.
(15) P. Grenf., I, 9.

كذلك عن وجود مرتزقة فى الحامية البطلمية فى أرترى حوالى عام ٢٧٥ وعن تراقيين فىأفسوس بعد ذلك بقليل (١). وتشير القرائن الى أن حاميات قبرص — وهى التى ظلت فى حوزة البطالمة مدة أطول من سائر ممتلكاتهم الأخرى — كانت تتألف من المرتزقة. وفى ضوء ذلك كله لانستبعد أن الحاميات البطلمية خارج مصر (٢) أيضا كانت تتألف عادة من المرتزقة ، ولاسيما أن جنود البطالمة النظاميين كانوا أعز عليهم من أن يغامروا بهم فى ميادين خارجية بعيدة من أجل أعمال الحراسة ، وأن نظام منح الاقطاعات العسكرية لم يقصد به توفير جنود للخدمة فترات طويلة على الحدود أو فى الخارج . وتبعا لذلك فانه لم يكن هناك مفر اذن من اعتماد البطالمة عادة على المرتزقة فى تكوين حامياتهم ، وهو ما يبدو أنه كان أهم عمل للمرتزقة الذين كانوا فى خدمة البطالمة فى أثناء السلم (٣) .

صفة ارباب الاقطاعات :

كانت لفريق من سكان الريف فى مصر صفة مزدوجة ، عسكرية وزراعية . وهذا الفريق هو أرباب الاقطاعات ، وتطلق الوثائق عليهم فى القرن الثالث لقب قلروخوى (Klerouchoi) ، وفى القرن الثانى هذا اللقب فى بعض الأحيان ، ولقب قاتويقوى (Katoikoi) أحيانا أخرى ، على نحو ما سنرى عند الكلام عن الاقطاعات العسكرية . فما كانت الصفة العسكرية لأرباب الاقطاعات ؟ يلجأ نفر من المؤرخين الى تفسير هذه الصفة باصطلاحات عسكرية حديثة ، ذلك أن بعضهم يرى أن أرباب الاقطاعات كانوا جزءا من الجيش العامل ، فى حين أن البعض الآخر يرى أنهم كانوا يؤلفون جيشا اقليميا . لكنه يجب أن نستبعد قبل كل شىء اصطلاحى « الجيش العامل » و « الجيش الاقليمى » ، لأنه فيما عدا روما لم يعرف القدماء جيشا عاملا مستديما ، يحتفظ به فى المعسكرات حتى وقت السلم ، ويقوم بتدريبات عسكرية على الدوام . وقد كان شأن مصر من هذه الناحية شأن سائر الممالك الهلينيسية والمدن الاغريقية . ولا أدل على أنه لم يكن للبطالمة جيش عامل مستديم من

(1) Ditt. Syll. 410 ; Athen., XIII, 593 a.
(2) Parke, Greek Mercenary Soldiers, Oxford, 1933, p. 216.
(3) Griffith, pp. 131-5.

الاستعدادات التى يحدثنا بوليبيوس بأن فيلوباتور اضطر الى القيام بها من أجل محاربة أنطيوخوس الثالث • ومع ذلك فانه كان للحرس الملكى ، وكذلك لتلك الفرق المرتزقة التى تقوم بعمل الحاميات فى مصر وفى الخارج ، طابع الاستمرار • ولا ريب فى أن أرباب الاقطاعات عامة لم يعيشوا فى معسكرات ، ولم يفرض عليهم القيام بتدريبات عسكرية مستمرة ، ولذلك لا يجوز اعتبارهم جزءا من « الجيش العامل » • ولا يجوز كذلك اعتبارهم « جيشا اقليميا » ، لأنه يقصد بهذا الاصطلاح الحديث جيش تختلف نظمه اختلافا تاما عن نظم الجيش العامل ، والغرض منه الدفاع عن الأقاليم وما فيها من المرافق العامة ، ولا يجند هذا الجيش الا من الشيوخ الذين فرضت عليهم الخدمة العسكرية • وحسبنا دليلا على أن أرباب الاقطاعات لم يكونوا جيشا اقليميا ما نعرفه على الأقل عن اشتراكهم فى الفرق النظامية فى موقعة رفح ، وكذلك عن سنهم ، اذ أن عمر الكثيرين منهم كان يتراوح بين ٢٥ و ٤٥ عاما فى عهد بطلميوس الثالث ،أى عندما اكتمل نظام أرباب الاقطاعات ، وهو الذى يرجع فيما يبدو الى عهد بطلميوس الأول • ولهذا السبب أيضا لا يجوز اعتبارهم محاربين قدماء كما يريد بعض المؤرخين (١) •

وازاء هذه الاعتبارات جميعا لا يمكن أن نرى فى أرباب الاقطاعات الا فريقا من سكان البلاد ، كان يسمح لهم فى وقت السلم بمزاولة فنون الحياة المدنية ، ومن بينها الزراعة ، لكنه فى وقت الحرب كانت تفرض عليهم الخدمة العسكرية ، وتكون منهم الفرق النظامية (٢) • ومن كان ذلك الفريق من سكان البلاد ؟ لقد كان طبيعيا أن تتجه أنظار البطالمة الثلاثة الأوائل الى رعاياهم لتجنيد فرقهم النظامية ، لكنهم ، وقد قرروا عدم ادماج المصريين فى هذه الفرق ، وجدوا مهمتهم شاقة عسيرة ، لأنه لم يتبق لهم بعد ذلك الا المقدونيون الذين ورثهم بطلميوس الأول عن جيش الاسكندر عندما فاز بولاية مصر وسلالة هؤلاء المقدونيين ، ومواطنو المدن الاغريقية فى مصر • ولم يكن عدد هؤلاء المقدونيين كافيا لتكوين الجيش اللازم لتحقيق أغراض سياستهم الخارجية ، ولم يكن فى

(1) Lesquier, pp. 30-4, 65.

(2) Lesquier, pp. 34, 41-2.

وسعهم فرض الخدمة العسكرية على مواطنى مدن مصر الاغريقية ، لكى لا يقضوا على الاسكندرية وبطوليس فى مهدهما . ولذلك قرروا أن يتخذوا من المقدونيين نواة لجيشهم ، وأن يفتحوا أبواب هذه الجيش « المقدونى » للمتطوعين من مقدونيا وتراقيا ، وبلاد الاغريق والجزر ، وكذلك من آسيا (١) . ولم يقتصر منح الاقطاعات على المتطوعين ، فقد مر بنا أن بعض المرتزقة كانوا يمنحون اقطاعات منذ عهد بطلميوس الثالث . ويبدو أن البطالمة كانوا يمنحون اقطاعات كذلك لبعض أسرى الحرب الذين كانوا فى الأصل جنودا (٢) .

ولانعرف الشروط التى كان المتطوعون يندمجون بمقتضاها فى جيش البطالمة ، لكنه على خلاف الجنود المرتزقة كانوا يتطوعون أفرادا لا جماعة ولم يتطوعوا عادة للقيام بحملة واحدة ، والا لتجددت مشكلة تكوين الجيش باستمرار عند القيام بكل حملة . وسواء أكان أولئك المتطوعون مطالبين بالخدمة العسكرية حتى يبلغوا سنا معينة ، أم طوال حياتهم ، أم حتى تمنعهم حالتهم الصحية عن القتال ، فقد كان يتعين توفير أسباب العيش لهم لاستمرار بقائهم فى مصر رهن أمر البطالمة ، ومن أجل ذلك منحهم البطالمة مساكن واقطاعات زراعية . وقد أصاب البطالمة بهذه الرمية عدة أهداف ، وهى ضمان استقرار الجنود اللازمين لهم فى البلاد ، وعدم تحميل الخزانة عبء نفقات جيش دائم ، واستغلال خبرة كل هؤلاء الجنود أو بعضهم فى استثمار الأراضى ، وحصول البطالمة على ضرائب وفيرة من هذه الأراضى المستثمرة ، ونشر الحضارة الاغريقية فى أرجاء البلاد (٣) ، دون الاضطرار الى انشاء مدن اغريقية كثيرة تحد من سلطتهم ، وتثير لهم المتاعب ، بسبب ميل الاغريق الى الحرية ، والمشاركة فى حكم المدن التى يعيشون فيها .

فشل الاعتماد على المستوطنين الاجانب فى تكوين الجيش :

واذا كانت هذه الوسيلة قد أتت بنتائج طيبة فى عهد البطالمة الثلاثة الأوائل ، فانها لم تحقق كل الغرض المنشود منها فى عهد بطلميوس

(1) Ibid., 35-6.
(2) Rostovtzeff, pp. 203, 1365 fn. 28 ; P. Petr. III, 104.
(3) Cf. P. Tebt., III, 728, 8 ; 736, ll.

الرابع ، والا لما اضطر الى لاعتماد على المصريين فى تكوين قلب الجيش فى موقعة رفح . ولعل ذلك يرجع الى أن حروب القرنين الرابع والثالث قضت على الكثيرين من أرباب الاقطاعات ، ولم يتيسر احــلال غيرهم مكانهم بسبب نضب معين المتطوعين من بلاد الاغريق نتيجة لتلك الحروب الطويلة ، والى أن طول اشتغال أرباب الاقطاعات بالزراعة ، مع تمتعهم بفترة طويلة من السلام دامت عشرين عاما (٢٤١ — ٢٢١ ق م) ، قضى على روحهم الحربى ، ولا سيما أنه لم يعد يفد من بلاد الاغــريق تلك الأفواج التى كانت تجدد فيهم ما بلى وتنعش فيهم ماذوى . فلا عجب أن يحدثنا بوليبيوس بأنه قبل موقعة رفح أصبحت قوة مصر الحربية من الضعف بحيث لم يكن فى وسع مصر أن تدفع عن نفسها ضرا (١) . وقد أصبح شأن أرباب الاقطاعات شأن غــيرهم من زراع الأرض فى مصر ، ولا أدل على ذلك من الالتماس الذى قدمه أحدهم الى الملك لاعفائه من الخدمة العسكرية ، لأنه كان يفضل البقاء فى أرضه (٢) . لكن اذا كان الأمر كذلك ، فلماذا فضل المصريون فى تكوين قلب الجيش ؟ ربما كان الدافع الى ذلك سياسيا ، وهو استرضاء المصريين وضمان سلامة مؤخرة الجيش ، فلا تقع فى مصر ثورة فى أثناء الحرب ضد أنطيوخوس ، كما حدث فى أثناء حملة بطلميوس الثالث الأسيوية .

واذا صح أن عدد المشاة فى جيش بطلميوس الرابع فى موقعة رفح كان ٥٠٫٠٠٠ ، وأن عــدد المقــدونيين والأغريق فى قلب الجيش كان ٥٠٠٠ ، وأن عدد المصريين كان ٢٠٫٠٠٠ ، وأن عدد المرتزقة كان ٨٠٠٠ على نحو ما مر بنا عند الــكلام عن هذه الموقعة فى سياق الحــديث عن السياسة الخارجية ، فلابد من أن عدد المقاتلين من أرباب الاقطــاعات كان حوالى ١٧٫٠٠٠ ، وهذا بعد فترة غير عادية من التدريب انتشلت الجيش النظامى مما تردى فيه من الاضمحلال . وان دل ذلك على شىء فهو يدل على فشل المحاولة التى بذلها البطالمة للاستعاضة عن جيش قومى بجيش من المستوطنين الأجانب . بيد أنه حين كون بطلميوس الرابع جيشا

(1) Polyb., V, 62, 7-8.
(2) P. Frankfurt, 7.

قوميا من المصريين ونجح هذا الجيش فى أداء الغرض المنشود ، وهو صد عدوان أنطيوخوس ، تسبب فى متاعب جمة للبطالمة (١) لأنه أشعل روح الوطنية الكامن فى صدور المصريين فهبوا ثائرين على البطالمة . والواقع أن أهم نقطة ضعف فى بناء دولة البطالمة هى أنهم لم ينشئوا دولة قومية ، فقد كان الغنم كله من نصيب الاغريق والمقدونيين والغرم كله من نصيب المصريين ، فكان طبيعيا حين ينتزع المصريون النصر الذى عز على الاغريق والمقدونيين أن ينتفضوا ثائرين على طغاتهم وأن يزلزلوا الأرض تحت أقدامهم .

وتشير القرائن الى أنه بعد معركة رفح استمر البطالمة يجعلون جل اعتمادهم على أرباب الاقطاعات (٢) والمرتزقة (٣) . وينهض ضياع أغلب ممتلكات البطالمة الخارجية فى عهد بطلميوس الخامس ، وانهيار الجيش البطلمى أمام غزوة أنطيوخوس الرابع ، وتغلغل النفوذ الرومانى فى مصر باطراد منذ ذلك الوقت — ينهض ذلك كله دليلا على ضعف قوة مصر الحربية ضعفا خطيرا ، وعلى أن الجيش الذى حارب فى معركة رفح كان آخر جيش حقيقى أنزلته مصر قديما الى ساحة القتال (٤) ، وعلى أن الانحلال كان قد دب دبيبه ثانية الى أرباب الاقطاعات . ولما كنا لا نسمع عن أية محاولات جديدة بعد عهد بطلميوس الرابع لانهاض أرباب الاقطاعات ، فانه يبين أن اعتماد البطالمة الأواخر على المرتزقة أخذ يزداد باطراد حتى أصبحوا يؤلفون جل الجيش ان لم يكن كله منذ أواخر القرن الثانى قبل الميلاد (٥) .

الابيجونى والابيجونوى :

وقد اختلفت آراء المؤرخين (٦) اختلافا بينا فى تفسير اصطلاحين

---

(1) Griffith, p. 123.
(2) Cf. P. Tebt., III, 722, 10 ; 729, 2 ff. ; 736, 47 ff.
(3) Cf. P. Tebt., III, 723, 3 ; 736, 11. a
(4) Griffth, p. 124.
(5) Griffth, pp. 129-130 ; Polyb., XXXIV, 14 (ap. Strabo, XVII, 797 ff.) ; Caesar, Bell. Civ., III, 110.
(6) Cf. Mahaffy, in P. Petrie, I, Intr., p. 26 ; Empire of the Ptols., pp. 211-2 ; Meyer, op. cit., pp. 44 ff., 72 ff. ; Schubart, Archiv, V, pp. 104 ff. ; Grenfell and Hunt, P. Tebt., I, p. 550 ; Reinach, in P. Reinach, pp. 20-1 ; Wilcken, Archiv, III, p. 522; VI, 397-9; VII, p. 96; U.P.Z., I, pp. 14, 163-4; Bouch-Leclercq, IV, pp. 29 ff. ; Lesquier, pp. 52 ff. ; Jouguet, La Vie Muni-

يتصلان اتصالا وثيقا بأرباب الاقطاعات ، ونلقاهما كثيرا فى الوثائق البردية ، التى ترجع الى القرنين الثالث والثانى قبل الميلاد . وهذان الاصطلاحان هما أبيجونى (Epigone) وأبيجونوى (Epigonoi) والصلة اللفظية بينهما واضحة لكنه من البديهى أنهما ليسا مترادفين (١) . ولعل الرأى الأقرب الى الصواب ، هو أن كل أبناء المهاجرين الأجانب ، سواء أكانوا جنودا أم لا ، كانوا يدعون بوجه عام « أبيجونى » أى « من السلالة » ، وذلك فيما يبدو توكيدا للفارق بينهم وبين أبناء المصريين (٢) . وبطبيعة الحال لم ينخرط كل أبناء المهاجرين الأجانب فى مصر فى سلك الجيش ، لأن الخدمة العسكرية لم تكن مفروضة عليهم جميعا (٣) .

وأما الاصلاح الآخر « أبيجونوى » أى « أفراد السلالة » ، فكان يطلق على أفراد وحدات عسكرية ، لهم أجر مالى وعينى ، وكان لكل وحدة ضابط معين (٤) . ويبدو أن هذه الوحدات كانت تتألف من أبناء أرباب الاقطاعات ، اذ لا بد من أنه كان يحتم على أبناء أرباب الاقطاعات ، أن يتدربوا مدة معينة فى احدى هذه الوحدات ، لأنه كان من صالح الملك عندما يتوفى رب الاقطاع أن يكون ابنه ، الذى يخلفه فى الاقطاع وفى الجيش ، قد تعلم فنون الحرب (٥) . وبما أن بوليبيوس يحدثنا بأنه كان يوجد « أبيجونوى » فى جيش بطلميوس الرابع فى موقعة رفح (٦) ، فان هذا قد يوحى بأن هذه الوحدات لم تكن للتدريب فحسب ، بيد أنه من الجائز أنه ازاء الأزمة الخطيرة التى واجهت بطلميوس الرابع استخدمت هذه الوحدات أيضا فى موقعة رفح . وعلى كل حال فأنه يبدو أن هذه الوحدات كانت تؤلف جزءا من الجيش ، اذ أن بعض الوثائق البردية (٧) تطلق هذا الاصطلاح (أفراد السلالة)

cipale, pp. 12 ff. ; Von Woess, in Zeitschrift der Savignystiftung, Rom. Abt. XLII, 1921, pp. 641-3; XLVI, 1926, pp. 42 ff., 55; Das Asylwesen Aegyptens, p. 67; Segré, Aegyptus, III, 1922, pp. 143-55; Launey, pp. 48-9; Griffith, Mercenaries, p. 115.

(1) Lesquier, op. cit., pp. 52-4.

(2) Jouguet, Mac. Imp., p. 330 ; Hunt etc., Gr. Papyri in Rylands Library, III, p. 150; Lesquier, op. cit., p. 52.

(3) Lesquier, op. cit., pp. 54-5.

(4) Ibid., p. 54.

(5) Bevan, p. 142.

(6) Polyb., V, 65, 10.

(7) P. Petrie II, 32, 2 (a) recto ; P. Lond. 23 ; Lesquier, op. cit., pp. 50-5.

على احدى فئات الجنود . ولعل وحدات الأبيجونوى لم تضم أكبر أبناء أرباب الاقطاعات فحسب ، بل كل أولئك الأبناء الذين كان من الممكن أن يخلف أحدهم أباه فى الجيش وفى الاقطاع . واذا كانت وثيقة (١) من عهد بطلميوس الثانى تحدثنا بأن أشخاصا يدعون من « أفراد السلالة » كانت فى حيازة كل منهم اقطاع مساحته خمس وعشرون أرورة ، فلعل تفسير ذلك هو أنهم كانوا الأبناء الصغار لأرباب اقطاعات ، ومن ثم فانه لم يكن من حقهم أن يخلفوا آباءهم فى اقطاعاتهم ، ولذلك فانهم منحوا اقطاعات خاصة بهم بوصفهم مسجلين فى احدى وحدات الجيش .

الأجور والأسلحة والخيول :

وقد كان الجنود المرتزقة ، الذين ينخرطون فى خدمة البطالمة ، وكذلك « أفراد السلالة » يحصلون على أجر معين (أوبسونيون ، Opsonion) فى حين أن اقطاعات أرباب الاقطاعات ومساكنهم كانت بدلا من هذا الأجر ، الا فيما يبدو عندما كانوا يشتركون فى الحملات . وكان البطالمة يقدمون الأسلحة لكل مشاتهم النظاميين والمرتزقة ، كما كانوا يقدمون الخيول لكل فرسانهم . وفى حالة أرباب الاقطاعات ، يبدو أن الأسلحة والخيول كانت تبقى لديهم على الدوام ما داموا صالحين للخدمة العسكرية ، على نحو ماكانت الاقطاعات تبقى فى حيازتهم . وتتبين من وصايا بعضهم أنهم كانوا يورثون أسلحتهم وخيولهم لأبنائهم (٢) ، واذا كان ذلك لا ينهض دليلا على أن هذا الارث كان ملكا حرا ، فاننا نرجح حدوث تطور فى هذا الشان يماثل التطور الذى طرأ على ملكية الاقطاعات منذ النصف الثانى من القرن الثالث عندما أصبحت الدولة تعترف بأن الاقطاع ملك لربه وسلالته ، غير أنه عند وفاة رب الاقطاع كانت تضع يدها على الاقطاع ودخله الى أن يسجل الابن نفسه بوصفه رب الاقطاع . وبالمثل يبدو أن الدولة كانت تسمح لأبناء الذين توفوا

(1) Jouguet, etc., Payrus Grecs, Lille, I, 39.
(2) Bevan, p. 174.

بحيازة أسلحة وخيول أبائهم بعد تسجيل أنفسهم فى فرق الجيش • ومن البديهى أن صوالح الملك وأرباب الاقطاعات هى التى أفضت الى هذا التطور ، ذلك أنه كان من صالح الملك ان يخلف رب الاقطاع المتوفى جندى جديد فى الجيش وفى الاقطاع ، كما كان فى صالح رب الاقطاع أن تخلفه سلالته فى استغلال الاقطاع • وكانت صلاحية هذه السلالة للخدمة العسكرية الشرط الأول للاحتفاظ بالاقطاع ، وكذلك بسلاح الأب فضلا عن جواده اذا كان فارسا •

نظم الجيش :

واذا كنا نعرف أن الجيش البطلمى كان ينقسم بوجه عام الى فرق نظامية ، وفرق مأجورة ، وفرق مصرية ، فاننا لا نعرف عن تشكيلات هذه الفرق الا معلومات متفرقة ، لا يمكن تفسيرها الا فى ضوء معلوماتنا عن ألقاب قواد الجيش وضباطه • ومثل ما كان الفراعنة وفيليب والاسكندر أصحاب القيادة العليا فى جيوشهم ، كان الملك البطلمى — وهو مصدر كل سلطة عسكرية ومدنية ودينية — القائد الأعلى لقواته البرية والبحرية • غير أن الملك كان يستطيع بطبيعة الحال انابة غيره عنه ، لكنه كان لا يفعل ذلك بصفة دائمة ، ولم توجد قاعدة ثابتة فى هذا الصدد طوال تاريخ البطالمة • ويبدو أن الملوك كانوا يتولون القيادة العليا فعلا اذا كانت سنهم أو طبيعتهم أو ظروفهم تسمح بذلك ، والا فانه كان يتولى ذلك عنهم الأوصياء أو الوزراء أو أصحاب الحظوة لدى البلاط • وقد رأينا أن بطلميوس الأول تولى بنفسه قيادة جيشه فى موقعة غزة (عام ٣١٢) ، وأن بطلميوس الثالث أدار بعض الأعمال الحربية فى الحرب السورية الثالثة وزحف على رأس جيشه حتى بلاد ما بين النهرين ، وأن بطلميوس الرابع تولى القيادة العليا فى موقعة رفح ، وأن بطلميوس السادس والثامن اشتركا فى الحروب السورية • ومن ناحية أخرى لم يصل الى علمنا أن بطلميوس الثانى تولى بنفسه قيادة جيوشه أكثر من مرة واحدة ، لكننا نعرف أن الوزراء أو بعض أصحاب الحظوة كانوا يتولون القيادة العليا فى أحوال كثيرة ، ومثل ذلك سقوباس وبولوقراتيس فى عهد بطلميوس الخامس ،

وجالايستيس فى عهد بطلميوس السادس ، وأخيلاس فى عهد بطلميوس الثالث عشر . ولا شك فى أن سوسيبيوس وأجاثوقلس هما اللذان توليا اعداد الحملة ضد أنطيوخوس الثالث ، ولا فى أن سوسيبيوس كان يقـود قلب الجيش فى معركة رفح . وحـوالى عام ٢٠٠ قام سقوباس بتجنيد فرق فى ايتوليا ، وحوالى عام ١٨٧ أخذ الخصى أندرونيقوس على عاتقه تجنيد بعض الفرق المرتزقة فى بلاد الاغريق . وقد رأينا أنه فى بداية عهد بطلميوس السادس باشر يولايوس ولنايوس الاستعدادات الحربية لمحاربة سوريا (١) .

وقد كان تحت امرة القائد العام مباشرة قواد كانوا أرفع ضـباط الجيش مرتبة (٢) ، لكننا نفتقر الى المعلومات التى تبين لنا مهـام كل منهم . بيد أنه كان يعهد بقيادة كل قسم من أقسام الجيش المختلفـة الى أحد هؤلاء القواد ، تحت اشراف القائد العام .

وكان أعظم الضباط مقاما فى الجيش البطلمى هم ضباط الفرسان ، وكانوا يدعون هيبارخوى (hipparchoi) ، وأما ضـباط المشاة فانهم كانوا يدعون هجمونس (hegemones) . واذا كنا نعرف أن كل ضابط من ضباط الفرسان الكبار (هيبارخوس hipparchos) كان يتولى قيادة احدى فرق الفرسان ، فاننا لا نعـرف عن يقين مهام كل ضابط من كبار ضباط المشاة (هجمون ، hegemon) ، لكنه يبدو أن هذا اللقب كان يطلق بصفة عامة على كل ضابط رئيسى من ضباط المشاة ، سواء أكان يقود كتيبة أم فرقة ، أم حامية فى مكان ما . ويبدو أن كبار الضباط فى وحدات الفرسان والمشاة كانوا يطلقون أسماءهم على وحداتهم . ومن المشاكل العويصـة التى يثيرها غموض الوثائق البردية تفسير اصطلاح « المشرف على الرجـال » (ep'andron) . لكن الرأى السائد حتى اليوم هو أن معنى هذا الاصطلاح « فى الخدمة العامة » (٣) .

(1) Lesquier, Inst. Militaries, pp. 67-9.
(2) Bouclié-Leclercq, III, pp. 136 ff. ; Lesquier, op. cit., pp. 69-77.
(3) Lesquier, op. cit., pp. 77-87 ; Bevan, p. 167.

ويبدو أن القوات التى تحت قيادة كبار ضابط الفرسان والمشاة كانت تنقسم الى وحدات ، يتولى قيادتها ضباط صغار ، وأن الفرقة (هيبارخيار ، hipparchia) كانت أهم وأكبر وحدة فى قوة الفرسان . وقد عرفنا أن فرق الفرسان النظامية فى جيوش البطالمة كانت نوعين وهما : الفرق ذات الأرقام ، والفرق التى كانت تطلق عليها أسماء قومياتها ، لكننا لا نعرف عدد فرق كل نوع ولا عدد أفراد كل فرقة . وكانت كل فرقة تنقسم الى وحدات (ايلاى ، ilai) لكل منها ضابط (ايلارخوس ، ilarchos) ، لكننا لا نعرف كم كان عدد وحدات كل فرقة ، ولا طريقة التمييز بينها . ومن المحتمل أن كل وحدة كانت تنقسم أقساما صغيرة (لوخوى ، lochoi) ، لكل منها ضابط صغير (لوخاجوس ، lochagos) (١) .

ومعلوماتنا طفيفة جدا عن الوحدات التى كانت فرق المشاة تنقسم اليها ، لكنه يبدو أن الفرقة كانت تنقسم الى كتائب (خيليار خيارى ، chiliarchiae) وتميز كل منها برقم . ويدل اسمها الاغريقى على أن الكتيبة الواحدة كانت تتألف من ألف جندى ، يتولى قيادتها ضابط يدعى قائد الألف (خيليارخيس أو خيليارخوس ، chiliarchēs أو chiliarchos) ، الا أننا لا نعرف عدد الكتائب فى كل فرقة . ويبدو أن كل كتيبة كانت تنقسم قسمين ، يتألف كل منهما بطبيعة الحال من خمسمائة جندى ، اذ نعرف أنه كان يوجد ضباط ، يدعى كل منهم قائد الخمسمائة (بنتاقوسيارخوس pentacosiarchos) . ويبدو أن كل قسم من هذه الأقسام ذات الخمسمائة كان ينقسم الى خمس مئينات ، لأن الوثائق تتحدث عن مئينات (هقاتوتتارخيارى ، hekatontarchiae) ، وعن صف ضباط يدعى الواحد منهم قائد المائة (هقاتوتتارخوس ، hekatontarchos) . ويبدو أن كل مئين كان ينقسم قسمين ، لأنه كان يوجد عرفاء يدعى الواحد منهم قائد الخمسين (بنتاقوتتارخوس ، Pentakonatrchos) . والى جانب ذلك كله كانت توجد وحدتان أخريان على الأقل ، وهما هجمونيا (Hegemonia)

---

(1) Lesquier, op cit., pp. 87-92.

وسونتاجما (syntagma) • وتعبر كلمة هجمونيا عن وحدة من المشاة تحت قيادة هجمون • واذا كان الهجمون ضابطا كبيرا مكانته أدنى من مكانة القائد العام وأرفع من مكانة قائد الألف (الخيليارخوس) ، فان قيادته كانت تمتد على عدد من الكتائب • وأما اذا كان الهجمون ضابطا صغيرا أدنى مكانة من قائد الخمسمائة وأعلى من قائد المائة ، فان الوحدة التى تحت قيادته كانت تشمل عـدة مئينات وتـدعى فى القرن الثالث سونتاجما ، وفى القرن الثانى هجمونيا • ومعنى ذلك أنه فى القرن الثالث كانت الهجمونيا والسونتاجما تنمان عن نوعين مختلفين من تشكيلات المشاة التكتيكية ، لكنه فى القرن الثانى أصبحت كلمة هجمونيا تطلق على هذين النوعين من تشكيلات المشاة • ولسوء الحظ أننا لا نعرف عـدد الكتائب أو المئينات فى كل تشكيل من هذين التشكيلين (١) •

وتشير القرائن الى أن الفرق المرتزقة لم تختلف عن فرق الفرسان وفرق المشاة النظامية فى نظم قيادتها وتشكيلاتها • ولا بد من أن ذلك كان أيضا حال الفرق المصرية على الأقل منذ عام ٢١٧ ق•م• عندما رأينـاها تكون قلب الجيش ومسلحة بالأسلحة المقدونية • ومع ذلك فانه لا يبعد أن أسماء وحداتها وضباطها كانت تختلف عن أسماء وحدات وضباط الفرق النظامية والفرق المرتزقة (٢) •

٢ ـ الأسطول

الدور الكبير الذى قام به الأسطول البطلمى :

لقد أسلفنا أن سياسـة البطالمة الأوائل الخارجيـة كانت تستهدف السيطرة على طرق التجارة فى بحر ايجـه وفى البحر الأحمر ، بل بناء امبراطورية بحرية ، وأن أهداف هذه السياسة كانت مناهضـة لصوالح سوريا ومقدونيا ولاستقلال الكثير من الجزر الاغريقية فى بحر ايجـه والمدن الاغريقية فى آسيا الصغرى ، ومن ثم فانه كان يتعين أن يـكون

(1) Lesquier, pp. 92-7.
(2) Lesquier, pp. 97-9.

للبطالمة الأوائل أسطول كبير • وقد نجح أولئك البطالمة فى بناء امبراطورية بحرية بلغت أوج اتساعها فى عهد بطلميوس الثالث ، واحتفظت مصر بهذه الامبراطورية الى أن ضاعت كل ممتلكاتها الخارجية ، ما عدا قبرص وقورينائية ، فى عهد بطلميوس الخامس أبيفانس • وفضلا عن ذلك فان البطالمة الأوائل قد تمتعوا بسيادة البحار فى فترات من عهد بطلميوس الأول والثانى والثالث • وبعد انهيار امبراطورية البطالمة ، كانت مصر لا تزال فى حاجة الى أسطول قوى لحماية تجارتها البحرية ، وكانت لا تزال نشيطة (١) ، بل انها ازدادت نشاطا عندئذ فى البحر الأحمر • وبيان ذلك أن المجهودات التى كان البطالمة الأوائل يوجهونها الى آسيا الصغرى وسوريا من أجل السيطرة على أهم منافذ الطرق التجارية القادمة من الشرق تحولت منذ عهد بطلميوس السادس فى النصف الأول من القرن الثانى قبل الميلاد الى « طريق الجنوب » ونشطت نشاطا كبيرا فى عهد بطلميوس الثامن (٢) ، فأخذت المراكب المصرية تجوب البحر الأحمر ، وبعد أن كانت لا تتخطى بوغاز باب المندب اجترأت اذ ذاك على اجتياز هذا البوغاز ، ووصلت الى الاقليمين اللذين كانا ينتجان العطور وهما : حضرموت فى جنوب بلاد العرب ، وبلاد بنت على شاطىء الصومال (٣) • ويحدثنا بوسيدونيوس (Posidonios) بأنه فى عهد بطلميوس الثامن أبحر يودوكسوس (Eudoxos) فى رفقة بحار هندى الى الهند (٤) ، فكان أول اغريقى وصل الى الهند دون الاستعانة بالطرق البرية • وقد ساعد على رواج تجارة مصر الشرقية انهيار مملكة سبأ فى عام ١١٥ ق•م• (٥) ، ومساعدة روما لمصر على حساب سوريا وفلسطين (٦) ، واستكشاف هيبالوس (Hippalos) طرق الافادة من الرياح الموسمية حوالى عام ١٠٠ ق•م (٧) مما يسر اجتياز باب المندب بل الابحار الى الهند مباشرة • والواقع أنه ازاء نقص موارد البطالمة الأواخر وازدياد مطالب

(1) Rostovtzeff, op. cit., p. 1256.
(2) Ibid., p. 923.
(3) Préaux, L'écon. royale des Lagides, pp.358-9.
(4) Strabo, 98-100 ; Jacoby, F.G.H., II, A, pp. 236-7 ; comment., II, C, pp. 175-6.
(5) Tarn, Hell. Civ., p. 214.
(6) Joseph., Ant., Jud., XIV, 249-50.
(7) Jouguet, Nat. Eg., III, p. 171.

ايطاليا من منتجات بلاد العرب والهند منذ أواخر القرن الثانى اكتسبت التجارة الشرقية فى نظر البطالمة الأواخر أهمية لم تكن لها من قبل (١) • ولا أدل على ذلك من انشاء منصب جديد فى أواخر القرن الثانى وبداية القرن الأول قبل الميلاد وهو منصب « قائد البحر الأحمر والمحيط الهندى (epi tes Erythras kai Indikes thalasses) (٢) • وهـذا كله يشـير الى اهتمام البطالمة الأواخر بتأمين البحار الشرقية ، والى وجود أسطول لهم يقوم بحماية التجارة فيها ، والى قيام علاقات منتظمة بين مصر والهند أكسبت البحرين الأحمر والهندى أهمية لم تكن لهما من قبل (٣) • وفى الواقع لدينا أدلة على مجىء تجار هنود الى مصر ، مثل نصب الموتى التى وجدت فى الاسكندرية وعليها رموز هندية (٤) •

وفى الوثائق التى ترجع الى أواخر عهد بطلميوس الخامس أبيفانس ترد لأول مرة الاشارة الى وجود سفن من الأسطول الحربى فى النيل (٥) • وتفسر هذه الظاهرة بالاضطرابات التى أخذت تسود البلاد منذ أواخر العهد السابق ، مما أدى الى ضرورة القيـام بما يكفل سلامة التجـارة النهرية ، فأنشئت فى عهد بطلميوس الرابع أو الخامس فرقة من المحاربين المصريين (Machimoi) لتقوم بتأمين سلامة السفن فى النيل ، ومن ثم فانه أطلق على أفرادها (Naukleromachimoi) • ونحن نعتقد أن الأصح ترجمة هذه الكلمة بالمحاربين البحريين لا بالمحاربين الـذين يحرسـون اللاحين (٦) •

وفى ضوء الأوامر المشددة التى أصدرها بطلميوس الثانى (٧) لتأمين سلامة السفن التجارية فى النيل ، بما فى ذلك سفن الملك النهرية ، يتبين أولا : ان هذه المهمة كانت أصلا من اختصاص رجال الشرطة ، على نحو ما سيأتى فى ذكره فى سياق الحديث عنهم • وثانيا : أن الأسطول الملكى التجارى النهرى لم يكن عرضة لأعمال السطو فحسب بل أيضا لهرب

(1) Tarn, p. 215. (2) Rostovtzeff, p. 928 ; O.G.I.S., 186, 190.
(3) Petrie, Jour. Roy. As. Soc., 1898, p. 875.
(4) Petrie, Jour. Roy. As. Soc., 1898, p. 875.
(5) P. Tebt., 856. ll. 11 ff (171 B.C.) ; 890, ll. 20, 34, 93, (2nd cent.) ; Cf. B.G.U. 1744-6 ; 1755 ; Zalliacus, Aegyptus, XIX, 1939, pp. 59 ff.
(6) Rostovtzeff, p. 715, 1494-5 ; and «Ploia Thalassia on the Nile» in Etudes Andreadès, Athens, 1940, pp. 367 ff.
(7) P. Hibeh, II, 198.

الملاحين منه . وثالثا : أن أعمال السطو على التجارة النيلية لم تكن وليدة الاضطرابات التى واكبت الثورات القومية ، وان كان من الجائز أنه كان من شأنه هذه الاضطرابات استفحال أمر هذه الأعمال . ورابعا : أنه ربما كان الباعث على الاجراء الذى استحدثه بطلميوس الرابع أو الخامس باعثا مزدوجا هو عدم كفاية الوسائل المتبعة قبل ذلك لكبح جماح أعمال السطو واستفحال خطر هذه الأعمال وسط اضطرابات الثورات القومية .

وهكذا يتبين لنا من القرائن التاريخية أنه كان للبطالمة ، ولا سيما لأوائلهم ، أسطول عظيم لعب دورا هاما فى تاريخ العصر الهلينيسى ، الذى شهد سباقا فى التسلح البحرى شبيها بما نراه اليوم (١) . وقد كان أحد أسباب اعجاب الناس اذ ذاك ببطلميوس فيلادلفوس قيامه بانشاء أنواع جديدة من السفن الحربية . ويروى أثينايوس أن هذا الملك قد بز الملوك الآخرين فى الأسلحة البحرية (٢) .

وتنهض الأسانيد الأثرية أيضا دليلا على عظمة أسطول البطالمة ، فقد عثر فى تمويس (Thmuis ، تمى الأمديد بالقرب من السنبلاوين) على فسيفساءة ، محفوظة الآن بمتحف الاسكندرية ، صورت فيها الاسكندرية بوصفها سيدة البحار . فقد رمز الى الاسكندرية بسيدة على رأسها تاج بحرى ، وعلى كتفيها عباءة حربية ، وفى يدها اليسرى رمز الانتصارات البحرية ، وكان يحمل عادة فى المهرجانات التى تقام فى هذه المناسبات ، وهو عبارة عن زخرفة خشبية كان يزين بها مؤخر السفن . ويرجح روستوفتزف أن هذه الفسيفساءة ، التى قد ترجع الى فترة متأخرة فى عصر البطالمة ، منقولة عن نموذج أقدم منها عهدا وأعظم شأنا ، ابتكره أحد فنانى الاسكندرية للاشادة بالمجد البحرى الذى أحرزه البطالمة الأوائل (٣) .

وقد عثر فى بيت ريفى رومانى بالقرب من لبتيس ماجنا Leptis Magna = لبده بالقرب من طرابلس فى ليبيا) على فسيفساءة يعتقد

(1) Peraux, L économie royale des Lagides, p. 37.
(2) Athen., V. 203, d.
(3) Rostovtzeff, op. cit., pp. 254, 1360, pl. XXXV.

روستوفتزف أنها تصور « الميناء الملكى » ، داخل الميناء الكبير ، (الميناء الشرقى اليوم) ومدخل قصر البطالمة ، وأن هذه الفيسفساءة — التى ترجع الى القرن الثانى للميلاد — منقولة عن نموذج يرجع الى عصر البطالمة ويهدف فيما يبدو الى تمجيد سيادة البطالمة البحرية وازدهار تجارتهم فى كنف أسطولهم العظيم (١) •

قوة هذا الاسطول :

وبالرغم من كل ما نعرفه عن عظمة أسطول البطالمة والدور الكبير الذى لعبه هذا الأسطول ، مما يقطع بأنه كان للبطالمة ، ولا سيما لأوائلهم ، أسطول ضخم ، فان معلوماتنا عن هذا الأسطول طفيفة جدا (٢) • ذلك أننا لا نعرف عن قوة أسطول البطالمة فى العهود المختلفة أكثر مما يرويه ديودوروس (٣) من أن عدد سفن بطلميوس الأول فى موقعة سلاميس (عام ٣٠٦) كان ١٤٠ سفينة ، ومما يقوله بلوتارخ (٤) من أنه فى هذه الموقعة كان تحت امرة بطلميوس ١٥٠ سفينة وتحت امرة أخيه منلاوس ٦٠ سفينة ، ومما يذكره أثينايوس وأبيانوس عن معدل قوة أسطول فيلادلفوس • وقد ورد عند أثينايوس (٥) ، نقلا فيما يبدو عن قاليكسينوس ، أن عدد أكبر السفن التى استخدمها هذا الملك كان يبلغ ٣٣٦ سفينة ، وذلك فضلا عن ٤٠٠٠ سفينة « كانت ترسل الى الجزر والولايات الأخرى التابعة له وكذلك الى ليبيا » • وأما أبيانوس (٦) فانه يحدثنا بأنه كان تحت امرة هذا الملك « ألفان من سفن النقل والسفن الصغرى و ١٥٠٠ سفينة حربية و ٨٠٠ سفينة وشى صدرها وعجزها بالذهب وبها حجرات ، فقد كان الملوك أنفسهم يستخدمونها عند ذهابهم الى المعارك البحرية » • وقد لاحظ أحد الباحثين (٧) أن مجموع سفن فيلادلفوس وفقا لما ذكره أثينايوس (٤٠٠٠ + ٣٣٦ = ٤٣٣٦) يتفق تقريبا مع ما ذكره أبيانوس (٢٠٠٠ + ١٥٠٠ + ٨٠٠ = ٤٣٠٠) • ويميل هذا الباحث الى الاعتقاد بأن سفن فيلادلفوس الحربية كانت ٣٣٦ سفينة ،

(1) Rostovtzeff, pp. 352, 1042-3, pl. XL, 2.
(2) Lesquier, op. cit., p. 255.
(3) Diod., XX, 49, 2.
(4) Plut., Demetr., 16, 1.
(5) Athen., X, 203, d.
(6) App., Prooemion, 10.
(7) Tarn, Antigonos Gomatas, pp. 456-7.

بل يتشكك فى أنها كانت تصل الى هذا العدد . ومن الجلى أن هـذا الرأى متأثر بالعبارة التى أوردها أثينايوس ، وان كان أثينايوس نفسه لم يحدد سفن فيلادلفوس الحربية بهذا العدد . ويحق لنا أن نتساءل كيف أن هـذا العـدد من السفن الحربيـة كان يكفى فيـلادلفوس للتمتع بسيادة بحر ايجة فى وجه مقـاومة منافسيه الأشـداء ، مع الاحتفـاظ بسـلامة شـواطئ مصر وسـلامة ممتلـكاته الخارجيـة فى هـذا البحر وضمان خضوعها له ، وكذلك سلامة الملاحة فى البحر الأحمر ، وكان يتهددها قراصنة النبط [1] ؟ ولا شك فى أن موارد فيلادلفوس كانت أوفر وتبعاته أكبر من موارد وتبعات كل من أنطونيوس وأوقتافيانوس اللذين مر بنا أن أسطول أولهما كان يتألف من سفن يزيد عددها على ٥٠٠ سفينة وأن أسطول ثانيهما كان عدد سفنه يزيد على ٤٠٠ سفينة . بيد أنه من ناحية أخرى اذا كان يصعب علينا أن نتصور أن فيلادلفوس ، مع وفرة موارده وما تمتع به من سيادة بحرية وممتلكات خارجية وما كان عليه من تبعات جسام فى البحرين المتوسط والأحمر لم يمتلك الا ٣٣٦ سفينة حربية فقط ، فانه يصعب كذلك أن نقبل تلك الأرقام الضخمة التى ذكرها أثينايوس وأبيانوس ، ولا سيما أنه لا سبيل الى التأكـد من صحتها . وازاء ذلك فان كل ما يمكننا أن نستخلصه فى اطمئنان مما ذكره هـذان المصـدران هو أن أسطول فيلادلفوس كان يتألف على الأقـل من أربع فئات من السفن وهى :

١ — فئة لخوض المعارك .

٢ — فئة لحماية ممتلكات مصر الخارجية .

٣ — فئة لنقل الجنود والرسائل والمواد الحربية والغذائية .

٤ — فئة لنقل الملك وحرسه وحاشيته .

ومن الجائز أنه كانت توجد فئة خاصة لتأمين طرق الملاحة أو أنه كان يعهد فى هذه المهمة اما الى الفئة الأولى واما الى الفئة الثانية .

كيفية تكوين الأسطول البطلمى :

وكيف كون البطالمة أساطيلهم ؟ لقـد أسلفنا أن الاسكندر ترك فى

---

(1) Tarn, J.E.A., XV, pp. 15-16.

مصر بعد فتحها قوات برية وبحرية ، وأنه مهما يكن عدد هذه القوات فانها لم تكن كافية لتحقيق أغراض بطلميوس ، ولذلك فانه مثل أغلب قواد الاسكندر الآخرين أتخذ من القوات التى وجدها فى ولايته نواة لبناء قوات أكبر من ذلك وأعظم (١) .

ويبدو طبيعيا أن نفترض أن الملك كان يبنى على الأقل جانبا من الأسطول على نفقة الدولة . واذا كان يعوزنا الدليل المادى على ذلك من عهد بطلميوس سوتر ، فان وثيقة بردية محفوظة فى أكسفورد ولم تنشر بعد وترجع الى عام ٢٥١/٢٥٠ ق.م تحتوى على أمر من فيلادلفوس الى وزير ماليته أبولونيوس ليقطع عددا كبيرا من الأشجار لبناء سفن حربية (٢) .

ويستخلص من احدى الوثائق البردية (٣) ومن أحد المصادر القديمة (٤) أن جانبا آخر من الأسطول كان سفنا يستأجرها الملك . ولم يكن ذلك أمرا غريبا ، فقد كان الملك يستأجر المحاربين الذين يتقنون فنا معينا من فنون الحرب . وفضلا عن ذلك فانه كان شائعا بين ملوك العصر الهلينيسى نظام استئجار السفن والبحارة من المدن ، وأحيانا استئجار وحدات بحرية من القراصنة (٥) .

وتشير القرائن الى أن جانبا ثالثا من الأسطول كان يتألف — وفقا للنظام الذى ابتدعته أثينا — من السفن التى كان يفرض على الأثرياء من المواطنين اعدادها وتقديمها للملك . فقد شاع هذا النظام خارج أثينا فى كل عصر واتبعه الاسكندر نفسه (٦) . حقا ليست لدينا الا وثيقة بردية واحدة (عام ٢٥٨/٢٥٧ ق.م) خاصة بتطبيق هذا النظام فى احدى مدن الامبراطورية البطلمية وهى مدينة هاليقارناسوس (٧) . ولكنه ، على حد

(1) Lesquier, op. cit., p. 2 ; Rostovtzeff, p. 263.
(2) Rostovtzeff, p. 1318.
(3) Lesquier, p. 257, fn. 4 ; P. Lond., 1, 106.
(4) Polyb., V, 89, 4.
(5) Rostovtzeff, p. 1579 ; C.A.H., VII, p. 118.
(6) Wilcken, in Raccolta Lumbroso, 1925, pp. 97-8.
(7) C.-Zen. Pap., 67, in Annales, XXVII, pp. 209 ff. ; P. C. Zen., 59036 ; Hunt — Edgar, Select, Papyri II, 410 ; Raccolta Lumbroso, pp. 93 ff.

رأى فليكن (١) ، من العسير أن نتصور أن هذا العبء لم يلق الا على كاهل هذه المدينة وحدها دون غيرها من سائر الثغور الاغريقية التى كانت فى حظيرة الامبراطورية البطلمية . ومن المعقول أن نتصور أيضا أن البطالمة قد فرضوا هذا العبء كذلك على مواطنى الثغور الفينيقية وعلى مواطنى مدن مصر الاغريقية (٢) . ولا شك فى أن هـذا العبء لم يفرض على المصريين أيضا ، لاشفقة بهم وانما لأنه لم يكن فى وسعهم ، على الأقل على عهد البطالمة الأوائل ، الاضطلاع به بسبب فقرهم وقلة مواردهم مع كثرة الالتزامات الاخرى التى أرهقهم بها البطالمة .

وعندما سيطر البطالمة على عصبة جزر بحر ايجة كان أسطول هذه العصبة يكون جزءا مهما من أسطولهم (٣) .

المجذفون والبحارة :

أما عن رجال الأسطول فيجب أن نلاحظ أنهم كانوا يتألفـون من عنصرين رئيسيين وهما عنصر المجذفين والبحارة ، وعنصر المحاربين . ووفقا للنظم المتبعة فى كافة أنحاء العالم القديم ، كان العنصر الأول يتألف من أدنى طبقات السكان (٤) . ولما كان البطالمة قد وضعوا المصريين فى أسفل الدرك ، وكان طبيعيا أن يتبع البطالمة النظم المألوفة ، فلابد من أن العنصر الأول فى أساطيلهم كان يتألف أساسا من المصريين . ويتأكد ذلك بما ورد فى القرار الذى صدر فى العام التاسع من عهد بطلميوس الخامس أبيفانس (شهر مارس عام ١٩٦ ق.م.) وحفظه لنا حجر رشيد المشهور ، اذ أن هذا القرار يتضمن اعفاء مزارعى المعابد وعبيدها من الخدمة فى الأسطول (٥) . ويبدو معقولا أن البطالمة لم يفرضوا هذه الخدمة على مزارعى المعابد دون غيرهم من سائر فئات المزارعين . لـكن البطـالمة الأواخر ، وقد وهنت قواهم ولمسوا قوة الكهنة المصريين وأخذوا يتقربون اليهم بشتى الوسائل ، لم يعفوا الا مزارعى المعابد وعبيدها من الخدمة

(1) Op. Cit., p. 97. (2) Rostovtzeff, p. 334.

(3) Rostovtzeff, p. 333.

(4) Lesquier, p. 256.

(5) Cf. Mahffy, Empire of the Ptolemies, p. 320 ; Bevan, pp. 264-5 ; Lesquier, pp. 256-7.

فى الأسطول (١) •

وتشير القرائن الى أن المجرمين وأسرى الحرب كانوا أيضا يشتركون فى تكوين العنصر الأول من رجال الأسطول (٢) • ويبين أن بعض المرتزقة كانوا يستخدمون كذلك لهذا الغرض (٣) • وكان العبيد والمجرمون وأسرى الحرب يميزون عن غيرهم من العاملين سواء فى الأسطول الحربى أم الأسطول التجارى بوشمهم بالنار (٤) • ويبدو أن وشم العبيد وأسرى الحرب لم يكن أمرا استحدثه البطالمة بل يرجع الى عهد رمسيس الثالث (٥) •

المحاربون :

ويرى لسكييه أن جنود الأسطول أيضا كانوا يؤخذون من المصريين ولكن من تلك الطبقة الممتازة ، طبقة المحاربين المصريين (machimoi). ويستند هذا الرأى الى أن باوسانيوس (٦) يحدثنا ، فى خلال الكلام عن دور أمير البحر البطلمى باتروقلوس (Patroclos) فى أثناء حرب خرمونيدس ، بأن باتروقلوس طلب الى الاسبرطيين مهاجمة أنتيجونوس ورجاله المقدونيين على أن يقوم هو بالهجوم عليهم من الخلف ، والا فانه لا يكون من الانصاف لرجال أسطوله المصريين منازلة المقدونيين فى البر •

فلنناقش أولا الحجة التى يعزوها باوسانياس الى باتروقلوس ويستند اليها لسكييه ، وفيما يبدو أيضا غيره من المحدثين (٧) • أمن المعقول أن يكون البطالمة الأوائل — وهم الذين لم يثقوا فى كفاية المصريين الحربية ومقدرتهم على منازلة المقدونيين ، ومن ثم فانهم لم يعتمدوا عليهم فى

---

(١) واذا كان هناك شك فى أن بطلميوس الرابع — ليتقرب الى المصريين بوجه عام والكهنة بوجه خاص — قد توج على نهج الفراعنة لاول مرة فى عهد البطالمة ، فلا سبيل الى الشك فى ان بطلميوس الخامس قد فعل ذلك فى شهر نوفمبر عام ١٩٧ ، اى خمسة اشهر قبل ذلك القرار الذى ورد فيه هذا الاعفاء .

(2) P. Petrie, III, 43, l. 3 ; Lesquier, pp. 256 — 8.
(3) P. Grenfel, I, 9, l. 2 ; Lesquier, p. 257, fn. 4.
(4) P. Hibeh, II, ll. 86 ff., (5) P. Hibeh., II, p. 99.
(6) Paus. III, Laconia, VI, 5.
(7) Bevan, p. 175 ; C.A.H., VII, p. 118.

تكوين جيوشهم — قد أعتمدوا عليهم فى تكوين قواتهم المحاربة البحرية مع العلم بأن أغلب ، ان لم يكن كل ، معارك الأسطول البطلمى كانت ضد اغريق ومقدونيين ؟ أليس ذات ما عزاه باوسانياس الى باتروقلوس يدل دلالة قاطعة على عدم ثقة البطالمة وقوادهم فى كفاية المصريين الحربية ؟

واذا صح أن جنود الأسطول كانوا فعلا من المصريين ، فلا بد من أن البطالمة لم يقدموا على ذلك الا بعد أن أثبت المصريون كفايتهم ومقدرتهم على منازلة المقدونيين وغيرهم واقتنع البطالمة وقوادهم بذلك . وفى هذه الحالة تبطل حجة باتروقلوس ، والا فانه يكون معنى كلامه أن البطالمة وقوادهم ، بالرغم من عدم ثقتهم فى كفاية المصريين الحربية ومقدرتهم على منازلة المقدونيين ، قد كونوا جنود أسطولهم من المصريين . واذا جاز هذا ، وهو أمر غير مقبول فى نظرنا ، فما كانت اذن فائدة مثل هذا الأسطول للبطالمة الذين كانت قوات منافسيهم البحرية تتألف من المقدونيين والاغريق ؟ ولماذا اذن ذهب باتروقلوس لنجدة أثينا مع علمه تمام العلم بأن الأعداء الذين سيجابههم كانوا من المقدونيين وبأن رجاله غير أكفاء لمنازلتهم ؟ وهكذا يتبين لنا أمران : وأحدهما هو أن حجة باتروقلوس لم تكن الا عذرا منتحلا لتبرير سياسة سيده الذى لم يكن متحمسا لتعريض قواته البحرية للمخاطر من أجل قضية لم يكن ينتظر من ورائها منفعة مباشرة (١) . ويؤكد ذلك أنه عندما قام آريوس بمحاولة اقتحام خطوط جوناتاس التى كانت تسد برزخ قورنثة لم يحاول باتروقلوس مهاجمة المقدونيين من الخلف برا بوعده وفقا لرواية باوسانياس . والأمر الآخر هو أنه لا يمكن الاستناد الى هذه الحجة فى القول بأن جنود أسطول البطالمة ، وخاصة الأوائل منهم ، كانوا من المحاربين المصريين .

وقد سبق أن ذكرنا أنه لا يمكن الجزم بأن المصريين اشتركوا فعلا وباستمرار فى جيوش البطالمة قبل موقعة رفح فى عام ٢١٧ ق.م. ويساعد على الاعتقاد بعدم حدوث هذا الاشتراك أنه حتى هذا التاريخ لم تزد مساحة اقطاع المحارب المصرى على خمس أرورات ، وان كانت هذه

(١) راجع الفصل الثانى ، ٢ — بطلميوس الثانى ، ص ١٢١ — ١٢٢ .

المساحة قد زيدت بعد ذلك . وقد رأينا أن بطلميوس الرابع فيلوباتور لم يعتمد على المصريين فى موقعة رفح الا مضطرا حين كانت المخاطر تحف به ، ولم يكن فى وسعه تجنيد عدد كاف من المقدونيين والاغريق . واذا كنا نعرف أن أحدا من البطالمة الأوائل لم تضطره الظروف الى الاعتماد على المصريين فى تكوين القوات البحرية ، وكنا نعرف كذلك أنه حين أقدم بطلميوس الرابع على الاعتماد على المصريين وصف القدماء عمله هذا بأنه « بدعة خطيرة » مما يقطع بأن أحدا من أسلافه لم يسبقه الى ذلك ، فاننا نستبعد أن يكون البطالمة الأوائل قد اعتمدوا على المصريين فى تكوين جنود الأسطول . وفضلا عن ذلك فانه عندما كون فيلوباتور قلب جيشه فى موقعة رفح من المصريين — وبذلك أتاح لهم الفرصة لاثبات كفايتهم العسكرية — وأحرزوا نصرا مبينا فى هذه الموقعة على القوات المقدونية والاغريقية ، أزكى هذا الفوز روح الوطنية الكامن فى صدورهم وأعاد اليهم ثقتهم بأنفسهم فأصبحوالا يتهيبون الثورة على طغاتهم . ويسلم المؤرخون منذ عهد بوليبيوس (١) بأن ثورات المصريين على البطالمة منذ عهد بطلميوس الرابع ترجع الى انتصارهم فى موقعة رفح . ولا جدال فى أن البطالمة الثلاثة الأوائل كانوا أكثر صلفا وعنتا فى معاملة المصريين من البطالمة الأواخر ، ولا جدال أيضا فى أن أسطول البطالمة الثلاثة الأوائل قد قام بأعمال باهرة جدا ، فلو صح الزعم بأن جنود هذا الأسطول كانوا من المصريين لكان لهذه الانتصارات من الأثر فى نفوس المصريين مثل ما كان لانتصار رفح . لكن مظاهر تذمر المصريين من حالهم على عهد أولئك البطالمة لم تكن أكثر من الاحتجاج والاضراب عن العمل والفرار الى المعابد للاحتماء بالآلهة (٢) ، وذلك على عهد بطليموس الثانى ، ومن القيام بثورة واحدة على عهد بطلميوس الثالث . ولم تكن مظاهر احتجاج المصريين فى عهد بطلميوس الثانى ولا ثورتهم فى عهد بطلميوس الثالث نتيجة لانتصار بحرى رائع ، وانما فى الحالة الأولى نتيجة للقوانين المالية الصارمة التى أصدرها بطلميوس الثانى ، وفى الحالة الثانية من جراء ما

---

(1) Polyb., V, 107, 1-3.

(2) Peremans, in Rev. Belge de Philo. et d Hist., 1933, pp. 1005 ff. ; Chron. d'Eg., 1936, pp. 159 ff.

أصاب المصريين من ارهاق نتيجة للاستعدادات الكبيرة لفتوحات بطلميوس الثالث فى أواسط آسيا ، وكذلك نتيجة للمجاعة التى يذكرها قرار قانوب (١) .

وازاء ما تقدم اذا جاز لنا التسليم — مع التحفظ الشديد — بأن جانبا من المحاربين البحريين فى أسطول البطالمة الأوائل كانوا مصريين ، فاننا لا نستطيع التسليم بأن كل أولئك الجنود البحريين كانوا مصريين . والواقع أنه ليأخذنا العجب حقا اذا كان أولئك البطالمة ، وهم الذين وضعوا كل اعتمادهم على المقدونيين والاغريق فى تكوين قواتهم البرية ، لم يعتمدوا على الاغريق والمقدونيين الى حد كبير فى تكوين قواتهم البحرية أيضا . وأما منذ عهد فيلوباتور ، أى منذ سمح للمحاربين المصريين بالاشتراك الفعلى فى جيوش البطالمة ، فاننا لا نستبعد أنهم قد استخدموا أيضا محاربين مصريين فى الأسطول . لكنه اذا كانت لم تصبح لهم حتى فى ذلك الوقت الغالبية بين رجال الجيش ، فانه من المعقول أنهم كذلك لم يصبحوا غالبية جنود البطالمة البحريين . وتبعا لذلك فاننا نعتقد أنه على عهد البطالمة ، الأوائل منهم والأوخر ، كان جل ، ان لم يكن كل ، جنود البطالمة البحريين من الاغريق ومن على شاكلتهم ، وأن كل جنود الأسطول النهرى كانوا من المحاربين المصريين ، وأن غالبية مجدفى الأسطول البحرى — أى الأداة الدافعة فى هذا الأسطول — كانوا من الزراع والعمال المصريين والمساجين . ويؤيد هذا الرأى أن ديودوروس يحدثنا بأنه عقب موقعة غزة فى عام ٣١٢ وضع بطلميوس الأول أسرى الحرب فى الوحدات البحرية (nauarchiai) (٢) ، وأن وثيقة بردية (٣) من عام ١٥٩ ق.م. ترينا بين محاربى الأسطول رجالا من الجزر الاغريقية .

الاجـور :

وليست لدينا معلومات عن أجر جنود الاسطول ، فنحن لا نعرف هل كانوا يعاملون معاملة جنود الجيش ، أى هل كانوا يمنحون اقطاعات

---

(١) راجع الترجمة الانجليزية لهذا القرار فى كتاب بفان ص ٢٠٩ .

(2) Diod., XIX, 85, 4.

(3) Klio, XV, pp. 376 ff.

مثلهم ومثل كثيرين من موظفى الدولة ؟ أم أنهم كانوا يعطون مرتبات كالاغريق من رجال الشرطة فى القرن الثالث مثلا ؟ لقد حدا بالبطالمة الى اتباع نظام منح الاقطاعات ولا سيما لرجال الجيش دوافع عدة لعل أهمها أنه لم يكن من الحكمة ولا فى الامكان تسريح الجيش بعد كل حرب واعادة تكوينه قبل الحرب التالية ، لان أسواق الجنود المرتزقة كانت فى بلاد معادية للبطالمة • ومن ناحية أخرى كان يسبب لهم متاعب جمة ويكلفهم نفقات كثيرة الاحتفاظ بجيش قائم من الجنود المرتزقة يقضون معظم وقتهم عاطلين فى الثكنات • وكان منح الجندى قطعة من الأرض يقوم على استغلالها يربطه بمصر فيتخذها وطنا له وتنشأ بينه وبين الملك علاقات قوية دائمة ، وبذلك كان الملك يستطيع الاعتماد عليه دائما فى تكوين جيشه وتأييد ملكه ، وادخال وسائل اقتصادية جديدة فى مصر ، وزيادة عدد الأيدى العاملة ، ونشر الحضارة الاغريقية فى أنحاء البلاد (١) • ولا شك فى أن هذه الدوافع نفسها لم تغب عن البطالمة عند تكوين الاسطول ، وكان طبيعيا ان تؤدى بهم الى اتباع النظام نفسه مع رجاله لكننا لم نجد بعد فى وثيقة بردية واحدة ما يدل على أن رجال الأسطول كانوا أيضا من أرباب الاقطاعات ، مما يثير الشك فى أن البطالمة اتبعوا معهم أيضا نظام الاقطاعات • فهل يرجع صمت الوثائق الى الصدفة وحدها أم الى اختلاف النظام ؟ ان أغلب الاقطاعات التى منحها رجال الجيش كانت من الأراضى التى استصلحها البطالمة فى الفيوم • ويرجح المؤرخون أن أعمال الاستصلاح لم تكن مقصورة على الفيوم ، بل امتدت الى مناطق أخرى تشبه الفيوم (٢) ، وخاصة فى الدلتا ، حيث كانت تكثر الأراضى المنبسطة الواطئة التى تغمرها المستنقعات وتغطيها الحشائش والأدغال (٣) • فهل كانت المنطقة المخصصة الرئيسية لاقطاعات رجال الأسطول فى الدلتا لقربها من الموانى الرئيسية ، ولم تصل الينا الوثائق البردية الخاصة بأرباب الاقطاعات من رجال الأسطول لأن طبيعة أرض

---

(1) **Rostovzeff, A Large Estate, pp. 135-6 ; Soc. and Econ. pp. 284, 287 ; Préaux, pp. 265-6.**

(2) **Edgar, Zeno Pap. in Mich., p. 32.**

(3) **C.A.H., VII, p. 132.**

الدلتا لم تساعد على الابقاء على هذه الوثائق ولا على انتشار أعمال التنقيب هناك ؟ هذا محتمل ، ويؤيد هذا الاحتمال قلة معلوماتنا عن الأسطول بسبب ندرة ما وصل الينا من الوثائق البردية عنه • وعلى كل حال اذا جاز أن جنود الأسطول كانوا يمنحون اقطاعات ، فانه من المعقول أن المجذفين والبحارة كانوا يعاملون معاملة العمال ، أى يشتغلون لقاء أجر معين •

نظم الاسطول :

ونحن لا نعرف كذلك شيئا عن عدد رجال الأسطول بنوعيهم ولا عن تشكيلاتهم ، ولكنه يفهم من عبارة ديودوروس التى سبقت الاشارة اليها أن سفن الأسطول كانت تنقسم الى وحدات ، كل منها تحت امرة قائد بحرى • فقد ورد فى هذه العبارة أنه عقب غزوة عام ٣١٢ وضع بطلميوس أسرى الحرب فى الوحدات البحرية (nauarchiai)(١) ، ونعرف من النقوش والمصادر القديمة أسماء عدد كبير من قواد هذه الوحدات (٢) • ولا بد من أن عدد وحدات الأسطول البطلمى كان يختلف تبعا للعهود المختلفة ، بل تبعا للظروف المختلفة فى عهد واحد • وبطبيعة الحال كانت لهذه الوحدات قواعد بحرية متعددة كانت أهمها الاسكندرية ، وسلاميس بجزيرة قبرص ، وساموس،وثيرا،ومن المحتمل أيضا قورينائية(٣)•ولما كان اهتمام البطالمة بتجارة البحر الأحمر قد حدا بهم منذ عهد أولهم الى القيام بسلسلة من البحوث الكشفية لمعرفة الشواطىء والشعوب وموارد الثروة أولا فى البحر الأحمر وفيما بعد فى المحيط الهندى ، والى القيام بتأسيس عدد كبير من الثغور والمستودعات على الشاطىء الافريقى للبحر الأحمر من أقصى الشمال الى أقصى الجنوب ، وكنا نعرف أنه قد كان للبطالمة أسطول حربى لتأمين الملاحة فى هذا البحر (٤) ، فلا بد من أن هذا الأسطول قد أتخذ من بعض هذه الثغور قواعد له •

---

(1) Diod., XIX, 85, 4.

(٢) راجع القائمة باسماء هؤلاء القواد والقائمة باسماء حكام قبرص فى كتاب لسكييه سالف الذكر ص ص ٣٣٣ ، ٣٣٤ ، ٣٥١ •

(3) Lesquier, p. 258.

(٤) ولا ادل على ذلك مما سلف ذكره من انهم انشأوا منصبا جديدا

ولا نعرف شيئا كذلك عن مراتب ضباط الأسطول أكثر من أنه كان على رأس كل سفينة ضابط (trierarchos) — لا يبعد أنه كان له مساعد (hypotrierarchos) — وأنه كان على رأس كل وحدة بحرية قائد ، يظهر أنه كان الى جانب مهامه البحرية يتولى حكم تلك المنطقة من ممتلكات مصر الخارجية ، التى كانت توجد فيها قاعدة وحدتــه ، وكذلك قيادة الجنود البريين فى تلك المنطقة ، على نحو ما كان شأن حاكم جزيرة قبرص البطلمى . لكننا لا نجد الجمع بين هذه المهام المختلفة ، باستثناء قبرص ، الا فى القرن الثانى قبل الميلاد ، أى فى الفترة التى أخذ فيها نفوذ مصر الخارجى يتقلص أمام نفوذ روما فى شرق البحر المتوسط . ويبــدو أنه كان يساعد قواد الوحدات ضباط لا نعرف مرتبتهم مثل زينون مساعد القاعد البحرى باكخون (Bacchon) (١) .

وقد كان الملك البطلمى القائد الأعلى لقواته البرية والبحرية ، شأنه فى ذلك شأن الفراعنة وفيليب المقدونى والاسكندر الأكبر من قبل . ومر بنا أن بعض البطالمة كانوا أحيانا يتولون فعلا قيادة قواتهم البرية ، لكنهم كانوا عادة ينيبون عنهم أحد قواد الجيش ليتولى القيادة العامة دون منحه لقبا يميزه عن غيره من القواد ودون أن يكون لعمله صفة الدوام (٢) . ويبدو أن الحال كانت مماثلة لذلك فيما يخص الأسطول ، أى أن الملك كان أحيانا يتولى بنفسه قيادة الأسطول ، مثل بطلميوس الأول فى موقعة سلاميس (٣٠٦) ، لكنه كان عادة يعهد بالقيادة العامة فى الأسطول الى أحد قواد الوحدات البحرية . فقد أسلفنا أن الأسطول كان يتألف من عــدة وحدات (nauarchiai) ، وأنه كان على رأس كل وحدة قائد (naurchos)، ونعرف أن كلا من تيموسثنيس وبارتروقلوس كان أميرا للبحر ، وأنه لم يكن لأيهما لقب آخر عدا لقب (nauarchos).

ويجدر بنا الاشارة هنا الى أنه فى ضوء ما نستنبطه من القرائن لم

فى أواخر القرن الثانى وبداية القرن الاول وهو منصب « قائد البحر الاحمر والبحر الهندى » ، ويرجح انه فى بداية الامر كان يتولى هذا المنصب قائد مديرية فقط ، اما منذ عام ٧٨ ق.م. فان قائد منطقة طيبة هو الذى كان يشغله .. راجــع :
Rostovtzeff, p. 928 ; O.G.I.S., 186, 190.

(1) Lesquier, p. 259.
(2) Lesquier, pp. 67-9.

يكن للملك أسطول حربى فحسب بل أيضا أسطول تجارى كان بعضه بحريا والبعض الآخر نهريا .

٣ — الشرطة

ونتناول هنا الكلام عن رجال الشرطة ، لأنهم كانوا يكونون جزءا من قوات البطالمة ، ولأنهم يتصلون بالجيش اتصالا وثيقا ، اذ أنه منذ القرن الثالث كان يوجد بين رجال الشرطة محاربون مصريون (١) ، ومنذ القرن الثانى كان رجال الشرطة يسهمون فى تكوين القوات المحاربة (٢). ومع ذلك فان نظام رجال الشرطة ، وهو نظام ليست لدينا عنه الا معلومات طفيفة ، كان يختلف عن نظام الجيش .

وقد ييسر فهم ما سنعرضه أن نشير بادىء ذى بدء الى ما توحى به القرائن من أنه الى عهد فيلوباتور كانت أجور رجال الشرطة عبارة عن مرتبات شهرية (opsonion) ، وأنه لم يستثن من ذلك الا المحاربون المصريون الذين انخرطوا فى سلك رجال الشرطة ، فقد كانت أجورهم اقطاعات زراعية . ويبدو أن مرد هذا الاستثناء كان الى أن أفراد هذا الصنف من رجال الشرطة كانوا أرباب اقطاعيات قبل دخولهم سلك عملهم الجديد . ويؤيد ذلك أن رجال الشرطة المصريين الذين لم يكونوا أصلا من فئة المحاربين كانوا يحصلون على مرتبات شأنهم فى ذلك شأن زملائهم الأجانب . واذا كان نظام منح اقطاعات لرجال الشرطة قد اتسع باطراد منذ عهد فيلوباتور حتى شملهم جميعا ، فاننا لا نعرف حتى الآن أنه قبل هذا العهد كانت تمنح اقطاعات لرجال الشرطة من غير المحاربين المصريين (٣) .

ولعل أن هذا التطور فى نوعية أجور رجال الشرطة يرجع الى عاملين : وأحدهما هو ما سبق ذكره من أنه منذ القرن الثانى كان رجال الشرطة يسهمون فى تكوين القوات المحاربة ، مما كان يقتضى مساواتهم

---

(1) Lesquier, p. 260.
(2) Lesquier, p. 254.
(3) Lesquier, pp. 263-4; cf. Bevan, p. 164.

برجال الجيش من حيث نوعية الأجر . والعامل الآخر ، ولعله الأهم ، هو أنه ازاء تدهور الزراعة منذ أواخر القرن الثالث وترك المزارعين مساحات واسعة من الأرض دون فلاحتها وما ترتب على ذلك من حرمان الحكومة الضرائب المفروضة على هـذه الأرض فضلا عن دخلها اذا كانت أرضا ملكية ، ربما كانت احدى المحاولات للتغلب على هذه المشكلة هى منح اقطاعات من هذه الأرض المراح لرجال الشرطة بدلا من اعطائهم مرتبات . وعلى هذا النحو كانت الحكومة تصيب برمية واحدة هدفين هما توفير مرتبات رجال الشرطة والحصول على الضرائب المفروضة على اقطاعاتهم . وقد يؤيد هذا الرأى ما نعرفه – وهو ما سيأتى ذكره فى الجزء الثالث – من أنه تقرر فى القرن الثانى أن الأراضى المنزرعة وتدر دخلا على الدولة يجب الا تستخدم فى منح الاقطاعات ، وتبعا لذلك فانه كان لا يستخدم عادة لهذا الغرض الا الأراضى الجافة .

وفى ضوء ما لدينا من المعلومات يمكن تقسيم رجال الشرطة بوجه عام ثلاث فئات رئيسية وهى : أولا ، أولئك الذين كانت مهتهم ضـمان الاحترام اللازم لكبار الموظفين والدفاع عنهم اذا اقتضى الأمر (١) . وكان أفراد هذه الفئة يعرفون بأسماء مشتقة مما كانوا يحملونه من السلاح الذى يرمز الى سلطتهم ، وتبعا لـذلك فانهم كانوا يدعون : اما حملة العصى (٢) (rhabdophoroi) ، واما حملة السياط (٣) (mastigophoroi) واما حملة السيوف (٤) (machairophoroi) . وبديهى أن الأخيرين كانوا أرفعهم شأنا ، فهم وحدهم الذين كانوا يحملون سلاحا جديرا بهـذا الأسم . ومما يجدر ملاحظته أن المصريين الذين كانوا ضمن هذه الفئة كانوا لا يحملون لقبا من هذه الألقاب ، اذ أنه كان يكتفى فى وصفهم بأنهم من أتباع هذا أو ذاك من الموظفين (٥) ، الذين كانوا ينفذون أوامره ويسهرون على سلامته . ولا نعرف شيئا عن أجور هذه الفئة من رجال

(1) Lesquier, pp. 260-1 ; Bevan p. 163 ; Cf. Three Fayum Papyri., no 1 ; Letter of Heraclitus to Dorion, Chron., 48, 1949, pp. 295-6.
(2) P. Tebt., III, 20, Col. III, ll. 9, 11.
(3) P. Tebt., 121, l. 58.
(4) B.C.H., XX, 1896, p. 179 ; Strak, Archiv, III, 6 ; P. Hib. I, 73, l. 16 ; P. Amh., II, 62 ; P. Tebt., I, 35, I. 13 ; 39, I. 23 ; 112, I. 85 ; 179.
(5) P. Hib., I, 41, l. 18 ; P. Tebt., 112, l. 81 ; 116, l. 57 ; 112, ll. 34, 43, 3; P. Lille, 25, ll. 63-4.

الشرطة سواء قبل عهد فيلوباتور أم بعده .

وكانت الفئة الثانية تشمل رجال الشرطة (Phylakitai) بأدق معاني الكلمة ، وكان أرفعهم مقاما رئيس الشرطة (epistates phylakiton) (١) في كل مديرية ، وكان تحت امرته رجال الشرطة في المديرية بأجمعها ، ويليه في الرتبة رؤساء الشرطة في « المراكز » التي تنقسم اليها المديرية ، وكانوا يدعون رؤساء شرطة (archiphylakites) المراكز (٢) . وكانت المراكز تنقسم الى قرى ، وفي القرى الهامة كان يشرف على الشرطة ضابط يدعى رئيس الشرطة (archiphylakites) (٣) ، وأما في القرى الصغيرة ، فان الشرطة في كل منها كانوا تحت امرة صف ضابط يدعى رئيس العشرة (dekanos) (٤) .

واذا كنا نعرف أن معدل أجر أفراد هذه الفئة كان عشر أرورات ، فاننا لا نعرف معدل أجر رؤسائهم ، لكنه لا بد من أن هذا المعدل كان يزيد على عشر أرورات زيادة تصاعدية تبعا لمرتبة كل منهم . وقد كانت مهمة هؤلاء الشرطة ، الذين نظموا على هذا النحو ، حفظ الأمن والسكينة ، ومساعدة الموظفين وخاصة عمال المالية في أداء مهامهم ، واحترام الملكية ، والبحث عن مخالفي القانون والمجرمين وتقديمهم للمحكمة المختصة أو تحقيق القضايا (٥) وارغام المجرمين على رد المسروقات أو دفع قيمتها لأصحابها (٦) ، وضبط ملاحي الملك الهاربين من سفنه التجارية النيلية . وكان يحظر ايواء أي ملاح ملكي هارب أو أي شخص ارتكب أية جريمة ، ويعتبر رجال الشرطة الذين يثبت فشلهم في ضبط المجرمين والملاحين الملكيين الهاربين وكذلك كل من يتسلم أشياء مسروقة أو يأوي أحدا ممن كان ايواؤهم محظورا شركاء في الجريمة وتوقع عليهم العقوبة نفسها التي توقع على الفاعل الأصلي . وفي حالة رجال الشرطة الذين يثبت فشلهم في ضبط الملاحين الملكيين الهاربين فانه

(1) P. Hib., I, 34, 1. 3 ; 72, l. 4 ; P. Petrie, III, (28), (e), ll. 13-14 ; P. Tebt., I, 5, l. 159 ; 43, ll. 6-9.
(2) P. Petrie, II. 20 (1) recto ; P. Paris, 6 ; P. Hib., I, 73, l. 10 ; P. Teb., I, 5, ll. 142, 159 ; 6, l. 14 ; 27, l. 29 ; 38, l. 17 ; 40, ll.15-16 etc.
(3) Lesquier, op. cit., p. 261.
(4) P. Tebt., I, 27, 1 ; 251.
(5) Lesquier, op. cit., p. 262 ; Thubenschlag, Law, 2nd ed., pp. 237-40.
(6) P. Hibeh, II, Col. IV, ll. 52-84 ; P. Enteuxis, 30, l. 11.

كان يتعين ارســالهم الى السفن الملكية (١) ، ليحلوا فيما يبـدو محل الهاربين فى تأدية مهامهم • ولتأمين سلامة الملاحة فى النيل ، حظر بطلميوس الثانى الملاحة ليلا الا على رسل الملك المكلفين بأداء مهام عاجلة ويرغبون فى متابعة الملاحة ليلا ، وفى هذه الحالة كان يجب تزويـدهم بحراسة كافية • وقضى هذا الملك أيضا بضرورة رسو السفن عند جنوح الظلام فى أماكن معينة ، وذلك باستثناء السفن التى تصادفها أجواء عاصفة تضطرها الى الرسو فى غير تلك الأماكن،وفى هذه الحالة كان يجب اخطار رجال الشرطة عن سبب رسوها ومكان ذلك ، وعندئذ كان يجب على رئيس الشرطة ارسال قوة حراسة تكفل درء أى عدوان على تلك السفن (٢) • وأغلب الظن ان تلك الأماكن الآمنة التى حددت لرسو السفن عندها قبل اقبال الليل كانت مراكز الحراسة أو الشرطة (phylake) التى أنشئت على النيل لهذا الغرض وورد ذكرها فى أحد أوامر فيلادلفوس (٣) ، وهى التى تمدنا بنسخة منها ذات الوثيقة التى تتضمن التعليمات السالفة الذكر • واذا كانت مراكز الحراسة أو الشرطة الواردة فى هذا الأمر الملكى تقع جميعا فى منطقة مصر الوسطى فيما بين منف وهرموبوليس (الأشمونين) ، فانه ليس معنى ذلك أنه لم توجد مراكز للحراسة أو الشرطة على النيل الا فى هذه المنطقة ، لأن ذلك من ناحية لا يتفق مع ما فى مصادرنا وما سبق ذكره عن وجود مراكز الشرطة فى كل انحاء البلاد بما فى ذلك القرى ، ولا مع حرص البطالمة وبخاصة أوائلهم على استتباب الأمن فى كل أرجاء المملكة ، ولأنه من ناحية أخرى لا يمكن ان نتصور أن السطو على السفن التجارية فى النيل كان مقصورا على منطقة مصر الوسطى وغير مألوف فى الدلتا ومديرية الفيوم ومنطقة طيبة وكانت تمتد من هرموبوليس الى أسوان • وانما معنى ذلك هو ان الأمر الملكى الذى حدد تلك المراكز كان خاصـا بمنطقة مصر الوسطى • ويؤيد ذلك ان القرائن توحى بأن الوثيقة التى تضمنت هذا الأمر بين ما تضمنته من أوامر ملكية أخرى يتناول أغلبها مهام رجال الشرطة ووسائل مكافحة مختلف أنواع الخروج على القانون قد نسخت فى أحد بلاد مصر الوسطى ليفيـد منها رجال

(1) P. Hibeh II, 198, Col. V, ll. 85—105.
(2) Ibid, ll. 106 — 122.
(3) Ibid, ll. 123 = 140.

الشرطة فى أحد مراكزهم فى تلك المنطقة (١) • وفى ضوء الاعتبارات التى أوردناها لعله ليس من الاسراف فى الرأى القول بأنه فيما يخص الوسائل التى تكفل استتباب الأمن كان الملك يصدر أوامر متماثلة لكل انحاء المملكة ، واما فيما يخص تحديد مراكز الشرطة أو الحراسة على النيل فانه بسبب كثرتها فى طول البلاد وعرضها كان الملك يصدر أمرا خاصا بذلك لكل منطقة بعينها • واذا صح ذلك فان معناه ان البطالمة الأوائل أنشأوا مراكز للشرطة أو للحراسة على طول امتداد النيل وفروعه •

ومما يجدر بالملاحظة :

أولا : ان الأوامر الملكية الواردة فى الوثيقة السالفة الذكر تستكمل الأوامر الملكية الأخرى التى أصدرها البطالمة الأوائل من حيث الاتسام بطابع الحسم والجدية لمكافحة عوامل القلق والاضطراب والفساد (٢) ، فى حين أنه منذ أواخر القرن الثالث قبل الميلاد لجأ البطالمة الى اجراءات كانت مزيجا من أساليب القهر وأساليب الاسترضاء بحث الموظفين على الكف عن أعمال العسف والجور وباعطاء المنح والاعفاءات الى الثوار (٣) •

ثانيا : ان ناشر هذه الوثيقة يعجب من أنه فى عصر فيلادلفوس الذهبى كانت الملاحة غير آمنة فى النيل ويرجح ان مرد ذلك كان الى آفة كامنة ولدتها ظروف قديمة أكثر منه الى ظروف استثنائية • ويبدو لنا أنه قد غاب عن هذا الباحث أن النظام المالى والاقتصادى البغيض الذى أصدره أو أحكم حلقاته فيلادلفوس أدى الى تذمر شديد بين المزارعين والمشتغلين بالصناعة والتجارة فى كنف هذا النظام ، وأن هذا التذمر لم يفض الى الاضراب عن العمل فحسب بل أيضا الى وقوع اضطرابات أزعجت الحكومة ازعاجا شديدا فكانت تقابلها باجراءات صارمة تذكرنا بما أوردناه آنفا ، ولنا عودة الى هذه الاجراءات فيما بعد •

(1) P. Hibeh, II, p. 78.

(2) Lenger, Chron., 19, 1944, pp. 113 — 5, 139 — 40.

(3) Cf. Rostovtzeff., Soc. and Ec., Index S.V. Robbers ; Lenger, Rev. Intern. Droits de L'Antiq., I, 1948, pp. 119-32 ; **Studi Arangio Ruiz, I, pp.** 483-99 ; Mélanges George Semets, pp. 497-522.

وثالثا : أنه وسط اضطرابات الثورات القومية . يبـدو أن أعمال السطو على السفن التجارية فى النيل تفاقمت الى حد أنه لم يعد فى وسع رجال الشرطة وحدهم القبض على ناصية الحال فلجأت الدولة منذ عهد بطلميوس الرابع أو الخامس الى استخدام وحدات من الأسطول الحربى فى النيل لتأمين سلامة الملاحة فيه . على نحو ما سبق ذكره .

وأما الفئة الثالثة من رجال الشرطة، فانها كانت تتألف من أشخاص يطلق على بعضهم أرموفولاقس (eremophylakes) ، وعلى البعض الآخر أفودوى (ephodoi) وعلى البعض خرسفيبوى (chersephippoi) (١) . واذا كان يصعب استخلاص مهامهم من ألقابهم ، فاننا نعرف على الأقل أنهم كانوا يمنحون اقطاعات مساحتها على التـوالى : عشر أرورات ، وخمس وعشرون أرورة ، وثلاثـون أرورة ، ممـا يـدل على أن الأرموفولاقس (٢) كانوا مساوين فى المرتبـة للفئة الثانيـة من رجال الشرطة (phylakitai) ، فقد كانوا يمنحون اقطاعات تبلغ هذه المساحة ، مما يوحى بأن مهامهم لم تكن أرفع من مهام تلك الفئة . ويبـدو أن الأرموفولاقس كانوا يباشرون مهامهم فى قرية واحدة أو أكثر . ويشير لقبهم الى أن مهامهم كانت تنطوى على الاشراف على الأراضى التى تدعى « الأراضى الجافة » ، لكى يمنعوا الأفراد فيما يبدو من استغلالها دون وجه حق (٣) . ويجب أن يلاحظ أن جفاف الأرض قد يكون سببه أحد أمرين : اما أنها مرتفعة والميـاه لا تصـل اليها واما أن أربابها هجروها ونزوحوا عنها . ولما كانت ظاهرة هجر الأرض غير معروفة فى عهـد البطالمة الأوائل ، فلا بد من أن شيوع هـذه الظاهرة فى عهـد البطالمة الأواخر قد أدى الى اتساع نطاق عمل هذا الفريق من رجال الشرطة .

واذا كنا لا نجد أرباب اقطاعات من فئة العشر أرورات قبل عصر أبيفانس (٤) ، فانه لا يجوز اتخاذ ذلك قرينة على عدم وجود هذا الفريق

---

(1) P. Tebt., I, pp. 550-1.

(2) P. Petrie, I, 25, l. 5 ; P. Tebt., I, 61 (b), ll. 9, 330 ; 62, ll. 58, 94, 100-9 ; 68, ll. 48-50, 84-8 ; 64 (a), ll. 20-6, 36-42 ; 81, l. 25 ; 85, l. 72 ; 93, ll. 54-7.

(3) Lesquier, op. cit., p. 262.

(4) Lesquier, p. 177.

من رجال الشرطة فى العهد السابق على أبيفانس ، لأنه — كما رأينا — كان منح الاقطاعات لرجال الشرطة قبل عصر فيلوباتور مقصورا على المحاربين المصريين منهم ، ولأنه اذا كانت ظاهرة هجرة الأرض غير معروفة فى عهد البطالمة الأوائل فلا شك فى أنه كانت توجد فى عهدهم أراض جافة بسبب ارتفاعها عن منسوب المياه .

أما الأفودوى (١) ، ونعرفهم طوال فترة تمتد من عهد فيلادلفوس حتى العصر الرومانى . فيبدو أن مهمتهم كانت قبل كل شيء مراقبة الملتزمين وجامعى الضرائب ، ولعلهم كانوا يعنون أيضا بالسهر على الجسور (٢) . وعلى كل حال فان اسمهم يدل على أنهم كانوا مفتشين ، ولا يستقرون فى مكان معين ، وفى الواقع كانت لكل منهم منطقة واسعة (٣) . ولا شك فى أن الخرسفيبوى كانوا يؤلفون قوة فرسان ، ويبدو من اسمهم أن منطقة نشاطهم كانت الأراضى الجافة المرتفعة الواقعة بين الصحراء والأراضى الزراعية ، لرد اعتداء سكان الصحراء الرحل عليها (٤) .

ويتبين من وثيقة الدخل أنه فى عهد فيلادلفوس كانت مائة دراخمة هى معدل المرتب الشهرى للأفودوى (٥)، وهم الذين عرفنا أن معدل أجرهم أصبح منذ عهد أبيفانس اقطاعا زراعيا قدره خمسة وعشرون أرورة . واذا جاز لنا اتخاذ هذا التطور أساسا لتقدير الأجور بالنقد قبل عهد أبيفانس ، فان معناه أن دخل الأرورة الواحدة فى العام أصبح مقابلا لما كان أربع دراخمات شهريا فى الماضى ، وتبعا لذلك فانه لا يبعد أنه فى

(1) Rev. Laws, Col., 10, l. 10 ; 12, ll. 17-8 ; P. Petr., 4 ; P. Tebt., I, 32, l. 18 ; 60, ll. 22, 104 ; 61, (a), ll. 45 ff. ; (b), l. 343 ; 62, ll. 87, 139 etc.

(2) P. Peter. 4=P. Peter., III, 128 ; P. Tebt., I, 90, Intr.

(3) P. Tebt., I, 32, ll. 17-8.

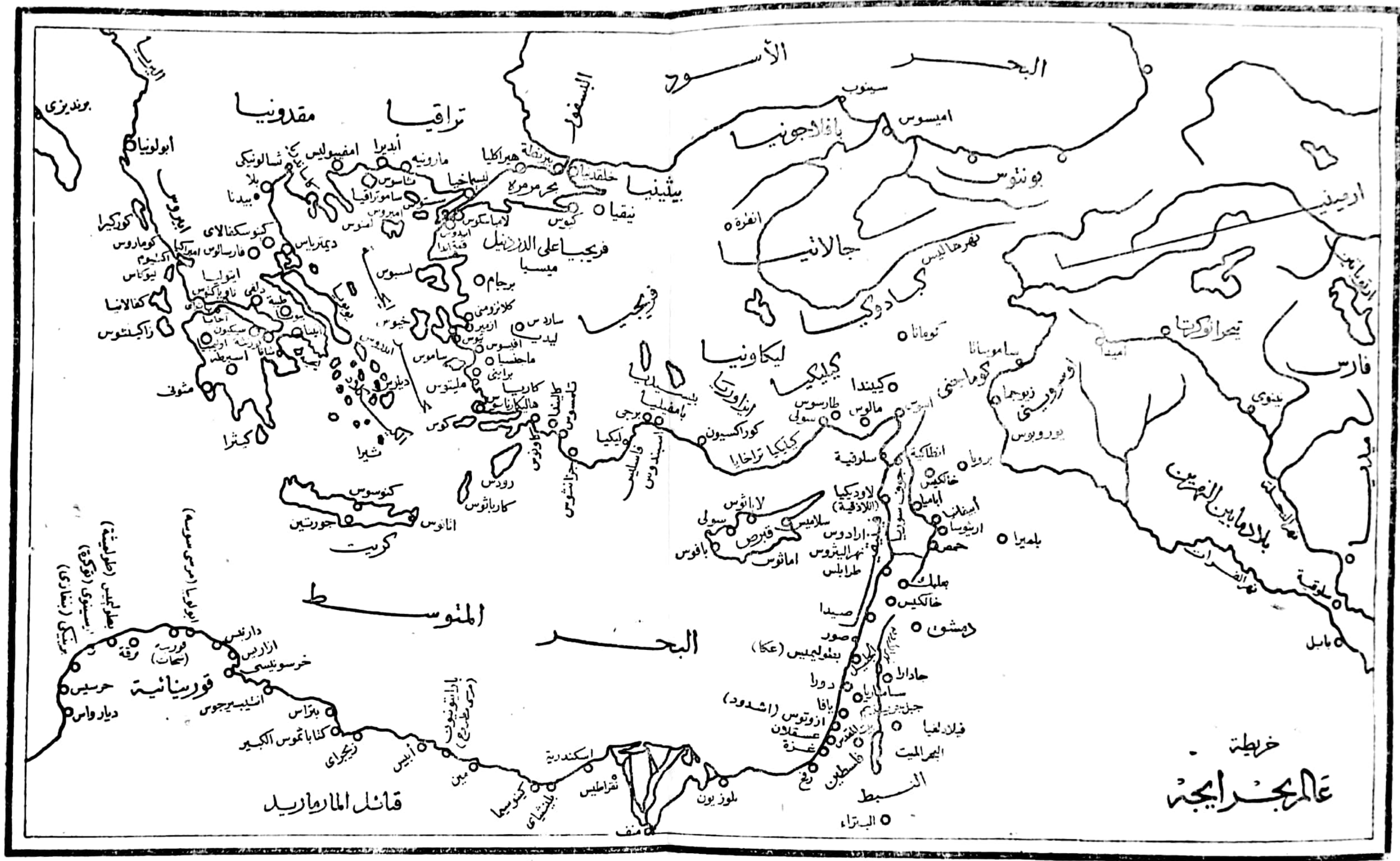
(4) P. Tebt., I, 60, l. 21 ; 62, l. 34 ; 63, ll. 36-9 ; 64, (a), l. 18 ; 84, ll. 174-5, 181 ; 152.

(5) Rev. Laws, Col., 12, ll. 14-16.

الأصل ربما كان معدل مرتب الأرموفولاقس وكذلك معــدل مرتب الفئة الثانية من رجال الشرطة (Phylakitai) ٤٠ دراخمة شهريا ، ومعدل مرتب الخرسفيبوى ١٢٠ دراخمة شهريا •

ولا يمكن معرفة جنسية رجال الشرطة الا من أسمائهم ، لكنه ، كما رأينا من قبل ، وكما سنرى فيما بعد ، لم تعد الأسماء فى القرن الثانى دليلا شــافيا على الجنسية • واذا كنــا نتبين من الوثائق أن ضبــاط الشرطة والخرسفيبوى والأفوودوى كانوا بوجه عام يحملون أسماء اغريقية، حتى فى القرن الثانى (١) ، فانه من المحقق أنه قد تسلل الى صــفوفهم مصريون يحملون أسماء اغريقية ، مما يدل على أنه لم يكن من المستساغ أن يتولى هذه المهام أشخاص لم يكونوا اغريقا ولو فى الظاهر • وجملة القول أنه اذا كان من المحتمل جدا أن هذه المهام كانت مقصورة على الاغريق فقط فى القرن الثالث ، فانه لاشك فى السماح تدريجيا للمصريين بتوليها • وأما رجال الشرطة العاديون ، فانهم كانوا فى الغالب من المصريين منذ القرن الثالث (٢) •

(1) P. Tebt., I, p. 551.
(2) Bevan, p. 163.



خريطة
عالم بحر ايجه
البحر الأسود
البحر المتوسط
مقدونيا
تراقيا
البسفور
بيثينيا
باقلاجونيا
بونتوس
جالاتيا
كبادوكيا
فريجيا
فريجيا على الدردنيل
ليكاونيا
كيليكيا
ليديا
ارمينيا
فارس
بلاد ما بين النهرين
قبرص
كريت
قورينائية
فلسطين
النبط
البحر الميت
ابولونيا
امفيبوليس
ابديرا
مارونيه
هيراكليا
بيزنطة
خلقدونيا
نيقيا
سينوب
اميسوس
انقرة
بحر مرمرة
لامباسكوس
كوس
ميسيا
برجام
لسبوس
خيوس
ساموس
ساردس
كلازومني
ازمير
افسوس
ماجنسيا
ميليتوس
هاليكارناس
رودس
كارباثوس
كنوسوس
جورتين
ثيرا
كيثرا
مثوف
زاكينتوس
كفالانيا
كوركيرا
ايتوليا
ديميترياس
بلا
بيدنا
شالونيكي
برجى
كوراكسيون
كيليكيا تراخايا
طارسوس
مالوس
سلوقية
انطاكية
بروئيا
خالكيس
لاوديكيا
(اللاذقية)
سلاميس
بافوس
اماثوس
ارادوس
طرابلس
بعلبك
حمص
بلميرا
صيدا
دمشق
صور
بطولميس (عكا)
دورا
جادارا
يافا
ازوتوس (اشدود)
عسقلان
غزة
رفح
فيلادلفيا
البتراء
بلوزيون
منف
نقراطيس
اسكندرية
بارايتونيون
(مرسى مطروح)
ابيس
زيجراى
كتاباثموس الكبير
انتيبيرجوس
خرسونيسى
ازاريس
دارنيس
برقة
ديار واس
حرسيس
قبائل المارماريد
نهر الفرات
نهر دجلة
بابل
سلوقية
نينوى
كوماجيني
ساموساتا
كومانا
بونديزى

طبع بمطبعة جامعة القاهرة

المراقب العام
على محمد حسن اسماعيل
١٩٧٥/٩/٢٤

(مطبعة جامعة القاهرة ١٩٧٥\٤٦٥/٣١٠٠)

رقم الايداع بدار الكتب ٤٣٥٠ سنة ١٩٧٥